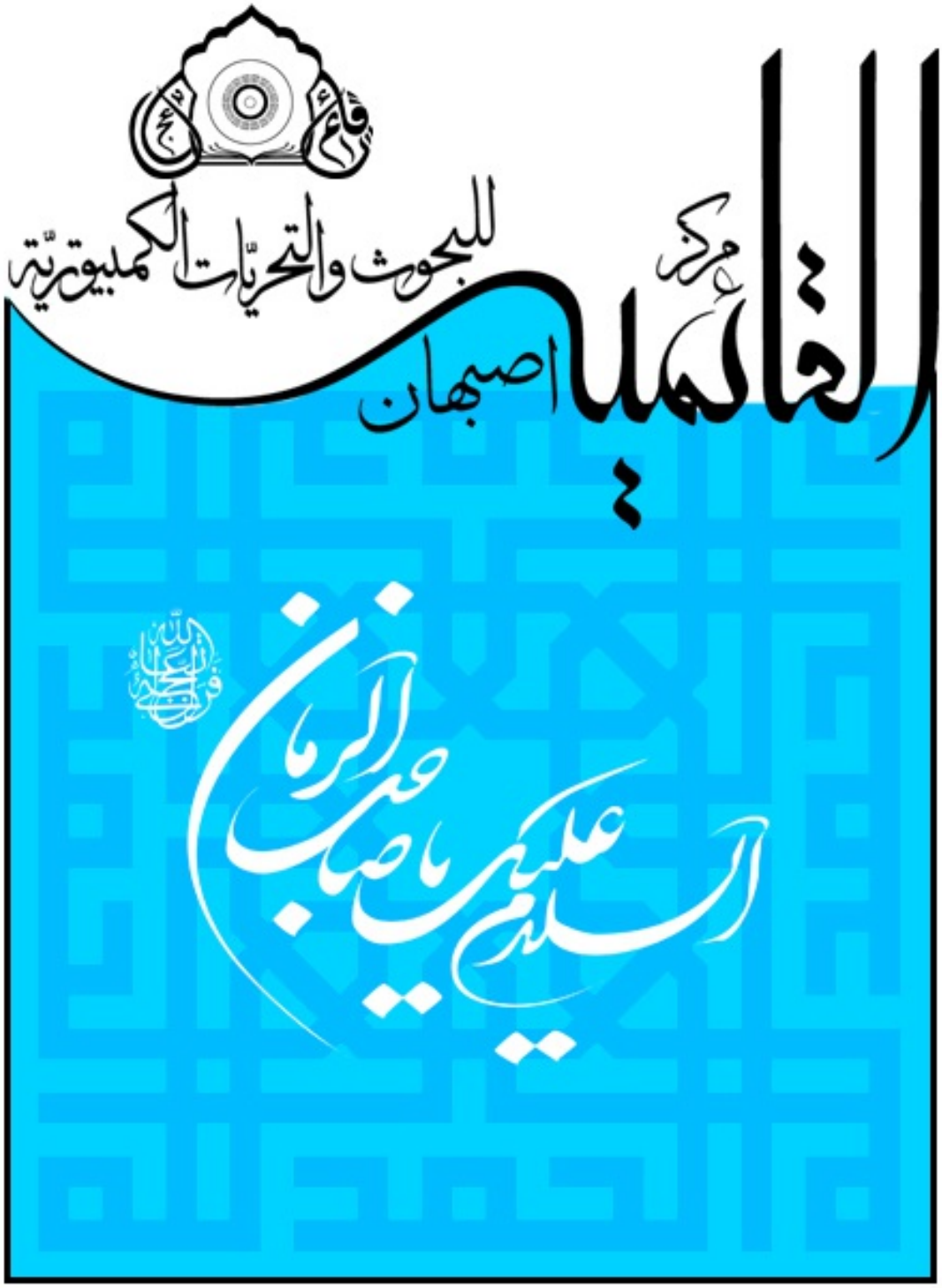

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الضواء على عقائد الشيعة الامامية

آیت اللّه سبحانی

بسم الله الرحمن الرحيم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

دفتر آيت الله العظمى جعفر سبحانى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
مقدّمة الناشر ----- ۲۲
مقدّمة المؤلّف ----- ۲۵
التقريب ضرورة ملحّة ----- ۲۵
الفصل الأوّل ----- ۲۶
الشيعة فى موكب التاريخ ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق ----- ۲۹
روّاد التشيّع فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
الكتب المؤلّفة حول روّاد التشيّع: ----- ۳۳
الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسىّ ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
الشيعة فى العصر الأُموى ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۵
۱- رسالة الإمام الحسين إلى معاوية: ----- ۳۵
بيان معاوية إلى عماله: ----- ۳۷
ضحايا الغدر الأُموى ----- ۳۸
الشيعة فى العصر العباسى ----- ۴۰

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
الفرضيّة الأُولى: الشيعة ويوم السقيفة ----- ۴۶
الفرضيّة الثانية: التشيّع صنيع عبد اللّه بن سبأ ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
نظر المحقّقين فى الموضوع ----- ۵۰
عبد اللّه بن سبأ أُسطورة تاريخية ----- ۵۳
الفرضيّة الثالثة: التشيّع فارسيّ المبدأ أو الصبغة ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ: ----- ۵۴
تحليل النظرية ----- ۵۵
الفرضيّة الرابعة: الشيعة ويوم الجمل ----- ۵۸
أصحاب أمير المؤمنين ----- ۵۸
الفرضيّة الخامسة: الشيعة ويوم صفّين ----- ۵۹
الفرضيّة السادسة: الشيعة والبويهيّون ----- ۵۹
الفرضيّة السابعة: الشيعة والصفويّون ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
زلّة لا تستقال ----- ۶۰
الفصل الثانى ----- ۶۲
الأئمّة الاثنا عشر ----- ۶۲
الأئمة الاثناعشر ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
الأئمّة الاثنا عشر فى حديث الرسول صلى الله عليه و آله ----- ۶۳
الإمام الأوّل: أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ----- ۶۷

اشارة ----- ۶۷
مکوّنات الشخصیّة الإنسانیة ----- ۶۷
مکوّنات شخصیّة الإمام علی علیه السلام ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
۱- الإمام علی علیه السلام والوراثة من الأبوین: ----- ۶۸
۲- الامام علیّ وتربیته فی حجر النبیّ صلی الله علیه و آله: ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
النبی یأخذ علیّاً إلی بیته: ----- ۷۰
علیّ فی غار حراء ----- ۷۱
۳- البیئة الرسالیة وشخصیة الإمام: ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
البعد المعنوی لشخصیّة الإمام علیه السلام: ----- ۷۲
تسلیط الضوء علی شخصیته السامیة: ----- ۷۳
تنصیب علی علیه السلام للإمامة ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
۱- النبوّة والإمامة توأمان ----- ۷۶
۲- قصة الغدیر ----- ۷۶
مصادر الواقعة ----- ۷۸
واقعة الغدیر ورمز الخلود ----- ۷۸
شذرات من فضائله ----- ۸۰
الإمام الثانی: أبو محمد الحسن بن علی المجتبی علیه السلام ----- ۸۰
ولادته ----- ۸۰
ألقابه علیه السلام ----- ۸۱
علمه علیه السلام ----- ۸۱

زهده علیه السلام ----- ۸۱
حلمه علیه السلام ----- ۸۱
إمامته علیه السلام ----- ۸۲
صلحه علیه السلام مع معاویة ----- ۸۳
شهادته ودفنه علیه السلام ----- ۸۳
اشارة ----- ۸۳
فرح معاویة بموته ----- ۸۴
الإمام الثالث: أبو عبداللّه الحسین بن علی سیّد الشهداء علیه السلام ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
ولادته علیه السلام ----- ۸۵
خصائصه علیه السلام ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
کفاحه وجهاده الرسالی ----- ۸۵
إباؤه للضیم ومعاندة الجور ----- ۸۵
الإمام الحسین علیه السلام وکربلاء ----- ۸۶
رفضه البیعة لیزید: ----- ۸۶
خروجه من مکّة ومکاتبة أهل الکوفة له: ----- ۸۷
الدافع الواقعی للهجرة إلی العراق: ----- ۸۸
شهادته علیه السلام ----- ۹۰
الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
ولادته و جوانب من سیرته علیه السلام ----- ۹۱
اشارة ----- ۹۱
۱- هیبته ومنزلته العظیمة: ----- ۹۱

۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء: ۹۲
ثروته عليه السلام العلمية ۹۳
اشارة ۹۳
رسالة الحقوق ۹۴
شهادته عليه السلام ۹۴
الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام ۹۵
اشارة ۹۵
أقوال العلماء فيه عليه السلام ۹۵
مناظراته ۹۶
الإمام السادس: أبو عبداللّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ۹۷
اشارة ۹۷
ولادته وخصائصه عليه السلام ۹۷
مناقبه عليه السلام ۹۸
حياته العلميّة عليه السلام ۹۸
نتف من أقواله ۱۰۰
من أقوال العلماء المحدِّثين فيه عليه السلام ۱۰۰
وفاته ۱۰۰
الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ۱۰۱
ولادته عليه السلام ۱۰۱
إمامته عليه السلام ۱۰۱
جوانب من سيرته العطرة عليه السلام ۱۰۱
وفاته ۱۰۳
الإمام الثامن: أبوالحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام ۱۰۴
ولادته عليه السلام ۱۰۴

إمامته عليه السلام ----- ۱۰۴
أقوال العلماء فيه عليه السلام ----- ۱۰۴
الإمام الرضا عليه السلام وولايهٔ العهد ----- ۱۰۵
الإمام الرضا عليه السلام وصلاهٔ العيد ----- ۱۰۷
من شعر أبى نؤاس فيه عليه السلام ----- ۱۰۸
شهادته عليه السلام ----- ۱۰۸
الإمام التاسع: أبوجعفر محمّد بن علىّ الجواد عليه السلام ----- ۱۰۹
ولادته عليه السلام ----- ۱۰۹
إمامته عليه السلام ----- ۱۰۹
استقدامه إلى بغداد ----- ۱۰۹
رجوعه عليه السلام إلى المدينهٔ ----- ۱۱۱
الإمام العاشر: أبو الحسن علىّ بن محمّد الهادى عليه السلام ----- ۱۱۱
ولادته وإمامته عليه السلام ----- ۱۱۱
المتوكّل ومواقفه الشنيعهٔ مع الإمام عليه السلام ----- ۱۱۱
آثاره العلميهٔ ----- ۱۱۲
شهادته عليه السلام ----- ۱۱۳
الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام ----- ۱۱۳
الإمام الثانى عشر: المهدى ابن الحسن المنتظر عليه السلام ----- ۱۱۶
اشارهٔ ----- ۱۱۶
فيمن رأى المهدى فى بيت الإمام العسكرى: ----- ۱۱۸
أسئلهٔ مهمّهٔ حول المهدى ----- ۱۱۹
اشارهٔ ----- ۱۱۹
الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟ ----- ۱۲۰
الثانى: لماذا غاب المهدى عليه السلام؟ ----- ۱۲۱

الثالث: الإمام المهدی وطول عمره: ۱۲۲
الرابع: ماهی علائم ظهوره علیه السلام؟ ۱۲۳
حصیلة البحث ۱۲۴
الفصل الثالث ۱۲۵
دور الشیعة ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
تمهید ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
۱- قدماء الشیعة وعلم البیان ۲- قدماء الشیعة وعلم النحو ۱۲۸
۳- قدماء الشیعة وعلم الصرف ۱۳۰
۴- قدماء الشیعة وعلم اللغة ۱۳۱
۵- قدماء الشیعة وعلم العروض ۱۳۲
۶- قدماء الشیعة وطرائف الشعر ۱۳۲
۷- قدماء الشیعة وعلم التفسیر ۱۳۵
۸- قدماء الشیعة وعلم الحدیث ۱۳۷
اشارة ۱۳۷
طبقات محدّثی الشیعة الطبقة الأُولی: ۱۳۹
اشارة ۱۳۹
الطبقة الثانیة ۱۳۹
الطبقة الثالثة ۱۳۹
۹- قدماء الشیعة والفقه الإسلامی ۱۴۰
اشارة ۱۴۰
مشاهیر الفقهاء فی القرن الخامس: ۱۴۲
۱۰- قدماء الشیعة وعلم أُصول الفقه ۱۴۲

۱۱- قدماء الشیعة وعلم المغازی والسیر ---- ۱۴۴
۱۲- قدماء الشیعة وعلم الرجال ---- ۱۴۶
۱۳- قدماء الشیعة والعلوم العقلیة ---- ۱۵۱
اشارة ---- ۱۵۱
متکلّمو الشیعة فی القرن الرابع ---- ۱۵۵
مشاهیر أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع ---- ۱۵۸
۱۴- قدماء الشیعة والعلوم الکونیة ---- ۱۵۹
اشارة ---- ۱۵۹
الجغرافیة وتقویم البلدان ---- ۱۶۱
بلدان الشیعة وأماکن تواجدهم ---- ۱۶۱
اشارة ---- ۱۶۱
بلدان الشیعة: ---- ۱۶۱
التشیّع حجازی المحتد والمولد: ---- ۱۶۲
التشیّع عراقی النشوء والنمو: ---- ۱۶۳
الشیعة فی الیمن: ---- ۱۶۵
الشیعة فی سوریة ولبنان: ---- ۱۶۶
الشیعة فی مصر: ---- ۱۶۷
الشیعة فی إیران: ---- ۱۶۸
أسباب اعتناق الفرس للإسلام و لمذهب التشیّع: ---- ۱۶۸
دول الشیعة ---- ۱۷۱
الجامعات العلمیة للشیعة ---- ۱۷۲
اشارة ---- ۱۷۲
۱- المدینة المنورة: ---- ۱۷۲
۲- الکوفة وجامعها الکبیر: ---- ۱۷۲

۳- مدرسة قم والری: ۱۷۳
۴- مدرسة بغداد: ۱۷۴
۵- مدرسة النجف الأشرف: ۱۷۵
۶- مدرسة الحلّة: ۱۷۵
۷- الجامع الأزهر: ۱۷۶
۸- مدارس الشیعة فی الشامات: ۱۷۶
جامعات أُخر للشیعة فی أقطار العالم: ۱۷۷
عدد الشیعة ۱۷۷
الفصل الرابع ۱۷۸
اشارة ۱۷۸
رسائل موجزة حول عقائد الشیعة ۱۷۸
اشارة ۱۷۸
۱- ما کتبه الإمام الرضا علیه السلام للمأمون عن محض الإسلام ۱۷۹
۲- عرض السیّد عبد العظیم الحسنی عقائده علی الإمام الهادی علیه السلام ۱۸۰
۳- رسالة الصدوق فی عقائد الإمامیة ۱۸۱
۴- أمالی الصدوق رحمه الله ۱۸۱
۵- جمل العلم والعمل للسیّد الشریف المرتضی ۱۸۱
اشارة ۱۸۲
بیان ما یجب اعتقاده فی أبواب التوحید: ۱۸۲
۶- البیان عن جمل اعتقاد أهل الإیمان للکراجکی ۱۸۳
اشارة ۱۸۳
فی توحیده سبحانه: ۱۸۳
فی عدله سبحانه: ۱۸۳
فی النبوّة العامّة والخاصّة: ۱۸۴

فی الإمامة والخلافة: ۱۸۵
فی التوبة والحشر والنشر: ۱۸۶
۷- العقائد الجعفریّة للشیخ الطوسی رحمه الله ۱۸۸
ما هو الهدف من نقل هذه الرسائل؟ ۱۹۲
الفرق بین الشیعة الإمامیة والمعتزلة ۱۹۲
الفرق بین الشیعة الإمامیة والأشاعرة ۱۹۳
الفرق بین الشیعة الإمامیة وسائر الفرق ۱۹۵
المسألة الأُولی: وجوب تنصیب الإمام علی اللّه سبحانه ۱۹۵
المسألة الثانیة: عصمة الإمام ۱۹۷
اشارة ۱۹۷
حقیقة العصمة ۱۹۷
الدلیل علی لزوم عصمة الإمام بعد النبیّ صلی الله علیه و آله ۱۹۸
ما هو المراد من الظالم؟ ۲۰۱
العصمة فی القول والرأی ۲۰۲
المسألة الثالثة: الإمام المنتظر ۲۰۳
المسألة الرابعة: التقیة ۲۰۴
اشارة ۲۰۵
مفهومها ۲۰۵
غایتها ۲۰۵
دلیلها فی القرآن والسنّة ۲۰۶
اشارة ۲۰۶
الآیة الأُولی: ۲۰۷
الآیة الثانیة: ۲۰۷
الآیة الثالثة: ۲۰۹

اتّقاء المسلم من المسلم فی ظروف خاصّة ----- ۲۰۹
الظروف العصیبة التی مرّت بها الشیعة ----- ۲۱۰
کتاب معاویة إلی عماله ----- ۲۱۱
حدّ التقیّة ----- ۲۱۲
التقیة المحرّمة ----- ۲۱۳
المسألة الخامسة: البداء عند الشیعة الإمامیة ----- ۲۱۵
اشارة ----- ۲۱۵
البداء فی القرآن الکریم ----- ۲۱۷
البداء فی الروایات ----- ۲۱۸
اشارة ----- ۲۱۸
ألف- الصدقة وأثرها فی دفع البلاء: ----- ۲۱۸
ب- أثر الاستغفار فی الرزق: ----- ۲۱۸
ج- الدعاء وآثاره: ----- ۲۱۸
د- أثر صلة الرحم: ----- ۲۱۹
البداء فی مقام الثبوت ----- ۲۲۰
اشارة ----- ۲۲۰
بحث فی قوله تعالی: یمحوا اللّه مایشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب: ----- ۲۲۱
الأثر التربوی للاعتقاد فی البداء: ----- ۲۲۳
البداء فی مقام الإثبات ----- ۲۲۴
اشارة ----- ۲۲۴
تلمیحات للبداء فی الذکر الحکیم: ----- ۲۲۵
تلمیحات للبداء فی الروایات الشریفة ----- ۲۲۶
تتمّة البحث ----- ۲۲۸
اشارة ----- ۲۲۸

الأمر الأوّل: ۲۲۸
الأمر الثانی: ۲۲۸
الأمر الثالث: ۲۲۸
المسألة السادسة: الرجعة فی الکتاب والسنّة ۲۳۰
اشارة ۲۳۰
ملاحظات جدیرة بالانتباه ۲۳۱
المسألة السابعة: زواج المتعة ۲۳۲
اشارة ۲۳۲
النکاح المنقطع فی القرآن الکریم ۲۳۳
اشارة ۲۳۳
۱- الحمل علی النکاح الدائم یستلزم التکرار بلا وجه: ۲۳۳
۲- تعلیق دفع الأُجرة علی الاستمتاع: ۲۳۴
۳- تصریح جماعة من الصحابة بشأن نزولها: ۲۳۴
شبهات ضعیفة حول دلالة الآیة ۲۳۵
الشبهة الأُولی: ۲۳۵
الشبهة الثانیة: ۲۳۶
الشبهة الثالثة: ۲۳۶
المنکرون للتحریم ۲۳۸
کبرت کلمة تخرج من أفواههم ۲۳۹
المسألة الثامنة: متعة الحجّ ۲۴۰
المسألة التاسعة: مسح الأرجل فی الوضوء ۲۴۳
اشارة ۲۴۳
وقفة مع آیة الوضوء ۲۴۴
أدلة القائلین بالغسل ونقضها ۲۴۵

المسألة العاشرة: السجود على الأرض ---- ۲۴۸
اشارة ---- ۲۴۸
۱- اختلاف الفقهاء فی شرائط المسجود علیه ---- ۲۴۸
۲- الفرق بین المسجود له والمسجود علیه ---- ۲۴۹
۳- السنّة فی السجود فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله وبعده ---- ۲۴۹
اشارة ---- ۲۴۹
المرحلة الاولی: السجود علی الأرض: ---- ۲۵۰
المرحلة الثانیة: الترخیص فی السجود علی الخمر والحصر: ---- ۲۵۱
المرحلة الثالثة: السجود علی الثیاب لعذر: ---- ۲۵۲
حصیلة البحث ---- ۲۵۳
اشارة ---- ۲۵۳
ما هو السرّ فی اتّخاذ تربة طاهرة؟ ---- ۲۵۳
المسألة الحادیة عشرة: عدالة الصحابة کلّهم ---- ۲۵۵
اشارة ---- ۲۵۵
الصحابة فی القرآن الکریم ---- ۲۵۸
الردّة بعد وفاة الرسول صلی الله علیه و آله ---- ۲۵۹
المسألة الثانیة عشرة: فی عالمیة رسالة النبی صلی الله علیه و آله وخاتمیّتها ---- ۲۶۳
تمهید: ملامح الشریعة الإسلامیّة ---- ۲۶۳
الخاتمیة فی الذکر الحکیم ---- ۲۶۴
اشارة ---- ۲۶۴
النصّ الأول ---- ۲۶۶
النصّ الثانی ---- ۲۶۷
النصّ الثالث ---- ۲۶۷
النصّ الرابع ---- ۲۶۸

النصّ الخامس ----- ۲۶۹
الخاتمیة فی الأحادیث النبویّة ----- ۲۷۰
الخاتمیّة فی أحادیث العترة الطاهرة ----- ۲۷۱
أسئلة حول الخاتمیّة ----- ۲۷۲
اشارة ----- ۲۷۲
السؤال الأوّل: تنصیص القرآن علی أنّ جمیع أهل الشرائع ینالون ثواب اللّه. ----- ۲۷۳
السؤال الثانی: لماذا ختمت النبوّة التبلیغیة؟ ----- ۲۷۵
السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المکاشفة الغیبیة والاتصال بعالم الغیب واستطلاع ما هناک من المعارف والحقائق؟ ----- ۲۷۵
السؤال الرابع: ادّعاء النقص فی التشریع الإسلامی. ----- ۲۷۶
اشارة ----- ۲۷۶
مرونة التشریع الإسلامی: ----- ۲۷۹
السؤال الخامس: القوانین الثابتة والحیاة المتطوّرة. ----- ۲۸۰
الشیعة والخاتمیّة ----- ۲۸۴
اشارة ----- ۲۸۴
کتاب علیّ وإملاء رسول اللّه ----- ۲۸۴
مصحف فاطمة ----- ۲۸۹
ما هو مصدر روایات أئمّة أهل البیت ----- ۲۹۰
المُحَدّث فی الإسلام: ----- ۲۹۱
الفصل الخامس ----- ۲۹۲
رؤیة اللّه ----- ۲۹۲
اشارة ----- ۲۹۲
سمات العقیدة الإسلامیّة ----- ۲۹۳
اشارة ----- ۲۹۳
۱- سهولة العقیدة: ----- ۲۹۳

۲- الإذعان فی العقیدة والتعبّد فی الأحکام ---- ۲۹۴
۳- خضوعها للبرهان العقلی ---- ۲۹۵
(۱) حقیقة التجسیم والتشبیه والجهة والرؤیة ---- ۲۹۶
اشارة ---- ۲۹۶
کعب الأحبار وترکیزه علی التجسیم والرؤیة ---- ۲۹۹
الرؤیة فی کتب العهدین ---- ۲۹۹
الرؤیة بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤیا ---- ۳۰۱
الرؤیة فی کلمات الإمام علی علیه السلام ---- ۳۰۲
(۲) الرؤیة فی منطق العلم والعقل ---- ۳۰۴
اشارة ---- ۳۰۴
المحاولة الیائسة فی تجویز الرؤیة ---- ۳۰۵
اشارة ---- ۳۰۵
۱- الرؤیة بلا کیف: ---- ۳۰۵
۲- اختلاف الأحکام باختلاف الظروف: ---- ۳۰۶
۳- عدم الاکتراث بإثبات الجهة: ---- ۳۰۶
(۳) موقف الذکر الحکیم من أمر الرؤیة ---- ۳۰۷
اشارة ---- ۳۰۸
محاولتان للتخلّص من التضادّ بین الآیات وخبر قیس ---- ۳۱۰
اشارة ---- ۳۱۰
المحاولة الأُولی: ---- ۳۱۰
المحاولة الثانیة: ---- ۳۱۱
(۴) دراسة أدلّة النافین ---- ۳۱۲
الآیة الأُولی: لا تدرکه الأبصار ---- ۳۱۲
اشارة ---- ۳۱۲

المرحلة الأولى: فی بیان مفهوم الدرک لغة: ---- ۳۱۲
المرحلة الثانیة: فی بیان مفهوم الآیتین: ---- ۳۱۳
الآیة الثانیة: ولا یحیطون به علماً ---- ۳۱۶
اشارة ---- ۳۱۶
ومعنی الآیة: ---- ۳۱۶
الآیة الثالثة: قال لن ترانی ---- ۳۱۷
اشارة ---- ۳۱۷
المفهوم الصحیح للآیة: ---- ۳۱۷
شبهات المخالفین ---- ۳۲۰
اشارة ---- ۳۲۰
الشبهة الأُولی: لو کانت الرؤیة ممتنعة لما سألها الکلیم علیه السلام ---- ۳۲۱
الشبهة الثانیة: تجلّیه للجبل ---- ۳۲۴
(۵) رؤیة اللّه فی الذکر الحکیم دراسة أدلة المثبتین ---- ۳۲۵
آیة إلی ربّها ناظرة ---- ۳۲۵
(۶) خمس آیات علی مائدة التفسیر ---- ۳۲۷
اشارة ---- ۳۲۷
الآیة الأُولی: أمره سبحانه موسی بالشکر له ---- ۳۲۷
الآیة الثانیة: الحسنی والزیادة ---- ۳۲۹
الآیة الثالثة: رؤیة المَلِک ---- ۳۲۹
الآیة الرابعة: آیات اللقاء ---- ۳۳۰
الآیة الخامسة: آیة الحَجْب ---- ۳۳۱
(۷) رؤیة اللّه فی الأحادیث النبویّة ---- ۳۳۲
۱- أحادیث أهل السنّة ---- ۳۳۲
اشارة ---- ۳۳۲

تحلیل الحدیث ----- ۳۳۳
۲- روایات أئمة أهل البیت علیهم السلام ----- ۳۳۴
(۸) الرؤیة القلبیّة ----- ۳۳۵
اشارة ----- ۳۳۵
روایات الأئمّة علیهم السلام فی الرؤیة القلبیّة ----- ۳۳۶
تکفیر ابن باز لمن لا یقول بالرؤیة ----- ۳۳۷
تحلیل هذه الفتیا: ----- ۳۳۸
الخاتمة ----- ۳۳۹
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۴۵

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

اشارة

نام كتاب: الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

نويسنده: آيت الله سبحانى

موضوع: كلام شيعه اماميه

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: موسسه امام صادق ع

مقدّمة الناشر

مقدّمة الناشر

لا يأتى المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأنّ الحقبة الزمنيّة التى شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تؤلّف بحدّ ذاتها انعطافاً رهيباً وتحوّلًا كبيراً فى حياة البشرية، فى وقت شهد فيه الخطّ البيانى الدالّ على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوى وشرائعه المقدّسة انحداراً عميقاً وتردّياً ملحوظاً أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

بلى، إنّ مجرّد الاستقراء المتعجّل لأبعاد التحوّل الفكرى والعقائدى فى حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية فى أرض الجزيرة- المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع- يكشف وبلا تطرّف ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابى الذى يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحوّل المعاكس فى كيفيّة التعامل اليومى مع أحداث الحياة وتطوّراتها، وبالتالى فى فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره فى بناء الحياة.

كما أنّ هذه الحقائق المجسّدة تكشف بالتالى عن عظم الجهد الذى بذله صاحب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶

الرسالة صلى الله عليه و آله فى تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، فى وقت شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعاً ملحوظاً فى جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفاً مدروساً فى مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرّس بالتالى مسارها المبتعد عن الخطّ السماوى ومناهجه السويّة، وأنّ أىّ استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك- والتى كانت تؤلّف المعيار الأساسى والمفصل المهمّ الذى تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية، وتشذّب من خلاله- يكشف عن عمق المأساة التى كانت تعيشها تلك الأُمم فى تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك- والتى تعتبر فى تصوّر العوام وفهمهم مصدر القرار العرفى والشرعى المدير لشؤون الناس والمتحكّم بمصائرهم ومسار تفكيرهم- تنحصر فى ثلاثة مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدى وفكرى يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يؤلّفونه من قوّة مادّية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها إلى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفّذين والمتحكّمين فى مصائر الناس.

ومن هنا فإنّ كلّ الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها

بما يتلاءم وتوجّهاتها التى لا تحدّها أىّ حدود.

إنّ هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لأن تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذى أراده اللّه تعالى له، ودفعه عن دوره الكبير الذى خلق من أجله عندما قال تعالى للملائكة: إِنى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً «۱»

بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماماً رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسان ليبقى دائماً بيدقاً أعمى تجول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷

وأمّا ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود أمام تيارات التزييف والكذب والخداع التى مسخت صورتها إلى أبعد الحدود.

نعم بُعث محمّد صلى الله عليه و آله إلى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن أبى طالب للنجاشى:

أيها الملك كنّا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوىّ منا الضعيف.

هذا فى الوقت الذى كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخّم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية وموت مبادئها.

وهكذا فقد كانت الدعوة الإسلامية الفتيّة وصاحبها صلى الله عليه و آله فى مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الرهيبة وقدراتها العظيمة، والتى كوّنت أعنف مواجهة شرسة وقتالًا ليس له مثيل صبغ أرض الجزيرة ورمالها الصفراء بلون أحمر قانٍ لسنوات لم يعرف فيها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وخيرة أصحابه للراحة طعماً وللسكون مسكناً.

إنّ تلك الحصون المليئة بالشرّ والخراب لم تتهاوَ إلّابعد جهد جهيد وسيل جارف من الدماء الطاهرة التى لا توزن بها الجبال، من رجال وقفوا أنفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدين وصاحبه صلى الله عليه و آله.

فاستطاع رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يقيم حكومة اللّه تعالى فى الأرض، وأن يثبت فيها الأركان على أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاك كلّ قوى الشرّ بدّاً من الاختباء فى زوايا العتمة والظلام تتحيّن الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض على هذا البنيان الذى بدا يزداد شموخاً وعلوّاً مع تقادم السنين.

لقد كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يدرك عياناً أنّ نقطة ضعف هذه الأُمّة يكمن فى تفرّقها وفى تبعثر جهودها ممّا سيمكّن من ظهور منافذ مشرعة فى هذا البنيان الكبير لا تتردّد أركان الكفر وأعداء الدين المتلوّنون والمتستّرون من النفوذ خلالها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸

والتسلّل بين أهلها، وفى ذلك الخطر الأكبر. ولذا فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يصرّح ويحذّر من افتراق أُمّته، ويلوح للمفترقين بالنار والجحيم.

بيد أنّ ما حذَّر منه صلى الله عليه و آله وما كان يخشاه، بدت أوّل معالمه الخطرة تتوضّح فى اللحظات الأُولى لرحيله صلى الله عليه و آله وانتقاله إلى عالم الخلود، وعندها وجد أعداء هذا الدين الفرصة مؤاتية للولوج إلى داخل هذا البناء، والعمل على هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.

فتفرّقت هذه الأُمّة فرقاً فرقاً وجماعات جماعات، لا تتردّد كلّ واحدة من أن تكفّر الأُخرى، وتكيل لها التهم الباطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعدائهم بقتال إخوانهم والتمثيل بأجسادهم، وحلّ بالأُمّة وباء وبيل بدأ يستشرى فى جسدها الغضّ بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعد هذه السنين المرّة من الفرقة والتشتّت بدأ المسلمون فى أُخريات المطاف يلعقون جراحاً خلّفتها سيوف إخوانهم لا سيوف أعدائهم فى حين ينظر إليهم أعداؤهم بتشفّ وشماتة.

إنّ ما حلَّ بالمسلمين من مصائب وتخلّف فى كافة المستويات أوقعتهم فى براثن المستعمرين أعداء اللّه ورسله يعود إلى تفرق

كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزّق وحدتهم، ولعلّ نظرة عاجلة لما يجرى فى بقاع المعمورة المختلفة يوضّح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً بلبنان، والعراق، وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزّق والتبعثر.

وإن كان من كلمة تقال فإنّ للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر فى توقّى غيرها من المضاعفات الخطيرة التى تتولّد كلّ يوم فى بلد من بلاد المسلمين لا فى غيرها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹

ولا- نغالى إذا قلنا بأنّ للجمهورية الإسلامية فى إيران ومؤسّسها الإمام الخمينى- رضوان اللَّه تعالى عليه- الفضل الأكبر فى تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه.

ولعل الاستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام قدس سره طوال حياته ولسنين طويلة يدلّنا بوضوح على قدرته التشخيصية فى وضع يده على موضع الداء، ودعوته إلى الالتفات إلى ذلك، لا إلى الانشغال بما عداه.

فمن نداء له قدس سره إلى حجّاج بيت اللَّه الحرام فى عام ۱۳۹۹ ه قال: ومن واجبات هذا التجمّع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتى ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرّر- بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلّااللَّه)- من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلّة، وللتغلّب بالأُخوّة الإسلامية على المشاكل.

فيامسلمى العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد: إنّ رمز كلّ مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الانسجام، ورمز الانتصار وحدة الكلمة والانسجام، وقد بيّن اللَّه تعالى ذلك فى جملة واحدة: وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا «۱»

والاعتصام بحبل اللَّه تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفى اتّجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والابتعاد عن التفرقة والانفصال والفئوية التى هى أساس كل مصيبة وتخلّف.

وقال قدس سره فى كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين سنة ۱۳۹۹ ه:

رمز انتصار المسلمين فى صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰

متلاحمة فلا معنى لأن يبقى ما يقارب مليار إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أنّ هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان، ونسير جميعاً متآخين على طريق الإسلام فلا تستطيع أيّة قوّة أن تتغلب علينا.

وأكّد قدس سره على مغزى سر انتصار المسلمين فى صدر الإسلام الأوّل رغم قلّة عددهم وتواضع إمكانياتهم، وانكسارهم فى الوقت الحاضر مع عظم إمكانياتهم وكثرة عددهم بقوله:

يا مسلمى العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم فى صدر الإسلام بعدّة قليلة جداً القوى العظمى، وأوجدتم الأُمّة الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليار إنسان، وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التى هى أكبر حربة، تقفون أمام العدو بمثل هذا الضعف والانهيار، أتعلمون أنّ كلّ مآسيكم تكمن فى التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالى بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضاً: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التى تدبّرها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالّين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودّة وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤجّجون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكلّ يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفى كل مرحلة ينفّذون خطّة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه.

وهكذا فإنّ الصورة تبدو أكثر وضوحاً عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخميني وتوصياته المستمرّة إلى عموم المسلمين وخصوصاً في مواسم الحج التي تؤلّف أفضل تجمّع إسلامي تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين، ومن شتّى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لابد من أن يكرّسه المسلمون لتدارس أُمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث إنّ الإمام قدس سره كان يواظب على إثارة هذه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱

الأُمور الحسّاسة والمهمّة في حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدّخر في ذلك جهداً.

كما أنّ الاطّلاع على فتاوى الإمام- رضوان اللّه تعالى عليه- يكشف بوضوح عن عمق توجّهه إلى هذا الأمر الحيوي والدقيق، وتأكيده عليه.

فمن توجيهاته قدس سره إلى الحجّاج نورد هذه الملاحظات المختصرة:

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة في سائر البلدان الإسلامية أن يتجنّبوا الأعمال السقيمة المؤدّية إلى تفرقة صفوف المسلمين، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنّة، والابتعاد بشدّة عن إقامة صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبّرات الصوت بِشَكلٍ غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزى (أي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من أهل السنّة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامّة الإخوة والأخوات في الدين أن يلتفتوا إلى أنّ واحداً من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الأُخوّة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمّة التي ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمّل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها في الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخميني- رضوان اللّه تعالى عليه- وأخذت تؤكّد عليه في كلّ مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية اللّه السيد عليّ الخامنئي- حفظه اللّه- وباقي مسؤوليها، ولم تدّخر جهداً في العمل على إقامة هذا الأمر الشرعي المهمّ والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى أو دعمها غير المحدود لكلّ الجهود المخلصة في هذا الميدان.

وأخيراً.. فإنّ هذا الكتاب الماثل بين يدى القارئ الكريم- وهو بقلم الباحث

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲

القدير الشيخ جعفر السبحاني- دعوة للتأمّل ضمن الحدود التي أشرنا إليها في حديثنا، وهي بالتالي تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التي أرادت تمزيق الأُمّة ودفعها إلى التشتّت، وبيان ما أخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الأُمّة ومعتقداتها.

بلى لسنا في معرض الدفاع عن الوجود المقدّس لهذه الشريعة السماوية فحسب، بل ابتغينا إزاحة اللثام وإماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التي تريد بالأُمّة الهلاك.

وقد قامت معاونية شؤون التعليم والبحوث بنشره، حتّى يعمّ نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب.

واللّه تعالى من وراء القصد.

معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحجّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳

مقدّمة المؤلّف:

مقدّمة المؤلّف

التقريب ضرورة ملحّة

التقريب ضرورة ملحّة

لا شكّ أنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية ضرورة ملحّة يشعر بها كلّ من يحمل هموم المسلمين، وتتفاقم الحاجة إليه كلّما ازدادت حدّة المواجهة بين الإسلام وأعدائه الذين يتربّصون به الدوائر، لا سيّما ونحن فى عصر العولمة الثقافيّة الذى تُشن فيه حملات مسعورة ضدّ ثقافتنا الإسلامية، ممّا يلحّ علينا باطّراد إلى تقريب الخُطى وتوثيق التعاون المشترك بين كافّة الطوائف الإسلامية.

كما أنّ تعزيز أواصر التقريب المنشود رهن عوامل عديدة أبرزها:

وقوف كلّ طائفة على ما لدى الطائفة الأُخرى من أفكار ومفاهيم، لتُدرك مدى عظمة المشتركات التى تجمعهما، وهامشيّة الأسباب التى تباعدهما.

ومع الأسف الشديد أنّ التاريخ أسدل ستار الجهالة على الشيعة، وهى الطائفة التى رفدت الفكر الإسلامى بالكثير من المفكّرين والعلماء والمثقفين، ونسج حولها الأوهام والشكوك.

وأنا لا أنسى أبداً حينما زرت مكّة المكرّمة عام ۱۳۷۶ ه ونزلت فى بيت أحد مدرّسى الحرم المكّى، فإذا هو يباغتنى بهذا السؤال؛ هل للشيعة تأليف؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴

فقد هزّنى كلامه هذا، وقلت فى نفسى، سبحان اللّه، فى وسط هذا البلد الحرام يجهل مدرسُ الحرم المكّى تاريخَ الشيعة الإمامية ومصنّفاتها، وكأنّه يسأل عن أُمّة بائدة لا تاريخ لها ولا ثقافة، فما بال الآخرين الذين هم فى منأى عن أُمّ القرى مكّة المكرّمة؟!!

ومنذ ذلك الحين راودتنى فكرة تحرير كتاب عن تاريخ الشيعة، وعقائدها، وأئمّتها، وأحكامها.

وقد حرصتُ فى هذا الكتاب على بيان المشتركات التى تجمع بين الطائفتين (السنّة والشيعة) على صعيد العقيدة والشريعة والفكر، إلى جانب بيان الفوارق التى ساقها إليهم الدليل والبرهان، هذا فى الوقت الذى نذعن فيه لما قاله أُستاذنا ورائدنا السيّد شرف الدين العاملى رحمه الله حينما خاطب علماء السنّة بقوله: ما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا.

وتبعه الشاعر المفلق محمّد حسن عبدالغنى المصرى شاعر الأهرام لمّا قال:

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمّةً ويضمّنا دينُ الهدى أتباعاً

ويؤلّف الإسلامُ بينَ قلوبنا مهما ذهبْنا فى الهوى أشياعاً وفى الختام نرجو من اللّه سبحانه أن يكون هذا الكتاب مساهمة متواضعة فى سبيل تقريب الخطى بين المسلمين وتوثيق أواصر الأُخوّة، وتعزيز التعاون المشترك بينهم كى يكونوا صفّاً واحداً أمام أعدائهم، إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

۱۷ صفر المظفّر من شهور عام ۱۴۲۱ ه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵

الفصل الأوّل

الشيعة فى موكب التاريخ

اشارة

الشيعة فى موكب التاريخ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

اشارة

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

زعم غير واحد من الكتّاب القدامى والجدد: أنّ التشيّع كسائر المذاهب الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية، فى حين يذهب البعض الآخر إلى القول بأنّه نتاج الجدال الكلامى والصراع الفكرى. فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره فى الساحة الإسلامية، وكأنّهم يتلقّون التشيّع بوصفه ظاهرة جديدة وافدة على المجتمع الإسلامى، ويعتقدون بأنّ القطاع الشيعى وإن كان من جسم الأُمّة الإسلامية إلّاأنّه تكوّن على مرّ الزمن نتيجة لأحداث وتطوّرات سياسية أو اجتماعية فكرية أدّت إلى تكوين هذا المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير، ومن ثمّ اتّسع ذلك الجزء بالتدريج.

ولعلّ هذا التصور الخاطئ لمفهوم التشيّع هو ما دفع أصحاب هذه الأُطروحات إلى التخبّط والتعثّر فى فهمهم لحقيقة نشوء هذا المذهب، ومحاولاتهم الرامية لتقديم التفسير الأصوب، ولو أنّ أُولئك الدارسين شرعوا فى دراستهم لتأريخ هذه النشأة من خلال الأُطروحات العقائدية والفكرية التى ابتنى عليها التشيّع لأدركوا بوضوح ودون لبس أنّ هذا المذهب لا يؤلّف فى جوهر تكوينه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸

وقواعد أركانه إلّاالامتداد الحقيقى للفكر العقائدى للدين الإسلامى والذى قام عليه كيانه.

وإذا كان البعض يذهب إلى الاعتقاد بأنّ التشيع يظهر بأوضح صوره من خلال الالتفاف والمشايعة للوصى الذى اختاره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خليفة له بأمر اللَّه تعالى ليكون قائداً وإماماً للناس- كما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله- ففى ذلك أوضح المصاديق على حقيقة هذا النشوء الذى اقترن بنشوء وتبلور الفكر الإسلامى الكبير، والذى لابدّ له من الاستمرار والتواصل والتكامل حتّى بعد رحيل صاحب الرسالة صلى الله عليه و آله، والذى ينبغى له أن يكون الاستمرار الحقيقى لتلك العقيدة السماوية وحامل أعباء تركتها.

فإذا اعتبرنا بأنّ التشيّع يرتكز أساساً فى استمرار القيادة بالوصى، فلا نجد له تأريخاً سوى تأريخ الإسلام، والنصوص الواردة عن رسوله صلى الله عليه و آله.

قد عرفت فى الصفحات السابقة نصوصاً متوفرة فى وصاية الإمام أمير المؤمنين، وإذا كانت تلك النصوص من القوّة والحجّية التى لا يرقى إليها الشكّ، وتعدّ وبدون تردّد ركائز عقائدية أراد أن يثبت أُسسها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فهى بلا شك تدلّ وبوضوح على أنّ هذه الاستجابة اللاحقة استمرار حقيقى لما سبقها فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وإذا كان كذلك فإنّ جميع من استجابوا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وانقادوا له انقياداً حقيقياً، يعدّون بلا شكّ روّاد التشيع الأوائل وحاملى بذوره، فالشيعة هم المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان فى الأجيال اللاحقة، من الذين بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول فى أمر القيادة، ولم يغيّروه، ولم يتعدوا عنه إلى غيره، ولم يأخذوا بالمصالح المزعومة فى مقابل النصوص، وصاروا بذلك المصداق الأبرز لقوله سبحانه: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللَّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹

ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّه إنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ «۱»

ففزعوا فى الأُصول والفروع إلى علىّ وعترته الطاهرة، وانحازوا عن الطائفة الأُخرى مِنَ الذين لم يتعبّدوا بنصوص الخلافة والولاية وزعامة العترة، حيث تركوا النصوص، وأخذوا بالمصالح.

إنّ الآثار المرويّة فى حقّ شيعة الإمام عن لسان النبىّ الأكرم- والذين هم بالتالى شيعة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله- ترفع اللثام عن وجه الحقيقة، وتعرب عن التفاف قسم من المهاجرين حول الوصى، فكانوا معروفين بشيعة علىّ فى عصر الرسالة، وإنّ النبىّ الأكرم وصفهم فى كلماته بأنّهم هم الفائزون، وإن كنت فى شكّ من هذا فسأتلو عليك بعض ما ورد من النصوص فى المقام:

۱- أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول اللَّه من أكرم الخلق على اللَّه؟ قال: «يا عائشة أما تقرئين: إنَّ الَّذِين آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّة» «۲»

.

۲- أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد اللَّه قال: كنّا عند النبىّ صلى الله عليه و آله فأقبل علىّ فقال النبىّ: «والذى نفسى بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت:

إنَّ الَّذِين آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّة فكان أصحاب النبىّ إذا أقبل علىّ قالوا: جاء خير البريّة «۳».

۳- أخرج ابن عدى وابن عساكر عن أبى سعيد مرفوعاً: «علىّ خير البريّة» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰

۴- وأخرج ابن عدى عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: «إنَّ الَّذِين آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِك هُمْ خَيرُ البَرِيَّة» قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعلىّ: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين».

۵- أخرج ابن مردويه عن علىّ قال: قال لى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «ألم تسمع قول اللَّه: إنَّ الَّذِين آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِك هُمْ خَيرُ البَرِيَّة أنت وشيعتك، موعدى وموعدكم الحوض إذا جاءت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين» «۱».

۶- روى ابن حجر فى صواعقه عن أُمّ سلمة: كانت ليلتى، وكان النبىّ صلى الله عليه و آله عندى فأتته فاطمة فتبعها علىّ- رضى اللَّه عنهما- فقال النبىّ: «يا علىّ أنت وأصحابك فى الجنّة، أنت وشيعتك فى الجنّة» «۲».

۷- روى ابن الأثير فى نهايته: قال النبىّ مخاطباً عليّاً: «يا علىّ، إنّك ستقدم على اللَّه أنت وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليه عدوُّك غضاباً مقمحين» ثمّ جمع يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح. قال ابن الأثير: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر «۳».

۸- روى الزمخشرى فى ربيعه: أنّ رسول اللَّه قال: «يا علىّ، إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة اللَّه تعالى، وأخذت أنت بحجزتى، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا؟» «۴».

۹- روى أحمد فى المناقب: أنّه صلى الله عليه و آله قال لعلىّ: «أما ترضى أنّك معى فى الجنّة، والحسن والحسين وذرّيتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّيتنا، وشيعتنا عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱

أيماننا وشمائلنا» «۱».

۱۰- روى الطبرانى: أنّه صلى الله عليه و آله قال لعلىّ: «أوّل أربعة يدخلون الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسين، وذرّيتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّياتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا» «۲».

۱۱- أخرج الديلمى: «يا على، إنّ اللَّه قد غفر لك ولذرّيّتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك، فأبشر فإنّك الأنزع البطين» «۳».

۱۲- أخرج الديلمى عن النبىّ أنّه قال: «أنت وشيعتك تردون الحوض رواء مرويّين، مبيضّة وجوهكم، وإنّ عدوّك يردّون الحوض

ظماء مقمحين» «۴».

۱۳- روى المغازلى بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه: «يدخلون من أُمّتى الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم- ثمّ التفت إلى علىّ فقال:- هم شيعتك وأنت إمامهم» «۵».

۱۴- روى المغازلى عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور، فلمّا بصر به قال له: يا سليمان تصدَّر، قال: أنا صدر حيث جلست- إلى أن قال فى حديثه:- حدّثنى رسول اللَّه قال: «أتانى جبرئيل عليه السلام آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق، فإنّه أوّل حجر شهد للَّه بالوحدانيّة، ولى بالنبوّة، ولعلىّ بالوصيّة، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنّة» «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲

۱۵- روى ابن حجر: أنّه مرّ علىّ على جمع فأسرعوا إليه قياماً، فقال: «من القوم؟» فقالوا: من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً، ثمّ قال: «يا هؤلاء مالى لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبّتنا؟» فأمسكوا حياءً، فقال له من معه:

نسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم، لما أنبأتنا بصفة شيعتكم فقال: «شيعتنا هم العارفون باللَّه، العاملون بأمر اللَّه» «۱».

۱۶- روى الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه): أنّ ابن عباس قال: سمعت رسول اللَّه يقول: «إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ اللَّه تبارك وتعالى لشيعة علىّ من الثواب والزلفى والكرامة...» «۲».

۱۷- وروى أيضاً بسنده إلى سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «يا على تختّم باليمين تكن من المقرّبين، قال: يا رسول اللَّه ومن المقرّبون؟ قال: جبرئيل وميكائيل، قال: فبما أتختّم يا رسول اللَّه؟ قال: بالعقيق الأحمر؛ فإنّه جبل أقرّ للَّه بالوحدانيّة، ولى بالنبوّة، ولك يا علىّ بالوصيّة، ولولدك بالإمامة، ولمحبّيك بالجنّة، ولشيعتك وشيعة ولدك بالفردوس» «۳».

وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظة أسنادها، تعرب عن كون علىّ عليه السلام متميزاً بين أصحاب النبىّ بأنّ له شيعة وأتباعاً، ولهم مواصفات وسمات كانوا مشهورين بها، فى حياة النبىّ وبعدها، وكان صلى الله عليه و آله يشيد بهم ويبشّر بفوزهم، وهم- بلا ريب- ليسوا بخارجين قيد أُنملة عن الخط النبوى المبارك للفكر الإسلامى العظيم، والذى يؤكّد على حقيقة التشيّع ومبدئه الذى لا يفترق عن نشوء الدين واستقراره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳

فبعد هذه النصوص لا يصحّ لباحث أن يلتجئ إلى فروض ظنّية أو وهمية فى تحديد تكوّن الشيعة وظهورها.

الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق

الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق

قد غلب استعمال لفظ الشيعة بعد عصر الرسول تبعاً له فيمن يوالى علياً وأهل بيته ويعتقد بإمامته ووصايته، ويظهر ذلك من خلال كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات والتى نشير إلى بعضها:

۱- روى المسعودى فى حوادث وفاة النبى: أنّ الإمام علياً أقام ومن معه من شيعته فى منزله بعد ان تمّت البيعة لأبى بكر «۱».

۲- قال أبو مخنف: اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فذكروا هلاك معاوية فحمدنا اللَّه عليه فقال: إنّ معاوية قد هلك، وأنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة وأنتم شيعته وشيعة أبيه «۲».

۳- وقال محمّد بن أحمد بن خالد البرقى (ت ۲۷۴ ه): إنّ أصحاب علىّ ينقسمون إلى الأصحاب، ثمّ الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثمّ شرطة الخميس... ومن الأصفياء سلمان الفارسى، والمقداد، وأبو ذر، وعمّار، وأبو ليلى، وشبير، وأبو سنان، وأبو عمرة، وأبو سعيد الخدرى، وأبو برزة، وجابر بن عبد اللَّه، والبراء بن عازب، وطرفة الأزدى «۳».

۴- وقال النوبختى (ت ۳۱۳ ه): إنّ أوّل فرق الشيعة، وهم فرقة علىّ بن أبى طالب، المسمّون شيعة علىّ فى زمان النبىّ وبعده، معروفون

بانقطاعهم إليه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴

والقول بإمامته «۱».

۵- وقال أبو الحسن الأشعرى: وإنّما قيل لهم الشيعة؛ لأنّهم شايعوا عليّاً، ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول اللّه «۲».

۶- وقال الشهرستانى: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّةً «۳».

۷- وقال ابن حزم: ومن وافق الشيعة فى أنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول اللّه وأحقّهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعىّ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيّاً «۴».

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جاء فى كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات، تعرب عن أنّ لفيفاً من الأُمّة فى حياة الرسول وبعده إلى عصر الخلفاء وبعدهم كانوا مشهورين بالتشيّع لعلىّ، و أنّ لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرسول وتبعته الأُمّة فى ذلك.

وإنّ الإمام علياً وإن تسامح وتساهل فى أخذ حقّه- تبعاً لمصالح عظيمة مكنونة فى مثل هذا التصرّف الحكيم- إلّاأنّ حقيقة استخلاف النبىّ له أمست فكرة عقائدية ثابتة فى النفوس والقلوب، وتضاعف عدد المؤمنين بها و المتشيّعين له على مرور الأيام، ورجع الكثير من المسلمين إلى الماضى القريب، واحتشدت فى أذهانهم صور عن مواقف النبىّ صلى الله عليه و آله، تلك المواقف التى كان يصرّح فيها باستخلاف علىّ من بعده تارة، ويلمّح فيها أُخرى، فالتفّوا حول علىّ عليه السلام وأصبحوا من الدعاة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵

الأوفياء له فى جميع المراحل التى مرّ بها، وما زال التشيّع ينمو وينتشر بين المسلمين فى الأقطار المختلفة، يدخلها مع الإسلام جنباً إلى جنب، بل أنّ حقيقته استحكمت من خلال التطبيق العملى لهذا الاستخلاف عبر السنوات القصيرة التى تولّى فيها الإمام علىّ منصب الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان، فشاعت بين المسلمين أحاديث استخلافه، ووجد الناس من سيرته وزهده وحكمته ما أكّد لهم صحّة تلك المرويّات، وأنّه هو المختار لقيادة الأُمّة وحماية القرآن ونشر تعاليمه ومبادئه «۱».

وإذا كان العنصر المقوّم لإطلاق عبارة الشيعة هو مشايعة علىّ بعد النبىّ الأكرم فى الزعامة والوصاية أوّلًا، وفى الفعل والترك ثانياً؛ فإنّه من غير المنطقى محاولة افتراض علّة اجتماعية أو سياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة.

ومن أجل أن ترتسم فى الأذهان الصورة واضحة عن مجسّدى هذه التسمية فى تلك الحقبة البعيدة فى التأريخ والملاصقة لعصر الرسالة الأوّل، نستعرض جملة من رواد هذا الميدان المقدّس والذين يعدّون بحقّ أوائل حملة هذه التسمية المباركة على وجه الإجمال. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ما كتب حولهم من المؤلّفات، وسنأتى بأسماء تلك الكتب فى آخر البحث:

روّاد التشيّع فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله

اشارة

روّاد التشيّع فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله

إنّ الإحالة للتعرّف على روّاد التشيّع إلى الكتب المؤلّفة فى ذلك المضمار لا تخلو من عسر وغموض، قد تدفع بالأمر إلى جملة من المناقشات، إلّاأنّنا سنقتصر فى حديثنا على إيراد جملة من أُولئك الصحابة الذين اشتهروا بالتشيّع ونسبوا له:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶

۱- عبد اللّه بن عبّاس.

۲- الفضل بن العبّاس.

۳- عبيد اللَّه بن العبّاس.

۴- قثم بن العبّاس.

۵- عبد الرحمن بن العبّاس.

۶- تمام بن العبّاس.

۷- عقيل بن أبى طالب.

۸- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

۹- نوفل بن الحرث.

۱۰- عبد اللَّه بن جعفر بن أبى طالب.

۱۱- عون بن جعفر.

۱۲- محمّد بن جعفر.

۱۳- ربيعة بن الحرث بن عبد المطّلب.

۱۴- الطفيل بن الحرث.

۱۵- المغيرة بن نوفل بن الحارث.

۱۶- عبداللَّه بن الحرث بن نوفل.

۱۷- عبداللَّه بن أبى سفيان بن الحرث.

۱۸- العبّاس بن ربيعة بن الحرث.

۱۹- العبّاس بن عتبة بن أبى لهب.

۲۰- عبدالمطّلب بن ربيعة بن الحرث.

۲۱- جعفر بن أبى سفيان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهير بنى هاشم، وأمّا غيرهم فإليك أسماء طائفة منهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷

۲۲- سلمان الفارسى المحمّدى.

۲۳- المقداد بن الأسود الكندى.

۲۴- أبو ذرّ الغفارى.

۲۵- عمّار بن ياسر.

۲۶- حذيفة بن اليمان.

۲۷- خزيمة بن ثابت.

۲۸- أبو أيوب الأنصارى، مضيّف النبىّ صلى الله عليه و آله.

۲۹- أبو الهيثم مالك بن التيهان.

۳۰- أُبىّ بن كعب.

۳۱- سعد بن عبادة.

۳۲- قيس بن سعد بن عبادة.

۳۳- عدیّ بن حاتم.

۳۴- عبادة بن الصامت.

۳۵- بلال بن رباح الحبشی.

۳۶- أبو رافع مولی رسول اللّه.

۳۷- هاشم بن عتبة.

۳۸- عثمان بن حنیف.

۳۹- سهل بن حنیف.

۴۰- حکیم بن جبلة العبدی.

۴۱- خالد بن سعید بن العاص.

۴۲- ابن الحصیب الأسلمی.

۴۳- هند بن أبی هالة التمیمی.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۸

۴۴- جعدة بن هبیرة.

۴۵- حجر بن عدیّ الکندی.

۴۶- عمرو بن الحمق الخزاعی.

۴۷- جابر بن عبد اللّه الأنصاری.

۴۸- محمّد بن أبی بکر.

۴۹- أبان بن سعید بن العاص.

۵۰- زید بن صوحان العبدی.

هؤلاء خمسون صحابیاً من الطبقة الأُولی للشیعة، فمن أراد التفصیل والوقوف علی حیاتهم وتشیّعهم فلیرجع إلی الکتب المؤلّفة فی الرجال، ولکن بعین مفتوحة وبصیرة نافذة.

فی الختام نورد ما ذکره محمّد کرد علیّ فی کتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعة من کبار الصحابة بموالاة علیّ فی عصر رسول اللّه صلی الله علیه و آله مثل سلمان الفارسی القائل: بایعنا رسول اللّه علی النصح للمسلمین والائتمام بعلیّ بن أبی طالب والموالاة له.

ومثل أبی سعید الخدری الذی یقول: أُمر الناس بخمس فعملوا بأربع وترکوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزکاة، وصوم شهر رمضان، والحجّ.

قیل: فما الواحدة التی ترکوها؟

قال: ولایة علیّ بن أبی طالب.

قیل له: وإنّها لمفروضة معهنّ؟

قال: نعم هی مفروضة معهنّ.

ومثل أبی ذر الغفاری، وعمّار بن یاسر، وحذیفة بن الیمان، وذی الشهادتین

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۹

خزیمة بن ثابت، وأبی أیّوب الأنصاری، وخالد بن سعید، وقیس بن سعد بن عبادة «۱».

الكتب المؤلّفة حول روّاد التشيّع:

الكتب المؤلّفة حول روّاد التشيّع:

إنّ لفيفاً من علماء الإمامية ومفكّريها قاموا بإفراد العديد من المؤلّفات القيّمة والتى تناولت فى متونها بالشرح والتفصيل ما يتعلّق بروّاد التشيع الأوائل ودورهم فى تثبيت الأركان العقائدية للفكر الإسلامى الناصع، نذكر فى هذا المقام ما وقفنا عليه:

١- صدر الدين السيّد علىّ المدنى الحسينى الشيرازى، صاحب كتاب سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر، وأنوار الربيع فى علم البديع، وطراز اللغة، توفّى عام (١١٢٠ ه) أفرد تأليفاً فى ذلك المجال أسماه ب «الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الإمامية» خصَّ الطبقة الأُولى بالصحابة الشيعة، وخصَّص الباب الأوّل لبنى هاشم من الصحابة، والباب الثانى فى غيرهم منهم. وقام فى الباب الأوّل بترجمة (٢٣) صحابيّاً من بنى هاشم لم يفارقوا عليّاً قط، كما قام فى الباب الثانى بترجمة (۴۶) صحابيّاً «٢».

٢- ذكر الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء فى كتابه «أصل الشيعة وأُصولها» أسماء جماعة من الصحابة الذين كانوا يشايعون عليّاً فى حلّه وترحاله وقال- معلقاً على قول أحمد أمين الكاتب المصرى: «والحقّ أنّ التشيع كان مأوى يرجع إليه كل من أراد هدم الإسلام»-:

ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفاء أن لا تتعكّر، ونيران البغضاء أن لا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣٠

تتسعّر، وأن تنطبق علينا حكمة القائل: «لا تنه عن خلق وتأتى مثله» لعرّفناه من الذى يريد هدم قواعد الإسلام بمعاول الإلحاد والزندقة، ومن الذى يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة، ولكنّا نريد أن نسأل ذلك الكاتب: أىّ طبقة من طبقات الشيعة أرادت هدم الإسلام؟ هل الطبقة الأُولى وهم أعيان صحابة النبىّ وأبرارهم كسلمان المحمّدى أو الفارسى، وأبى ذر، والمقداد، وعمّار، وخزيمة ذى الشهادتين، وابن التيهان، وحذيفة ابن اليمان، والزبير، والفضل بن العبّاس، وأخيه الحبر عبد اللَّه، وهاشم بن عتبة المرقال، وأبى أيّوب الأنصارى، وأبان وأخيه خالد بن سعيد بن العاص، وأُبىّ بن كعب سيد القرّاء، وأنس بن الحرث بن نبيه، الذى سمع النبىّ يقول: «إنّ ابنى الحسين يقتل فى أرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس وقتل مع الحسين راجع الإصابة والاستيعاب وهما من أوثق ما ألّف علماءُ السنّة فى تراجم الصحابة، ولو أردت أن أعدّ عليك الشيعة من الصحابة وإثبات تشيّعهم من نفس كتب السنّة لأحوجنى ذلك إلى إفراد كتاب ضخم «١».

٣- كما أنّ الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠- ١٣٧٧ ه) قام بجمع أسماء الشيعة فى الصحابة حسب حروف الهجاء، وقال: وإليك- إكمالًا للبحث- بعض ما يحضرنى من أسماء الشيعة من أصحاب رسول اللَّه لتعلم أنّ بهم اقتدينا، وبهديهم اهتدينا، وسأُفرد لهم- إن وفّق اللَّه- كتاباً يوضّح للناس تشيّعهم، ويحتوى على تفاصيل شؤونهم، ولعلّ بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقنى إلى تأليف ذلك الكتاب، فيكون لى الشرف إذ خدمته بذكر أسماء بعضهم فى هذا الباب وهى على ترتيب حروف الهجاء.

ثمّ ابتدأ بأبى رافع القبطى مولى رسول اللَّه، وختمهم بيزيد بن حوثرة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣١

الأنصارى، ولم يشر إلى شىء من حياتهم، وإنّما ألقى ذلك على الأمل أو على من يسبقه من بعض أهل النشاط.

إلّا أنّه رحمه اللَّه ذكر ما يربو على المائتين من أسمائهم «١».

۴- قام الخطيب المصقع الدكتور الشيخ أحمد الوائلى «حفظه اللَّه» بذكر أسماء روّاد التشيّع فى عصر الرسول فى كتابه «هويّة التشيّع» فجاء بأسماء مائة وثلاثين من خُلَّص أصحاب الإمام من الصحابة الكرام، وقال بعد ذكره لتنويه النبىّ باستخلاف علىّ فى غير واحد من

المواقف:

ولا ـ يمكن أن تمرّ هـذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها من دون أن تشـد الناس لعلىّ، ودون أن تـدفعهم للتعرف على هـذا الإنسان الـذى هو وصـىّ النبىّ، ثمّ لابـدّ للمسـلمين من إطاعـة الأـوامر التى وردت فى النصوص، والالتفـاف حول من وردت فيه. ذلـك معنى التشيّع الـذى نقول إنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله هو الـذى بـذر بـذرته، وقد أينعت فى حياته، وعرف جماعة بالتشـيّع لعلىّ والالتفاف حوله، وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيل الأوّل من الصحابة الذين عرفوا بتشيّعهم للإمام علىّ «۲».

۵- آخرهم وليس أخيرهم كاتب هذه السـطور حيث قام مجيباً دعوة السـيّد شـرف الدين فألّف كتاباً باسم «الشخصـيات الإسلامية» فى ذلك المجال فى عـدّة أجزاء، طُبع منه جزءان، وانتهينا فى الجزء الثانى إلى ترجمة أبى ذر (جندب بن جنادة) ذلك الصـحابى العظيم، والكتاب باللغة الفارسية، ونقله إلى العربية الشيخ المحقّق البارع جعفر الهادى وطبع ونشر.

وأخيراً فإنّ من أراد أن يقف بشـكل جلىّ على روّاد التشـيّع فى كتب الرجال لأهل السـنّة فإنّ هذا الأمر ليس بمتعسّر ولا بممتنع، والتى يمكننا الإشارة إلى البعض

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲

منها أمثال:

۱- الاستيعاب لابن عبد البرّ (ت ۴۵۶ ه).

۲- أُسد الغابة للجزرى (ت ۶۰۶ ه).

۳- الإصابة لابن حجر (ت ۸۵۲ ه).

وغير ذلك من أُمّهات كتب الرجال المعروفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسى

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسىّ

اشارة

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسىّ

لا نأتى بجديـد إذا ذهبنا إلى القول بأنّ الهجمة الشـرسة التى كانت تسـتهدف استئصال الشـيعة والقضاء عليهم قد أخذت أبعاداً خطيرة ودامية أبان الحكمين الأُموى و العباسـى، فما أن لبّى الإمام دعوة ربّه فى ليلة الحادى و العشـرين من رمضان على يد أشـقى الأوّلين و الآخرين، شـقيق عاقر ناقة ثمود، وهو يصـلّى فى محراب عبادته، حتّى شـرع أعداء الإمام وخصوم التشيّع إلى التعرّض الصريح بالقتل و التشـريد لأنصـار هـذا المـذهب و المنتسبين إليه، وإذا كـان استشـهاد الإمـام على يؤلّف فى حـدّ ذاته ضـربة قاصـمة فى هيكليـة البنـاء الإسـلامى، إلّاأنّ هـذا لم يمنع البعض ممّن وقفوا موقفاً باطلًا ومنحرفاً من الإمام علىّ فى حياته من التعبير عن سـرورهم من هـذا الأمر الجلل، كما نقل ذلك ابن الأثير عن عائشة زوجة رسول اللّه صلى الله عليه و آله حيث قالت عندما وصلها النبأ:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ ثمّ قالت: من قتله، فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يـك نائياً فلقـد نعـاهُ نعىٌّ ليس فى فيه الترابُ فقـالت زينب بنت أبى سـلمة: أتقولين هـذا لعلىّ؟ فقـالت: إنّى أنسـى، فـإذا نسـيت فذكّرونى...!! «۱».

الشيعة فى العصر الأُموى

اشارة

الشيعة فى العصر الأُموى

أمّا معاوية فلا مناص من القول بأنّه أكثر المستبشرين بهذا الأمر، حيث إنّه قال لمّا بلغه: إنّ الأسد الذى كان يفترش ذراعيه فى الحرب قد قضى نحبه.

ثمّ أنشد:

قل للأرانب ترعى أينما سرّحت وللظباء بلا خوف و لا وجلِ «۲» فى الجانب الآخر نرى أنّ الإمام الحسن الابن الأكبر للإمام علىّ ووارثه ينعى أباه بقوله فى مسجد الكوفة: «ألا إنّه قد مضى فى هذه الليلة، رجل لم يدركه الأوّلون، ولن يرى مثله الآخرون. من كان يقاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله. واللَّه لقد توفّى فى هذه الليلة التى قبض فيها موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم، وأُنزل القرآن. ألا وإنّه ما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله» «۳».

ثمّ بويع الحسن فى نهاية خطبته، وكان أوّل من بايعه قيس بن سعد الأنصارى، ثم تتابع الناس على بيعته، وكان أمير المؤمنين قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت. فبينما هو يتجهّز للمسير قُتل عليه السلام. فبايع هؤلاء ولده الحسن، فلمّا بلغهم مسير معاوية فى أهل الشام إليه، تجهّز هو و الجيش الذين كانوا قد بايعوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵

علياً. وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية «۱».

بيد إنّ الأُمور لم تستقم للإمام الحسن لجملة من الأسباب المعروفة، أهمّها تخاذل أهل العراق أوّلًا، وكون الشيوخ الذين بايعوا علياً و التفّوا حوله كانوا من عبدة الغنائم و المناصب، ولم يكن لهؤلاء نصيب فى خلافة الحسن إلّاما كان لهم عند أبيه من قبل ثانياً. وإنّ عدداً غير قليل ممّن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يراسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً. كما أنّ قسماً من جيشه كانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعاً. إلى غير ذلك من الأسباب التى دفعت الإمام إلى قبول الصلح مع معاوية تحت شروط خاصّة تضمن لشيعة علىّ الأمن والأمان، إلّاأنّ معاوية وبعد أن وقّع على صلحه مع الإمام الحسن لم يتردد من الإعلان عن سريرته بكل صراحة ووضوح على منبر الكوفة: إنّى واللَّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا- وإنّكم لتفعلون ذلك- ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطانى اللَّه ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإنّى قد كنت منّيتُ الحسن أشياء، وجميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها له «۲».

وكان ذلك التصريح الخطير، والمنافى لأبسط مبادئ الشريعة الإسلامية، يمثل الإعلان الرسمى لبدء الحملة الشرسة والمعلنة لاستئصال شيعة على و أنصاره تحت كلّ حجر ومدر. وتوالت المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأُمويّة، فلم يكن للشيعة فى تلك الأيّام نصيب سوى القتل والنفى والحرمان. وهذا هو الذى نستعرضه فى هذا الفصل على وجه الإجمال، حتّى يقف القارئ على أنّ بقاء التشيّع فى هذه العصور المظلمة كان معجزة من معاجز اللَّه سبحانه، كما يتوضّح له مدى الدور الخطير الذى لعبه الشيعة فى الصمود والكفاح والردّ على الظلمة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶

وأعوانهم منذ عصر الإمام إلى يومنا هذا. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية.

۱- رسالة الإمام الحسين إلى معاوية:

۱- رسالة الإمام الحسين إلى معاوية:

«أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّى أُمور لم تكن تظنّنى بها رغبة بى عنها، وأنّ الحسنات لا يهدى لها ولا يسدّد إليها إلّا اللّه تعالى، وأمّا ما ذكرت أنّه رمى إليك عنّى، فإنّما رقّاه الملّاقون المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أُريد لك حرباً ولا خلافاً، وإنّى لأخشى اللّه فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين حزب الظلمة وأعوان الشيطان الرجيم. ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين- إلى أن قال- أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب إليك فى زياد أنّه على دين علىّ كرّم اللّه وجهه، ودين علىّ هو دين ابن عمّه صلى الله عليه و آله الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها اللّه عنكم بنا منّة عليكم، وقلت فيما قلت: لا تردنّ هذه الأُمّة فى فتنة وإنّى لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد. وإنّى واللّه ما أعرف فضلًا من جهادك، فإن أفعل فإنّه قربة إلى ربّى، وإن لم أفعله فأستغفر اللّه لدينى. وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدنى أكدك، فكدنى يا معاوية ما بدا لك، فلعمرى لقديماً يكاد الصالحون وإنّى لأرجو أن لا تضرّ إلّانفسك ولا تمحق إلّاعملك فكدنى ما بدا لك، واتّق اللّه يا معاوية، واعلم أنّ للّه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها، واعلم أنّ اللّه ليس بناسٍ لك قتلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷

بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلّاقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة و السلام» «۱».

ولعلّ المتأمل فى جوانب هذه الرسالة والمتدبّر لمفرداتها يدرك وبوضوح مدى الدور المنحرف الذى وقفه الأُمويّون وعلى رأسهم معاوية فى محاربة أنصار مذهب التشيّع وروّاده، كما تتوضح له الصورة عن حجم المحنة التى مرّ بها الشيعة إبّان تلك الحقبة الزمنية.

ولكى تتوضّح الصورة فى ذهن القارئ الكريم ندعوه إلى قراءة رسالة الإمام محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام لأحد أصحابه، حيث قال:

«إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر فى صعود كؤود حتّى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأُسلم ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر فى جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أُمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حقّ قليل. ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته فى أعناقهم وقتلوه.

ثمّ لم نزل- أهل البيت- نستذلّ ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸

ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء فى كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدى والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيداللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة علىّ، وحتّى صار الرجل الذى يذكر بالخير- ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً- يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع» «۱».

بل وإليك ما أورده ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه لنهج البلاغة:

كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علىّ بن أبى طالب، فلمّا قدم زياد الكوفة والياً عليها أخافه فطلبه زياد، فأتى الحسن بن علىّ، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: «من الحسن بن علىّ إلى زياد، أمّا بعد: فإنّك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله وعياله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹

فحبستهم، فإذا أتاك كتابى هذا، فابن له داره، واردد عليه عياله وماله، فانّى قد أجرته فشفّعنى فيه».

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعد: فقد أتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة، وتأمرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيّته كتبت إلىّ فى فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأى و رضاً منك بذلك، وأيم اللّه لا تسبقنى به ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك، فإنّ أحبّ لحم علىَّ أن آكله اللّحم الذى أنت منه، فسلّمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفّعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلّالحبّه أباك الفاسق، والسلام» «۱».

«كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن علىّ أو البراءة منه، فملأ منهم المسجد والرحبة، فمن أبى ذلك عرضه على السيف» «۲».

وعن المنتظم لابن الجوزى: أنّ زياداً لمّا حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدى ثمانين منهم، وهمّ أن يخرب دورهم ويحرق نخلهم، فجمعهم حتّى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من علىّ، وعلم أنّهم سيمتنعون، فيحتجّ بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم «۳».

بيان معاوية إلى عماله:

بيان معاوية إلى عماله:

روى أبو الحسن علىّ بن محمّد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة!!: «أن برأت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته» فقامت الخطباء فى كلّ كورة، وعلى كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰

منبر، يلعنون علياً ويبرأون منه، ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علىّ عليه السلام فاستعمل عليها زياد بن سميّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام علىّ عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة علىّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لى بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتّى أكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء و الحباء و القطائع، ويفيضه فى العرب منهم والموالى، فكثر ذلك فى كلّ مصر، وتنافسوا فى المنازل و الدنيا، فليس يجىء أحد مردود من الناس عاملًا من عمّال معاوية، فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلّاكتب اسمه وقرّبه وشفّعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله: إنّ الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كلّ مصر وفى كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلّا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة؛ فإنّ هذا أحبّ إلىّ وأقرّ لعينى، وأدحض لحجّة أبى تراب و شيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله!!

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها، وجدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱

المنابر، وأُلقى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم و نساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أُخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن بلد أشدّ بلاءً من العراق، ولا سيّما الكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة علىّ عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس فى ذلك بليّة القرّاء والمراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويتقرّبوا من مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدى الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تديّنوا بها.

وقال ابن أبى الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علىّ عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّاوهو خائف على دمه، أو طريد فى الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولّى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علىّ وموالاة أعدائه، وموالاة من يدّعى من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا فى الرواية فى فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲

علىّ عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له، حتى أنّ إنساناً وقف للحجّاج- ويقال إنّه جدّ الأصمعى عبد الملك بن قريب- فصاح به: أيّها الأمير انّ أهلى عقّونى فسمّونى علياً، وانّى فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج، وقال: للطف ما توسّلت به، قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه- وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم- فى تأريخه ما يناسب هذا الخبر، قال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيّام بنى أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بنى هاشم «۱»

ضحايا الغدر الأُموى

ضحايا الغدر الأُموى

لعلّ المرء يصاب بالذهول وهو يتأمّل أسماء الصحابة والتابعين ذوى المنازل الرفيعة والمكانة السامية و الدور الجليل فى خدمة الإسلام وأهله، كيف سقطوا صرعى بسيف الأُمويّين لا لشىءٍ إلّالأنّهم شيعة علىّ عليه السلام، ومن هؤلاء:

۱- حجر بن عدیّ: الذی قبض علیه زیاد بعد هلاک المغیرة سنة (۵۱ ه) وبعثه مع أصحابه إلی الشام بشهادة مزوّرة، وفریة ظالمة، کان یراد منها قتله وتوجیه ضربة قویة لشیعة علیّ وتصفیتهم.

یقول المسعودی:

«فی سنة ثلاث وخمسین قتل معاویة حجر بن عدیّ الکندی- وهو أوّل من قتل صبراً فی الإسلام- وحمله زیاد من الکوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الکوفة وأربعة من غیرها، فلمّا صار علی أمیال من الکوفة یراد به دمشق

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۳

أنشأت ابنته تقول- ولا عقب له من غیرها-:

تٍ رفّع أیّها القمر المنیر لعلّک أن تری حجراً یسیر

یسیر إلی معاویة بن حرب لیقتله، کذا زعم الأمیر

ویصلبه علی بابی دمشق وتأکل من محاسنه النسور ثمّ قتله مع أصحابه فی مرج عذراء «۱» بصورة بشعة یندی لها الجبین، وهی مذکورة فی جمیع کتب التأریخ، فراجع.

۲- عمرو بن الحمق: ذلک الصحابی العظیم الذی وصفه الإمام الحسین سیّد الشهداء بأنّه: «أبلت وجهه العبادة». قتله معاویة بعدما أعطاه الأمان «۲».

۳- مالک الأشتر: ملک العرب، وأحد أشرف رجالاتها وأبطالها، کان شهماً مطاعاً وکان قائد القوات العلویة. قتله معاویة بالسمّ فی مسیره إلی مصر بید أحد عمّاله «۳».

۴- رشید الهجری: کان من تلامیذ الإمام وخواصّه، عرض علیه زیاد البراءة واللعن فأبی، فقطع یدیه ورجلیه ولسانه، وصلبه خنقاً فی عنقه «۴».

۵- جویریة بن مسهر العبدیّ: أخذه زیاد وقطع یدیه ورجلیه وصلبه علی جذع نخلة «۵».

۶- قنبر مولی أمیر المؤمنین: روی أن الحجّاج قال لبعض جلاوزته: أُحبّ أن أُصیب رجلًا من أصحاب أبی تراب فقالوا: ما نعلم أحداً کان أطول صحبة له من

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۴

مولاه قنبر. فبعث فی طلبه، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال له: ابرأ من دین علیّ، فقال له: هل تدلّنی علی دین أفضل من دینه؟ قال: إنّی قاتلک فاختر أیّ قتلة أحبّ إلیک، قال: أخبرنی أمیر المؤمنین: أنّ میتتی تکون ذبحاً بغیر حقّ. فأمر به فذبح کما تذبح الشاة «۱».

۷- کمیل بن زیاد: وهو من خیار الشیعة وخاصّة أمیر المؤمنین، طلبه الحجّاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأی کمیل ذلک قال: أنا شیخ کبیر وقد نفد عمری ولا ینبغی أن أکون سبباً فی حرمان قومی. فاستسلم للحجّاج، فلمّا رآه قال له: کنت أحبُّ أن أجد علیک سبیلًا، فقال له کمیل:

لا تبرق ولا ترعد، فواللَّه ما بقی من عمری إلّامثل الغبار، فاقض فإنّ الموعد اللَّه عزّ وجلّ، وبعد القتل الحساب. وقد أخبرنی أمیر المؤمنین أنّک قاتلی، فقال الحجّاج: الحجّة علیک إذن، فقال: ذلک إن کان القضاء لک، قال: بلی، اضربوا عنقه «۲».

۸- سعید بن جبیر: التابعی المعروف بالعفّة والزهد والعبادة، وکان یصلّی خلف الإمام زین العابدین، فلمّا رآه الحجّاج قال له: أنت شقی ابن کسیر، فقال:

أُمّی أعرف باسمی منک. ثم بعد أخذ وردّ أمر الحجاج بقتله، فقال سعید: وجّهتُ وَجْهِی لِلَّذِی فَطَرَ السمّواتِ وَالأرضَ حنیفاً- مسلماً- وما أنا مِنَ المشرکین «۳»

.

فقال الحجّاج: شدّوه إلى غير القبلة، فقال: أينما تولّوا فثمَّ وَجهُ اللَّه «۴»

، فقال:

كبّوه على وجهه، قال: مِنْها خَلَقناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُم وَمِنْها نُخْرِجُكُم تارَةً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵

أُخرى «۱»

. ثم ضربت عنقه «۲».

وسيوافيك ما جرى على زيد بن علىّ من الصلب أيّام خلافة هشام بن عبدالملك عام (۱۲۲ ه) عند الكلام عن فرقة الزيدية إن شاء اللَّه تعالى.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جناه الأُمويّون فى حقّ الشيعة طوال فترة حكمهم وتولّيهم لدفّة الأُمور وزمام الحكم، وتاللَّه إنّ المرء ليصاب بالغثيان وهو يتأمّل هذه الصفحات السوداء التى لا تمحى من ذاكرة التاريخ وكيف لطّخت بالدماء الطاهرة المقدسة والتى أُريقت ظلماً وعدواناً وتجنّياً على الحقّ وأهله.

الشيعة فى العصر العباسى

الشيعة فى العصر العباسى

دار الزمان على بنى أُميّة، وقامت ثورات عنيفة ضدّهم أثناء خلافتهم، إلى أن قضت على آخر ملوكهم (مروان الحمار): فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للَّه رَبِّ العالَمِينَ «۳»

وامتطى ناصية الخلافة بعدهم العباسيون، والذين تسربلوا بشعار مظلومية أهل البيت للوصول إلى سدّة الخلافة وإزاحة خصومهم الأُمويين عنها، بيد أنّهم ما أن استقر بهم المقام وثبتت لهم أركانه حتّى انقلبوا كالوحوش الكاسرة فى محاربتهم للشيعة وتشريدهم وتقتيلهم، فكانوا أسوأ من أسلافهم الأُمويين وأشدّ إجراماً، وللَّه درّ الشاعر حين قال:

واللَّه ما فعلت أُميّة فيهم معشار ما فعلت بنو العباسِ ۱- كان أوّل من تولّى منهم أبو العباس السفّاح، بويع سنة (۱۳۲ ه) ومات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶

سنة (۱۳۶ ه)، قضى وقته فى تتبّع الأُمويّين والقضاء عليهم، وهو وإن لم يتعرّض للعلوّيين، لكنّه تنكّر لهم و لشيعتهم، بل وأوعز إلى الشعراء أن يتعرّضوا لأولاد علىّ وأهل بيته فى محاولة مدروسة للنيل من منزلتهم وتسفيه الدعوة المطالبة بإيكال أمر الخلافة الإسلامية إليهم. هذا محمّد أحمد براق يقول فى كتابه «أبو العباس السفاح»: «إنّ أصل الدعوة كان لآل علىّ؛ لأنّ أهل خراسان كان هواهم فى آل علىّ لا آل العباس، لذلك كان السفّاح ومن جاء بعده مفتّحة عينوهم لأهل خراسان حتّى لا يتفشّى فيهم التشيّع لآل علىّ... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدّمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرّضون بأبناء علىّ وينفون عنهم حقّ الخلافة؛ لأنّهم ينتسبون إلى النبىّ عن طريق ابنته فاطمة، أمّا بنو العباس فإنّهم أبناء عمومة» «۱».

۲- ثمّ جاء بعده أبو جعفر المنصور، وبالرغم ممّا أُثير حوله من منزلة ومكانة وذكاء، إلّاأنّ فى ذلك مجافاة عظيمة للحقّ وابتعاداً كبيراً عن جادّة الصواب، نعم حقّاً إنّ هذا الرجل قد ثبّت أركان دولته وأقام لها أُسساً قوية صلبة، إلّاأنّه أسرف كثيراً فى الظلم والقسوة والإجرام بشكل ملفت للأنظار، ويكفى للإلمام بجرائمه وقسوته ما كتبه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد عن ذلك حيث قال:

إنّ المنصور كان يجلس ويُجلس إلى جانبه واعظاً، ثمّ تأتى الجلاوزة فى أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتّى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظنى فإذا ذكّره الواعظ باللَّه، أطرق المنصور كالمنكسر ثمّ يعود الجلاوزة إلى ضرب

الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانياً قال لواعظه: عظنى!! «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷

فماذا يا ترى يريد المنصور من قوله للواعظ: عظنى، وماذا يعنى بإطراقه بعد ذلك وسكوته، هل يريد الاستهزاء بالدين الذى نهى عن قتل النفس وسفك الدماء، أو يريد شيئاً آخر؟! وليت شعرى أين كان المؤرّخون وأصحاب الكلمات الصادقة المنصفة من هذه المواقف المخزية التى تقشعر لها الأبدان، وهم يتحدّثون عن هذا الرجل الذى ما آلوا يشيدون بذكره ويمجّدون بأعماله، وهلّا تأمّل القرّاء فى سيرة هذا الرجل ليدركوا ذلك الخطأ الكبير.

بلى إنّ هذا الرجل أسرف فى القتل كثيراً، وكان للعلويين النصيب الأكبر، وحصّة الأسد من هذا الظلم الكبير.

يقول المسعودى: جمع المنصور أبناء الحسن، وأمر بجعل القيود والسلاسل فى أرجلهم وأعناقهم، وحملهم فى محامل مكشوفة وبغير وطاء، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين. ثمّ أودعهم مكاناً تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، وأُشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون على فراغ كلّ واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية فى مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة، وتورّمت أجسادهم، ولا يزال الورم يصعد من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً «۱».

وقال ابن الأثير: دعا المنصور محمّد بن عبد اللَّه العثمانى، وكان أخاً لأبناء الحسن من أُمّهم، فأمر بشقّ ثيابه حتّى بانت عورته، ثمّ ضرب مائة وخمسون سوطاً، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك اكفف عن وجهى، فقال المنصور للجلّاد: الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً، وأصاب إحدى عينيه فسالت على وجهه، ثمّ قتله- ثمّ ذكر-: وأحضر المنصور محمّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحس الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر، لأقتلنّك قتلة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸

لم أقتلها أحداً، ثمّ أمر به، فبنى عليه أُسطوانة وهو حىّ، فمات فيها «۱».

۳- ثمّ ولى بعده المهدى ولد المنصور، وبقى فى الحكم من سنة (۱۵۸ ه) إلى سنة (۱۶۹ ه) وكفى فى الإشارة إلى ظلمه للعلويّين، أنّه أخذ على بن العبّاس بن الحسن ابن علىّ بن أبى طالب، فسجنه فدّس إليه السمّ فتفسّخ لحمه وتباينت أعضاؤه.

۴- ولمّا هلك المهدى بويع ولده الهادى، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، سار فيها على سيرة من سبقه فى ظلم العلويين والتضييق عليهم، وكفى فى الإشارة إلى ذلك ما ذكره أبو الفرج الإصبهانى فى مقاتل الطالبيين حيث قال:

إنّ أُمّ الحسين صاحب فخ هى زينب بنت عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، قتل المنصور أباها وأُخوتها وعمومتها وزوجها علىّ بن الحسن، ثمّ قتل الهادى حفيد المنصور ابنها الحسين، وكانت تلبس المسوح على جسدها، لا تجعل بينها وبينه شيئاً حتّى لحقت باللَّه عزّ وجلّ «۲».

۵- ثمّ تولّى بعده الرشيد سنة (۱۷۰ ه) ومات (۱۹۳ ه) وكان له سجّل أسود فى تعامله مع الشيعة تبلورت أوضح صوره فيما لاقاه منه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وهو ما سنذكره لاحقاً إن شاء اللَّه تعالى، وإليك واحدة من تلك الأفعال الدامية التى سجّلها له التأريخ ورواها الإصبهانى عن إبراهيم بن رباح، قال: إنّ الرشيد حين ظفر بيحيى بن عبد اللَّه بن الحسن، بنى عليه أُسطوانة وهو حىّ، وكان هذا العمل الإجرامى موروثاً من جدّه المنصور «۳».

۶- ثمّ جاء بعده ابنه الأمين، فتولّى الحكم أربع سنين وأشهراً، يقول أبوالفرج: كانت سيرة الأمين فى أمر آل أبى طالب خلاف من تقدّم لتشاغله بما كان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹

فيه من اللهو ثمّ الحرب بينه وبين المأمون، حتّى قتل فلم يحدث على أحد منهم فى أيّامه حدث.

۷- وتولّى الحكم بعده المأمون، و كان من أقوى الحكّام العباسيّين بعد أبيه الرشيد. فلمّا رأى المأمون إقبال الناس على العلويّين وعلى رأسهم الإمام الرضا، ألقى عليه القبض بحيلة الدعوة إلى بلاطه، ثمّ دسّ اليه السمّ فقتله.

۸- مات المأمون سنة (۲۱۰ ه) وجاء إلى الحكم ابنه المعتصم فسجن محمّد بن القاسم بن علىّ بن عمر بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب إلّا أنّه استطاع الفرار من سجنه.

۹- ثمّ تولى الحكم بعده الواثق الذى قام بسجن الإمام محمّد بن علىّ الجواد عليه السلام ودسّ له السمّ بيد زوجته الأثيمة أُمّ الفضل بنت المأمون.

۱۰- وولى الحكم بعد الواثق المتوكّل، وإليك نموذجاً من حقده على آل البيت وهو ما ذكره أبو الفرج قال: كان المتوكّل شديد الوطأة على آل أبى طالب، غليظاً فى جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظنّ والتهمة لهم. واتّفق له أنّ عبيد اللَّه بن يحيى بن خاقان وزيره يسىء الرأى فيهم، فحسَّن له القبيح فى معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بنى العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب «۱» قبر الحسين وعفّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلّاأتوه به وقتله أو أنهكه عقوبة.

وقال: بعث برجل من أصحابه (يقال له الديزج وكان يهودياً فأسلم) إلى قبر الحسين وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب ما حوله، فمضى ذلك فخرّب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله مائتى جريب، فلمّا بلغ إلى قبره لم يتقدّم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالحَ، بين كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰

مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلّاأخذوه ووجّهوا به إليه.

وقال أيضاً: حدّثنى محمّد بن الحسين الأشنانى: بَعُدَ عهدى بالزيارة فى تلك الأيّام، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسى فيها، وساعدنى رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحى الغاضريّة، وخرجنا نصف الليل، فصرنا بين مسلحتين، وقد ناموا، حتى أتينا القبر فخفى علينا، فجعلنا نشمّه (نتسمه خ ل) ونتحرّى جهته حتّى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذى كان حواليه، وأُحرق وأُجرى الماء عليه، فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه- إلى أن قال:- فودّعناه وجعلنا حول القبر علامات فى عدّة مواضع، فلمّا قتل المتوكّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.

وقال أيضاً: واستعمل على المدينة ومكّة عمر بن الفرج، فمنع آل أبى طالب من التعرّض لمسألة الناس ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشىء وإن قلّ إلّاأنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر، إلى أن قتل المتوكّل فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم بمال فرّقه بينهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه فى جميع أحواله ومضادّة مذهبه «۱».

۱۱- وولّى بعده المنتصر ابنه، وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه- كما عرفت- فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا.

وأوّل ما أحدثه انّه لمّا ولّى الخلافة عزل صالح بن علىّ عن المدينة، وبعث علىّ بن الحسين مكانه فقال له- عند الموادعة-: يا علىّ إنّى أُوجّهك إلى لحمى ودمى فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم- يعنى آل أبى طالب- فقلت:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱

أرجو أن أمتثل رأى أمير المؤمنين- أيّده اللَّه- فيهم، إن شاء اللَّه. قال: إذاً تسعد بذلك عندى «۱».

۱۲- وقام بعده المستعين بالأمر، فنقض كلّما غزله المنتصر من البرّ والإحسان، ومن جرائمه أنّه قتل يحيى بن عمر بن الحسين، قال أبو الفرج:

وكان- رضى اللَّه عنه- رجلًا فارساً شجاعاً، شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله، ولمّا أدخل رأسه إلى بغداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له، ودخل أبو هاشم على محمّد بن عبد اللَّه بن طاهر، فقال: أيّها الأمير، قد جئتك مهنّئاً بما لو كان رسول اللَّه حيّاً يُعزّى به.

وأُدخل الأُسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد ولم يكن فيما رؤى قبل ذلك من الأُسارى أحد لحقه ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه.

قال أبوالفرج: وما بلغنى أنّ أحداً ممّن قتل فى الدولة العباسيّة من آل أبى طالب رثى بأكثر ممّا رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر ممّا قيل فيه.

أقول: إنّ العباسيين قد أتوا من الجرائم التى ينـدى لها الجبين وتقشعرّ منها الجلود فى حقّ الشيعة بحيث تغصّ بذكرها المجلّدات الكبيرة الواسعة، بل وفاقوا بأفعالهم المنكرة ما فعله الأُمويّون من قبل، وللَّه درّ الشاعر حيث قال:

تاللَّه إن كانت أُميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبّعوه رميما ومن أراد أن يقف على سجلّ جرائم الدولتين (الأُموية والعباسية) وملفّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲

مظالمهم فعليه قراءة القصائد الثلاث التى نظمها رجال مؤمنون مخلصون، عرّضوا أنفسهم للمخاوف والأخطار طلباً لرضى الحقّ:

۱- تائية دعبل الخزاعى الشهيد عام (۲۴۶ ه)، فإنّها وثيقة تأريخية خالدة تعرب عن سياسة الدولتين تجاه أهل البيت عليهم السلام، وقد أنشدها الشاعر للإمام الرضا، فبكى وبكت معه النسوة.

أخرج الحموى عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعى قال: أنشدت قصيدة لمولاى علىّ الرضا- رضى اللَّه عنه-:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحى مقفر العرصاتِ قال دعبل: ثمّ قرأت باقى القصيدة، فلمّا انتهيت إلى قولى:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم اللَّه والبركاتِ فبكى الرضا بكاءً شديداً.

ومن هذه القصيدة قوله:

هُمُ نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهاتِ

تراث بلا قربى، وملك بلا هدى وحكم بلا شورى، بغير هداةٍ وفيها أيضاً قوله:

لآل رسول اللَّه بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمراتِ

ديار علىّ والحسين وجعفر وحمزة والسجّاد ذى الثفناتِ

ديار عفاها كلّ جون مبادر ولم تعف للأيّام والسنواتِ

منازل كانت للصلاة وللتقى وللصوم والتطهير والحسناتِ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳

منازل وحى اللَّه معدن علمه سبيل رشاد واضح الطرقاتِ

منازل وحى اللَّه ينزل حولها على أحمد الروحاتِ والغدواتِ إلى أن قال:

ديار رسول اللَّه أصبحن بلقعا ودار زياد أصبحت عمراتِ

وآل رسول اللَّه غُلَّتْ رقابهم وآل زياد غُلّظُ القصراتِ

وآل رسول اللَّه تُدْمى نحورهم وآل زياد زيّنوا الحجلاتِ وفيها أيضاً:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلًا وقد مات عطشاناً بشطّ فراتِ

إذاً للطمتِ الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين فى الوجناتِ

أفاطم قومى يا ابنة الخير واندبى نجوم سماوات بأرض فلاتِ «۱» ۲- ميميّة الأمير أبى فراس الحمدانى (۳۲۰- ۳۵۷ ه)، و هذه القصيدة تعرف بالشافية، وهى من القصائد الخالدة، وعليها مسحة البلاغة، ورونق الجزالة، وجودة السرد، وقوّة الحجّة، وفخامة المعنى، أنشدها ناظمها لمّا وقف على قصيدة ابن سكرة العبّاسى التى مستهلّها:

بنى علىّ دعوا مقالتكم لا يُنقص الدُّرَّ وضع من وضعه قال الأمير فى جوابه ميميّته المعروفة وهى:

الحقّ مهتضمٌ والدين مخترم وفيء آل رسول اللَّه مقتسمُ إلى أن قال:

يا للرجال أما للَّه منتصرٌ من الطغاة؟ أما للَّه منتقمُ؟

بنو على رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم! «۱» ۳- جيميّة ابن الرومى التى رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد، ومنها:

أمامك فانظر أىّ نهجيك تنهج طريقان شتّى مستقيم وأعوج

ألا أى هذا الناس طال ضريركم بآل رسول اللَّه فاخشوا أو ارتَجُوا

أكلّ أوانٍ للنبىّ محمّد قتيل زكىّ بالدماء مضرّج «۲» وكم من الانصاف فيما كتبه الأصبهانى عن مدى العبء الذى تحمله أهل البيت وشيعتهم من أجل كلمة الحق، وموقف الصدق، وما ترتّب على ذلك من تكالب لا- يعرف الرحمة من قبل الحكومات الجائرة المتلاحقة للقضاء على هذا الوجود المقدّس واجتثاثه من أصله، حيث ذكر:

«ولا يعرف التأريخ أُسرة كأُسرة أبى طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة، وطيب النجار، ضلّ عنها حقّها، وجاهدت فى سبيل اللَّه حقّ الجهاد من الأعصار، ثمّ لم تظفر من جهادها المرير إلّابالحسرات، ولم تعقب من جهادها إلّاالعبرات، على ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم فى ساحة الوغى، راضية قلوبهم مطمئنة ضمائرهم، وصافحوا الموت فى بسالة فائقة، وتلقّوه فى صبر جميل يثير فى النفس الإعجاب والإكبار، ويشيع فيها ألوان التقدير والإعظام.

وقد أسرف خصوم هذه الأُسرة الطاهرة فى محاربتها، وأذاقوها ضروب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵

النكال، وصبّوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلّا ولا ذمّةً، ولم يرعوا لها حقّاً ولا حرمة، وأفرغوا بأسهم الشديد على النساء والأطفال، والرجال جميعاً، فى عنف لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتّى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال، فى فظاعة النكال، وقد فجّرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والمودّة فى قلوب الناس، وأشاعت الأسف الممض فى ضمائرهم، وملأت عليهم أقطار نفوسهم شجناً، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثاً يروى، وخبراً يتناقل، وقصصاً تقص، يجد فيها الناس إرضاء عواطفهم وإرواء مشاعرهم، فتطلّبوه وحرصوا عليه» «۱».

نعم، لقد اقترن تأريخ الشيعة بأنواع الظلم والنكال، والقتل والتشريد، بحيث لم تشهده أىّ طائفة أُخرى من طوائف المسلمين. بلى، لم ير الأُمويّون ولا العباسيّون ولا الملوك الغزانوة ولا السلاجقة ولا من أتى بعدهم أىّ حرمة لنفوسهم وأعراضهم وعلومهم ومكتباتهم، فحين كان اليهود والنصارى يسرحون ويمرحون فى أرض الإسلام والمسلمين، وقد كفل لهم الحكّام حرّيّاتهم باسم الرحمة الإسلامية، كان الشيعة يأخذون تحت كلّ حجر ومدر، ويقتلون بالشبهة والظنّة، وتشرّد أُسرهم، وتصادر أموالهم، ولا يجدون بدّاً من أن يخفوا كثيراً من عقائدهم خوف النكال والقتل، وبأيدى وقلوب نزعت منها الرحمة.

فلا تثريب إذن على الشيعى أمام هذه الوحشية المسرفة من أن يتعامل مع أخيه المسلم بالتقية، وأن يظهر خلاف ما يعتقده، بل اللوم أجمعه يقع على من حمله على ذلك، بعد أن أباح دمه وعرضه وماله.

هذا هو طغرل بيك أوّل ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ۴۴۷ ه،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶

وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهى، وكانت من دور العلم المهمّة فى بغداد بناها هذا الوزير الجليل فى محلّة بين السورين فى الكرخ سنة ۳۸۱ ه على مثال بيت الحكمة الذى بناه هارون الرشيد، وكانت من الأهمية العلمية بمكان؛ حيث جمع فيها هذا الوزير ما تفرّق من كتب فارس والعراق، واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد على، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين «۱».

قال ياقوت الحموى: وبها كانت خزانة الكتب التى أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن فى الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأُصولهم المحرّرة «۲».

وكان من جملتها مصاحف بخطّ ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير «۳».

ولمّا كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب، فقد أخذ العلماء يهدون إليه مصنّفاتهم المختلفة، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، وقد أُحرقت هذه المكتبة العظيمة فى جملة ما أُحرق من محال الكرخ عند مجيء طغرل بيك، وتوسّعت الفتنة حتّى اتّجهت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام.

قال ابن الجوزى فى حوادث سنة (۴۴۸ ه): وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره، ثمّ قال فى حوادث سنة (۴۴۹ ه): وفى صفر هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلّم الشيعة فى الكرخ، وأُخذ ما وجد من دفاتره وكرسى يجلس عليه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷

للكلام، وأُخرج إلى الكرخ وأُضيف إليه ثلاث مجانيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إن قصدوا زيارة الكوفة، فأُحرق الجميع «۱».

وأخيراً فلعلّ القارئ الكريم إذا تأمّل بتدبرّ وتأنّ إلى جملة ما كتب وأُلّف من المراجع التاريخية- وحتّى تلك التى كتبت فى تلك العصور التى شهدت هذه المجازر المتلاحقة، والتى بلا أدنى شكّ كان أغلبها يجارى أهواء الأُسر الحاكمة آنذاك- فإنّه سيجد بوضوح أنّ بقاء الشيعة حتّى هذه الأزمنة من المعاجز والكرامات وخوارق العادات، كيف وإنّ تاريخهم كان سلسلة من عمليات الذبح، والقتل، والقمع، والاستئصال، والسحق، والإبادة، قد تظافرت قوى الكفر والفسق على إهلاكهم وقطع جذورهم، ومع ذلك فقد كانت لهم دول و دويلات، ومعاهد وكلّيات، وبلدان وحضارات، وأعلام ومفاخر، وعباقرة وفلاسفة، وفقهاء، ومحدّثون، ووزراء وسياسيّون، ويؤلّفون اليوم خمس المسلمين أو ربعهم.

نعم إنّ ذلك من فضله سبحانه لتعلّق مشيئته على إبقاء الحقّ وإزهاق الباطل فى ظلّ قيام الشيعة طيلة القرون بواجبها وهو الصمود أمام الظلم، والتضحية والتفدية للمبدأ والمذهب وقد قال سبحانه: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشرونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مائَتَينِ وإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَروا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ «۲»

.

ولا يفوتنّك أخى القارئ الكريم أنّ ثوراتهم المتعاقبة على الحكومات الظالمة الفاسدة الخارجة عن حدود الشريعة الإسلامية العظيمة هى التى أدّت إلى تشريدهم وقتلهم والفتك بهم، ولو أنّهم ساوموا السلطة الأُموية والعباسية،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸

لكانوا فى أعلى المناصب والمدارج، لكنّ ثوراتهم لم تكن عنصرية أو قوميّة أو طلباً للرئاسة، بل كانت لإزهاق الباطل ورفع الظلم عن المجتمع، والدعوة إلى إعلاء كلمة اللّه وغير ذلك ممّا هو من وظائف العلماء العارفين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

اشارة

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

لقد تقدّم الحديث منّا فى الصفحات السابقة حول ما يمكن تسميته بنشأة التشيّع، والتى تبّين لنا بوضوح أنّه لا فصل هنا بين النشأتين، نشأة الإسلام، ونشأة التشيّع، وأنّهما وجهان لعملة واحدة، إلّاأنّ هناك جماعة من المؤرّخين وكتّاب المقالات ممّن قادهم الوهم وسوء الفهم إلى اعتبار التشيّع أمراً حادثاً وطارئ على المجتمع الإسلامى، فأخذوا يفتّشون عن مبدئه ومصدره، وأشدّ تلك الظنون عدوانية فيه ما تلوكه أشداق بعض المتقدّمين والمتأخّرين، هو كونه وليد عبد اللّه ابن سبأ ذلك الرجل اليهودى، الذى- بزعمهم- طاف الشرق والغرب، وأفسد الأُمور على الخلفاء والمسلمين، وألّب الصحابة والتابعين على عثمان فقتل فى عقر داره، ثمّ دعا إلى علىّ بالإمامة والوصاية، وإلى النبىّ بالرجعة، وكوَّن مذهباً باسم الشيعة، فهو كما يتصوّر هؤلاء وصوّروه لغيرهم صنيع ذلك الرجل اليهودى المتظاهر بالإسلام. وبما أنّ لهذا الموضوع أهمية خاصة لما احتلّه من المساحة الواسعة فى أذهان العديد من السذج والسطحيّين، فإنّا لا نكتفى ببيان توهّم واحد بل نأتى على ذكر كلّ تلك الادّعاءات واحدة بعد الأُخرى، مع رعاية التسلسل الزمنى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰

الفرضيّة الأُولى: الشيعة ويوم السقيفة

الفرضيّة الأُولى: الشيعة ويوم السقيفة

ليس بخاف على أحد مدى الانعطافة الخطيرة التى حدثت فى تأريخ الإسلام عقب انتهاء مؤتمر سقيفة بنى ساعدة، وما ترتّب عليه من نتائج وقرارات خطيرة.

والحقّ يقال إنّ هذا المؤتمر الذى ضمّ بين صفوفة ثلّة كبيرة من وجوه الصحابة- من المهاجرين والأنصار- قد أغفل عند انعقاده الواجب الأعظم فى إكرام رسول اللّه صلى الله عليه و آله صاحب الفضل الأكبر فيما وصل إليه الجميع- عندما تُرك مُسجّى بين يدى أهل بيته وانشغلوا بما كان من غير الإنصاف أن ينسب إليه صلى الله عليه و آله من قصور لا عذر فيه فى ترك الأُمّة حائرة به بعد موته.

أقول: ونتيجة لانشغالهم ذاك فقد حرموا من واجب إكرام الرسول صلى الله عليه و آله جلّه، ففاتهم أعظمه، وقصروا فى تأديته، وكان لأهل بيته وحدهم ذلك الدور كلّه، فأوفوه، ولم يألوا فى ذلك جهداً.

وإذا كان المؤتمرون فى السقيفة قد خرجوا إلى الملأ بقرار كان ثمرة مخاض عسير واعتراك صعب؛ فإنّه أوضح وبلا أدنى ريب تبعثر الآراء واختلافها، بل وظروف خطرة كان من الممكن أن تودى بالجهد العظيم الذى بذله رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومن معه من المؤمنين فى إرساء دعائم هذا الدين وتثبيت أركانه، وأوضحت- وذاك لا خفاء عليه- أنّ من غير المنطقى لرسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يرحل- مع أنّه لم يفاجئه الموت- دون أن يدرك هذه الحقيقة التى ليس هو ببعيد عنها، ولا يمكن أن يتغاضى عنها، وهو الذى ما خرج فى أمر جسيم إلّاوخلّف عنه من ينوبه فى إدارة شؤون الأُمّة فى فترة غيابه التى لا يلبث أن يعود منها بعد أيّام معدودات، فكيف بالرحيل الأبدى؟!

نعم إنّ هذا الأمر لابدّ وإن يستوقف كلّ ذى لب وعقل مستنير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱

كما أنّ الاستقراء المتأنّى لأحداث السقيفة قد أوضح وبقوّة فى أثناء المؤتمر وبعده وجود تيار قوى ومتماسك تبنّته جملة من وجوه

الصحابة ومتقدّميها، وعمدت إلى التذكير بوجوده والإجهار به، ولو قادهم هذا الأمر إلى الإقتتال دون تنفيذه، وذاك الأمر هو الإصرار على إيكال أمر الخلافة إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام دون غيره، رغم ابتعاده عليه السلام عن ساحة الاعتراك وميدان التنازع فى تلك السقيفة.

ولعلّ تمسّك هذه الثلّة من الصحابة بموقفها من بيعة الإمام دون غيره هو ما دفع بعض المؤرّخين إلى الذهاب بأنّ التشيّع كان وليد هذا المؤتمر ونتاج مخاضه، وأن يليهم آخرون يتعبّدون بهذا الرأى ويرتّبون من خلاله تصوّراتهم وأفكارهم، فيتشعّب ذلك إلى جملة واسعة من المتبنّيات غير الواقعية والقائمة على أرض واسعة من الأوهام والاسترسال غير المنطقى.

ولعلّ هذا التصوّرات تعتمد فى فهمها أساساً لمبدأ نشأة التشيّع على ما رواه الطبرى وغيره عن مجريات هذا المؤتمر وما ترتّب عليه من نتائج، دون أن تمد بصرها إلى أبعد من هذه النقطة اللامعة التى أعمتهم عن التأمّل فى أبعادها.

قال الطبرى: اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا:

منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منّا الأُمراء ومنكم الوزراء- إلى أن قال:- فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار- أو بعض الأنصار: لانبايع إلّاعليّاً.

ثمّ قال (أى الطبرى): أتى عمر بن الخطّاب منزل علىّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: واللّه لأحرّقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة:

فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.

وقال أيضاً: وتخلّف علىّ والزبير، واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتى

يبايع علىّ. فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقالا: خذوا سيف الزبير «۱».

وقال اليعقوبى فى تأريخه: ومالوا مع علىّ بن أبى طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطّلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوّام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، والبراء ابن عازب، وأُبىّ بن كعب «۲».

وروى الزبير بن بكار فى الموفّقيات: انّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر.

وروى الجوهرى فى كتاب السقيفة: أنّ سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً.

وروى أيضاً: أنّه لما بويع أبوبكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وهتفوا باسم الإمام علىّ، ولكنّه لم يوافقهم «۳».

وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة: كان أبو ذر وقت أخذ البيعة غائباً عن هذه الأحداث، فلمّا جاء قال: أصبتم قناعة، وتركتم قرابة، لو جعلتم الأمر فى أهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم الاثنان.

وقال سلمان: أصبتم ذا السن، وأخطأتم المعدن، أمّا لو جعلتموه فيهم ما اختلف منكم اثنان، ولأكلتموها رغداً.

وهكذا فمن خلال هذه النصوص المتقدّمة وغيرها اعتقد ذاك البعض- الذى أشرنا إليه سابقاً- أنّ مبتدأ التشيّع ونشأته كان فى تلك اللحظات الحرجة فى تأريخ الإسلام، متناسين أنّ ما اعتمدوه فى بناء تصوّراتهم هو ما ينقضها ويثبت بطلانها،

فإنّ المتأمل فى هذه النصوص يظهر له وبوضوح أنّ فكرة التشيّع لعلىّ ليست وليدة هذا الظرف المعقّد، وثمرة اعتلاجه، ونقيض تصوّره، بقدر ما تؤكّد على أنّ هذه الفكرة كانت مختمرة فى أذهانهم ومركوزة فى عقولهم ولسنين طوال، فلمّا رأت هذه الجماعة انصراف الأمر إلى جهة لم تكن فى حساباتهم ولا فى حدود تصوّراتهم، وانحساره عمّا كان معهوداً به إليهم، عمدوا إلى التمسّك به

بالاجتماع فی بیت علیّ والإعلان صراحة عن موقفهم ومعتقدهم.

نعم إنّ من غیر المتوقع والمعهود أن یجتمع رأی هذه الجماعة- التی تؤلف خلاصة غنیّة من متقدّمی الصحابة- علی هذا الأمر فی تلک اللحظات المضطربة والملیئة بالمفاجئات، وأن یترتّب علیه موقف موحّد ثابت، فهذا الأمر یدلّ بوضوح علی أنّه ما کان ولید یومه ونتاج مخاضه.

وممّا یؤکد ذلک ویقوی أرکانه ما نقلته جمیع مصادر الحدیث المختلفة من نداءات رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وتوصیاته بحقّ علیّ وعترته وشیعته فی أکثر من مناسبة ومکان، وما کان یشیر إلیه صلی الله علیه و آله من فضل شیعة علیّ ومکانتهم، والتأکید علی وجوب ملازمتهم، وفی هذا دلالة لا تقبل النقض علی أنّ التشیّع ما کان ولید السقیفة أو ردّة رافضة آنیة لمجریات أحداثها، بل إنّ هذا الوجود یمتد عمقاً مع نشأة الإسلام واشتداد عوده فی زمن النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله وحیاته المبارکة المقدّسة.

الفرضیّة الثانیة: التشیّع صنیع عبد اللَّه بن سبأ

اشارة

الفرضیّة الثانیة: التشیّع صنیع عبد اللَّه بن سبأ

لنقرأ ما کتبه الطبری حول هذا الوهم المصطنع:

قال: «إنّ یهودیاً باسم عبد اللَّه بن سبأ المکنّی بابن السوداء فی صنعاء أظهر الإسلام فی عصر عثمان، واندسّ بین المسلمین، وأخذ یتنقّل فی حواضرهم

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۴

وعواصم بلادهم: الشام، والکوفة، والبصرة، ومصر، مبشّراً بأنّ للنبیّ الأکرم رجعة کما أنّ لعیسی بن مریم رجعة، وأنّ علیّاً هو وصی محمّد صلی الله علیه و آله کما کان لکل نبیّ وصی، وأنّ علیّاً خاتم الأوصیاء کما أنّ محمّداً خاتم الأنبیاء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصیّ وظالمه، فیجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلی أهله».

«إنّ عبد اللَّه بن سبأ بثّ فی البلاد الإسلامیة دعاته، وأشار علیهم أن یظهروا الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، والطعن فی الأُمراء، فمال إلیه وتبعه علی ذلک جماعات من المسلمین، فیهم الصحابی الکبیر والتابعی الصالح من أمثال أبی ذر، وعمّار بن یاسر، ومحمّد بن حذیفة، وعبد الرحمن بن عدیس، ومحمّد بن أبی بکر، وصعصعة بن صوحان العبدی، ومالک الأشتر، إلی غیرهم من أبرار المسلمین وأخیارهم، فکانت السبئیة تثیر الناس علی ولاتهم، تنفیذاً لخطّة زعیمها، وتضع کتباً فی عیوب الأُمراء وترسل إلی غیر مصرهم من الأمصار. فنتج عن ذلک قیام جماعات من المسلمین- بتحریض السبئیین- وقدومهم إلی المدینة وحصرهم عثمان فی داره، حتّی قتل فیها، کلّ ذلک کان بقیادة السبئیّین ومباشرتهم».

«إنّ المسلمین بعد ما بایعوا علیّاً، ونکث طلحة والزبیر بیعته وخرجا إلی البصرة، رأی السبئیّون أنّ رؤساء الجیشین أخذوا یتفاهمون، وأنّه إنّ تمّ ذلک سیؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا لیلًا وقرّروا أنّ یندسّوا بین الجیشین ویثیروا الحرب بکرة دون علم غیرهم، وأنّهم استطاعوا أنّ ینفّذوا هذا القرار الخطیر فی غلس اللیل قبل أن ینتبه الجیشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السیاسیین فی جیش علیّ من کان بأزائهم من جیش البصرة، ففزع الجیشان وفزع رؤساؤهما، وظنّ کلّ بخصمه شرّاً، ثمّ إنّ حرب البصرة وقعت بهذا الطریق، دون أن یکون لرؤساء الجیشین رأی أو علم».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۵

روى الطبرى عن هذا الوهم فى موضع آخر من كتابه:

«فيما كتب به إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفقعسى، قال: كان عبد اللَّه بن سبأ يهوديّاً من أهل صنعاء أُمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل فى بلدان المسلمين يحاول إضلالهم، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة، ثمّ الكوفة، ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب فيمن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمداً يرجع، وقد قال اللَّه عزّ وجلّ: إنّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ «۱»

، فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى. قال: فَقُبِل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبىّ، ولكلّ نبىّ وصىّ، وكان علىّ وصى محمّد. ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء وعلىّ خاتم الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يجز وصية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووثب على وصىّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتناول أمر الأُمّة. ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حق وهذا وصىّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فانهضوا فى هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا بالطعن على أُمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبثّ دعاته، وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه، ودعوا فى السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أُولئك فى أمصارهم، وهؤلاء فى أمصارهم، حتّى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون... إلى آخر ما يذكره الطبرى فى المقام» حتّى يتوقّف عن إيراد هذه الأحداث بعد حرب الجمل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶

ولا يأتى بعد ذلك بشىء عن السبئية «۱».

وهكذا فقد تبيّن لك ممّا أوردناه عن الطبرى إنّ جلّة من فضلاء الصحابة قد عُدّوا من كبار السبئية وقادتها، وهم الذين كانوا يعرفون بالزهد والتقى والصدق والصفاء:

فأمّا عبد الرحمن بن عديس البلوى فهو ممّن بايع النبى تحت الشجرة وشهد فتح مصر، وكان رئيساً على من سار إلى عثمان من مصر «۲».

وأمّا محمّد بن أبى بكر: فأُمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، تزوّجها أبو بكر بعد استشهاد جعفر بن أبى طالب، فولدت له محمّداً فى حجّة الوداع بطريق مكّة، ثم نشأ فى حجر علىّ بعد أبيه، وشهد معه حرب الجمل، كما شهد صفّين، ثمّ ولى مصر عن علىّ إلى أن قتل فيها بهجوم عمرو بن العاص عليها «۳».

وأمّا صعصعة بن صوحان العبدى: فقد أسلم على عهد رسول اللَّه وكان خطيباً مفوّهاً، شهد صفّين مع على. ولما استشهد علىّ واستولى معاوية على العراق نفاه إلى البحرين ومات فيها «۴».

وأمّا الأشتر: فهو مالك بن الحرث النخعى، وهو من ثقات التابعين، شهد وقعة اليرموك، وصحب عليّاً فى الجمل وصفّين، ولّاه على مصر سنة (۳۸ ه) ولمّا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷

وصل إلى القلزم دسّ إليه معاوية السمّ بواسطة أحد عملائه فتوفّى مسموماً» «۱».

هذا هو الذى ذكره الطبرى، وقد أخذه من جاء بعده من المؤرّخين وكتّاب المقالات حقيقة راهنة، وبنوا عليه ما بنوا من الأفكار والآراء، فصارت الشيعة وليدة السبئية فى زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال.

ومن الذين وقعوا فى هذا الخطأ الفاحش دون فحص وتأمل فى حقائق الأُمور:

۱- ابن الأثير (ت ۶۳۰ ه)، فقد أورد القصّة منبّئة بين حوادث (۳۰- ۳۶ ه) وهو وإن لم يذكر المصدر فى المقام، لكنّه يصدر عن

تاريخ الطبرى فى حوادث القرون الثلاثة الأول «۲».

۲- ابن كثير الشامى (ت ۷۷۴ ه) فقد ذكر القصّة فى تأريخه «البداية والنهاية» وأسندها عندما انتهى من سرد واقعة الجمل إلى تاريخ الطبرى، وقال: هذا ملخّص ما ذكره أبو جعفر بن جرير «۳».

۳- ابن خلدون (ت ۸۰۸ ه)، فى تأريخه «المبتدأ والخبر» أورد القصّة فى حادثة الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخّصاً من كتاب أبى جعفر الطبرى «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸

وأمّا من جاء بعد أُولئك المؤرّخين وأخذوا ما أورده السابقون مأخذ التسليم فنذكر منهم:

۴- محمّد رشيد رضا، مؤسس مجلة المنار (ت ۱۳۵۴ ه)، ذكره فى كتابه «السنّة والشيعة» وقال: وكان مبتدع أُصوله (أى التشيّع) يهودى اسمه عبد اللَّه بن سبأ، أظهر الإسلام خداعاً، ودعا إلى الغلو فى علىّ كرم اللَّه وجهه، لأجل تفريق هذه الأُمّة، وإفساد دينها ودنياها عليها، ثمّ سرد القصّة وقال: ومن راجع أخبار واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلًا يرى مبلغ تأثير إفساد السبئيين دون ما كاد يقع من الصلح «۱».

۵- أحمد أمين (ت ۱۳۷۲ ه)، وهو الذى استبطل عبد اللَّه بن سبأ فى كتابه «فجر الإسلام» وقال: إنّ ابن السوداء كان يهوديّاً من صنعاء، أظهر الإسلام فى عهد عثمان، وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبثّ فى البلاد عقائد كثيرة ضارّة، وقد طاف فى بلاد كثيرة، فى الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر.

ثمّ ذكر أنّ أبا ذر تلقّى فكرة الاشتراكية من ذلك اليهودى، وهو تلقّى هذه الفكرة من مزدكيى العراق أو اليمن.

وقد كان لكتاب «فجر الإسلام» عام انتشاره (۱۹۵۲ م) دوىّ واسع النطاق فى الأوساط الإسلامية؛ فإنّه أوّل من ألقى الحجر فى المياه الراكدة بشكل واسع، وقد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألّف الشيخ المصلح كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأُصولها» ردّاً عليه، كما ردّ عليه العلامة الشيخ عبد اللَّه السبيتى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹

بكتاب أسماه «تحت راية الحق».

۶- فريد وجدى مؤلّف دائرة المعارف (ت ۱۳۷۰ ه) فقد أشار إلى ذلك فى كتابه عند ذكره لحرب الجمل ضمن ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب «۱».

۷- حسن إبراهيم حسن، وذكره فى كتابه «تاريخ الإسلام السياسى» فى أُخريات خلافة عثمان بقوله: «فكان هذا الجوّ ملائماً تمام الملاءمة ومهيّأً لقبول دعوة (عبد اللَّه بن سبأ) ومن لفّ لفّه والتأثّر بها إلى أبعد حدّ- وأضاف- وقد أذكى نيران هذه الثورة صحابى قديم اشتهر بالورع والتقوى- وكان من كبار أئمّة الحديث- وهو أبو ذر الغفارى الذى تحدّى سياسة عثمان ومعاوية واليه على الشام بتحريض رجل من أهل صنعاء وهو عبد اللَّه بن سبأ، وكان يهوديّاً فأسلم، ثمّ أخذ ينتقل فى البلاد الإسلامية، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة فالكوفة والشام ومصر... الخ «۲».

هذا حال من كتب عن الشيعة من المسلمين، وأمّا المستشرقون المتطفّلون على موائد المسلمين فحدّث عنهم ولا حرج، فقد ابتغوا تلك الفكرة الخاطئة فى كتبهم الاستشراقية التى تؤلّف لغايات خاصّة، فمن أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى ما ألّفه الباحث الكبير السيّد مرتضى العسكرى فى ذلك المجال، فإنّه- دام ظلّه- حقّق المقال ولم يبق فى القوس منزعاً «۳».

نظر المحقّقين فى الموضوع

نظر المحقّقين فى الموضوع:

۱- إنّ ما جاء فى تاريخ الطبرى من القصّة، على وجه لا يصحّ نسبته إلّاإلى عفاريت الأساطير ومردة الجنّ؛ إذ كيف يصحّ لإنسان أن يصدّق أنّ يهوديّاً جاء من صنعاء وأسلم فى عصر عثمان، واستطاع أن يغرى كبار الصحابة والتابعين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰

ويخدعهم، ويطوف بين البلاد ناشراً دعواه، بل واستطاع أن يكوّن خلايا ضدّ عثمان ويستقدمهم على المدينة، ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بإحسان، هذا شىء لا يحتمله العقل وإن وطّن على قبول العجائب والغرائب.

بل إنّ هذه القصّة تمسّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوّرهم أُمّة ساذجة يغترّون بفكر يهودى، وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون.

۲- إنّ القراءة الموضوعية للسيرة والتاريخ توقفنا على سيرة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان؛ فإنّهما كانا يعاقبان المعارضين لهم، وينفون المخالفين ويضربونهم، فهذا أبو ذر الغفارى- رحمه اللّه- نفاه عثمان من المدينة إلى الربذة لاعتراضه عليه فى تقسيم الفىء وبيت المال بين أبناء بيته، كما أنّه ضرب الصحابى الجليل عمّار بن ياسر حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه «۱»، إلى غير ذلك من مواقفهم من مخالفيهم ومعارضيهم التى يقف عليها المتتبّع، ومع ذلك نرى فى الأوهام التى عرضناها مسبقاً أنّ رجال الخلافة وعمالها يغضّون الطرف عمّن يؤلّب الصحابة والتابعين على إخماد حكمهم، وقتل خليفتهم فى عقر داره، ويجرّ الويل والويلات على كيانهم!! وهذا شىء لا يقبله من له أدنى إلمام بتاريخ الخلافة وسيرة معاوية.

يقول العلّامة الأمينى: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين، وقد علم به وبعبثه أُمراء الأُمّة وساستها فى البلاد، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة والتأديب بالضرب والإهانة، والزجّ إلى أعماق السجون؟ ولا- آل أمره إلى الإعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۱

الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرنُّ فى مسامع الملأ الدينى: إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فى الأرضِ فَساداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوا مِنَ الأرضِ ذَلِك لَهُمْ خِزْىٌ فى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «۱»

فهلّا اجتاح الخليفة جرثومة تلك القلاقل بقتله؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله ففعل بهم ما فعل «۲»؟!!

وهناك لفيف من الكتّاب ممّن حضر أو غبر، بدل أن يفتحوا عيونهم على الواقع المرير، ليقفوا على الأسباب المؤدّية إلى قتل الخليفة، حاولوا التخلّص من أوزار الحقيقة بالبحث عن فروض وهميّة سبّبت قتل الخليفة وأودت به.

وفى حقّ هؤلاء يقول أحد الكتّاب المعاصرين:

«وفى الشرق كتّابٌ لا- يعنيهم من التاريخ واقعٌ ولا من الحياة حالٌ أو ظرف، فإذا بهم يعلّلون ثورة المظلومين على عثمان، ويحصرون أحداث عصر بل عصور بإرادة فرد يطوف فى الأمصار والأقطار ويؤلّب الناس على خليفة ودولة!.

إنّ النتيجة العملية لمثل هذا الزعم وهذا الافتراء هى أنّ الدولة فى عهد عثمان ووزيره مروان إنّما كانت دولة مثاليّة، وأنّ الأمويين والولاة و الأرستقراطيين إنّما كانوا رُسُل العدالة الاجتماعية والإخاء البشرى فى أرض العرب. غير أنّ رجلًا فرداً هو عبد اللّه بن سبأ أفسد على الأمويين والولاة و الأرستقراطيين صلاحهم وبرّهم؛ إذ جعل يطوف الأمصار والأقطار مؤلّباً على عثمان وأُمرائه وولاته

الصالحين المُصلحين، ولولا هذا الرجل الفرد وطوافه فى الأمصار والأقطار لعاش الناس فى نعيم مروان وعدل الوليد وحلم معاوية عيشاً هو الرغادة وهو الرخاء.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۲

فى مثل هذا الزعم افتراءٌ على الواقع، واعتداء على الخلق، ومسايرة ضئيلة الشأن لبعض الآراء، يغلّف ذلك جميعاً منطق ساذج وحجّة مصطنعة واهية. وفيه ما هو أخطر من ذلك؛ فيه تضليل عن حقائق أساسية فى بناء التاريخ؛ إذ يحاول صاحب هذا المسعى الفاشل أن يحصر أحداث عصر بكامله، بل عصور كثيرة، بإرادة فردٍ يطوف فى الأمصار ويؤلّب الناس على دولة فيثور هؤلاء الناس على هذه الدولة لا لشيء إلّالأنّ هذا الفرد طاف بهم وأثارهم!.

أمّا طبيعة الحكم، وسياسة الحاكم، وفساد النظام الاقتصادى والمالى والعمرانى، وطغيان الأثرة على ذوى السلطان، واستبداد الولاة بالأرزاق، وحمل بنى أُميّة على الأعناق، والميل عن السياسة الشعبية الديمقراطية إلى سياسة عائلية أرستقراطية رأسمالية، وإذلال من يضمر لهم الشعبُ التقدير والاحترام الكثيرين أمثال أبى ذرّ وعمّار بن ياسر وغيرهما، أمّا هذه الأُمور وما إليها جميعاً من ظروف الحياة الاجتماعية، فليست بذات شأن فى تحريك الأمصار وإثارتها على الأُسرة الأمويّة الحاكمة ومن هم فى ركابها، بل الشأن كلّ الشأن فى الثورة على عثمان لعبد اللّه بن سبأ الذى يلفت الناس عن طاعة الأئمّة ويلقى بينهم الشرّ.

أليس من الخطر على التفكير أن ينشأ فى الشرق من يعلّلون الحوادث العامّة الكبرى المتّصلة اتّصالًا وثيقاً بطبيعة الجماعة وأُسس الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية بإرادة فرد من عامّة الناس يطوف فى البلاد باذراً للضلالات والفساد فى هذا المجتمع السليم.

أليس من الخطر على التفكير أن نعلّل الثورات الإصلاحية فى التاريخ تعليلًا صبيانياً نستند فيه إلى رغبات أفراد فى التاريخ شاءوا أن يحدثوا شغباً فطافوا الأمصار وأحدثوه» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۳

۳- إنّ رواية الطبرى نقلت عن أشخاص لا يصحّ الاحتجاج بهم:

أ- السرى: إنّ السرى الذى يروى عنه الطبرى، إنّما هو أحد رجلين:

۱- السرى بن إسماعيل الهمدانى الذى كذّبه يحيى بن سعيد، وضعّفه غير واحد من الحفّاظ «۱».

۲- السرى بن عاصم بن سهل الهمدانى نزيل بغداد المتوفّى عام (۲۵۸ ه) وقد أدرك ابن جرير الطبرى شطراً من حياته يربو على ثلاثين سنة، كذّبه ابن خراش، ووهاه ابن عدى، وقال: يسرق الحديث، و زاد ابن حبّان: ويرفع الموقوفات، لا يحلّ الاحتجاج به، وقال النقاش فى حديث وضعه السرى «۲».

فالاسم مشترك بين كذّابين لا يهمّنا تعيين أحدهما.

احتمال كونه السرى بن يحيى الثقة غير صحيح، لأنّه توفّى عام (۱۶۷ ه) مع أنّ الطبرى من مواليد عام (۲۳۴ ه) فالفرق بينهما (۵۷) عاماً، فلا مناص أن يكون السرى، أحد الرجلين الكذابين.

ب- شعيب: والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفى المجهول، قال ابن عدى:

ليس بالمعروف، وقال الذهبى: راوية، كتب سيف عنه: فيه جهالة «۳».

ج- سيف بن عمر: قال ابن حبّان: كان سيف بن عمر يروى الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا: إنّه كان يضع الحديث واتّهم بالزندقة. وقال الحاكم: اتّهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط، وقال ابن عدى: بعض أحاديثه مشهورة، وعامّتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدى: عامّة حديثه منكر. وقال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۴

البرقانى- عن الدارقطنى-: متروك. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه

حديث الواقدى. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائى: ضعيف، وقال السيوطى: وضّاع، وذكر حديثاً من طريق السرى بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف «۱».

د- فإذا كان هذا حال السند، فكيف نعتمد فى تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تؤلّف خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية، مع أنّ هذا هو حال سندها ومتنها، فالاعتماد عليها خداع وضلال لا يرتضيه العقل.

عبد اللّه بن سبأ أُسطورة تاريخية

الفرضيّة الثالثة: التشيّع فارسىّ المبدأ أو الصبغة

اشارة

الفرضيّة الثالثة: التشيّع فارسىّ المبدأ أو الصبغة

وهناك فرضية ثالثة اخترعها المستشرقون لتكوّن مذهب الشيعة فى المجتمع الإسلامى، وهذه الفرضية كسابقتيها تعتمد اعتبار حداثة هذا المذهب قصداً أم جهلًا، فقادها هذا التصوّر الخاطئ إلى اعتماد نظرية تقول بفارسيّة المبدأ أو الصبغة لمذهب التشيّع، وهذا الترديد بين الأمرين مرجعه رأيان لأصحاب هذه النظرية فى المقام:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۱

۱- إنّ التشيع من مخترعات الفرس؛ اخترعوه لأغراض سياسية ولم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، ولكنّهم لما أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصّة.

۲- إنّ التشيّع عربى المبدأ، وإنّ لفيفاً من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس فى الإسلام، ولمّا أسلموا اعتنقوه وصبغوه بصبغة فارسية لم تكن من قبل.

وهذان الرأيان هما اللّذان عبّرنا عنهما فى العنوان بما عرفت، وإليك تفصيل أمرهما:

أمّا النظرية الأُولى: فقد اخترعها المستشرق دوزى، وملخّصها: أنّ للمذهب الشيعى نزعة فارسية؛ لأنّ العرب كانت تدين بالحرّيّة، والفرس تدين بالملك والوراثة، ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولمّا انتقل النبىّ إلى دار البقاء ولم يترك ولداً، قالوا: على أولى بالخلافة من بعده.

وحاصله: أنّ الانسجام الفكرى بين الفرس والشيعة- أعنى: كون الخلافة أمراً وراثياً- دليل على أنّ التشيّع وليد الفرس.

وهذا التصوّر مردود لجملة واسعة من البديهيات، منها:

أوّلًا: أنّ التشيّع حسبما عرفت ظهر فى عصر النبىّ الأكرم، وهو الذى سمّى أتباع علىّ بالشيعة، وكانوا موجودين فى عصر النبىّ وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس- سوى سلمان- فى الإسلام.

بلى، فإنّ روّاد التشيّع فى عصر الرسول والوصى كانوا كلّهم عرباً ولم يكن بينهم أىّ فارسىّ سوى سلمان المحمّدى، وكلّهم كانوا يتبنّون فكرة التشيّع.

وكان لأبى الحسن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أيام خلافته ثلاثة حروب: حرب الجمل، وصفّين، والنهروان. وكان جيشه كلّه عرباً ينتمون إلى أُصول وقبائل عربية مشهورة بين عدنانية وقحطانية، فقد انضمّ إلى جيشه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۲

زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج، وهمدان، و طى، وكندة، وتميم، ومضر، بل كان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمّار بن ياسر، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر، وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد اللّه بن عباس، ومحمّد بن أبى بكر، وحجر بن عدى، وعدى بن حاتم، وأضرابهم. وبهذا الجند وبأُولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة، وحارب القاسطين- معاوية وجنوده- يوم صفّين، وبهم قضى على المارقين.

فأين الفرس فى ذلك الجيش وأُولئك القادة كى نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيّع؟ ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب.

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ:

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ:

إنّ عدداً من المستشرقين وغيرهم صرّحوا بأنّ العرب اعتنقت التشيّع قبل الفرس وإليك نصوصهم:

١- قال الدكتور أحمد أمين: الذى أرى- كما يدلّنا التاريخ- أنّ التشيّع لعلىّ بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام ولكن بمعنى ساذج، ولكن هذا التشيّع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأُخرى فى الإسلام، وحيث إنّ أكبر عنصر دخل فى الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر فى التشيّع «١». وسيوافيك الكلام على ما فى ذيل كلامه من أنّ التشيّع أخذ صبغة جديدة بعد فترة من حدوثه.

٢- وقال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية- خصوصاً أهل الكوفة- شيعة، ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٨٣

ورؤساء العرب «١».

٣- وقال المستشرق جولد تسيهر: إنّ من الخطأ القول بأنّ التشيّع فى نشأته ومراحل نموه يمثّل الأثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الأُمم الإيرانية فى الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة «٢».

۴- وأمّا المستشرق آدم متز فإنّه قال: إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام، فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكّة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن أيضاً مثل عمان، وهجر، وصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة، ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبى مرسل «٣».

ولعلّ المتأمّل فى كلمات هؤلاء يجد بوضوح أنّهم يقطعون بفساد الرأى الذاهب إلى فارسيّة التشيّع، وأنّهم لم يجدوا له تبريراً معقولًا، بالرغم من عدم تعاطفهم أصلًا مع التشيّع، فتأمل.

۵- يقول الشيخ أبو زهرة: إنّ الفرس تشيّعوا على أيدى العرب وليس التشيّع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وما وراءهما من بلدان الإسلام، فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيّعون فراراً بعقيدتهم من الأُمويين أوّلًا، ثمّ العباسيين ثانياً، وأنّ التشيّع كان منتشراً فى هذه البلاد انتشاراً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٨۴

عظيماً قبل سقوط الدولة الأُموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها «١».

۶- وقال السيّد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة فى أوّل الأمر إلّاالقليل، وجلّ علماء السنّة وأجلّائهم من الفرس،

كالبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم النيسابورى والبيهقى، وهكذا غيرهم ممّن أتوا فى الطبقة التالية «۲».

وأما النظرية الثانية فإنّ التاريخ يدلّنا على أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام يوم دخلوا بالصبغة السنّية، وهذا هو البلاذرى يحدّثنا فى كتابه عن ذلك بقوله:

كان ابرويز وجّه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصّته، ثمّ كانوا على تلك المنزلة بعده، وشهدوا القادسية مع رستم، ولمّا قتل وانهزم المجوس اعتزلوا، قالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأى لنا أن ندخل معهم فى دينهم، فاعتزلوا. فقال سعد: ما لهؤلاء؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم، فأخبروا بخبرهم، وقالوا: ندخل فى دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فآمنهم، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء، ثمّ تحوّلوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين «۳».

لم يكن إسلامهم- يوم ذاك- إلّاكإسلام سائر الشعوب، فهل يمكن أن يقال: إنّ إسلامهم يوم ذاك كان إسلاماً شيعياً؟

وأمّا النظرية الثالثة: فإنّ الإسلام كان ينتشر بين الفرس بالمعنى الذى كان ينتشر به فى سائر الشعوب، ولم يكن بلد من بلاد إيران معروفاً بالتشيّع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا بذرة التشيّع، وكان ذلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۵

فى أواخر القرن الأوّل، مع أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام فى عهد الخليفة الثانى؛ أى ابتداء من عام (۱۷ ه)، وهذا يعنى أنّه قد انقضت أعوام كثيرة قبل أن يدركوا ويعلموا معنى ومفهوم التشيّع، فأين هذا من ذاك. وهذا هو ياقوت الحموى يحدّثنا فى معجم البلدان بقوله:

قم، مدينة تذكر مع قاشان، وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعرى، وكان بدو تمصيرها فى أيام الحجّاج بن يوسف سنة (۸۳ ه)، وذلك أنّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجّاج، ثمّ خرج عليه، وكان فى عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلمّا انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان فى جملة إخوة يقال لهم: عبد اللَّه، والأحوص، وعبد الرحمن، وإسحاق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعرى، وقعوا فى ناحية قم، وكان هناك سبع قرى اسم احداها «كمندان» فنزل هؤلاء الأُخوة على هذه القرى حتّى افتتحوها واستولوا عليها، وانتقلوا إليها واستوطنوها، واجتمع عليهم بنو عمّهم وصارت السبع قرى سبع محالّ بها، وسمّيت باسم إحداها «كمندان»، فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً، وكان متقدّم هؤلاء الأُخوة عبد اللَّه ابن سعد، وكان له ولد قد ربّى بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان إمامياً، وهو الذى نقل التشيّع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنّىّ قط «۱».

إذن فهذا كلّه راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، وأمّا دليله فهو أوهن من بيت العنكبوت، فإذا كان الفرس لايعرفون معنى الانتخاب والحرية، فإنّ العرب أيضاً مثلهم، فالعربى الذى كان يعيش بالبادية عيشة فردية كان يحبّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۶

الحرية ويمارسها، وأمّا العربى الذى يعيش عيشة قبلية، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام أُمورهم وشؤونهم وعند موته يقوم أبناؤه وأولاده مكانه واحداً بعد الآخر، فما معنى الحرية بعد هذا؟!

تحليل النظرية

تحليل النظرية:

إنّ هذه النظرية وإن كانت تعترف بأنّ التشيّع عربى المولد والمنشأ، ولكنّها تدّعى أنّه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس فى الإسلام، وهذا هو الذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين ك «فلهوزن» فيما ذهبوا إليه فى تفسير نشأة

التشيّع.

يقول الثانى: إنّ آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين، أمّا كون هذه الآراء قد انبثقت من الإيرانيين فليست تلك الملاءمة دليلًا عليه، بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك؛ إذ تقول إنّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أوّلًا فى الأوساط العربية، ثمّ انتقل بعد ذلك منها إلى الموالى، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الأوساط.

ولكن لمّا ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلّت عن تربية القومية العربية، وكانت حلقة الارتباط هى الإسلام، ولكنّه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين «۱».

أقول: إنّ مراده أنّ التشيّع كان فى عصر الرسول وبعده بمعنى الحبّ والولاء لعلىّ لكنّه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر وهو كون الخلافة أمراً وراثياً فى بيت علىّ عليه السلام وهو الذى يصرّح به الدكتور أحمد أمين فى قوله: إنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان وغيرهم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۷

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ مبدأ وراثية الحكم كان سائداً فى جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة وغسّان وحمير فى العراق والشام واليمن كان هو الوراثة، والحكم فى الحياة القبلية فى الجزيرة العربية كان وراثياً، والمناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أُموراً وراثية، حتّى أنّ النبىّ الأكرم لم يغيّرها بل إنّه أمضاها كما فى قضيّة دفعه لمفاتيح البيت إلى بنى شيبة وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد.

فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمر عجيب لا يقرّه العقلاء، فعلى ذلك يجب أن نقول: انّ التشيّع اصطبغ بصبغة فارسية وغسّانية وحميرية وأخيراً عربية، وإلّا فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامّة عالمية؟!

إنّ النبوّة والوصاية من الأُمور الوراثية فى الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هى الملاك المعيّن بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوّة والإمامة فى بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبىّ نبيّاً، ووصىّ وصيّاً، يقول سبحانه:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإِبرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِيَّتِهما النُّبُوَّةَ والكِتابَ «۱». وإذِ ابْتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنّى جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرّيَّتِى قَالَ لا ـ يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ «۲». أمْ يَحْسُدُون النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّه مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبراهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۸

لماذا لا يكون سبب تشيّع الفرس مفاد هذه الآيات والروايات التى تصرّح بأنّ الوصاية بين الأنبياء كانت أمراً وراثياً؟ وإنّ هذه سنّة اللَّه فى الأُمم كما هو ظاهر قوله سبحانه: «لا ينال عهدِى الظالمين» فسمّى الإمامة عهد اللَّه لا عهد الناس.

ثمّ إنّ من زعم أنّ التشيّع من صنع الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاريخ الفرس، وذلك لأنّ التسنّن كان هو السائد فيهم إلى أوائل القرن العاشر حتّى غلب عليهم التشيّع فى عصر الصفويين، نعم كانت مدن رى وقم وكاشان معقل التشيّع ومع ذلك يقول أبو زهرة: إنّ أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وإنّ الشيعة الأوّلين كانوا من فارس «۱».

أمّا غلبة التشيّع عليهم فى الأوان الأخير فلا ينكره أحد، إنّما الكلام فى كونهم كذلك فى بداية دخولهم إلى الإسلام، فالذى يظهر أنّ الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران وليس له معرفة حقيقية بتفاصيل التركيبة المذهبية المختلفة التى كانت واضحة فى أطراف المجتمع الإيرانى وبيّنة فيه.

وإليك ما ذكره أحد الكتّاب القدامى فى كتابه «أحسن التقاسيم» لتقف على أنّ المذهب السائد فى ذلك القرن، هل كان هو التشيّع أم التسنّن؟ يقول:

«إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبى حنيفة إلّافى كورة الشاش؛ فأنّهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبد اللَّه

السرخسى، وإقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلّاأنّ أهل الحديث حنابلة والغالب بدبيل- لعلّه يريد أردبيل- مذهب أبى حنيفة وبالجبال، أمّا بالرىّ فمذاهبهم مختلفة، والغلبة فيهم للحنفية، وبالرى حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة، والدينور غلبه مذهب سفيان الثورى، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف أهل الأهواز شيعة، وبه أصحاب أبى حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيون...

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۹

إقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبى حنيفة... إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعى... إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب حديث، وأهل الملتان شيعة يهوعلون فى الأذان- أى يقولون حىّ على خير العمل- ويثنّون فى الإقامة- أى يقولون اللَّه أكبر مرّتين، وأشهد أن لا إله إلّااللَّه مرّتين أيضاً وهكذا- ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة «۱».

وأمّا ابن بطوطة فى رحلته فيقول: «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمّى جمال الدين بن مطهّر- يعنى العلّامة الحلى (۶۴۸- ۷۲۶ ه)- فلمّا أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر زاد فى تعظيم هذا الفقيه، فزيّن له مذهب الروافض وفضّله على غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وآذربايجان وإصفهان وكرمان وخراسان، وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أوّل بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز وإصفهان، فأمّا أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأزج يقولون: لا سمعاً ولا طاعة، وجاءوا للجامع وهدّدوا الخطيب بالقتل إن غيّر الخطبة، وهكذا فعل أهل شيراز وأهل إصفهان «۲».

وقال القاضى عيّاض فى مقدّمة «ترتيب المدارك» وهو يحكى انتشار مذهب مالك: وأمّا خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أوّلًا بيحيى بن يحيى التميمى، وعبد اللَّه بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمّة على مرّ الأزمان، وتفشّى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل. وكان آخر من درس منه بنيسابور أبوإسحاق بن القطّان، وغلب على تلك البلاد مذهبا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۰

أبى حنيفة والشافعى «۱».

قال «بروكلمان»: إنّ شاه إسماعيل الصفوى بعد انتصاره على «الوند» توجّه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أنّ ثلثى سكان المدينة- الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف- من السنّة «۲».

إذن فالنصوص المتقدّمة تدلّ دلالة واضحة على أنّ مذهب التسنّن كان هو المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إنّ بلاد فارس كانت هى الموطن الأصلى للتشيّع؟

وممّا يؤكّد ذلك أيضاً ما رواه ابن الأثير فى تأريخه من أنّ أهل طوس كانوا سنّة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إنّ محمود بن سبكتكين جدّد عمارة المشهد بطوس الذى فيه قبر علىّ بن موسى الرضا وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم ابنه عن ذلك، وكان سبب فعله ذلك أنّه رأى فى المنام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب وهو يقول: إلى متى هذا؟

فعلم أنّه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته «۳».

ويؤيّد ذلك ما رواه البيهقى: أنّ المأمون العباسى همَّ بأن يكتب كتاباً فى الطعن على معاوية، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين، العامّة لا تتحمّل هذا ولا سيما أهل خراسان، ولا تأمن أن يكون لهم نفرة «۴».

إلّا أنّ المتوكل عمد وبصلافة وتهتّك إلى هدم قبر الحسين عليه السلام وفى ذلك قال الشاعر المعروف بالبسّامى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۱

تاللَّه إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبّعوه رميما «۱» فقد بان ممّا ذكر أمران:

۱- إنّ التشيّع ليس فارسىّ المبدأ، وإنّما هو حجازى المولد والمنشأ، اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرس- سوى سلمان المحمّدى- وإنّ الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب، وأنّهم اعتنقوا الإسلام بمذاهبه المختلفة مثل اعتناق سائر الأُمم له، وبقوا على ذلك طويلًا إلى أن اشتد عود التشيّع وكثر معتنقوه فى عهد بعض ملوك المغول أو عهد الصفوية (۹۰۵ ه).

۲- إنّ كون الإمامة منحصرة فى علىّ وأولاده ليس صبغة عارضة على التشيّع، بل هو جوهر التشيّع وحقيقته، ولولاه فقد التشيّع روحه وجوهره، فجعل الولاء لآل محمّد أو تفضيل علىّ على سائر الخلفاء أصله وجوهره، واعتبار هذا الأمر- كما يعتقده البعض- أمراً عرضياً دخيلًا على مذهب التشيع، تصوّر لا دليل له إلّاالتخرص والاختلاق.

قال المفيد- رحمه اللَّه-: الشيعى من دان بوجوب الإمامة ووجودها فى كل زمان وأوجب النصّ الجلىّ والعصمة والكمال لكلّ إمام، ثمّ حصر الإمامة فى ولد الحسين بن علىّ عليهما السلام وساقها إلى الرضا علىّ بن موسى عليهما السلام.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۲

الفرضيّة الرابعة: الشيعة ويوم الجمل

أصحاب أمير المؤمنين

أصحاب أمير المؤمنين:

من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: الأصحاب، ثمّ الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثمّ شرطة الخميس:

من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: سلمان الفارسى، المقداد، أبو ذر،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۳

عمّار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدرى (عربى أنصارى) أبو برزة، جابر بن عبد اللَّه، البراء بن عازب (أنصارى)، عرفة الأزدى، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعا له فقال: «اللّهمّ بارك له فى صفقته».

وأصحاب أمير المؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس كانوا ستّة آلاف رجل، وقال علىّ بن الحكم: (أصحاب) أمير المؤمنين الذين قال لهم: «تشرّطوا إنّما أُشارطكم على الجنّة، ولست أُشارطكم على ذهب أو فضّة، إنّ نبيّنا عليه السلام قال لأصحابه فيما مضى: تشرّطوا فانّى لست أُشارطكم، إلّاعلى الجنّة» «۱»

وممّا تقدّم يظهر أنّ من عدّه ابن النديم من أصحاب الإمام رجالًا ماتوا قبل أيام خلافته كسلمان و أبو ذر والمقداد، وكلّهم كانوا شيعة للإمام، فكيف يكون التشيّع وليد يوم الجمل؟ والظاهر وجود التحريف فى عبارة ابن النديم.

على كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص الدالّة على وجود التشيّع فى عصر الرسول وظهوره بشكل جلىّ بعد وفاته صلى الله عليه و آله وهذا قبل أن تشبّ نار الحرب فى البصرة، دليل على وهن هذا الرأى- على تسليم دلالة كلام ابن النديم- فإنّ الإمام وشيعته بعد خروج الحقّ عن محوره، واستتباب الأمر لأبى بكر، رأوا أنّ مصالح الإسلام والمسلمين تكمن فى السكوت ومماشاة القوم، بينما كان نداء التشيّع يعلو بين آن وآخر من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبى ذر الغفارى وغيره، ولكن كانت القاعدة الغالبة هى المحافظة قدر الإمكان على بقاء الإسلام وعدم جرّ المسلمين إلى صدام كبير ونار متأجّجة لا تبقى ولا تذر، والعمل قدر الإمكان لدعم الواجهة السياسية للخلافة الإسلامية ورفدها بالجهد المخلص والنصح المتواصل.

إلّا أنّ الأمر عندما آل إلى الإمام عليّ وجدت شيعته متنفساً واسعاً للتعبير عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۴

وجودها والإفصاح عن حقيقتها، فظهرت بأوضح وأجلى صورها، فمن هنا وقع أصحاب هذه الفرضية وغيرها فى هذه الاشتباهات الواضحة البطلان.

الفرضيّة الخامسة: الشيعة ويوم صفّين

الفرضيّة الخامسة: الشيعة ويوم صفّين

زعم بعض المستشرقين «۱» أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش عليّ فى مسألة التحكيم إلى فرقتين، فلمّا دخل عليّ الكوفة وفارقته الحرورية، وثبت إليه الشيعة، فقالوا: فى أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت.

وهذا الفهم الخاطئ لهذه الواقعة، وامتطاء هذه العبارة المذكورة لتحديد نشأة التشيّع يعتمد بالأساس على افتراض أنّ لتكوّن الشيعة تاريخاً مفصولًا عن تاريخ الإسلام، فأخذ يتمسّك بهذه العبارة، مع أنّ تعبير الطبرى- أعنى قوله: وثبت إليه الشيعة «۲»- دليل على سبق وجودهم على ذلك.

نعم كان للشيعة بعد تولّى الإمام الخلافة وجود واضح حيث ارتفع الضغط فالتفّ حوله موالوه من الصحابة والتابعين، إلّاأنّ الأمر الثابت هو أنّ ليس جميع من كان فى جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعى للتشيّع، بل أغلب من انخرط فى ذلك الجيش كانوا تابعين له لأنّه خليفة لهم، وقد بايعوه على ذلك.

الفرضيّة السادسة: الشيعة والبويهيّون

الفرضيّة السادسة: الشيعة والبويهيّون

تقلّد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام (۳۲۰) إلى (۴۴۷ ه)، فكانت لهم السلطة فى العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۵

وإصفهان والرى، وقد أُقصوا عن الحكم فى الأخير بهجوم الغزاونة عليهم عام (۴۲۰ ه). وقد ذكر المؤرّخون- خصوصاً ابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم- شيئاً كثيراً من أحوالهم، وخدماتهم، وإفساحهم المجال لجميع العلماء من دون أن يفرقوا بينهم بمختلف طوائفهم، وقد ألّف المستشرق «استانلى لين بول» كتاباً فى حياتهم ترجم باسم: طبقات سلاطين الإسلام.

يقول ابن الأثير فى حوادث عام (۳۷۲ ه) فى حديثه عن أحد الملوك البويهيّين، وهو عضد الدولة: وكان عاقلًا، فاضلًا، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمّة، ثاقب الرأى، محبّاً للفضائل وأهلها، باذلًا فى مواضع العطاء... إلى أن قال: وكان محبّاً للعلوم وأهلها، مقرّباً للعلماء، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم فى المسائل، فقصده العلماء من كلّ بلد، وصنّفوا له الكتب، ومنها الإيضاح فى النحو، والحجّة فى القراءات، والملكى فى الطبّ، والتاجى فى التاريخ إلى غير ذلك «۱». وهذا يدل على أنّهم كانوا محبّين للعلم ومروّجين له ولهم أياد مشكورة فى نشر العلم ومساندة العلماء.

وبالرغم من أنّ فى عصرهم كان يغلب على أكثر البلاد مذهب التسنّن إلّاأنّ البويهين لم يقفوا موقف المعادى لهم على الرغم مما وقفه غيرهم من الملوك الآخرين من غير الشيعة من معاداة التشيّع ومحاربته.

ولعلّ التأريخ قد سجّل فى صفحاته أحداثاً مؤلمة بعد سقوط البويهيين ودخول طغرل بك مدينة السلام (بغداد) عام (۴۴۷ ه)، عندما

أحرقت مكتبة الشيخ الطوسى وكرسيّه الذى كان يجلس عليه للتدريس «۲».

نعم راج مذهب الشيعة فى عصرهم واستنشق رجالاته نسيم الحرية بعد أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۶

تحملوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً فى عهد المتوكّل ومن بعده، غير أنّ تكوّن مذهب الشيعة فى أيّامهم شيءٌ وكونهم مروّجين ومعاضدين له شيء آخر، ومن السذاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الفرضيّة السابعة: الشيعة والصفويّون

اشارة

الفرضيّة السابعة: الشيعة والصفويّون

والكلام عن هذه الأُسرة هو عين الكلام عن البويهيين.

إنّ الصفويين هم أُسرة الشيخ صفىّ الدين العارف المشهور فى أردبيل المتوفّى عام (۷۳۵ ه). فعندما انقرضت دولة المغول، انقسمت البلاد التى كانت تحت نفوذهم إلى دويلات صغيرة شيعية وغير شيعية، إلى أن قام أحد أحفاد صفىّ الدين، الشاه إسماعيل عام (۹۰۵ ه) بتسلّم مقاليد الحكم والسيطرة على بلاد فارس وإقامة حكومة خاصّة به استطاع أن يمدّ نفوذها ويبسط سلطتها، واستمرّ فى الحكم إلى عام (۹۳۰ ه)، ثمّ ورثه أولاده إلى أن أُقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على إيران عام (۱۱۳۵ ه) فكان الصفويون خير الملوك؛ لقلّة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن فى إيران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع لا تكوّنه، وهو أمر لا مراء فيه، ولا يقتنع به إلّاالسذّج والجهلاء.

نعم إنّ هذه الآراء الساقطة فى تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكوّنهم، كلّها كانت أُموراً افتراضية بنوها على أساس خاطئ وهو أنّ الشيعة ظاهرة طارئة على المجتمع الإسلامى بعد عهد النبىّ، سامح اللَّه الذين لم يتعمّدوا التزييف وغفر اللَّه لنا ولهم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۷

زلّة لا تستقال

زلّة لا تستقال:

إنّ الدكتور عبد اللَّه فياض زعم أنّ التشيّع بمعنى الموالاة لعلىّ عليه السلام نضج فى مراحل ثلاث:

۱- التشيّع الروحى، يقول: إنّ التشيّع لعلىّ بمعناه الروحى زرعت بذرته فى عهد النبىّ وتمّت قبل تولّيه الخلافة. ثمّ ساق الأدلّة على ذلك وجاء بأحاديث يوم الدار أو بدء الدعوة وأحاديث الغدير وما قال النبىّ فى حقّ علىّ من التسليم على علىّ بإمرة المؤمنين.

۲- التشيّع السياسى، ويريد من التشيّع السياسى: كون علىّ أحق بالإمامة لا لأجل النص بل لأجل مناقبه وفضائله، ويقول: إنّ التشيّع السياسى ظهرت بوادره- دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية (يريد النصّ)- فى سقيفة بنى ساعدة، حين أسند حقّ علىّ بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعبّاس وغيرهما، وبلغ التشيّع السياسى أقصى مداه حين بويع علىّ بالخلافة بعد مقتل عثمان.

۳- ظهوره بصورة فرقة، فإنّما كان ذلك بعد فاجعة كربلاء سنة (۶۱ ه) ولم يظهر التشيّع قبل ذلك بصورة فرقة دينية تعرف بالشيعة. ثمّ

استشهد بكلام المقدسى حيث قال: إنّ أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع:

الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة. وأصل افتراقهم قتل عثمان، ثمّ تشعّبوا «۱».

وأيّد نظريته بما ذكره المستشرق «فلهوزن» من قوله: تمكّن الشيعة أوّلًا فى العراق ولم يكونوا فى الأصل فرقة دينية، بل تعبيراً عن الرأى السياسى فى هذا الإقليم كلّه، فكان جميع سكان العراق خصوصاً أهل الكوفة شيعة علىّ على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۸

تفاوت بينهم «۱».

وهذا التصوّر المذكور يمكن تثبيت جملة من الملاحظات عليه:

أوّلًا: انّ التفكيك بين المرحلتين الأوليين، وإنّ الأُولى منهما كانت فى عصر النبىّ، وظهرت بوادر المرحلة الثانية بعد رحلة النبىّ، قد نقضه نفس الكاتب فى كلامه حيث قال: كان روّاد التشيّع الروحى يلتزمون بآراء علىّ الفقهية إلى جانب الالتزام بإسناده سياسياً «۲».

وثانياً: إنّ ما ذكره من النصوص فى مجال التشيّع الروحى كما يدلّ على أنّ علياً هو القائد الروحى، فإنّه يدلّ بوضوح على أنّه القائد السياسى، وقد نقل الكاتب جلّ النصوص الواردة فى هذا المبنى، فمعنى التفكيك بينهما هوأنّ الصحابة الواعين أخذوا ببعض مضامينها وتركوا بعضها، ولو صحّ إسناد ذلك إلى بعض الصحابة فلا يصح إسناده إلى سلمان، وأبى ذر، وعمّار، الذين لا يتركون الحق وإن بلغ الأمر ما بلغ.

وبما أنّ النبىّ كان هو القائد المحنَّك للمسلمين، فإنّه لم تكن هناك حاجة لظهور التشيّع السياسى فى حياته، بل كان المجال واسعاً لظهور التشيّع الروحى ورجوع الناس إلى علىّ فى القضايا والأحكام الفقهية، وهذا لا يعنى عدم كونه قائداً سياسياً وإنّ وصايا النبىّ لم تكن هادفة إلى ذلك الجانب.

وثالثاً: إنّ التشيّع السياسى ظهر فى أيّام السقيفة فى ظل الاعتراف بإمامته الروحية؛ فإنّ الطبرى وغيره وإن لم يذكروا مصدر رجوع الزبير والعباس إلى علىّ، ولكن هناك نصوص عن طرق الشيعة وردت فى احتجاج جماعة من الصحابة على أبى بكر مستندين إلى النصوص الدينية.

فقد روى الصدوق عن زيد بن وهب أنّه قال: كان الذين أنكروا على أبى بكر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۹

تقدّمه على علىّ بن أبى طالب اثنى عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار؛ فمن المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأُبىّ بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وعبد اللَّه بن مسعود، وبريدة الأسلمى.

ومن الأنصار: زيد بن ثابت، وذو الشهادتين، وابن حنيف، وأبو أيّوب الأنصارى، وأبو الهيثم بن التيهان.

وبعدما صعد أبو بكر على المنبر قال خالد بن سعيد: يا أبا بكر اتقّ اللَّه... ثمّ استدل على تقدم علىّ بما ذكره النبىّ فقال: «معاشر المهاجرين والأنصار، أُوصيكم بوصيّة فاحفظوها، وانّى مؤدّ إليكم أمراً فاقبلوه: ألا إنّ علياً أميركم من بعدى وخليفتى فيكم»- إلى آخر ما ذكره- ثمّ قام أبو ذر وقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار... طرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم. ثمّ ذكر مناشدة كل منهم مستندين فى احتجاجهم على أبى بكر بالأحاديث التى سمعوها من النبىّ الأكرم «۱».

وهذا يعرب عن أنّ التشيّع السياسى- الذى كان ظرف ظهوره حسب طبع الحال بعد الرحلة- كان مستفاداً من نصوص النبىّ صلى الله عليه و آله.

رابعاً: ماذا يريد من الفرقة وأنّ الشيعة تكوّنت بصورة فرقة بعد مقتل الإمام الحسين؟ فهل يريد الفرقة الكلامية التى تبتنى على آراء فى العقائد تخالف فيها الفرق الأُخرى؟ فهذا الأمر لم يعلم له أىّ وجود يذكر إلى أواسط العقد الثالث من الهجرة، ولم تكن يومذاك أيّة مسألة كلامية مطروحة حتّى تأخذ شيعة علىّ بجانب والآخرون بجانب آخر، بل كان المسلمون متسالمين فى العقائد والأحكام حسب

ما بلغ إليهم من الرسول، ولم يكن آنذاك أىّ اختلاف عقائدى إلّافى مسألة القيادة،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۰

فالفرقة بهذا المعنى لم تكن موجودة فى أوساط المسلمين.

وإن أراد من الفرقة الجماعة المتبنّية ولاية علىّ روحيّاً وسياسياً وأنّه أحقّ بالقيادة على جميع الموازين، فإنّها كانت موجودة فى يوم السقيفة وبعدها.

نعم إنّ توسّع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وما رافق ذلك من احتكاك مباشر بكثير من الفرق والجماعات صاحبة الأفكار العقائدية المختلفة، وتأثّر بعض الفرق الإسلامية ومفكّريها بجملة من تلك الآراء والتصوّرات، ساعد بشكل كبير فى إيجاد مدارس كلامية متعدّدة فى كيان المجتمع الإسلامى، ولمّا كان الشيعة أشد تمسّكاً بحديث الثقلين المشهور، فقد رجعوا إلى أئمّة أهل البيت فصاروا فرقة كلامية متشعّبة الأفنان، ضاربة جذورها فى الكتاب والسنّة والعقل.

وهكذا فلا مرية من القول بخطأ كلّ الافتراضات السابقة وعدم حجّيتها فى محاولة تثبيت كون التشيّع ظاهرة طارئة على الإسلام، وإنّما هو نفس الإسلام فى إطار ثبوت القيادة لعلىّ بعد رحلة النبىّ بتنصيصه، وتبنّاه منذ بعثة النبىّ الأكرم جملة من الصحابة والتابعين وامتدّ ذلك حسب الأجيال والقرون، بل وظهر بفضل التمسّك بالثقلين علماء مجاهدون، وشعراء مجاهرون، وعباقرة فى الحديث، والفقه، والتفسير، والفلسفة، والكلام، واللغة، والأدب، وشاركوا جميع المسلمين فى بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتّفقون مع جميع الفرق فى أكثر الأُصول والفروع وإن اختلفوا معهم فى بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر.

وسيوافيك تفصيل عقائدهم فى مبحث خاصّ بإذن اللَّه.

كما يظهر لك أيضاً وهن ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز الدورى من أنّ التشيّع باعتباره عقيدة روحية ظهر فى عصر النبىّ وباعتباره حزباً سياسياً قد حدث بعد قتل علىّ «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۱

الفصل الثانى

الأئمّة الاثنا عشر

الأئمّة الاثنا عشر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۲

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۳

الأئمة الاثناعشر

الأئمة الاثناعشر

اشارة

الأئمة الاثناعشر

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثنى عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثنى عشر إماماً من بنى هاشم نصّ عليهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، كما هو معلوم للجميع، ثمّ نصّ كلّ إمام على الإمام الذى بعده، بشكل يخلو من الشكّ والإبهام.

لقد تضافر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه يملك هذه الأمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بنى إسرائيل، وكما هو معلوم ومبسّط فى كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك. إنّ هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلّاعلى أئمّة الشيعة والعترة الطاهرة «وإذا كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته» «۱» فتلزم علينا معرفتهم، كيف وهم أحد الثقلين اللَّذَين تركهما الرسول صلى الله عليه و آله، قدوة للأُمّة ونوراً على جبين الدهر.

ونحن نحاول هنا أن نعرض فى هذا الفصل موجزاً عن أحوالهم وحياتهم متوخّين الاختصار والإيجاز فيما نورده، لأنّ بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۴

موسوعة كبيرة، وقد قام بذلك لفيف من علماء الإسلام فأثبتوا الشىء الكثير عن حياتهم وسيرتهم وأقوالهم، جزاهم اللَّه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الأئمّة الاثنا عشر فى حديث الرسول صلى الله عليه و آله

الأئمّة الاثنا عشر فى حديث الرسول صلى الله عليه و آله

إنّ من تصفّح مصنّفات الحديث النبوى الشريف يجد أنّ هناك روايات تحدِّد وتعيِّن عدد الأئمّة بعد الرسول وسماتهم، من دون ذكر لأسمائهم، وهى أحاديث الأئمّة الاثنى عشر التى رواها أصحاب الصحاح والمسانيد، وهى على وجه لا ينطبق إلّا على من عيّنهم الرسول صلى الله عليه و آله للخلافة والزعامة، ولذلك نذكرها فى عداد أدلّة التنصيص على الخلافة، والإمعان فيها يرشد القارئ إلى الحقّ، ويأخذ بيده حتّى يرسى مركبه على شاطئ الأمان والحقيقة.

ويطيب لى أن أذكر مجموع هذه النصوص؛ فإنّها تؤكّد بعضها بعضاً، وإليك البيان.

۱- روى البخارى عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: أنّه قال: «كلّهم من قريش» «۱».

۲- روى مسلم عنه أيضاً، قال: دخلت مع أبى على النبى صلى الله عليه و آله فسمعته يقول:

«إنّ هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة». قال: ثم تكلّم بكلام خفى علىّ، قال: فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش».

۳- وروى عنه أيضاً، قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلًا» ثمّ تكلّم النبى صلى الله عليه و آله بكلمة خفيت علىّ، فسألت أبى: ماذا قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فقال: قال: «كلّهم من قريش».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۵

۴- وروى عنه أيضاً نفس الحديث إلّاأنّه لم يذكر: «لا يزال أمر الناس ماضياً».

۵- وروى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبى: ما قال؟ فقال: قال:

«كلّهم من قريش» «۱».

۶- وروى مسلم عنه أيضاً، قال: انطلقت إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعى أبى فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة» فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبى: ما قال؟ فقال: قال: «كلّهم من قريش».

۷- وروى مسلم عنه أيضاً قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم جمعة عشية رجم الأسلمى يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى

تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» «۲».

۸- روى أبو داود عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيّة، قلت لأبى: يا أبتِ ما قال؟ فقال: قال: «كلّهم من قريش» «۳».

۹- روى الترمذى عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يكون من بعدى اثنا عشر أميراً» ثمّ تكلّم بشىء لم أفهمه فسألت الذى يلينى، فقال: قال:

«كلّهم من قريش».

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن جابر، ثمّ ذكر طريقاً آخر إلى جابر «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۶

۱۰- روى أحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول:

«يكون لهذه الأُمّة اثنا عشر خليفة» ورواه عن ۳۴ طريقاً «۱».

۱۱- روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين فى كتاب معرفة الصحابة عن عون بن جحيفة عن أبيه، قال: كنت مع عمّى عند النبى صلى الله عليه و آله فقال: «لا يزال أمر أُمّتى صالحاً حتّى يمضى اثنا عشر خليفة» ثمّ قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمّى- وكان أمامى-: ما قال يا عمّ؟ قال: يا بنى قال: «كلّهم من قريش» «۲».

۱۲- وروى أيضاً بسنده عن جرير عن المغيرة عن الشعبى عن جابر، قال:

كنت عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسمعته يقول: «لا يزال أمر هذه الأُمّة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر خليفة» وقال كلمة خفيت علىّ، وكان أبى أدنى إليه مجلساً منّى فقلت: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش».

۱۳- قال ابن حجر فى الصواعق: أخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش» «۳».

كما أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد شبَّه عدّة خلفائه بعدّة نقباء بنى إسرائيل.

۱۴- فقد روى أحمد بسنده عن مسروق، قال: كنّا جلوساً عند عبداللَّه بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول اللَّه كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال عبداللَّه بن مسعود: ما سألنى عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اثنا عشر كعدّة نقباء بنى إسرائيل» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۷

۱۵- ورواه الخطيب فى تاريخه بسنده عن جابر بن سمرة «۱».

۱۶- وأورده المتقى الهندى فى منتخب كنز العمّال عن أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير، والحاكم فى المستدرك «۲».

۱۷- قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء بسند حسن عن ابن مسعود: أنّه سئل كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اثنا عشر كعدّة نقباء بنى إسرائيل» «۳».

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على أنّ الأئمّة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله اثنا عشر، وقد جاء فيها سماتهم وصفاتهم وعددهم، غير أنّ المهمّ هو تعيين مصاديقها والإشارة إلى أعيانها وأشخاصها، ولا تعلم إلّاباستقصاء وحصر السمات الواردة فى هذه الأحاديث، وهذا ما يمكن إجماله بما يلى:

۱- لا يزال الإسلام عزيزاً.

۲- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً.

۳- لا يزال الدين قائماً.

۴- لا يزال أمر الأمّة صالحاً.

۵- لا يزال أمر هذه الأُمّة ظاهراً.

۶- كلّ ذلك حتّى يمضى فيهم اثنا عشر أميراً من قريش.

۷- وحتى يليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

۸- وإنّ عددهم كعدد نقباء بنى إسرائيل.

وهذه السمات والخصوصيات لا تتمثّل مجتمعة إلّافى الأئمة الاثنى عشر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۸

المعروفين عند الفريقين، وهذه الأحاديث من أنباء الغيب ومعجزات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، خصوصاً إذا ضُمّت إليها أحاديث الثقلين والسفينة وكون أهل بيت النبى أماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وسيوافيك تفصيل هذه الأحاديث الثلاثة.

فالأئمّة الاثنا عشر المعروفون بين المسلمين، والذين ينادى بإمامتهم الشيعة الإمامية، والذين أوّلهم على أمير المؤمنين وآخرهم المهدى تنطبق عليهم تلك العلائم، ومن وقف على حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية يقف على أنّهم هم المَثَل الأعلى فى الأخلاق، والقمّة السامقة فى العلم والعمل والتقوى والإحاطة بالقرآن والسنّة، وبهم حفظ اللّه تعالى دينه وأعزّ رسالته.

وأمّا ما ورد فى بعض هذه الطرق أنّ: «كلّهم تجتمع عليهم الأُمّة» فهو على فرض الصحّة، فالمراد منه تجتمع على الإقرار بإمامتهم جميعاً وقت ظهور آخرهم، و- على فرض الإبهام- لا تمنع عن الأخذ بمضامين الحديث.

هلمّ معى نقرأ ماذا يقول غير الشيعة فى حقّ هذه الأحاديث، وكيف يؤوّلونها بالخلفاء القائمين بالأمر بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وإليك نصوص كلامهم:

۱- إنّ قوله اثنا عشر إشارة إلى عدد خلفاء بنى أُميّة!! وأوّل بنى أُميّة يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار وعدّتهم اثنا عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير؛ لكونهم صحابة، ولا مروان بن الحكم لكونه صحابياً أو لأنّه كان متغلّباً بعد أن اجتمع الناس على عبداللّه بن الزبير، وليس على المدح بل على استقامة السلطنة، وهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية ثم عبدالملك ثمّ الوليد ثمّ سليمان ثمّ عمر ابن عبد العزيز ثمّ يزيد بن عبد الملك ثمّ هشام بن عبد الملك ثمّ الوليد بن يزيد ثمّ يزيد بن الوليد ثمّ إبراهيم بن الوليد ثمّ مروان بن محمد «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۹

وجوابه: أنّه لو كان الرسول أراد هذا ولم يكن فى مقام مدحهم فأىّ فائدة فى الإخبار بذلك. ثمّ كيف يقول: إنّها صدرت على غير سبيل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصريحة فى المدح مثل: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً قائماً»، أو «أمر أُمّتى صالحاً». والعجب أنّه جعل أوّل الخلفاء يزيد بن معاوية بحجّة أنّه استقامت له السلطنة، مع أنّه كيف استتبّت له السلطنة وقد ثار عليه العراق فى السنة الأُولى، وثار عليه أهل المدينة فى السنة الثانية، وكان مجموع أيّامه مؤلّفة من حروب دامية وقتل ونهب وتدمير لا يقرّ بها صاحب ذرّة من الشرف والإيمان.

۲- «إنّ المراد أنّه يملك اثنا عشر خليفة بهذه السمات بعد وفاة المهدى» «۱» وهذا من أغرب التفاسير؛ لأنّ الأخبار ظاهرة فى اتصال خلافتهم بعصر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ولأجل تبادر ذلك فى أذهان الناس سألوا عبداللّه بن مسعود عن عدد من يملك أمر هذه الأُمّة.

۳- ما نقله ابن حجر فى فتح البارى عن القاضى عياض: أنّ المراد بهم الخلفاء الذين اجتمع عليهم الناس، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، ويزيد، وعبد الملك، وأولاده الأربعة، الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وعمر بن عبد العزيز بن سليمان

ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك «۲».

ولا- يكاد ينقضى تعجّبى من القاضى عياض وابن حجر كيف يعرّفان هؤلاء بمن عزّ بهم الإسلام والدين وصار منيعاً وفيهم يزيد بن معاوية ذلك السكير المستهتر الذى كان يشرب الخمر ويدع الصلاة، ولم يكتف بذلك بل ضرب الكعبة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۰

بالمنجنيق، وأباح المدينة ثلاثة أيّام بأعراضها وأموالها وأنفسها بعد قتله لابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الحسين بن على عليه السلام وأُخوانه وأبنائه وخيرة أصحابه، وسيَّر بنات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سبايا دون حرمة لجدّهم إلى الشام من أرض كربلاء، فليت شعرى ما هو ميزان القوم فى تفسيرهم للسنّة النبوية وتعاملهم معها؟ وكلّ الحقائق تكذب ما ذهبوا إليه وما صرّحوا به.

وهل اعتزّ الإسلام بعبد الملك الذى يكفى فى ذكر مساوئه تنصيبه الحجّاج على العراق فقتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفى «۱»؟!

وكيف اعتزّ الدين بالوليد بن يزيد بن عبد الملك المنتهك لحرمات اللَّه حاول أن يشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ففتح المصحف فإذا بالآية الكريمة: واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ «۲»

فألقاه ورماه بالسهام وأنشد:

تهدّدنى بجبّار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل ياربّ مزّقنى الوليد ومن أراد أن يقف على جنايات الرجل وأقربائه وأجداده فليقرأ التاريخ الذى اسودّت صفحاته بأفعالهم الشنيعة التى لا يسترها شىء ولا يغفل عنها إلّاالسذج والبلهاء.

أقول: إنّ للكاتب القدير السيّد محمد تقى الحكيم كلاماً فى هذه الأحاديث يطيب لى نقله. قال: والذى يستفاد من هذه الروايات:

۱- أنّ عدد الأُمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثنى عشر وكلّهم من قريش.

۲- أنّ هؤلاء الأُمراء معيّنون بالنص، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۱

بنى إسرائيل، لقوله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً «۱».

۳- أنّ هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقى الدين الإسلامى أو حتى تقوم الساعة كما هو مقتضى رواية مسلم: «إنّ هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة» وأصرح من ذلك روايته الأُخرى فى نفس الباب: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان».

إذا صحّت هذه الاستفادة فهى لا تلتئم إلّامع مبنى الإمامية فى عدد الأئمّة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله صلى الله عليه و آله وهى منسجمة جدّاً مع حديث الثقلين وبقاؤهما حتّى يردا عليه الحوض.

وصحّة هذه الاستفادة موقوفة على أن يكون المراد من بقاء الأمر فيهم بقاء الإمامة والخلافة بالاستحقاق لا بالسلطة الظاهرية؛ لأنّ الخليفة الشرعى خليفة يستمدّ سلطته من اللَّه، وهى فى حدود السلطة التشريعية لا التكوينية؛ لأنّ هذا النوع من السلطة هو الذى تقتضيه وظيفته باعتباره مشرّعاً، ولا- ينافى ذلك ذهاب السلطة منهم فى واقعها الخارجى وتسلّط الآخرين عليهم، على أنّ الروايات تبقى بلا تفسير لو تخلّينا عن حملها على هذا المعنى، لبداهة أنّ السلطة الظاهرية قد تولّاها من قريش أضعاف أضعاف هذا العدد، فضلًا عن انقراض دولهم وعدم النص على أحد منهم- أُمويين وعباسيين- باتّفاق المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الروايات كانت مأثورة فى بعض الصحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمّة، فلا تحتمل أن تكون من الموضوعات بعد اكتمال العدد المذكور، على أنّ جميع رواتها من أهل السنّة ومن الموثوقين لديهم، ولعلّ حيرة كثير من العلماء فى توجيه هذه الأحاديث، ومحاولة ملائمتها للواقع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۲

التاريخى كان منشؤها عدم تمكّنهم من تكذيبها، ومن هنا تضاربت الأقوال فى توجيهها وبيان المراد منها.

والسيوطى- بعد أن أورد ما قاله العلماء فى هذه الأحاديث المشكلة- خرج برأى غريب وهو أنّه وجد من الاثنى عشر الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز فى بنى أُمية، وكذلك الظاهر لما أُوتيه من العدل، وبقى اثنان منتظران، أحدهما المهدى؛ لأنّه من أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله. ولم يُبيّن المنتظر الثانى، ورحم اللّه من قال فى السيوطى: إنّه حاطب ليل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۳

الإمام الأوّل: أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

الإمام الأوّل: أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

اشارة

الإمام الأوّل: أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

إنّ الإمام على بن أبى طالب أشهر من أن يعرَّف، ولقد قام لفيف من السنّة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات عن حياته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه، وخطبه، وقصار كلماته، وسياسته، وحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فالأولى لنا الاكتفاء بالميسور فى هذا المجال، وإحالة القارئ إلى تلك الموسوعات، بيد أنّنا نكتفى هنا بذكر أوصافه الواردة فى السنّة فنقول:

هو أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد اللّه، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر اللّه، وأعلمهم بالقضية، ورايهٔ الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس فى ذات اللّه، خليفة النبىّ صلى الله عليه و آله، الهاشمى، وليد الكعبة المشرّفة، ومُطهّرها من كل صنم ووثن، الشهيد فى البيت الإلهى (مسجد الكوفة) فى محرابه حال الصلاة سنة ۴۰ ه.

وكلّ جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، كلمة قدسيّة نبويّة أخرجها الحفّاظ من أهل السنّة «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۴

مكوّنات الشخصيّة الإنسانية

مكوّنات الشخصيّة الإنسانية

تعود شخصية كلّ إنسان- حسب مايرى علماء النفس- إلى ثلاثة عوامل هامّة لكلّ منها نصيب وافر فى تكوين الشخصية وأثر عميق فى بناء كيانها.

وكأنّ الشخصية الإنسانية لدى كل إنسان أشبه بمثلث يتألّف من اتّصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هى:

۱- الوراثة.

۲- التعليم والثقافة.

۳- البيئة والمحيط.

إنّ كلّ ما يتّصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الإنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق.

وإنّ الأبناء لا يرثون منّا المال والثروة والأوصاف الظاهرية فقط كملامح الوجه ولون العيون وكيفيات الجسم، بل يرثون كلّ ما يتمتّع به الآباء من خصائص روحية وصفات أخلاقية عن طريق الوراثة كذلك.

فالأبوان- بانفصال جزئى «الحويمن» و «البويضة» المكوّنين للطفل منهما- إنّما ينقلان- فى الحقيقة- صفاتهما ملخّصة إلى الخلية الأُولى المكوّنة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التى تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.

ويشكّل تأثير الثقافة والمحيط، الضلعين الآخرين فى مثلث الشخصية الإنسانية، فإنّ لهذين الأمرين أثراً مهمّاً وعميقاً فى تنمية السجايا الرفيعة المودعة فى باطن كل إنسان بصورة فطرية جبليّة أو الموجودة فى كيانه بسبب الوراثة من الأبوين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۵

فإنّ فى مقدور كل معلّم أن يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقى إليه من تعليمات وتوصيات وما يعطيه من سيرة وسلوك ومن آراء وأفكار، فكم من بيئة حوّلت أفراداً صالحين إلى فاسدين، أو فاسدين إلى صالحين.

وإنّ تأثير هذين العاملين المهمّين من الوضوح بحيث لايحتاج إلى المزيد من البيان والتوضيح. على أنّنا يجب أن لاننسى دور إرادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

مكوّنات شخصيّة الإمام على عليه السلام

اشارة

مكوّنات شخصيّة الإمام على عليه السلام

لم يكن الإمام على عليه السلام بصفته بشراً بمستثنى من هذه القاعدة؛ فقد ورث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانباً كبيراً من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك تفصيل ذلك:

۱- الإمام على عليه السلام والوراثة من الأبوين:

۱- الإمام على عليه السلام والوراثة من الأبوين:

لقد انحدر الإمام على من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصيّة هو أبوطالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بنى هاشم، وهو إلى جانب ذلك، كان معروفاً بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية فى سبيل الهدف المقدّس، والعقيدة التوحيديّة المباركة.

فهو الذى تكفّل رسول اللَّه منذ توفّى جدّه وكفيله الأوّل عبدالمطلب وهو آنذاك فى الثامنة من عمره، وتولّى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته فى السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لانظير لهما، بل وبقى يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذى جاء به النبى الكريم صلى الله عليه و آله ويقوم فى سبيل إرساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، و يتحمّل لتحقيق هذه الأهداف العليا كلّ تعب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۶

ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا فى كثير من أشعاره وأبياته المجموعة فى ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً نبىّ كموسى والمسيح ابن مريم وقوله:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولًا كموسى خُطّ فى أوّل الكتب «۱» إنّ من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التى كان أبرزها محاصرة بنى هاشم جميعاً فى الشعب، ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذى كان يتّصف به أبوطالب؛ إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجِد فى الإنسان مثل هذه الروح التضحويّة.

إنّ الدلائل على إيمان أبى طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كلّ المحقّقين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصّبين توقّف فى إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحدّ إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنّه مات غير مؤمن.

ولو صحّت عُشر هذه الدلائل الدالّة على إيمان أبى طالب الثابتة فى كتب التاريخ والحديث فى حقّ رجل آخر لما شكّ أحد فى إيمانه فضلًا عن إسلامه، ولكن لايعلم الإنسان لماذا لاتسطيع كل هذه الأدلّة إقناع هذه الزمرة، و إنارة الحقيقة لهم؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۷

هذا عن والد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا أُمّه فهى فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التى لجأت- عند المخاض- إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

«يا ربّ إنّى مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّى مصدّقة بكلام جدّى إبراهيم وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذى بنى هذا البيت و (بحقّ) المولود الذى فى بطنى إلّا ما يسّرت علىّ ولادتى». فدخلت فاطمة بنت أسد الكعبة ووضعت عليّاً هناك «۱».

تلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرّخين والمحدّثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب فى مصنّفاتهم، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بها فى كتبهم، واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل «۲».

وقال الحاكم النيسابورى: وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرّم اللَّه وجهه فى جوف الكعبة «۳».

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسى: «وكون الأمير كرّم اللَّه وجهه، ولد فى البيت، أمر مشهور فى الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرّم اللَّه وجهه، كما اشتهر وضعه» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۸

۲- الامام علىّ وتربيته فى حجر النبىّ صلى الله عليه و آله:

اشارة

۲- الامام علىّ وتربيته فى حجر النبىّ صلى الله عليه و آله:

وأمّا التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقّاها على عليه السلام فى حجر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهى الضلع الثانى من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولو أنّنا قسّمنا مجموعة سنوات عمر الإمام عليه السلام إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأوّل من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يؤلّف السنوات التى قضاها عليه السلام قبل بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

وانّ هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات؛ لأنّ اللّحظة التى ولد فيها علىّ عليه السلام لم يكن النبىّ صلى الله عليه و آله قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه صلى الله عليه و آله قد بعث بالرسالة فى سنّ الأربعين.

وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام علىّ عليه السلام قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالرسالة، وتوّج بالنبوّة.

إنّ أبرز الحوادث فى حياة الإمام علىّ عليه السلام هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقّق الضلع الثانى من المثلّث الذى أسلفناه بواسطة النبىّ الأكرم، وفى ظلّ ما أعطاه صلى الله عليه و آله لعلىّ عليه السلام من أخلاق وأفكار؛ لأنّ هذا القسم فى حياة كل إنسان وهذه الفترة من عمره هى من اللحظات الخطيرة، والقيّمة جدّاً، فشخصيّة الطفل فى هذه الفترة تشبه صفحة بيضاء نقيّة تقبل كلّ لون، وهى مستعدّة لأن ينطبع عليها كلّ صورة مهما كانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر- بالتالى- خير فرصة لأن ينمّى المربّون والمعلّمون فيها كلّما أودعت يد الخالق فى كيان الطفل من سجايا طيّبة وصفات كريمة، وفضائل أخلاقية نبيلة، ويوقفوا الطفل- عن طريق التربية- على القيم الأخلاقية والقواعد الإنسانية وطريقة الحياة السعيدة، وتحقيقاً لهذا الهدف السامىّ تولّى النبى الكريم صلى الله عليه و آله بنفسه تربية علىّ عليه السلام بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها علىّ عليه السلام إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلقيت من رسول اللَّه حبّاً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۹

شديداً لعلىّ حتّى أنّه قال لها: «اجعلى مهده بقرب فراشى» وكان صلى الله عليه و آله يطهّر علياً فى وقت غسله، ويوجره اللّبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه فى يقظته، ويلاحظه ويقول: «هذا أخى، ووليّى، وناصرى، وصفيّى، وذخرى، وكهفى، وصهرى، ووصيّى، و زوج كريمتى، وأمينى على وصيّتى، وخليفتى» «۱».

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هى أن يتمّ توفير الضلع الثانى فى مثلّث الشخصية (وهو التربية) بواسطته صلى الله عليه و آله، وأن لا يكون لأحد غير النبىّ صلى الله عليه و آله دخل فى تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

وقد ذكر الإمام علىّ عليه السلام ما أسداه الرسول الكريم إليه وما قام به تجاهه فى تلكم الفترة إذ قال:

«وقد علمتم موضعى من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخَصيصة، وضعنى فى حجره وأنا وليد، يضمّنى إلى صدره، ويَكنُفنى فى فراشه، ويمسّنى جسدَه، ويُشمّنى عَرْفَه، وكان يمضغ الشىء ثمّ يُلقمنيه» «۲».

النبى يأخذ عليّاً إلى بيته:

النبى يأخذ عليّاً إلى بيته:

وإذ كان اللَّه تعالى يريد لولى دينه أن ينشأ نشأة صالحة وأن يأخذ النبى عليّاً إلى بيته وأن يقع منذ نعومة أظفاره تحت تربية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ألفت نظر نبيّه إلى ذلك.

قد ذكر المؤرّخون أنّه أصابت مكّة- ذات سنة- أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبوطالب- رضى اللَّه عنه- ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشاً من العدم والضائقة والجهد والفاقة، فعند ذلك دعا رسول اللَّه عمّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۰

العباس إلى أن يتكفّل كل واحد منهما واحداً من أبناء أبى طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك؛ أخذ النبى علياً، وأخذ العباس جعفراً وتكفّل أمره، وتولّى شؤونه «۱».

هكذا وللمرّة الأُخرى أصبح علىّ عليه السلام فى حوزة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بصورة كاملة، واستطاع بهذه المرافقة الكاملة أن يقتطف من ثمار أخلاقه العالية وسجاياه النبيلة، الشىء الكثير، وأن يصل تحت رعاية النبى وعنايته وبتوجيهه وقيادته، إلى أعلى ذروة من ذرى الكمال الروحى.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى تلك الأيام القيّمة وإلى تلك الرعاية النبويّة المباركة المستمرّة إذ يقول:

«ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لى كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرنى بالاقتداء به» «۲».

علىّ فى غار حراء

علىّ فى غار حراء

كان النبىّ- حتّى قبل أن يبعث بالرسالة والنبوّة- يعتكف ويتعبّد فى غار حراء شهراً من كلّ سنة، فإذا انقضى الشهر وقضى جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجّه إلى المسجد الحرام رأساً وطاف بالبيت سبعاً، ثم عاد إلى منزله. وهنا يطرح سؤال: ماذا كان شأن علىّ عليه السلام فى تلك الأيام التى كان يتعبّد ويعتكف فيها رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ذلك المكان مع ما عرفناه من حبّ الرسول الأكرم له؟ هل كان يأخذ صلى الله عليه و آله عليّاً معه إلى ذلك المكان العجيب أم كان يتركه ويفارقه؟

إنّ القرائن الكثيرة تدلّ على أنّ النبى صلى الله عليه و آله منذ أن أخذ علياً لم يفارقه يوماً أبداً؛

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۱

فهاهم المؤرّخون يقولون: كان علىّ يرافق النبىّ دائماً ولا يفارقه أبداً، حتّى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان إذا خرج إلى الصحراء أو الجبل أخذ عليّاً معه «۱».

يقول ابن أبى الحديد: وقد ذكر علىّ عليه السلام هذا الأمر فى الخطبة القاصعة إذ قال:

«ولقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء، فأراه ولايراه غيرى» «۲».

إنّ هذه العبارة وإن كانت محتملة فى مرافقته للنبىّ فى حرّاء بعد البعثة الشريفة إلّا أنّ القرائن السابقة وكون مجاورة النبىّ بحراء كانت فى الأغلب قبل البعثة، تؤيّد أنّ هذه الجملة، يمكن أن تكون إشارة إلى صحبة علىّ للنبىّ فى حراء قبل البعثة.

إنّ طهارة النفسيّة العلوية، ونقاوة الروح التى كان علىّ عليه السلام يتحلّى بها، والتربية المستمرّة التى كان يحظى بها فى حجر رسول اللّه صلى الله عليه و آله، كل ذلك كان سبباً فى أن يتّصف علىّ عليه السلام- ومنذ نعومة أظفاره- ببصيرة نفّاذة وقلب مستنير، وأُذن سميعة واعية تمكّنه من أن يرى أشياءَ ويسمع أمواجاً تخفى على الناس العاديين، و يتعذّر عليهم سماعها ورؤيتها، كما يصرّح نفسه بذلك إذ يقول:

«أرى نور الوحى والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة» «۳».

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«كان علىّ عليه السلام يرى مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت».

وقد قال له النبىّ صلى الله عليه و آله: لولا أنّى خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً فى النبوّة، فإن لا تكن نبيّاً فإنّك وصىّ نبىّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء» «۴».

ويقول الإمام علىّ عليه السلام: «لقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى الله عليه و آله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۲

فقلت: يا رسول اللّه ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، ثمّ قال له:

«إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّاأنّك لست بنبىّ ولكنّك وزير» «۱».

هذا هو الرافد الثانى الذى كان يرفد الشخصية العلوية بالأخلاق والسجايا الرفيعة.

۳- البيئة الرسالية وشخصية الإمام:

اشارة

۳- البيئة الرسالية وشخصية الإمام:

ولو أضفنا ذينك الأمرين (أى ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقّاه فى حجر النبىّ) إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثّر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

ومن هنا يحظى الإمام علىّ عليه السلام بمكانة مرموقة لدى الجميع؛ مسلمين وغير مسلمين؛ لما كان يتمتّع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصّة يتميّز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب إلى أن يصف عليّاً بما لم يوصف به أحد من البشر، ويخصّه بنعوت، حرم منها غيره، فهذا الدكتور شبلى شميل المتوفّى سنة ۱۳۳۵ ه/ ۱۹۱۷ م وهو من كبار المادّيين فى القرن الحاضر يقول:

الإمام علىّ بن أبى طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديماً ولاحديثاً «۲».

قال عمر بن الخطّاب:

«عقمت النساء أن يلدن مثل علىّ بن أبى طالب» «۳».

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحى اللبنانى المعروف:

«وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت فى كلّ زمن عليّاً بعقله وقلبه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۳

ولسانه وذى فقاره» «۱».

هذه الأبعاد التى ألمحنا إليها هى الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

البعد المعنوى لشخصيّة الإمام عليه السلام:

البعد المعنوى لشخصيّة الإمام عليه السلام:

غير أنّ أبعاد شخصية الإمام علىّ عليه السلام لاتنحصر فى هذه الأبعاد الثلاثة؛ فإنّ لأولياء اللّه سبحانه بعداً رابعاً، داخلًا فى هويّة ذاتهم، وحقيقة شخصيتهم، وهذا البعد هوالذى ميّزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقاً خاصّاً ولمعاناً عظيماً.

وهذا البعد هو البعد المعنوى الذى ميّز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بين الناس؛ وهو كونهم رسل اللّه وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

نرى أنّه سبحانه يأمر رسوله أن يصف نفسه بقوله: «قُلْ سُبْحان ربِّى هَلْ كُنْتُ إلّابَشَراً رَسُولًا» «۲».

فقوله: «بَشَراً» إشارة إلى الأبعاد البشرية الموجودة فى كلّ إنسان طبيعىّ، وإن كانوا يختلفون فيها فيما بينهم كمالًا ولمعاناً.

وقوله: «رَسُولًا» إشارة إلى ذلك البعد المعنوى الذى ميّزه صلى الله عليه و آله عن الناس وجعله معلّماً وقدوة للبشر، فلأجل ذلك يقف المرء فى تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركّبة من بعدين: طبيعى و إلهى ولا يقدر على توصيفها إلّابنفس ما وصفهم به اللّه سبحانه مثل قوله فى شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۴

التَّوْراةِ وَالإنْجِيلِ يَأمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيّباتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ وَ الأغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ «۱»

وقد نزلت فى حقّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام آيات، ووردت روايات.

كيف وقد قال رسو ل اللَّه صلى الله عليه و آله:

«عنوان صحيفة المؤمن حبّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام» «۲».

وقال صلى الله عليه و آله:

«من سرّه أن يحيا حياتى ويموت مماتى، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّى فليوال عليّاً بعدى، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدى؛ فإنّهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم اللَّه شفاعتى» «۳».

وقال الإمام أحمد بن حنبل:

ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلىّ رضى الله عنه «۴».

وقال الإمام الفخر الرازى:

من اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى فى دينه ونفسه «۵».

وقال أيضاً:

من اقتدى فى دينه بعلىّ بن أبى طالب فقد اهتدى لقول النبىّ صلى الله عليه و آله: اللّهمّ أدر الحقّ مع علىّ حيث دار «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۵

تسليط الضوء على شخصيته السامية:

تسليط الضوء على شخصيته السامية:

لاعتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصيّة كريمة معنويّة خصّها اللَّه تعالى بمواهب وفضائل، وكفى فى ذلك ما رواه طارق بن شهاب، قال: كنت عند عبداللَّه ابن عباس فجاء أُناس من أبناء المهاجرين فقالوا له: يا بن عباس أىّ رجل كان علىّ بن أبى طالب؟

قال: ملئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة وقرابة من رسول اللَّه «۱».

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل فى القرآن: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إلّا وعلىّ عليه السلام رأسها وأميرها، ولقد عاتب اللَّه أصحاب محمّد فى غير مكان، وما ذكر عليّاً إلّابخير «۲».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما نزل فى أحد من كتاب اللَّه ما نزل فى علىّ «۳».

وقال ابن عباس: نزلت فى علىّ أكثر من ثلاثمائة آية فى مدحه «۴».

نكتفى فى ترجمة علىّ عليه السلام بكلمتين عن تلميذيه اللّذين كانا معه سرّاً وجهراً.

۱- قال ابن عباس- عندما سئل عن علىّ-: رحمة اللَّه على أبى الحسن، كان واللَّه علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، ومحلّ الحجى، وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر فى الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى، ومستمسكاً بالعروة الوثقى، أتقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجته خير النساء، فما يفوقه أحد،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۶

لم تر عيناى مثله، ولم أسمع بمثله، فعلى من أبغضه لعنة اللَّه ولعنة العباد إلى يوم التناد «۱».

۲- إنّ معاوية سأل ضرار بن حمزة بعد موت علىّ عنه، فقال: صف لى عليّاً، فقال: أو تعفينى؟ قال: صفه، قال: أو تعفينى؟ قال: لا أعفيك، قال: أمّا إذ لابدّ فأقول ما أعلمه منه:

واللَّه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من

الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان واللّه غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان واللّه كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن واللّه مع تقريبه لنا وقربه منّا لانكلّمه هيبة، ولانبتدئه عظمة، إن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد باللّه لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين، وكأنّى أسمعه وهو يقول: يا دنيا أبى تعرّضت؟ أم إلىّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّى غيرى، قد باينتك ثلاثاً لارجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمّه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم اللّه أباالحسن! كان واللّه كذلك، فكيف حزنك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۷

عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها؛ فلا ترقأ عبرتها ولايسكن حزنها «۱».

هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التى حفظها التاريخ من تلاعب الأيدى.

غير أنّه لا يعرف عليّاً غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى صلى الله عليه و آله.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۸

تنصيب على عليه السلام للإمامة

اشارة

تنصيب على عليه السلام للإمامة

لا شكّ فى أنّ الدين الإسلامى دين عالمىّ، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأُمّة الإسلامية من شؤون النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضى أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأُمّة وأكملهم.

إنّ فى هذه المسألة؛ وهى أنّ منصب القيادة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله هل هو منصب تنصيصىّ تعيينىّ أو أنّه منصب انتخابىّ؟ اتّجاهين:

فالشيعة ترى أنّ مقام القيادة منصب تنصيصىّ، ولابدّ أن يُنصّ على خليفة النبىّ من السماء، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابىّ جمهورىّ؛ أى أنّ على الأُمّة أن تقوم بعد النبىّ باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إنّ لكل من الاتّجاهين المذكورين دلائل، ذكرها أصحابهما فى الكتب العقائدية، إلّاأنّ ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة فى ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة فى عصر الرسالة؛ فإنّ هذه الدراسة كفيلة بإثبات صحّة أحد الاتّجاهين.

إنّ تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها فى عصر الرسالة يقضى بأنّ خليفة النبىّ صلى الله عليه و آله لابدّ أن يعيَّن من جانب اللّه تعالى، ولا يصحّ أن يوكل هذا إلى الأُمّة؛ فإنّ المجتمع الإسلامى كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثى (الروم- الفرس- المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالح الأُمّة كانت توجب أن تتوحّد صفوف المسلمين فى مواجهة الخطر الخارجى، وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدو فى جسم الأُمّة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۲۹

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانيّة أحد أضلاع الخطر المثلّث الذى يحيط بالكيان الإسلامى، ويهدّده من الخارج والداخل، وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز فى شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبى القائد على الدوام، حتّى إنّ التفكير فى أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتّى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحى الرومى وقعت فى السنة الثامنة من الهجرة فى أرض فلسطين، وقد أدّت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم: «جعفر الطيار» و «زيد بن حارثة» و «عبد اللَّه بن رواحة»، ولقد تسبّب انسحاب الجيش الإسلامى بعد استشهاد القادة المذكورين إلى تزايد جرأة الجيش القيصرى المسيحى، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جدّاً إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش فى هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة، ويجدّد حياته السياسية.

غير أنّ هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأعدّ قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين، وأمّر عليهم «أُسامة بن زيد»، وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام، والحضور فى تلك الجبهة.

أمّا الضلع الثانى من المثلث الخطير الذى كان يهدّد الكيان الإسلامى، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعاداتها لدعوته، أن أقدم إمبراطور إيران «خسرو برويز» على

تمزيق رسالة النبى صلى الله عليه و آله، وتوجيه الإهانة إلى سفيره بإخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعامله على اليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، أو يقتله إن امتنع.

و «خسرو» هذا وإن قتل فى زمن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّاأنّ استقلال اليمن- التى رزخت تحت استعمار الامبراطورية الإيرانية ردحاً طويلًا من الزمان- لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذى كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الإسلامى من الداخل إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى طريق العودة من تبوك إلى المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول فى نفسه: إنّ الحركة الإسلامية سينتهى أمرها بموت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورحيله، وبذلك يستريح الجميع «۱».

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأُمّة الإسلامية من الداخل، وذلك عندما أتى علياً عليه السلام وعرض عليه أن يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الأُمّة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد فى الماء العكر.

ولكنّ الإمام علياً عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نيّات أبى سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونيّاته الشريرة:

«واللَّه ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنّك- واللَّه- طالما بغيت للإسلام شرّاً.

لا حاجة لنا فى نصيحتك» «۲».

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبى من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم فى سور عديدة هى: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد صلى الله عليه و آله، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقون، والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الخطرين والأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول اللّه أُمّته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعيّن لهم قائداً دينياً سياسياً؟!!

إنّ المحاسبات الاجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأُمّة،... من ظهور أىّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بإيجاد حصن قوىّ وسياج دفاعى متين حول تلك الأُمّة.

إنّ تحصين الأُمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كلّ فريق «الزعامة» لنفسه دون غيره، وبالتالى التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقّق، إلّابتعيين قائد للأُمّة، وعدم ترك الأُمور للأقدار.

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحّة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله» ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أُخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة فى الأيام الأُولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح فى بدء دعوته، وفى نهايتها أيضاً.

وإليك بيان كلا هذين المقامين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۲

۱- النبوّة والإمامة توأمان

۱- النبوّة والإمامة توأمان:

بغضّ النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التى تثبت صحّة الرأى الأوّل بصورة قطعيّة، هناك أخبار وروايات وردت فى المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأى الذى ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبىّ صلى الله عليه و آله على خليفته من بعده فى الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبى والرأى العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينصّ على) خليفته ووصيّه من بعده فى أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه منذ بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعدُ سوى بضعة عشر من الأشخاص، وذلك يوم أُمر من جانب اللّه العلىّ القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلهى الأليم، وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع برسالته للجميع، ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلًا من زعماء بنى هاشم وبنى المطلّب، ثمّ وقف فيهم خطيباً فقال:

«أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم؟»

فأحجم القوم، وقام علىّ عليه السلام وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله برقبته، والتفت إلى الحاضرين، وقال:

«إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم» «۱».

وقد عرف هذا الحديث عند المفسّرين والمحدّثين: ب «حديث يوم الدار» و «حديث بدء الدعوة».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۳

على أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لم يكتف بالنصّ على خليفته فى بدء رسالته، بل صرّح فى مناسبات شتّى فى السفر والحضر، بخلافة علىّ عليه السلام من بعده، ولكن لا يبلغ شىء من ذلك فى الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

۲- قصة الغدير

۲- قصة الغدير:

لمّا انتهت مراسم الحجّ، وتعلّم المسلمون مناسك الحجّ من رسول اللَّه، قرّر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الرحيل عن مكّة، والعودة إلى المدينة، فأصدر أمراً بذلك، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» «۱» التى تبعد عن «الجحفة» «۲» بثلاثة أميال، نزل أمين الوحى جبرئيل على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمنطقة تدعى «غدير خم»، وخاطبه بالآية التالية:

يأَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْك مِنْ رَبّك وإِنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتهُ وَاللَّه يَعْصِمُك مِنَ النّاسِ «۳».

إنّ لسان الآية وظاهرها يكشف عن أنّ اللَّه تعالى ألقى على عاتق النبىّ صلى الله عليه و آله مسؤولية القيام بمهمّة خطيرة، وأىّ أمر أكثر خطورة من أن ينصّب علياً عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد؟!

من هنا أصدر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمره بالتوقّف، فتوقّف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارّاً إلى درجة كبيرة جّداً، وكان الشخص يضع قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصنع للنبىّ صلى الله عليه و آله مظلّة، وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۴

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد صلى الله عليه و آله على منبر أُعدّ من أحداج الإبل وأقتابها، وخطب فى الناس رافعاً صوته، وهو يقول:

«الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا هو، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ أيّها الناس إنّى أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّى مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك اللَّه خيراً.

قال صلى الله عليه و آله: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّااللَّه، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ اللَّه يبعث من فى القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه و آله: «اللّهمّ اشهد».

ثمّ قال صلى الله عليه و آله: «وإنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

فنادى منادٍ: بأبى أنت وأُمّى يا رسول اللَّه، وما الثقلان؟

قال صلى الله عليه و آله: «كتاب اللَّه سبب طرف بيد اللَّه، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به؛ والآخر عترتى، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

وهنا أخذ بيد علىّ عليه السلام ورفعها، حتى رؤى بياض آباطهما، وعرفه الناس أجمعون ثمّ قال:

«أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: اللَّه ورسوله أعلم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۵

فقال صلى الله عليه و آله:

«إنّ اللَّه مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه «۱».

اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبّه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار» «۲».

فلمّا نزل من المنبر، استجازه حسّان بن ثابت شاعر عهد الرسالة فى أن يفرغ ما نزل به الوحى فى قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام

وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم ووليّكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا ولم ترَ منّا فى الولايهٔ عاصيا

فقال له قم يا علىّ فإنّنى رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدقٍ وموالیا

هناك دعا: اللّهمّ! وال وليّه وكن للذى عادى عليّاً معاديا

مصادر الواقعهٔ

مصادر الواقعهٔ:

هـذه هى واقعـهٔ الغدير استعرضـناها لك على وجه الإجمال، وهى بحقّ واقعهٔ لا يسوغ لأحد إنكارها بأدنى مراتب التشـكيك والقدح، فقـد تناولهـا بالـذكر أئمّـهٔ المؤرّخين أمثال: البلاذرى، وابن قتيبـهٔ، والطبرى، والخطيب البغـدادى، وابن عبـدالبرّ، وابن عساكر، وياقوت الحموى، وابن الأثير، وابن أبى الحديد، وابن خلّكان، واليافعى، وابن كثير، وابن خلدون، والذهبى، وابن حجر

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۱۳۶

العسـقلانى، وابن الصبـاغ المالكى، والمقريزى، وجلال الدين السيوطى، ونور الدين الحلبى إلى غير ذلك من المؤرّخين الذين جادت بهم القرون والأجيال.

كمـا ذكره أيضـاً أئمّـهٔ الحـديث أمثـال: الإمـام الشـافعى، وأحمـد بن حنبـل، وابن ماجـهٔ، والترمـذى، والنسـائى، وأبو يعلى الموصـلى، والبغـوى، والطحّـاوى، والحـاكم النيسـابورى، وابن المغـازلى، والخطيب الخـوارزمى، والكنجى، ومحبّ الـدين الطـبرى، والحمـوينى، والهيثمى، والجزرى، والقسـطلانى، والمتقى الهنـدى، وتاج الدين المناوى، وأبو عبداللّه الزرقانى، وابن حمزهٔ الدمشـقى إلى غير ذلك من أعلام المحدّثين الذين يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعرّض له كبار المفسـرين، فقد ذكره: الطبرى، والثعلبى، والواحدى- فى أسـباب النزول، والقرطبى، وأبو السـعود، والفخر الرازى، وابن كثير الشامى، والنيسابورى، وجلال الدين السيوطى، والآلوسى، والبغدادى.

وذكره من المتكلّمين طائفهٔ جمّهٔ فى خاتمهٔ مباحث الإمامهٔ وإن ناقشوا نقضاً وإبراماً فى دلالته كالقاضى أبى بكر الباقلانى فى تمهيده، والقاضـى عبـد الرحمـن الإيـجى فى مـواقفه، والسـيد الشـريف الجرجـانى فى شـرحه، وشـمس الـدين الأصـفهانى فى مطـالع الأنـوار، والتفتازانى فى شـرح المقاصد، والقوشـجى فى شـرح التجريد إلى غير ذلك من المتكلّمين الذين تعرّضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالته ووجه الحجّهٔ فيه.

واقعهٔ الغدير ورمز الخلود

واقعهٔ الغدير ورمز الخلود:

أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الأجيال لم يُكدّر صـفاء حقيقته الناصعهٔ تطاول الأحقاب، وكرّ الأزمان، وانصرام الأعوام، ويرجع ذلك إلى أُمور ثلاثهٔ:

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۱۳۷

۱- إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قد هتف به فى مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف عند منصرفه من الحجّ الأكبر، فنهض بالدعوة والإعلان، وحوله جموع من وجوه الصحابة وأعيان الأُمّة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تمّ إبلاغه.

۲- إنّ اللّه سبحانه قد أنزل فى تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ- «يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْك مِنْ رَبّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ» «۱».

وقد ذكر نزولها فى واقعة الغدير طائفة من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلّامة البحّاثة المحقّق الأمينى فى كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فمن أراد الاطلاع عليها، فليرجع إليه.

ب- «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً» «۲».

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستّة عشر.

ج- «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ* مِنَ اللَّه ذِى المَعارِجِ» «۳».

وقد ذكر أيضاً نزول هذه الآية جماعة من المفسّرين ينوف على الثلاثين، أضف إلى ذلك أنّ الشيعة عن بكرة أبيهم متّفقون على نزول هذه الآيات الثلاث فى شأن هذه الواقعة «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۸

۳- إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحى، تسابقت الشعراء والأُدباء على نظمه، وإنشاده فى أبيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النصّ فى تلك المناسبة إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكّن البحّاثة المتضلّع العلّامة الأمينى من استقصاء وجمع كلّ ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمّل والمنتظر من كافّة المحقّقين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض هممهم لجمع ما نظم وأُنشد فى أدبهم الخاص.

وحصيلة الكلام: قلّما نجد حادثة تاريخية حظيت فى العالم البشرى عامّة، وفى التاريخ الإسلامى والأُمّة الإسلامية خاصّة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، وقلّما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثين والمفسّرين والكلاميّين والفلاسفة والأُدباء والكتّاب والخطباء وأرباب السير والمؤرّخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلّما اعتنوا بشىء مثلما اعتنوا بها.

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ أنّ يوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة الحرام كان معروفاً بين المسلمين بيوم عيد الغدير، وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة إلى درجة أنّ ابن خلّكان يقول حول «المستعلى ابن المستنصر»:

«فبويع فى يوم غدير خمّ؛ وهو الثامن عشر من شهر ذى الحجّة سنة ۴۸۷ ه» «۱».

وقال فى ترجمة المستنصر باللّه، العبّاسى: «وتوفّى ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، قلت: وهذه هى ليلة عيد الغدير، أعنى ليلة الثامن عشر من شهر ذى الحجّة، وهو غدير خمّ» «۲».

وقد عدّه أبو ريحان البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية ممّا استعمله أهل الإسلام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۹

من الأعياد» «۱».

وليس ابن خلّكان، وأبو ريحان البيرونى، هما الوحيدين اللّذين صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الأعياد، بل هذا الثعالبى قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالى المعروفة بين المسلمين «۲».

إنّ عهد هذا العيد الإسلامى، وجذوره ترجع إلى نفس يوم «الغدير»؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر المهاجرين والأنصار، بل أمر زوجاته ونساءه فى ذلك اليوم بالدخول على علىّ عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّل من صافح النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّاً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقى المهاجرين والأنصار، وباقى الناس «۳».

فالحمد للَّه الذى جعلنا من المتمسّكين بولاية علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

شذرات من فضائله

شذرات من فضائله

يطيب لى أن أُشير إلى بعض خصائصه قياماً ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامّة، فنقول: إنّ له خصائص لم يشاركه فيها أحد:

١- ولادته فى جوف الكعبة.

٢- احتضان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله له منذ صغره.

٣- سبقه الجميع فى الإسلام.

۴- مؤاخاة النبىّ صلى الله عليه و آله له من دون باقى الصحابة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۰

۵- حمله من قبل النبىّ صلى الله عليه و آله على كتفه لطرح الأصنام الموضوعة فى الكعبة.

۶- استمرار ذرّية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من صلبه.

٧- بصاق النبىّ صلى الله عليه و آله فى عينيه يوم خيبر، ودعاؤه له بأن لا يصيبه حرّ ولا قرّ.

٨- إنّ حبّه إيمان وبغضه نفاق.

٩- إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله باهل النصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.

١٠- تبليغه سورة براءة عن النبىّ صلى الله عليه و آله.

١١- إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله خصّه يوم الغدير بالولاية.

١٢- إنّه القائل: «سلونى قبل أن تفقدونى».

١٣- إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله خصّه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه.

١۴- إنّ الناس جميعاً من أرباب الأديان، وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ «١».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۱

الإمام الثانى: أبو محمد الحسن بن على المجتبى عليه السلام

الإمام الثانى: أبو محمد الحسن بن على المجتبى عليه السلام

ولادته

ولادته

ولد فى المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أوّل أولاد علىّ وفاطمة عليهما السلام.

نسب كان عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح عمودا وروى عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول اللَّه صلى الله عليه و آله من الحسن بن على عليهما السلام «١».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۲

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلىّ: سمّه، فقال: «ما كنت لأسبق باسمه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله»، فجاء النبىّ صلى الله عليه و آله

فأخرج إليه فقال: «اللّهمّ إنّى أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذّن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى.

ألقابه عليه السلام

ألقابه عليه السلام

أشهرها: التقىّ والزكىّ والسبط.

علمه عليه السلام

علمه عليه السلام

يكفى أنّه كان يجلس فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله ويجتمع الناس حوله فيتكلّم بما يشفى غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علىّ ابن أحمد الواحدى فى تفسير الوسيط: أنّ رجلًا دخل إلى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدّث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل، قال:

أخبرنى عن شاهد ومشهود «۱»

؟ فقال: «نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة».

فتجاوزه إلى آخر غيره يحدّث فى المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود قال:

«أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود يوم النحر».

قال: فتجاوزه إلى ثالث، غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدّث فى المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود، فقال: «نعم، أمّا الشاهد فرسول اللّه صلى الله عليه و آله وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عزّ وجلّ يقول: يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناك شاهِداً

وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً «۱»

، وقال تعالى: ذلِكَ يَومٌ مَجمَوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلِكَ يَومٌ مَشْهُودٌ «۲»

.

فسأل عن الأوّل، فقالوا: ابن عبّاس، وسأل عن الثانى، فقالوا: ابن عمر، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام «۳».

زهده عليه السلام

زهده عليه السلام

يكفى فى ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم فى حليته بسنده أنّه عليه السلام قال: «إنّى لأستحيى من ربّى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته» فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكّة على قدميه.

وروى عن الحافظ أبى نعيم فى حليته أيضاً: أنّه عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم اللّه تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به.

وكان عليه السلام من أزهد الناس فى الدنيا ولذّاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان عليه السلام يتمثّل بهذا البيت شعراً:

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها إنّ اغتراراً بظلّ زائلٍ حَمَقُ «۴»

حلمه عليه السلام

حلمه عليه السلام

روى ابن خلّكان عن ابن عائشة: أنّ رجلًا من أهل الشام قال: دخلت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۴

المدينة- على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- فرأيت رجلًا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابّة منه، فمال قلبى إليه، فسألت عنه فقيل:

هذا الحسن بن علىّ بن أبى طالب، فامتلأ قلبى له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له: أأنت ابن علىّ بن أبى طالب؟ قال: «أنا ابنه»، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبّهما، فلمّا انقضى كلامى قال لى: «أحسبك غريباً»؟

قلت: أجل، قال: «مِلْ بنا، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال آتيناك، أو إلى حاجة عاونّاكَ» قال: فانصرفت عنه وما على الأرض أحبّ إلىّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلّاشكرته وخزيت نفسى «۱».

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

يكفى فى ذلك ما صرّح به النبىّ صلى الله عليه و آله من قوله: «هذان ابناى إمامان قاما أو قعدا...».

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالى قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيّته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: «يا بنىّ إنّه أمرنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن أُوصى إليك، وأدفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلىّ ودفع إلىّ كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علىّ بن الحسين وقال: وأمرك رسول اللَّه أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن علىّ فاقرأه من رسول اللَّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۵

ومنّى السلام» «۱».

روى أبو الفرج الأصفهانى: أنّه خطب الحسن بن علىّ بعد وفاة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام وقال: «قد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح اللَّه عليه، ولقد توفّى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّى فيها يوشع بن نون وصى موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّاسبعمائة درهم بقيّة من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثمّ قال: «أيّها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه و آله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى اللَّه عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض اللَّه مودّتهم فى كتابه إذ يقول: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً «۲»

فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة، فبايعوه «۳».

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء، وأنفذ عبد اللّه بن العبّاس إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۶

البصرة، ونظر فى الأُمور «۱».

وقال أبو الفرج الأصفهانى: وكان أوّل شىء أحدثه الحسن [عليه السلام] أنّه زاد فى المقاتلة مائة مائة، وقد كان علىّ فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك «۲».

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دسَّ رجلًا من حمير إلى الكوفة، ورجلًا من بنى القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأُمور، فعرف ذلك الحسن، فأمر باستخراج الحميرى من عند لحّام فى الكوفة فأُخرج وأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأُخرج وضربت عنقه «۳».

صلحه عليه السلام مع معاوية

صلحه عليه السلام مع معاوية

ثمّ إنّه استمرّت المراسلات «۴» بين الحسن ومعاوية وانجرّت إلى حوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصلح واضطرّ إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحاً وإليك صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علىّ بن أبى طالب معاوية بن أبى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۷

سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب اللّه وسنّة رسول اللّه، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللّه تعالى فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

على أنّ أصحاب علىّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد اللّه وميثاقه.

على أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً فى أُفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى باللّه شهيداً «۱».

ولمّا تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال فى خطبته: إنّى واللّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّى قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطانى اللّه ذلك وأنتم كارهون. ألا وإنّى كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمىّ هاتين لا أفى بشىء منها له «۲».

شهادته ودفنه عليه السلام

اشارة

شهادته ودفنه عليه السلام

لمّا نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن عليه السلام، وما كان ذلك بغريب على رجل أبوه أبوسفيان، وأُمّه هند، وهو طليق ابن طلقاء عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته، وما كان شىء أثقل عليه من أمر الحسن بن علىّ عليهما السلام، فدسّ إليه السمّ، فمات بسببه.

فقد روى: أنّ معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث- وكانت تحت الحسن عليه السلام-: إنّى مزوّجك بيزيد ابنى على أن تسمّى الحسن بن علىّ. وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه «۱».

فلمّا دنا موته أوصى لأخيه الحسين عليه السلام وقال: «إذا قضيت نحبى غسّلنى وكفّنى واحملنى على سريرى إلى قبر جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثمّ ردّنى إلى قبر جدّتى فاطمة بنت أسد فادفنّى هناك، وباللَّه أُقسم عليك أن تهريق فى أمرى محجمة دم».

فلمّا حملوه إلى روضة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يشكّ مروان ومن معه من بنى أُميّة أنّهم سيدفنونه عند جدّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فتجمّعوا له ولبسوا السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهى تقول: ما لى ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتى من لا أُحبّ!! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجاء هى خير من دعةٍ، أيدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبىّ؟! وكادت الفتنة تقع بين بنى هاشم وبنى أُميّة. ولأجل وصيّة الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدّته فاطمة بنت أسد «۲».

وتوفّى الحسن وله من العمر (۴۷) عاماً وكانت سنة وفاته سنة (۵۰) من الهجرة النبويّة. والعجيب أنّ مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: «أتحمل سريره؟! أما واللَّه لقد كنت تجرّعه الغيظ» فقال مروان: إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال «۳».

فرح معاوية بموته

فرح معاوية بموته:

ولما بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبّر وكبّروا معه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۹

ذكره الزمخشرى فى ربيع الأبرار وابن عبد البرّ فى الاستيعاب وغيرهما.

فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة إذ مات الحسنْ

يا ابن هند إن تذق كأس الردى تكُ فى الدهر كشىء لم يكنْ

لستَ بالباقى فلا تشمت به كلّ حىّ للمنايا مرتهن «۱» هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير ممّا يرجع إلى جوانب حياته، خصوصاً ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تحف العقول «۲» فقد ذكر قسماً كبيراً من كلماته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۰

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

اشارة

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر، وثانى السبطين، وسيدى شباب أهل الجنّة، وريحانتى المصطفى صلى الله عليه و آله، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيّد الشهداء، وأُمّه فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولـد فى المدينـة المنوّرة فى الثـالث من شـعبان سـنة ثلاـث أو أربع من الهجرة، ولمّا ولـد جىء به إلى رسول اللّه صـلى الله عليه و آله فاستبشـر به، وأذّن فى أُذنه اليمنى وأقـام فى اليسـرى، فلمّـا كـان اليوم السابع سـمّاه حسـيناً، وعقَّ عنه بكبش، وأمر أُمّه أن تحلق رأسـه وتتصدّق بوزن شعره فضّة، كما فعلت بأخيه الحسن، فامتثلت عليها السلام ما أمرها به.

خصائصه عليه السلام

اشارة

خصائصه عليه السلام

إنّ حياة الإمام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالأحداث،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۱

والإشـارة- فضـلًا عن الإحاطـة- إلى كـلّ مـا يرجع إليه يحتـاج إلى تأليف مفرد، وقـد أغنانا فى ذلك ما كتبه المؤلّفون والباحثون عن جوانب حيـاته عليه السـلام، حيث تحـدّثوا فى مؤلّفاتهم المختلفـة عن النصوص الواردة من جـدّه وأبيه فى حقّه، وعن علمه ومناظراته، وخطبه وكتبه وقصـار كلمه، وفصـاحته وبلاـغته، ومكـارم أخلاـقه، وكرمه وجوده، وزهـده وعبـادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، وعن أصحابه والرواة عنه، والجيل الذى تربّى على يديه. وذلك فى مؤلّفات قيّمة لا تعد ولاتحصى.

كفاحه وجهاده الرسالى

كفاحه وجهاده الرسالى:

غير إنّ للحسـين عليه السلام وراء ذلك، خصّيصة أُخرى وهى كفاحه وجهاده الرسالى والسياسى الذى عُرِفَ به، والذى أصبح مدرسة سياسـية دينيّة، لعلها أصـبحت الطابع المميّز له عليه السلام والصبغة التى اصطبغت حياته الشريفة بها، وأُسوة وقدوة مدى أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثّر فى ضـمير الأُمّـة ووعيها، ويحرّك العقول المتفتّحـة، والقلوب المسـتنيرة إلى التحرّك والثورة، ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة.

وهـا نحن نقـدّم إليـك نموذجـاً من غرر كلمـاته فى ذلـك المجـال حتّى تقف على كفـاحه وجهاده أمام التيّارات الإلحاديّـة والانهيار الخلقى.

إباؤه للضيم ومعاندة الجور

إباؤه للضيم ومعاندة الجور

لمّا توفّى أخوه الحسن فى السـنة الخمسـين من الهجرة أوصـى إليه بالإمامـة فاجتمعت الشـيعة حوله، يرجعون إليه فى حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون فى المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمّة التى لا توافق هوى السلطة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۲

الأُموية المنحرفة، والتى قد تؤلّف خطراً جدّياً على وجودها غير المشـروع، ولقد كان همّ هذه السلطة هو الإمام الحسين عليه السلام لما

يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن فى الحقّ، ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم- وكان عامل معاوية على المدينة-: إنّ رجالًا من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علىّ وأنّه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغنى أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده.

ولمّا بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالة إلى الحسين وهذا نصّها:

أمّا بعد؛ فقد انتهت إلىّ أُمور عنك إن كانت حقّاً فإنّى أرغب بك عنها، ولعمر اللَّه إنّ من أعطى اللَّه عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإنّ أحقَّ الناس بالوفاء من كان فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك اللَّه لها... «۱».

ولمّا وصل الكتاب إلى الحسين بن علىّ، كتب إليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منها ما يلى:

«ألست قاتل حجر بن عدىّ أخا كندة وأصحابه المصلّين، العابدين، الّذين ينكرون الظلم، ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون فى اللَّه لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على اللَّه واستخفافاً بعهده؟

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللَّه، العبد الصالح الذى أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۳

أولست المدّعى زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركت سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعمّداً وتبعت هواك بغير هدى من اللَّه، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم على دين علىّ- صلوات اللَّه عليه- فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان على دين علىّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علىّ هو دين ابن عمّه صلى الله عليه و آله الذى كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذى أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف» «۱».

هذا هو الحسين، وهذا هو إباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين فى عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التى ضبطها التاريخ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۴

الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء

رفضه البيعة ليزيد:

رفضه البيعة ليزيد:

لمّا هلك معاوية فى منتصف رجب سنة ۶۰ هجرية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له، فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: «اجلسوا على الباب فإذا سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علىّ».

وصار عليه السلام إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين عليه السلام: «إنّى لا أراك تقنع ببيعتى ليزيد سرّاً حتّى أُبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين عليه

السلام: «فتصبح وترى رأيك فى ذلك» فقال الوليد: انصرف على اسم اللّه تعالى، فقال مروان: واللّه لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: «أنت يا بن الزرقاء تقتلنى أو هو؟ كذبت واللّه وأثمت» ثمّ خرج «۱».

وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه فى طريقه فقال: أبا عبد اللّه إنّى لك ناصح فأطعنى ترشد وتسدّد، فقال:

«وما ذاك قل أسمعْ» فقال: إنّى أرشدك لبيعة يزيد؛ فانّها خير لك فى دينك وفى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۵

دنياك!! فاسترجع الحسين وقال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون وعلى الإسلام السَّلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد، ثمّ قال: يا مروان أترشدنى لبيعة يزيد!! ويزيد رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول وزللًا، ولا ألومك؛ فإنّك اللعين الذى لعنك رسول اللّه وأنت فى صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول اللّه فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنّى يا عدوّ اللّه، فإنّا أهل بيت رسول اللّه الحقّ فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدّى رسول اللّه يقول: الخلافة محرّمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول اللّه فلم يفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه يزيد» «۱».

خروجه من مكّة ومكاتبة أهل الكوفة له:

خروجه من مكّة ومكاتبة أهل الكوفة له:

ثمّ إنّ الحسين غادر المدينة إلى مكّة، ولمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلًا طالبين منه القدوم إليهم فى الكوفة؛ لأنّ القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الأمويّين، وألحّوا فى ذلك الأمر أيّما إلحاح، مبيّنين للإمام عليه السلام أنّ السبل ميسّرة والظروف مهيّأة لقدومه، حيث كتب له وجهاؤهم من جملة ما كتبوه:

«أمّا بعد؛ فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة».

ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين عليه السلام أرسل ابن عمّه مسلم ابن عقيل- رضوان اللّه عليه- إلى الكوفة ممثّلًا عنه لأخذ البيعة له منهم، وللتحقّق

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۶

من جدّية هذا الأمر، ثمّ كتب إليهم: «أمّا بعد؛ فإنّ هانئاً وسعيداً قدما علىَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم علىَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ اللّه أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى، وإنّى باعث إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل، فإن كتب إلىَّ: أنّه قد اجتمع رأى ملَئِكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم، وقرأته فى كتبكم، فإنّى أقدم عليكم وشيكاً إن شاء اللّه، فلعمرى ما الإمام إلّاالحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات اللّه» «۱».

ثمّ خرج الإمام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته، وكان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصل إليه يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة، وذلك قبل أن تنقلب الأُمور على مجاريها بشكل لا تصدّقه العقول، حيث استطاع عبيد اللّه بن زياد بخبثه ودهائه، وإفراطه فى القتل، أن يثبّط همم أهل الكوفة، وأن تنكث بيعة الإمام الحسين عليه السلام، ويقتل سفيره بشكل وحشىّ بشع.

ولمّا أخذ الإمام عليه السلام يقترب من الكوفة استقبله الحرّ بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيد اللّه بن زياد لاستقدامه

وإكراهه على إعطاء البيعة ليزيد، وإرساله قهراً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحرّ بقوله: «أيّها الناس إنّ رسول اللَّه قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّا حرم اللَّه ناكثاً لعهد اللَّه، مخالفاً لسنّة رسول اللَّه، يعمل فى عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على اللَّه أن يدخله مدخله، ألا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٥٧

وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام اللَّه وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غَيَّر» «١».

الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

رغم انّ الدافع الظاهرى لهجرته عليه السلام إلى العراق كانت رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتّى أنّ الإمام احتجّ بها عندما واجه الحرّ بن يزيد الرياحى وعمر بن سعد عندما سألاه عن سرّ مجيئه إلى العراق فقال: «كتب إلىَّ أهل مصركم هذا أن أقدم» «٢». إلّاأنّ السرّ الحقيقى لهجرته عليه السلام رغم إدراكه الواضح لما سيترتّب عليها من نتائج خطرة ستودى بحياته الشريفة- وهو ما وطّن نفسه عليه السلام عليه- يمكن إدراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته، وكيفية تعامله مع مجريات الأحداث.

إنّ الأمر الذى لا- مناص من الذهاب إليه هو إدراك الإمام عليه السلام ما ينتجه الإذعان والتسليم لتولّى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عُرف عنه من تهتّك ومجون وانحراف واضح عن أبسط المعايير الإسلامية، وفى هذا مؤشّر خطر على عظم الانحراف الذى أصاب مفهوم الخلافة الإسلامية، وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعى.

ومن هنا فكان لابدّ من وقفة شجاعة تعيد للأُمّة جانباً من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب. إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أعلنها صراحة بقوله لمّا طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، حيث قال: «فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٥٨

براع مثل يزيد» كما عرفت سابقاً.

نعم إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «صنفان من أُمّتى إذا صلحا صلحت أُمّتى، وإذا فسدا فسدت أُمّتى، قيل: يا رسول اللَّه ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأُمراء» «١»، فإذا كان صلاح الأُمّة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها، فقيادة مثل يزيد لا تزيد الأمر إلّاعيثاً وفساداً.

إنّ القيادة الإسلامية بين التنصيص والشورى، ولم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من اللَّه سبحانه ولا بشورى من الأُمّة، وهذا ما أدركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا إلى الحسين عليه السلام رسالة جاء فيها: أمّا بعد فالحمد للَّه الذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها «٢».

ولم يكن الولد (يزيد) فريداً فى غصب حقّ الأُمّة، بل سبقه والده معاوية إلى ذلك كما هو معروف، وليس بخاف على أحد، وإلى تلك الحقيقة المرّة يشير الإمام علىّ عليه السلام فى كتاب له إلى معاوية، حيث يقول:

«فقد آن لك أن تتنفع باللمح الباصر من عيان الأُمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعد الحق إلّا الضلال المبين» «٣».

هذا ونظائره المذكورة فى التاريخ ما دفع الحسين إلى الثورة، وتقديم نفسه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۹

وأهل بيته قرابين طاهرة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، مع علمه بأنّه وفقاً لما تحت يديه من الإمكانات المادّية لن يستطيع أن يواجه دولة كبيرة تمتلك القدرات المادّية الضخمة ما يمكنها من القضاء على أيّ ثورة فتيّة، نعم إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك قطعاً هذه الحقيقة، إلّاأنّه أراد أن يسقى بدمائه الطاهرة المقدّسة شجرة الإسلام الوارفة التى يريد الأُمويّون اقتلاعها من جذورها.

كما أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذى أصاب الأُمّة فجعلها حائرة متردّدة أمام طغيان الجبابرة وحكّام الجور، وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وكان كلّ ذلك بعد استشهاد الإمام عليه السلام، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان المعروف منذ ولادة الإمام الحسين عليه السلام أنّه سيستشهد فى العراق فى أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك فى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ووصيّه، لذا كان الناس يترقّبون حدوث تلك الفاجعة، كما أنّ هناك الكثير من القرائن التى تدلّ بوضوح على حتميّة استشهاده عليه السلام، ومن ذلك:

۱- روى غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الذى استشهد فى كربلاء أنّه قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: «إنّ ابنى هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس بن الحارث فقتل بها مع الحسين عليه السلام «۱».

۲- إنّ أهل الخبرة والسياسة فى عصر الإمام كانوا متّفقين على أنّ الخروج إلى العراق يكون خطراً كبيراً على حياة الإمام عليه السلام وأهل بيته، ولأجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصرّوا عليه عدم الخروج، ويتمثّل ذلك فى كلام أخيه محمّد بن الحنفيّة، وابن عمّه ابن عبّاس، ونساء بنى عبدالمطّلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۰

وأفصح عن عزمه على الخروج «۱».

۳- لمّا عزم الإمام المسير إلى العراق خطب وقال: «الحمد للّه وما شاء اللّه ولا قوّة إلّاباللّه وصلّى اللّه على رسوله، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافى، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لى مصرع أنا أُلاقيه، كأنّى بأوصالى تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء فيملأن منّى أكراشاً جُوَّفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضى اللّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله لحمته، بل هى مجموعة له فى حظيرة القدس تَقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلًا مهجته، موطّناً على لقاء اللّه نفسه فليرحل معنا؛ فإنّى راحل مصبحاً إن شاء اللّه تعالى» «۲».

۴- لمّا بلغ عبد اللّه بن عمر ما عزم عليه الحسين عليه السلام دخل عليه فلامه فى المسير، ولما رآه مصرّاً عليه قبّل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك اللّه من قتيل «۳».

۵- لمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ قال: «لو لم أعجل لأُخذْتُ، ثمّ قال له:

أخبرنى عن الناس خلفك» فقال: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك «۴».

۶- لما أتى إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبد اللّه بن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۱

يقطر، قال لأصحابه: «لقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرجٍ ليس عليه ذمام» فتفرّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالًا، حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه. ومع ذلك فقد واصل عليه السلام مسيره

نحو الكوفة، ولما مرّ ببطن العقبة لقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له: عمر بن لوذان، فسأل الإمام: أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: «الكوفة» فقال الشيخ: أُنشدك لمّا انصرفت، فواللَّه ما تقدِمُ إلّاعلى الأسنّة وحدّ السيوف، فقال له الحسين: «ليس يخفى علىّ الرأى، وأنّ اللَّه تعالى لا يُغلب على أمره» «۱».

فى نفس النصّ دلالة على أنّ الإمام كان يدرك ما كان يتخوّفه غيره، و أنّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة من أجل نصرة الدين وردّ كيد أعدائه، وحتى لا تبقى لأحد حجة يتذرّع بها لتبرير تخاذله وضعفه.

نعم لقد كان الحسين عليه السلام على بيّنة من أمره وما سيؤول إليه سفره من مصير محتوم، فلا شىء يقف أمام إرادته من أجل إعلاء كلمة الدين وتثبيت دعائمه التى أراد الأُمويّون تقويضها، انظر إليه وهو يخاطب الحرّ بن يزيد الرياحى الذى يحذّره من مغبّة إصراره على موقفه حيث يقول له: «أفبالموت تخوّفنى، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول اللَّه فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول، فقال:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أندَم وإن مِتُّ لم أُلمْ كفى بك ذلّاً أن تعيش وترغما» «۲» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۲

ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين عليه السلام أثر كبير فى إيقاظ شعور الأُمّة وتشجيعها على الثورة ضدّ الحكومة الأُموية التى أصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين، ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين فى العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقّق هدفها فى وقتها، ولكن كان لها الدور الأساسى فى سقوط الحكومة الأُمويّة بعد زمان.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه- رضى اللَّه عنهم- يوم الطفّ لما قام للإسلام عمود، ولا اخضرّ له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدفنوه فى أوّل عهده فى لحده. فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه- رضى اللَّه عنهم- «۱».

بلى، فلا مغالاة فى قول من قال: إنّ الإسلام محمّدىّ الحدوث حسينىّ البقاء والخلود.

ترى أنّى للإمام الحسين عليه السلام الإذعان لحقيقة تسلّم يزيد مقاليد خلافة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، يزيد المنحرف الفاسد، عدوّ اللَّه وعدوّ رسوله، الذى لم يستطع إخفاء دفائنه عندما أُحضر رأس سيد الشهداء بين يديه حيث أنشد:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشلّ

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا قتل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل لعبت هاشم بالملك فلا- خبر جاء ولا وحى نزل «۲» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۳

وأمّا بيان خروجه من مكة متوجّهاً إلى العراق والحوادث التى عرضت له فى مسيره إلى أن نزل بأرض كربلاء، والتى استشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ۷۲ شخصاً، ظمآنَ وعطشانَ، فهو خارج عن موضوع البحث. وقد أُلّفت فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات.

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

لقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ۶۱ من الهجرة، وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبىّ الأكرم صلى الله

علیه و آله خمس أو ستّ سنوات، وعاش مع أبیه ۳۶ سنة، ومع أخیه ۴۶ سنة.

فسلام اللَّه علیه یوم ولد، ویوم استشهد ویوم یبعث حیّاً.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۶۴

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

اشارة

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

هو رابع أئمّة أهل البیت الطاهر، المشهور بزین العابدین أو سیّدهم، والسجّاد، وذی الثفنات.

ولادته و جوانب من سیرته علیه السلام

اشارة

ولادته و جوانب من سیرته علیه السلام

ولد فی المدینة سنة ۳۸ أو ۳۷ ه.

قال ابن خلّکان: هو أحد الأئمّة الاثنی عشر ومن سادات التابعین. قال الزهری: ما رأیت قرشیّاً أفضل منه. وفضائله ومناقبه أکثر من أن تحصی وتذکر، ولمّا توفّی دفن فی البقیع فی جنب عمّه الحسن فی القبّة التی فیها قبر العباس- رضی اللَّه عنه- «۱».

ولقد تولّی الإمامة بعد استشهاد أبیه الحسین علیه السلام فی کربلاء، وللاطّلاع علی النصوص الواردة فی إمامته ینبغی الرجوع إلی کتب الحدیث والعقائد المتکفّلة بهذا

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۶۵

الجانب المهم، وأخصّ منها بالذکر کتاب «الکافی» للکلینی، و «الإرشاد» للشیخ المفید، و «کفایة الأثر» للخزّاز، و «إثبات الهداة» للحرّ العاملی.

ومن أراد الاطّلاع علی مناقبه وکراماته وفضائله فی مجالات شتّی کالعلم، والحلم، والجرأة والإقدام، وثبات الجنان، وشدة الکرم والسخاء، والورع، والزهد، والتقوی، وکثرة التهجّد والتنفّل، والفصاحة والبلاغة، وشدّة هیبته بین الناس ومحبّتهم له، وتربیته لجیل عظیم من الصحابة والعلماء وقّفوا حیاتهم فی خدمة الإسلام، وغیر ذلک ممّا لا یسعنا التعرّض لها هنا، فعلیه یطلب ذلک فی الموسوعات المتعدّدة التی تعرّضت لذلک بالشرح والتفصیل.

إلّا أنّا نکتفی هنا بجانب من سیرته علیه السلام تتعلّق بجملة محدّدة من الأُمور:

۱- هیبته ومنزلته العظیمة:

۱- هیبته ومنزلته العظیمة:

لقد کان علیه السلام مهاباً جلیلًا بین الناس بشکل کبیر، حتّی أنّ هذه المنزلة العظیمة جعلت الأُمراء والحکّام یحسدونه علیها، والتاریخ

يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعدّدة، ومن ذلك:

لمّا حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك، وجاء علىّ بن الحسين عليهما السلام فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتّى استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه (مع أنّه كان يعرفه أنّه علىّ بن الحسين عليه السلام) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّى أعرفه، هذا علىّ بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التى منها هذه الأبيات:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد اللَّه كلّهم هذا التقى النقى الطاهر العلمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۶

يُغضى حياء ويُغضى من مهابته فما يكلّم إلّاحين يبتسمُ

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء اللَّه قد خُتموا

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجمُ إلى آخر القصيدة التى حفظتها الأُمّة وشطّرها جماعة من الشعراء.

وقدثقل ذلك على هشام فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكّة والمدينة، فقال معترضاً على عمل هشام:

أيحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها فأخرجه من الحبس فوجّه إليه على بن الحسين عليهما السلام عشرة آلاف درهم وقال: «اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به» فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلّا للَّه، فقال له على عليه السلام: «قد رأى اللَّه مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه» وأقسم عليه فقبلها.

۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من اللَّه فغنى عن البيان. فقد روى عنه عليه السلام أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال: ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء؟

قال: «أتدرون بين يَدى من أُريد أن أقف».

من كلماته عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا اللَّه رياضة؛ فتلك عبادة العبيد، وأنّ قوماً عبدوه رغبة؛ فتلك عبادة التجّار، وأنّ قوماً عبدوه شكراً؛ فتلك عبادة الأحرار».

وكان إذا أتاه سائل يقول له: «مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۷

كان عليه السلام كثير الصدقات حريصاً عليها، و كان يوصل صدقاته ليلًا دون أن يعلم به أحد، وقد روى أنّه عليه السلام كان يعول مائة عائلة من أهالى المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات، ولما توفّى عليه السلام أدركوا ذلك.

وفى رواية: أنّه عليه السلام كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «صدقة السر تطفئ غضب الربّ».

وفى رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتّى مات علىّ بن الحسين عليه السلام «۱».

وقال رجل لسعيد بن المسيّب: ما رأيت رجلًا أورع من فلان- وسمّى رجلًا- فقال له سعيد: أما رأيت علىّ بن الحسين؟ فقال: لا، فقال:

ما رأيت أورع منه.

قال أبو حازم: ما رأيت هاشمياً أفضل من علىّ بن الحسين.

قال طاووس: رأيت علىّ بن الحسين عليهما السلام ساجداً فى الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيّب لأسمعنّ ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول: «عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» قال طاووس: فواللّه ما دعوت بهنّ فى كرب إلّاكشف عنّى.

وكان يصلّى فى كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشيّاً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبلة، وكان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالى، فقال لهم على عليه السلام: «مهلًا كفّوا» ثمّ أقبل على ذلك الرجل فقال له: «ما سُترَ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟» فاستحيى الرجل فألقى إليه عليه السلام خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسل «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۸

ثروته عليه السلام العلمية

اشارة

ثروته عليه السلام العلمية

أمّا الثروة العلمية والعرفانية، فهى أدعيته التى رواها المحدّثون بأسانيدهم المتضافرة، والتى جمعت بما سمّى بالصحيفة السجّادية المنتشرة فى العالم، فهى زبور آل محمد، ومن الخسارة الفادحة أنّ إخواننا أهل السنّة- إلّا النادر القليل منهم- غير واقفين على هذا الأثر القيّم الخالد.

نعم، إنَّ فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلوّ مضامينها، وما فيها من أنواع التذلّل للّه تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة فى طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه، أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة، إلى زين العابدين «۱».

وقد أرسل أحد الأعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة إلى العلّامة الشيخ الجوهرى الطنطاوى (المتوفّى عام ۱۳۵۸ ه) صاحب التفسير المعروف، فكتب فى جواب رسالته: «ومن الشقاء أنّا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيّم الخالد فى مواريث النبوّة وأهل البيت، وإنّى كلّما تأمّلتها رأيتها فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق» «۲».

وكان المعروف بين الشيعة هو الصحيفة الأُولى التى تتضمّن واحداً وستّين دعاء فى فنون الخير وأنواع السؤال من اللّه سبحانه، والتى تعلّم الإنسان كيف يلجأ إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۹

ربّه فى الشدائد والمهمّات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلّل ويتضرّع له، وكيف يحمده ويشكره. غير أنّ لفيفاً من العلماء استدركوا عليها فجمعوا من شوارد أدعيته صحائف خمسة كان آخرها ما جمعه العلّامة السيد محسن الأمين العاملى قدس سره.

ولقد قام العلّامة الحجة السيّد محمد باقر الأبطحى- دام ظلّه- بجمع جميع أدعية الإمام الموجودة فى هذه الصحف فى جامع واحد، وقال فى مقدّمته:

وحرىّ بنا القول إنّ أدعيته عليه السلام كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الإصلاحية التى قادها الإمام عليه السلام فى ذلك الظرف الصعب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسدّدة أن يمنح أدعيته- إلى جانب روحها التعبّدية- محتوىً اجتماعياً متعدّد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة، فهو عليه السلام صاحب مدرسة إلهيّة، تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّد اللَّه ويقدّسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأُخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه أُسلوب البرّ بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد، والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم فى سلوكه الاجتماعى، كلّ ذلك بأُسلوب تعليمىّ رائع وبليغ.

وصفوة القول: إنّها كانت أُسلوباً مبتكراً فى إيصال الفكر الإسلامى والمفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى القلوب الظمأى، والأفئدة التى تهوى إليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحقّ عملية تربوية نموذجية من الطراز الأوّل، أسّس بناءها الإمام السجاد عليه السلام مستلهماً جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين «۱».

ومن أدعيته عليه السلام فى هذه الصحيفة دعاؤه فى يوم عرفة، ومنه:

«اللّهمَّ هذا يوم عرفةَ، يومٌ شرَّفتهُ وكرَّمتهُ وعظَّمتهُ، نَشَرتَ فيهِ رحمتَكَ، وَمَننتَ فيهِ بعفوك، وأجزلتَ فيهِ عطيتكَ، وتفضَّلتَ بهِ على عبادِك.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۰

اللّهمَّ وأنا عبدك الذى أنعمتَ عليهِ قَبلَ خَلقِكَ لهُ، وبعدَ خَلقِكَ إيّاهُ، فَجَعَلتَهُ مِمَّن هَديتَهُ لدينِكَ، وَوفَّقتَهُ لَحقّك، وعصمتَهُ بِحَبلِكَ، وأدْخَلتَهُ فى حِزبِكَ، وأَرْشَدتَهُ لموالاةِ أوليائِكَ ومعاداةِ أعدائِكَ».

رسالة الحقوق

رسالة الحقوق:

إنّ للإمام علىّ بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردها الصدوق فى خصاله «۱» بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة فى تحف العقول «۲» مرسلة، وبين النقلين اختلاف يسير.

وهى من جلائل الرسائل فى أنواع الحقوق، يذكر الإمام فيها حقوق اللَّه سبحانه على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والهدى... التى تبلغ خمسين حقّاً، آخرها حقّ الذمّة.

كما روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته أحاديث وحكماً مختلفة جليلة حوَتها بطون الكتب المختلفة، جمع الكثير منها العلّامة المجلسى فى موسوعته الموسومة ببحار الأنوار من مختلف المصادر، فراجع.

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

توفّى بالمدينة عام ۹۵ أو ۹۴ ه، يوم السبت الثانى عشر من محرّم. وقيل الخامس والعشرين منه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۱

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام

اشارة

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام

هو خامس أئمّة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قال ابن منظور فى لسان العرب: لقّب به؛ لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه «۱».

أقوال العلماء فيه عليه السلام

أقوال العلماء فيه عليه السلام

وقال ابن حجر: سمّى بذلك لأنّه من بقر الأرض؛ أى شقّها، وإثارة مخبّآتها، ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبّآتها كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّاعلى منطمس البصيرة أو فاسد الطويّة والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه «۲».

وقال ابن كثير: أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب،

وسمّى بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوّة، رفيع النسب، عالى الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات «۱».

وقال ابن خلّكان: أبو جعفر محمّد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر، أحد الأئمّة الاثنى عشر فى اعتقاد الإماميّة، وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له الباقر؛ لأنّه تَبقَّر فى العلم؛ أى توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التُّقى وخير من لبّى على الأجبُلِ «۲»

ولد بالمدينة غرّة رجب سنة ۵۷ ه وقيل ۵۶ ه، وتوفّى فى السابع من ذى الحجّة سنة ۱۱۴ ه، وعمره الشريف ۵۷ سنة. عاش مع جدّه الحسين عليه السلام ۴ سنين، ومع أبيه عليه السلام بعد جدّه عليه السلام ۳۹ سنة، وكانت مدة إمامته عليه السلام ۱۸ سنة «۳».

وأمّا النصوص الدالّة على إمامته من أبيه وأجداده والتى ذكرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهى مستفيضة نقلها الكلينى- رضى اللّه عنه- وغيره.

وقال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عالماً عابداً ثقة، وروى عنه الأئمّة أبو حنيفة وغيره.

قال أبو يوسف: قلت لأبى حنيفة: لقيت محمّد بن على الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوماً فقلت له: أراد اللّه المعاصى؟ فقال: «أفيعصى قهراً»؟ قال أبو حنيفة:

فما رأيت جواباً أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد

رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعنى الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلًا جليلًا فى زمانه.

وذكر المدائنى عن جابر بن عبد اللّه: أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن على إلى الكتّاب وهو صغير فقال له: رسول اللّه صلى الله عليه و آله يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال:

كنت جالساً عند رسول اللّه والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال: «يا جابر يولد مولود اسمه علىّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام».

وذكر ابن الصبّاغ المالكى بعد نقل القصّة: أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال لجابر: «وإن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك فى الدنيا قليل» فلم يعش جابر بعد ذلك إلّاثلاثة أيّام. ثمّ قال:

هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام، وفضيلة شهد له بها الخاصّ والعام «۱».

وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام فى علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبى جعفر الباقر عليه السلام «۲».

وروى عنه معالم الدين بقيّة الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار وأُنشدت فى مدائحه الأشعار... «۳».

قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة اللّه، وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۴

مناظراته

مناظراته

وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنها ولا حرج، وقد جمعها العلّامة الطبرسى فى كتاب الاحتجاج «۱».

قال الشيخ المفيد فى الإرشاد: وجاءت الأخبار: أنّ نافع بن الأزرق «۲» جاء إلى محمّد بن علىّ، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر فى عرض كلامه: «قل لهذه المارقة، بم استحللتم فراق أمير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه فى طاعته والقربة إلى اللّه بنصرته؟ فسيقولون لك: إنّه حكّم فى دين اللّه، فقل لهم: قد حكّم اللّه تعالى فى شريعة نبيّه صلى الله عليه و آله رجلين من خلقه فقال: فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يوفّق اللّه بينهما، وحكّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله سعد بن معاذ فى بنى قريظة فحكم فيهم بما أمضاه اللّه، أوما علمتم أنّ أمير المؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن فى أحكام الرجال، وقال حين قالوا له:

حكّمت على نفسك من حكم عليك؟ فقال: ما حكّمت مخلوقاً وإنّما حكّمت كتاب اللّه. فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن، واشترط ردّ ما خالفه لولا ارتكابهم فى بدعتهم البهتان»؟ فقال نافع بن الأزرق: هذا واللّه كلام ما مرّ بسمعى قط، ولا خطر منّى ببال، وهو الحقّ إن شاء اللّه.

ثمّ إنّ الشيعة الإمامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده البارّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۵

جعفر الصادق عليه السلام وحسب الترتيب المتداول فى الكتب الفقهيّة، حيث روى عنه عليه السلام الكثير من الروايات الفقهيّة التى تناولت مختلف جوانب الحياة، وللاطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة.

وأمّا ما روى عنه فى الحِكَم والمواعظ، فقد نقلها أبو نعيم الأصفهانى فى حلية الأولياء، والحسن بن شعبة الحرّانى فى تحفه «۱».

وقد توفّى الإمام محمّد الباقر عليه السلام عام ۱۱۴ ه، ودفن فى البقيع إلى جنب قبر أبيه، ومن أراد البحث عن فصول حياته فى شتّى المجالات فليراجع الموسوعات التى تحفل بها المكتبات العامّة والخاصّة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۶

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

اشارة

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

هو الإمام السادس من أئمّة أهل البيت الطاهر- رضى اللَّه عنهم أجمعين- ولقّب بالصادق لصدقه فى مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر.

ولادته وخصائصه عليه السلام

ولادته وخصائصه عليه السلام

ولد عام ۸۰ ه، وتوفّى عام ۱۴۸ ه، ودفن فى البقيع جنب قبر أبيه محمّد الباقر وجدّه علىّ زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علىّ- رضى اللَّه عنهم أجمعين- فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه! «۱».

قال محمّد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتبع معانى القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۷

الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّيّة الرسالة. نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصارى، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثورى، وابن عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة، وأبو أيّوب السجستانى «۱» وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها، وفضيلة اكتسبوها «۲».

ذكر أبو القاسم البغّاء فى مسند أبى حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمّد، لمّا أقدمه المنصور بعث إلىَّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ لى من مسائلك الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إلىّ أبوجعفر وهو بالحيرة فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به، دخلنى من الهيبة لجعفر ما لم يدخلنى لأبى جعفر، فسلمت عليه، فأومأ إلىّ فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد اللَّه هذا أبو حنيفة. قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إلىّ فقال: يا أبا حنيفة ألقِ على أبى عبداللَّه من مسائلك، فجعلت أُلقى عليه فيجيبنى فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعنا وربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً حتّى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشىء. ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس «۳».

عن مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّاعلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۸

إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً «۱».

وعن عمرو بن بحر الجاحظ (مع عدائه لأهل البيت): جعفر بن محمّد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثورى، وحسبك بهما فى هذا الباب «۲».

مناقبه عليه السلام

مناقبه عليه السلام

وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدّ الحاصر، ويَحار فى أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التى لا تدرك عللها، والعلوم التى تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه «۳».

وقال ابن الصبّاغ المالكى: كان جعفر الصادق عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه، ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده، برز على جماعة بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره فى البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث.

إنّك إذا تتبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلّها تعرب عن اتّفاق الأُمّة على إمامته فى العلم والقيادة الروحيّة، وإن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۹

اختلفوا فى كونه إماماً منصوصاً من قبل اللَّه عزّ وجلّ، فذهبت الشيعة إلى الثانى نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة فى مظانّها «۱».

حياته العلميّة عليه السلام

حياته العلميّة عليه السلام

ولقد امتدّ عصر الإمام الصادق عليه السلام من آخر خلافة عبد الملك بن مروان إلى وسط خلافة المنصور الدوانيقى، أى من سنة ۸۳ ه إلى سنة ۱۴۸ ه. فقد أدرك طرفاً كبيراً من العصر الأُموى، وعاصر كثيراً من ملوكهم، وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى سنوات عمره الأُولى حتّى الحادية عشرة من عمره مع جدّه زين العابدين، وحتّى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ فى ظلّهما يتغذّى من تعاليمهما وتنمو مواهبه وتربّى تربيته الدينية، وتخرّج من تلك المدرسة الجامعة فاختصّ بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ۱۱۴ ه، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلميّة فى المدينة ومكّة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد اتّسم العصر المذكور الذى عاشه الإمام بظهور الحركات الفكريّة، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامى، وأهمها عنده هى حركة الغلاة الهدّامة، الذين تطلّعت رؤوسهم فى تلك العاصفة الهوجاء إلى بثّ روح التفرقة بين المسلمين، وترعرت بنات أفكارهم فى ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التى قضى عليها الإسلام، فقد اغتنموا الفرصة فى بثّ تلك الآراء الفاسدة فى المجتمع الإسلامى، فكانوا يبثّون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغروا بها العامّة، فكان المغيرة بن سعيد يدّعى الاتصال بأبى جعفر الباقر ويروى عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق عليه السلام كذبه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۰

والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة فى الأحاديث التى تروى عنه، فقال:

«لا تقبلوا علينا حديثاً إلّاما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة».

ثمّ إنّ الإمام قام بهداية الأُمّة إلى النهج الصواب فى عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأُمويين ومعارضيهم من العباسيين، ففى تلك الظروف الصعبة والقاسية استغلّ الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جدّه، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء.

ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات- على اختلاف آرائهم ومقالاتهم- فكانوا أربعة آلاف رجل «۱». وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمّة- عليه و عليهم السلام-.

إنّ الإمام عليه السلام شرع بالروايـة عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبيّ صلى الله عليه و آله بعد الغفلة التى استمرّت إلى عام ۱۴۳ ه «۲» حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسرّبت إلى السنّة، العديد من الروايات الاسرائيلية والموضوعـة من قبل أعـداء الإسـلام من الصـليبيين والمجوس، بالإضافـة إلى المختلقات والمجعولات على يـد علماء السـلطة ومرتزقة البلاط الأُموى.

ومن هنا فقد وجد الإمام عليه السـلام أنّ أمر السنّة النبويّة قد بدأ يأخذ اتّجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد عليه السلام للتصدّى لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسـلام والتى تسـرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكرى والعقائدى بين المسلمين وغيرهم.

إنّ تلك الفترة كوّنت تحدّياً خطيراً لوجود السنّة النبويّة، وخلطاً فاضحاً فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۱

كثير من المعتقدات، لذا فإنّ الإمام عليه السلام كان بحقّ سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

إنّ علوم أهل البيت عليهم السـلام متوارثة عن جدّهم المصطفى محمّد صلى الله عليه و آله، الذى أخذها عن اللَّه تعالى بواسطة الأمين جبرئيل عليه السـلام، فلا غرو أن تجـد الأُمّـة ضالّتها فيهم عليهم السـلام، وتجـد مرفأ الأمان فى هـذه اللجج العظيمة، ففى ذلك الوقت حيث أخـذ كلّ يحـدّث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضـعيفة ومطعونـة، أو أسانيـد مشوّشة، تجد أنّ الإمام الصادق عليه السـلام يقول: «حـديثى حـديث أبى، وحـديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث علىّ بن أبى طالب، وحديث علىّ حديث رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، وحديث رسول اللَّه قول اللَّه عزّ وجلّ».

بيد أنّ ما يثير العجب أن تجد من يعرض عن دوحة النبوّة إلى رجال قد كانوا وبالًا على الإسـلام وأهله، وتلك وصـمة عار وتقصـير لا عذر فيه خصوصاً فى صحيح البخارى.

فالإمـام البخـارى مثلًا يروى ويحتـج بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطّان وحريز بن عثمان الرحبى وغيرهم، ويعرض عن الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام!!

أمّـا الأوّل: فهو الوزغ بن الوزغ، اللعين بن اللعين على لسان رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، وأمّا الثانى: فهو الخارجى المعروف الـذى أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث: فكان ينتقص عليّاً وينال منه، ولست أدرى لمَ هذا الأمر؟ إنّه مجرد تساؤل.

إنّ للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث فى الأحكام التى تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين فى عصره، والمتقشّـفين من الصوفيّـة، ضـبط المحقّقون كثيراً منها، وهى فى حـد ذاتها ثروة علميّـة تركها الإمام عليه السـلام، وأمّا الروايـة عنه فى الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۲

حتّى أنّ الحسن بن علىّ الوشّاء قال: أدركت فى هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثنى جعفر بن محمّد «۱».

وأمّا ما أُثر عنه من المعارف والعقائد فحدّث عنها ولا حرج، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانّها «۲».

يقول «سيد أمير على» بعد النقاش حول الفرق المذهبيّة والفلسفيّة فى عصر الإمام:

«ولم تتخـذ الآـراء الدينيّـة اتّجاهـاً فلسـفياً إلّاعنـد الفـاطميّين، ذلـك أنّ انتشـار العلم فى ذلـك الحين أطلـق روح البحث والاسـتقصاء، وأصـبحت المناقشات الفلسـفية عامّـة فى كلّ مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أنّ زعامة تلك الحركة الفكريّة إنّما وجدت فى تلك المدرسة التى ازدهرت فى المدينة، والتى أسّسـها حفيد علىّ بن أبى طالب المسمّى بالإمام جعفر والملقّب بالصادق، وكان رجلًا بحّاثة ومفكّراً كبيراً جيد الإلمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أوّل من أسّس المدارس الفلسفيّة الرئيسيّة فى الإسلام.

ولم يكن يحضـر محاضراته أُولئك الذين أسّسوا فيما بعد المذاهب الفقهيّة فحسب «۳» بل كان يحضرها الفلاسفة وطلّاب الفلسفة من

الأنحاء القصيّة، وكان الإمام «الحسن البصرى» مؤسس المدرسة الفلسفيّة فى مدينة البصرة، وواصل بن عطاء مؤسّس مذهب المعتزلة من تلاميذه، الذين نهلوا من معين علمه الفيّاض وقد عرف واصل والإمام العلوى بدعوتهما إلى حرية إرادة الانسان... «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۳

وأمّا حِكَمه وقصار كلمه، فلاحظ تحف العقول، وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته إلى النجاشى والى الأهواز، ومنها: رسالته فى شرائع الدين نقلها الصدوق فى الخصال، ومنها: ما أملاه فى التوحيد للمفضّل بن عمر، إلى غير ذلك من الرسائل التى رسمها بخطّه «۱».

نتف من أقواله

نتف من أقواله

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهى وصيته لسفيان الثورى:

«الوقوف عند كلّ شبهة خير من الاقتحام فى الهلكة، وترك حديث لم تُرْوَه «۲»، أفضل من روايتك حديثاً لم تحصِه».

«إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب اللّه فخذوه وما خالفه فدعوه» «۳».

من أقوال العلماء المحدِّثين فيه عليه السلام

من أقوال العلماء المحدِّثين فيه عليه السلام

ونختم هذا البحث بما قاله أبو زهرة فى هذا المجال:

إنّ للإمام الصادق فضل السبق، وله على الأكابر فضل خاصّ، فقد كان أبو حنيفة يروى عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأُستاذية على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۴

أبى حنيفة فحسبه ذلك فضلًا.

وهو فوق هذا حفيد علىّ زين العابدين الذى كان سيّد أهل المدينة فى عصره فضلًا وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهرى، وكثير من التابعين، وهو ابن محمّد الباقر الذى بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو ممّن جعل اللّه له الشرف الذاتى والشرف الإضافى بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمّديّة «۱».

وبما كتبه الأُستاذ أسد حيدر إذ قال:

كان يؤمّ مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها، ومن كلّ قبيلة من بنى أسدّ، ومخارق، وطى، وسليم، وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبنى ضبة، ومن قريش، ولا سيّما بنى الحارث بن عبد المطلب، وبنى الحسن بن الحسن بن علىّ «۲».

وفاته

وفاته

ولمّا توفّى الإمام شيّعه عامّة الناس فى المدينة، وحُمِل إلى البقيع، ودفن فى جوار أبيه وجدّه عليهما السلام، وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلى قوله:

أقول وقد راحوا به يحملونه على كاهل من حامليه وعاتقِ

أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهقِ

غداة حثا، الحاثون فوق ضريحه تراباً وأولى كان فوق المفارقِ فسلام اللَّه عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۵

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد فى ۷ صفر سنة ۱۲۸ ه.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

كان عليه السلام نموذج عصره، وفريد دهره، جليل القدر، عظيم المنزلة، مهيب الطلعة، كثير التعبّد، يطوى ليله قائماً ونهاره صائماً، عظيم الحلم، شديد التجاوز، حتّى سمّى لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهدّ لهولها الجبال فلم تحرّك منه طرفاً، بل كان عليه السلام صابراً محتسباً كحال آبائه وأجداده عليهم السلام.

يُعرَف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

قال ابن الصباغ: روى عبد الأعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبى عبداللَّه جعفر الصادق عليه السلام: خذ بيدى من النار، من لنا بعدك؟ فدخل موسى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۶

الكاظم وهو يومئذ غلام، فقال (أى الصادق عليه السلام): «هذا صاحبكم فتمسّك به» «۱».

قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدّم على جميع بنيه؛ لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلىّ الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولىّ عهده والإمام القائم من بعده «۲».

وقد تولّى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق عليه السلام فى وقت شهدت فيه الدولة العبّاسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فتنكّرت للشعار الذى كانت تنادى به من الدعوة لآل محمد- عليه و عليهم السلام- فالتفتت إلى الوارث الشرعى لشجرة النبوّة مشهرة سيف العداء له ولشيعته تلافياً من تعاظم نفوذه أن يؤتى على أركان دولتهم وينقضها، فشهد الإمام الكاظم عليه السلام طيلة سنىّ حياته صنوف التضييق والمزاحمة، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه عليه السلام من أن يؤدّى رسالته فى حماية الدين وقيادة الأُمّة، فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة، ومعيناً لا ينضب من الحلم والكرم والسخاء، ونموذجاً عظيماً لا يدانى فى التعبّد والزهد والخوف من اللَّه تعالى.

جوانب من سيرته العطرة عليه السلام

جوانب من سيرته العطرة عليه السلام

ولقد أفرد الباحثون والمحقّقون مصنّفات كثيرة فى سيرة هذا الإمام العظيم، كفتنا عن التعرّض لها هنا فى هذه العجالة، إلّا أنّنا سنحاول فى هذه الصفحات التعرّض لجوانب مختارة من تلك السيرة العطرة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۷

۱- روى الخطيب فى تاريخ بغداد بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبىّ صلى الله عليه و آله زائراً، وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر، فلمّا انتهى إلى القبر قال:

السلام عليك يا رسول اللّه يا بن عمّى- افتخاراً على من حوله- فدنا موسى بن جعفر فقال: «السلام عليك يا أبة» فتغيّر وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أباالحسن حقّاً! «۱».

۲- ذكر الزمخشرى فى ربيع الأبرار: أنّ هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا أبا الحسن خذ فدكاً «۲» حتّى أردّها عليك، فيأبى، حتى ألحّ عليه فقال: «لا آخذها إلّا بحدودها» قال: وما حدودها؟ قال: «يا أمير المؤمنين إن حددتها لم تردّها»، قال: بحقّ جدّك إلّافعلت، قال: «أمّا الحدّ الأوّل فعدن» فتغيّر وجه الرشيد وقال:

هيه، قال: «والحدّ الثانى سمرقند» فأربد وجهه، قال: «والحدّ الثالث إفريقية» فاسودّ وجهه وقال: هيه، قال: «والرابع سيف البحر ممّا يلى الخزر وإرمينية»، قال الرشيد: فلم يبق لنا شىء، فتحوّل فى مجلسى، قال موسى عليه السلام: «قد أعلمتك أنّى إن حددتها لم تردّها».

فعند ذلك عزم على قتله «۳».

۳- كان يصلّى نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثمّ يعقّب حتّى تطلع الشمس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۸

ويخرّ للّه ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس.

كان يدعو كثيراً فيقول: «اللّهمّ إنّى أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب»، ويكرّر ذلك.

وكان من دعائه عليه السلام: «عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك».

وكان يبكى من خشية اللّه حتّى تخضل لحيته بالدموع.

وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقّد فقراء المدينة فى الليل، فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والأدقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أيّة جهة هو «۱».

۴- فى تحف العقول للحسن بن علىّ بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت فى أيام أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام فلمّا أتيت المدينة دخلت داره فجلست فى الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبى فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: «على رسلك»، ثمّ جلس مستنداً إلى الحائط، ثمّ قال: «توقّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت» فأعجبنى ما سمعت من الصبىّ فقلت له: ما اسمك؟ فقال: «أنا موسى بن جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب» فقلت له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال: «إنّ السيّئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إمّا أن تكون من اللّه وليست من العبد؛ فلا ينبغى للربّ أن يعذّب العبد على ما لا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد- وليست كذلك- فلا ينبغى للشريك القوىّ أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد- وهى منه- فإن عفا فكرمه وجوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته».

قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد اللّه واستغنيت بما سمعت.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۹

وروى ابن شهر آشوب فى المناقب نحوه إلّاأنّه قال: «يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار»، وقال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل

فی عینی، وعظم فی قلبی. وقال فی آخر الحدیث: فقلت: ذرّیة بعضها من بعض «۱». «۲» ۵- روی أبو الفرج الأصفهانی: حدّثنا یحیی بن الحسن قال: کان موسی بن جعفر إذا بلغه عن الرجل ما یکره بعث إلیه بصرّة دنانیر. وکانت صراره ما بین الثلاثمائة وإلی المائتین دینار، فکانت صرار موسی مثلًا.

وقال: إنّ رجلًا من آل عمر بن الخطّاب کان یشتم علیّ بن أبی طالب إذا رأی موسی بن جعفر، ویؤذیه إذا لقیه، فقال له بعض موالیه وشیعته: دعنا نقتله، فقال:

«لا» ثمّ مضی راکباً حتّی قصده فی مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا.

فلم یصغ إلیه وأقبل حتّی نزل عنده، فجلس معه وجعل یضاحکه، وقال له:

«کم غرمت علی زرعک هذا»؟ قال: مائة درهم. قال: «کم ترجو أن تربح»؟ قال:

لا أدری. قال: «إنّما سألتک کم ترجو». قال: مائة أُخری. قال: فأخرج ثلاثمائة دینار فوهبه له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلک وثب العمری فسلّم علیه وجعل یقول: اللّه أعلم حیث یجعل رسالته.

وکان بعد ذلک کلّما دخل موسی خرج وسلّم علیه ویقوم له، فقال موسی لجلسائه الذین طلبوا قتله: «أیّما کان خیراً ما أردتم أو ما أردت» «۳».

۶- حکی أنّ الرشید سأله یوماً: کیف قلتم: نحن ذرّیة رسول اللّه صلی الله علیه و آله وأنتم بنو علیّ، وإنّما ینسب الرجل إلی جدّه لأبیه دون جدّه لأُمّه؟ فقال الکاظم علیه السلام: «أعوذ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۹۰

باللّه من الشیطان الرجیم بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحیمِ وَمِنْ ذُرِّیَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَیمانَ وَأَیُّوبَ وَیُوسُفَ وَمُوسَی وَهَارُونَ وَکَذَلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ* وَزَکَرِیَّا وَیَحْیَی وَعِیسَی وَإِلْیَاسَ... ولیس لعیسی أب إنّما أُلحق بذرّیة الأنبیاء من قبل أُمّه، وکذلک أُلحقنا بذرّیة النبیّ من قبل أُمّنا فاطمة الزهراء، وزیادة أُخری یا أمیرالمؤمنین: قال اللّه عزّ وجلّ: فَمَنْ حاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعدِ ما جاءَک مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَکُمْ ونِساءَنا ونِساءَکُمْ وأنْفُسَنا وأنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...

ولم یدع صلی الله علیه و آله عند مباهلة النصاری غیر علیّ وفاطمة والحسن والحسین وهما الأبناء» «۱».

۷- أمّا علمه والحدیث عنه فقد روی عنه العلماء فی فنون العلم ما ملأ الکتب، وکان یعرف بین الرواة بالعالم. وقد روی الناس عنه فأکثروا، وکان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لکتاب اللّه «۲».

وفاته

وفاته:

وقد اتفقت کلمة المؤرّخین علی أنّ هارون الرشید قام باعتقال الإمام الکاظم علیه السلام وإیداعه السجن لسنین طویلة مع تأکیده علی سجّانیه بالتشدید والتضییق علیه.

قال ابن کثیر: فلمّا طال سجن الإمام الکاظم علیه السلام کتب إلی الرشید: «أمّا بعد یا أمیر المؤمنین إنّه لم ینقض عنّی یوم من البلاء إلّاانقضی عنک یوم من الرخاء، حتی یفضی بنا ذلک إلی یوم یخسر فیه المبطلون» «۳».

ولم یزل ذلک الأمر بالإمام علیه السلام، یُنقل من سجن إلی سجن حتی انتهی به الأمر

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۹۱

إلی سجن السندی بن شاهک «۱»، وکان فاجراً فاسقاً، لا یتورّع عن أی شیء تملّقاً ومداهنة للسلطان، فغالی فی سجن الإمام علیه السلام وزاد فی تقییده حتّی جاء أمر الرشید بدسّ السمّ للکاظم علیه السلام، فأسرع السندی إلی إنفاذ هذا الأمر العظیم، واستشهد

الإمام عليه السلام بعد طول سجن ومعاناة فى عام ۱۸۳ ه.

ولمّا كان الرشيد يخشى ردّة فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الإمام عليه السلام، لذا عمد إلى حيلة ماكرة للتنصّل من تبعة هذا الأمر الجلل، فقد ذكر أبوالفرج الاصفهانى وغيره «۲»: أنّ الإمام الكاظم لما توفّى مسموماً أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدىّ وغيره ليشهدوا على أنّه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته، ولما شهدوا على ذلك أُخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودى بوفاته. ودفن فى بغداد فى الجانب الغربى فى المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة فى أيامنا هذه بالكاظمية.

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً، ويوم يبعث حيّاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۲

الإمام الثامن: أبوالحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام

الإمام الثامن: أبوالحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولد فى المدينة سنة ۱۴۸ ه.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، القائم بالإمامة بعد أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته فى عصره، ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة فى حقّه من أبيه على إمامته «۱». وكانت مدة إمامته بعد أبيه ۲۰ سنة «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۳

أقوال العلماء فيه عليه السلام

أقوال العلماء فيه عليه السلام

قال الواقدى: علىّ بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتى بمسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة «۱».

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجده فى الحقيقة وارثهما (المراد علىّ بن أبى طالب وعلىّ بن الحسين عليهما السلام) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفعت مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتّى أدخله الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه فى مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه علية، وصفاته ثنية، ونفسه الشريفة زكية هاشمية، وأرومته النبوية كريمة «۲».

وقد عاش الإمام الرضا عليه السلام فى عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم،

وازداد التشكيك فى الأصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسّمة أهل الحديث.

وفى تلك الأزمنة أُتيحت له عليه السلام فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء «۳».

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۴

دخل أبو قرّة المحدّث على أبى الحسن الرضا عليه السلام فقال: روينا أنّ اللَّه قسَّم الرؤية والكلام بين نبيَّين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمّد صلى الله عليه و آله الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن المبلّغ عن اللَّه إلى الثقلين الجنّ والإنس: أنّه لا تدركه الأبصار «۱»

، و لا يحيطون به علماً «۲»

، و ليس كمثله شىء «۳»

، أليس محمد صلى الله عليه و آله»؟ قال: بلى.

قال: «فكيف يجىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللَّه، وأنّه يدعوهم إلى اللَّه بأمر اللَّه، فيقول: لا تدركه الأبصار، و لا يحيطون به علماً، و ليس كمثله شىء، ثمّ يقول: أنا رأيته بعينى وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يأتى من عند اللَّه بشىء ثمّ يأتى بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّة: فإنّه يقول: ولَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخرى «۴»

.

قال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال:

ما كذب الفؤادُ ما رأى «۵»

يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه و آله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرى «۶»

فآيات اللَّه غير اللَّه، وقال: «لا يُحيطون بِهِ عِلْماً» فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرة: فتكذّب بالرواية؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۵

فقال أبو الحسن: «إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه: أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شىء» «۱».

ولما انتشر علم الإمام وفضله، أخذت الأفئدة والقلوب تشدّ إليه، وفى الأُمّة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكثر التفاف المسلمين حول الإمام الرضا عليه السلام وازدادت أعدادهم، ممّا دفع بالخلافة العباسية إلى محاولة سحب البساط من تحت رجلى الإمام عليه السلام وأعوانه قبل أن تستفحل الأُمور ويصعب السيطرة على الموقف بعدها، فلجأ المأمون إلى مناورة ذكيّة ماكرة استطاع من خلالها قلب تيار الأحداث لصالحه، حيث استقدم الإمام الرضا عليه السلام وجملة من وجوه الطالبيين إلى مقر الحكومة آنذاك فى مرو من مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، معزّزين مكرّمين حتّى أنزلوهم إلى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقى المأمون بالإمام علىّ ابن موسى عليهما السلام.

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

وما كان من المأمون إلّاأن بعث إلى الإمام الرضا عليه السلام قبل اجتماعه به: إنّى أريد أن أخلع نفسى من الخلافة وأقلّدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضا عليه السلام هذا الأمر وقال له: «أُعيذك باللّه يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد» فردّ عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد بعدى، فأبى عليه الرضا إباءً شديداً.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين- ليس فى المجلس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۶

غيرهم- وقال له: إنّى قد رأيت أن أُقلّدك أمر المسلمين وأفسخ ما فى رقبتى وأضعه فى رقبتك.

فقال له الرضا عليه السلام: «اللّه اللّه يا أمير المؤمنين إنّه لا طاقة لى بذلك ولا قوّة لى عليه».

قال له: فإنّى موليك العهد من بعدى.

فقال له: «أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين».

فقال له المأمون- كلاماً فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال فى كلامه-: إنّ عمر بن الخطّاب جعل الشورى فى ستة أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليه السلام وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولابد من قبولك ما أُريد منك فإنّى لا أجد محيصاً عنه.

فقال له الرضا عليه السلام: «فإنّى أُجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّنى لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتى، ولا أقضى، ولا أُولى، ولا أعزل، ولا أُغير شيئاً ممّا هو قائم» فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه «۱».

أقول: ليس بخاف على ذى لبّ مغزى إصرار المأمون على تولية الإمام الرضا عليه السلام لمنصب ولاية العهد، وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقراء الأحداث التى سبقت أو رافقت هذه المؤامرة المحكمة.

فعندما قدّم هارون الرشيد ولده الأمين رغم إقراره ومعرفته بقوّة شخصيّة المأمون وذكائه قياساً بأخيه المدلّل الذى لا يشفع له إلّامكانة أُمّه زبيدة الحاكمة فى قصر الرشيد، كان يعنى ذلك إيذاناً بقيام الفتنة التى حصلت من بعد وراح ضحيتها عشرات الألوف وعلى رأسهم الأمين الذى وقف العباسيون إلى صفّه وقاتلوا معه، ولما انتقلت السلطة بأكملها إلى المأمون المستقرّ فى خراسان والمدعوم بأهلها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۷

آنذاك، فقد واجه خطر نقمة أكثر العباسيين وعدائهم له وتحيّنهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه.

وفى الجانب الآخر كان الشيعة فى كلّ مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العداء نتيجة سوء صنيعهم وظلمهم للعلويين ولآل البيت خاصة، والذين يؤلف شيعة خراسان جانباً مهماً منهم.

وكان فى أوّل سنة لخلافة المأمون أن خرج السرى بن منصور الشيبانى المعروف بأبى السرايا فى الكوفة منادياً بالدعوة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن على عليه السلام حيث بايعه عامّة الناس على ذلك.

وفى المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وفى البصرة علىّ بن محمد بن جعفر بن علىّ بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقّب بزيد النار، وفى اليمن إبراهيم بن موسى، ومن ثمّ فقد ظهر فى المدينة أيضاً الحسن بن الحسين بن على بن الحسين المعروف بالأفطس.

وهكذا فقد اندلعت فى أنحاء الدولة الكثير من الثورات تناصرها الآلاف من الناس الذين ذاقوا الأمرّين من حكم الطواغيت والظلمة.

وهكذا فقد أدرك المأمون مدى تأزّم الموقف، وتخلخل وضع الحكومة آنذاك، فلم يجد بداً من تظاهره أمام الرأى العام الشيعى- الذى كان من أقوى التيارات المؤهلة للإطاحة بالخلافة العباسية دون أىّ شكّ- بتنازله عن الخلافة- التى قتل أخاه من أجلها- إلى الإمام الرضا عليه السلام إمام الشيعة وقائدهم.

وهكذا فبعد قبول على بن موسى الرضا عليهما السلام ولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء، فخففت الألوية على رأسه، وكان

فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن علىّ الخزاعىّ، فلمّا دخل عليه قال: قلت قصيدة وجعلت على نفسى أن لاأنشدها أحداً قبلك، فأمره بالجلوس حتى خفّ مجلسه ثمّ قال له: «هاتها»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۸

فأنشد قصيدته المعروفة:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصاتِ

لآل رسول اللّه بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمراتِ

ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفناتِ

ديار عفاها كلّ جون مبادر ولم تعف للأيّام والسنواتِ إلى أن قال:

قبور بكوفان وأُخرى بطيبة وأُخرى بفخ نالها صلواتى وقبر ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن بالغرفاتِ

فأمّا المصمّات التى لست بالغاً مبالغها منّى بكنه صفاتِ

إلى الحشر حتّى يبعث اللّه قائماً يفرّج منها الهمّ والكربات إلى أن قال:

ألم تر أنّى مذ ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسرات؟

أرى فيئهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم أكفّاً من الأوتار منقبضات حتّى أتى على آخرها، فلمّا فرغ من إنشادها قام الرضا عليه السلام فدخل إلى حجرته وأنفذ إليه صُرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها دعبل وقال: واللّه ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليك والتبرّك بالنظر إلى وجهك الميمون، وإنّى لفى غنى، فإن رأيت أن تعطيَنى شيئاً من ثيابك للتبرّك فهو أحب إلىَّ. فأعطاه الرضا جبّة خز وردّ عليه الصرّة «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۹

الإمام الرضا عليه السلام وصلاة العيد

الإمام الرضا عليه السلام وصلاة العيد

كان الإمام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض، وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما كان يتمنّاه، وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، وقوى ذلك الظن أنّ المأمون بعث إليه يوم العيد فى أن يصلّى بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا عليه السلام: «إنّك قد علمت ما كان بينى وبينك من الشروط فى دخول الأمر، فاعفنى من الصلاة بالناس». فقال له المأمون: إنّما أُريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك.

ولم تزل الرسل تتردّد بينهما فى ذلك، فلمّا ألحّ عليه المأمون، أرسل إليه الرضا: «إن أعفيتنى فهو أحبّ إلىّ وإن لم تعفنى خرجت كما خرج رسول اللّه وأمير المؤمنين عليه السلام» فقال له المأمون: اخرج كيف شئت. وأمر القوّاد والحجاب والناس أن يبكروا إلى باب الرضا عليه السلام.

قال: فقعد الناس لأبى الحسن عليه السلام فى الطرقات والسطوح، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه، فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمّم بعمامةٍ بيضاء من قطنٍ، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ومسّ شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه: «افعلوا مثل ما فعلت» فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمّرة، فمشى قليلًا ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، فلمّا رآه الجند والقوّاد سقطوا كلّهم عن الدوابّ إلى الأرض، ثمّ كبّر وكبّر الناس، فخيّل إلى الناس أنّ

السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لمّا رأوا الإمام الرضا عليه السلام وسمعوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۰

تكبيره، فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلّنا على دمائنا، فأنفذ إليه أن يرجع. فأرسل إليه من يطلب منه العودة، فرجع الرضا عليه السلام واختلف أمر الناس فى ذلك اليوم «۱».

وقد أشار الشاعر البحترى إلى تلك القصّة بأبيات منها:

ذكروا بطلعتك النبيّ فهلّلوا لما طلعت من الصفوف وكبّروا

حتّى انتهيت إلى المصلّى لابساً نور الهدى يبدو عليك فيظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع للّه لا- يزهى ولا- يتكبّر «۲» إنّ هذا وأمثاله، وبالأخصّ خروج بعض العباسيّين بالبصرة على المأمون؛ لتفويضه ولاية العهد لعليّ بن موسى الرضا الذى كان فى تصوّره سيؤدى إلى خروج الأمر من بيت العباسيين، كل ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السم على النحو المذكور فى كتب التاريخ.

من شعر أبى نؤاس فيه عليه السلام

من شعر أبى نؤاس فيه عليه السلام

ومن لطيف ما نقل عن أبى نؤاس أنّه كان ينشد الشعر فى كلّ جليل وطفيف ولم يمدح الإمام، ولما عوتب على ذلك من قبل بعض أصحابه حيث قال له: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلّاقلت فيه شيئاً، وهذا عليّ بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئاً! فقال أبو نواس: واللّه ما تركت ذلك إلّا إعظاماً له، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۱

قيل لى أنت أحسن الناس طراً فى فنون من الكلام النبيه

لك من جيّد القريض مديحٌ يثمر الدر فى يدىّ مجتنيه

فعلامَ تركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمّعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمامٍ كان جبريلُ خادماً لأبيه وقال فيه عليه السلام أيضاً:

مطهّرون نقيّات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر

اللّه لمّا برا خلقاً فأتقنه صفّاكُمُ واصطفاكم أيّها البشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور «۱»

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

واستشهد فى طوس من أرض خراسان فى صفر ۲۰۳ ه، وله يومئذ ۵۵ سنة.

ولما استشهد الإمام عليه السلام دفن فى مدينة طوس فى قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرك به.

فسلام اللّه عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۲

الإمام التاسع: أبوجعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

الإمام التاسع: أبوجعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولد بالمدينة المنورة فى شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة، فورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوّة، وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا عليه السلام عام ۲۰۳ ه، واستشهد ببغداد عام ۲۲۰ ه، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة «۱».

لقّب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقيّ والزكيّ وغيرها من الألقاب الدالّة على علو شأنه وارتفاع منزلته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۳

استقدامه إلى بغداد

استقدامه إلى بغداد

لمّا توفّى الرضا عليه السلام كان الإمام الجواد فى المدينة، وقام بأمر الإمامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التى مارسها مع أبيه عليه السلام خلافاً لأسلافه من العباسيين، حيث إنّهم كانوا يتعاملون مع أئمّة أهل البيت بالقتل والسجن، وكان ذلك يزيد فى قلوب الناس حبّاً لأهل البيت وبغضاً للخلفاء، ولمّا شعر المأمون بذلك بدّل ذلك الأُسلوب بأُسلوب آخر وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكى يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرّت هذه السياسة فى حقّهم إلى الإمام الحادى عشر كما ستعرف.

وما كان من المأمون عندما استقدم الإمام إلى مركز الخلافة، إلّاأن شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه فى العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته أُمّ الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره، ونحن نكتفى فى المقام بذكر أمرين:

۱- لمّا توفّى الإمام الرضا عليه السلام وقدم المأمون بغداد، اتّفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم، فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد، وعمره آنذاك تسع سنين، فلمّا قرب منه الخليفة قال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعاً: «يا أمير المؤمنين فرّ أصحابى فرقاً والظنّ بك حسن

أنّه لا يفرّ منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فانتحى عن أميرالمؤمنين» فأعجب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۴

المأمون كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام» فترحّم على أبيه «۱».

۲- لمّا أراد المأمون تزويج ابنته أُمّ الفضل من الإمام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: ننشدك اللّه أن تقيم على هذا الأمر الذى عزمت عليه من تزويج ابن الرضا؛ فانّا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه اللّه! وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه اللّه! فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا فى وهلة من عملك مع الرضا حتى كفى اللّه المهمّ من ذلك- إلى أن قالوا-: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه؛ فإنّه صبى لا معرفة له؛ فأمهله حتّى يتأدّب ويتفقّه فى الدين ثمّ اصنع ما ترى.

قال المأمون: ويحكم إنّى أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من اللّه تعالى وإلهامه، ولم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين والأدب من الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتّى يتبيّن لكم ما وصفت لكم من حاله. قالوا: رضينا.

فخرجوا واتّفق رأيهم على أنّ يحيى بن أكثم يسأله مسألة وهو قاضى الزمان فأجابهم المأمون على ذلك.

واجتمع القوم فى يوم اتّفقوا عليه، وأمر المأمون أن يفرش لأبى جعفر دست ففعل ذلك، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس فى مراتبهم، والمأمون جالس فى دست متّصل بدست أبى جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟

فقال: استأذنه فى ذلك.

فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لى- جعلت فداك- فى مسألة؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۵

فقال: «سل إن شئت».

فقال: ما تقول- جعلت فداك- فى مُحْرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «فى حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلًا؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّاً كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلًا كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟».

فتحيّر يحيى وبان فى وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد للّه على هذه النعمة والتوفيق لى فى الرأى، ثمّ قال لأبى جعفر عليه السلام: اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتى «۱».

ولمّا تمّ الزواج قال المأمون لأبى جعفر: إن رأيت- جعلت فداك- أن تذكر الجواب فيما فصّلته من وجوه قتل المُحْرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ المحرم إذا قتل صيداً فى الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً؛ فإن قتل فرخاً فى الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللّبن، وإذا قتله فى الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۶

بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفى العمد له المأثم وهو موضوع عنه فى الخطأ، والكفّارة على الحرّ فى نفسه، وعلى السيّد فى عبده، والصغير لا كفّارة عليه وهى على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب فى الآخرة».

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر... «۱».

رجوعه عليه السلام إلى المدينة

رجوعه عليه السلام إلى المدينة

ثمّ إنّ أبا جعفر بعد أن أقام مدّة فى بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدّة إلى أن توفّى المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكّراً فى أبى جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التى مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة ۲۲۰ «۲» وبقى فيها عليه السلام حتى توفّى فى آخر ذى القعدة من تلك السنة، وله من العمر ۲۵ سنة وأشهر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر فى مقابر قريش.

وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً «۳».

فسلام اللَّه على إمامنا الجواد يوم ولد، ويوم مات أو استشهد بالسمّ، ويوم يبعث حيّاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۷

الإمام العاشر: أبو الحسن علىّ بن محمّد الهادى عليه السلام

الإمام العاشر: أبو الحسن علىّ بن محمّد الهادى عليه السلام

ولادته وإمامته عليه السلام

ولادته وإمامته عليه السلام

ولد عام ۲۱۲ ه، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصاية والخلافة، وثمرة من شجرة النبوّة.

قام عليه السلام بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد عليه السلام، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء قضايا لا يتّسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علَتْه هيبة الوقار، وإذا تكلّم سماه البهاء «۱».

وقال عماد الدين الحنبلى: كان فقيهاً إماماً متعبّداً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۸

وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبى جعفر ابنه أبو الحسن علىّ بن محمّد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة «۱».

وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن أراد فليرجع إلى الكافى وإثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّة لذلك «۲».

المتوكّل ومواقفه الشنيعة مع الإمام عليه السلام

المتوكّل ومواقفه الشنيعة مع الإمام عليه السلام

لقد مارس المتوكّل نفس الأُسلوب الخبيث الذى رسمه المأمون ثمّ أخوه المعتصم من إشخاص أئمّة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الإقامة فى مقرّ الخلافة، وجعل العيون والحرّاس عليهم حتى يطّلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.

وكان المتوكّل من أخبث الخلفاء العباسيين، وأشدّهم عداءً لعليّ، فبلغه مقام عليّ الهادى بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منه «۳»، فدعا يحيى ابن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر فى حاله وأشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على عليّ الهادى، وقامت الدنيا على ساق؛ لأنّه كان مُحْسِناً إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحيى: فجعلت أُسكِّنهم وأحلِف لهم أنّى لم أُؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثمّ فتّشت منزله فلم أجد فيه إلّامصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۹

عينى، وتولّيت خدمته بنفسى، وأحسنت عشرته، فلمّا قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهرى وكان والياً على بغداد، فقال لى: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول اللَّه، والمتوكّل مَنْ تعلَم، فإن حرّضته عليه قتله، كان رسول اللَّه خصمك يوم القيامة. فقلت له: واللَّه ما وقعت منه إلّاعلى كلّ أمر جميل.

ثمّ صرت به إلى «سرّ من رأى» فبدأت ب «وصيف» التركى، فأخبرته بوصوله، فقال: واللَّه لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فلمّا دخلت على المتوكّل سألنى عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنّى فتّشت داره ولم أجد فيها إلّاالمصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء «۱».

ومع أنّ الإمام كان يعيش فى نفس البلد الذى يسكن فيه المتوكّل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، إلّاأنّه وشى به إلى المتوكّل بأنّ فى منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلًا فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه فى بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجّه إلى اللَّه تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد فى بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً فى مجلس الشراب فأُدخل عليه والكأس فى يده، فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التى كانت فى يده، فقال الإمام عليه السلام: «واللَّه ما خامر لحمى ودمى قط، فاعفنى» فأعفاه، فقال له: انشدنى شعراً، فقال عليّ: «أنا قليل الرواية للشعر» فقال: لابدّ، فأنشده وهو جالس عنده:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۰

«باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم وأُسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهمُ صارخ من بعد دفنهم أين الأسرّة والتيجان والحلل أين الوجوه التى كانت منعّمة من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل «۱»

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا» فبكى المتوكّل حتى بلّتْ لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون، ورفع إلى عليّ أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرّماً «۲».

آثاره العلمية

آثاره العلمية

روى الحفّاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة فى شتّى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون فى كتبهم، وبثّها الحرّ العاملى فى كتابه الموسوم ب «وسائل الشيعة» على أبواب مختلفة، وممّا نلفت إليه النظر أنّ للإمام عليه السلام بعض الرسائل؛ وهى:

۱- رسالته فى الردّ على الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، أوردهابتمامها الحسن بن على بن شعبة الحرّانى فى كتابه الموسوم ب «تحف العقول» «۳».

۲- أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردها الحرّانى فى تحف العقول.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۱

۳- قطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب فى المناقب.

ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاصّ من تفسير الإمام نأتى بنموذج من هذا التفسير:

قُدّم إلى المتوكّل رجل نصرانى فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام الهادى يسأله، فلمّا قرأ الكتاب، كتب:

«يضرب حتى يموت» فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلّة، فكتب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالوا آمَنَّا بِاللَّه وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشركينَ* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بأسنا سُنَّةَ اللَّه الَّتى قَدْ خَلَتْ فى عبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرونَ «۱»

، فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات «۲».

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

توفّى أبو الحسن عليه السلام فى رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن فى داره بسرّ من رأى، وخلّف من الولد أبا محمّد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وابنته عائشة، وكان مقامه بسرّ من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهر، وتوفّى وسنّه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة «۳».

وقد ذكر المسعودى فى إثبات الوصيّة «تفصيل كيفية وفاته وتشييعه وإيصاء الإمامة لابنه أبى محمّد العسكرى» فمن أراد فليراجع «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۲

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

أبو محمّد الحسن بن على الهادى بن محمّد الجواد، أحد أئمّة أهل البيت، والإمام الحادى عشر، الملقب بالعسكرى، ولد عام ۲۳۲ ه «۱»، وقال الخطيب فى تاريخه «۲» وابن الجوزى فى تذكرته «۳»: أنّه ولد عام ۲۳۱ ه وأشخص والده إلى العراق سنة ۲۳۶ ه وله من العمر أربع سنين وعدّة شهور، وقام بأمر الامامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدّمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة «۴»، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدّثين يربو عددهم على ۱۵۰ شخصاً «۵». وتوفّى عام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۳

۲۶۰ ه ودفن فى داره التى دفن فيها أبوه بسامراء.

وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطة، واجتهادها فى البحث عن أمره، ولكنّه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة فى طلبهما والاعتداء عليهما.

وقد اشتهر الإمام بالعسكرى لأنّه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سرّ من رأى التى بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليّاً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنُسب هو وولده إليها «۱». قال سبط ابن الجوزى: كان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جدّه ومن جملة مسانيده حديث فى الخمر عزيز.

ثمّ ذكر الحديث عن جدّه أبى الفرج الجوزىّ فى كتابه المسمّى ب «تحريم الخمر»، ثمّ ساق سند الحديث إلى الحسن العسكرى وهو يسند الحديث إلى آبائه إلى على بن أبى طالب وهو يقول: «أشهد باللَّه لقد سمعت محمّداً رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد باللَّه على اللوح المحفوظ أنّه قال: سمعت اللَّه يقول:

شارب الخمر كعابد الوثن» «۲».

ولقد وقع سبط ابن الجوزى فى الاشتباه عندما توهّم أنّ اسناد الإمام عليه السلام هذا الحديث إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنّ أحاديث أهل البيت مروية كلّها عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فهم لا يروون فى مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلّا ما وصل إليهم عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا تعبّر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصوّر كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين مّمن يعتمدون على آرائهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۴

الشخصية، وهو فى قياسه خاطىء؛ منذ نعومة أظفارهم إلى أن لبّوا دعوة ربّهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلّموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وراثة غيبية لا يعلم كنهها إلّااللَّه سبحانه والراسخون فى العلم.

وهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام يبيّن هذا الأمر بوضوح لا لبس فيه، حيث يقول: «إنّ حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وحديث على أمير المؤمنين حديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وحديث رسول اللَّه قول اللَّه عزّ وجلّ» «۱».

وروى حفص بن البخترى، قال: قلت لأبى عبداللَّه الصادق عليه السلام أسمع الحديث منك فلا أدرى منك سماعه أو من أبيك، فقال: «ما سمعته منّى فاروه عن أبى، وما سمعته منّى فاروه عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲».

فأئمّة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أُناساً نقلهم وحديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى ولقد عاتب الإمام الباقر عليه السلام سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانايأخذان الحديث من الناس ولايهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّاشيئاً خرج من عندنا أهلَ البيت».

ورغم أنّ الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الإقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيساً، ولكن روى عنه الحفّاظ والرواة أحديثاً جمّة فى شتى المجالات، بل يروى أنّ الإمام عليه السلام ورغم كلّ ذلك كان على اتّصال مستمر بالشيعة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وحيث كان لامرجع لهم سوى الإمام عليه السلام.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۵

كما أنّ الكلام عن أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته وعظمته، ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا فى ذلك علماؤنا الأبرار، بيد أنّا نشير إلى لمحة من علومه.

١- لقد شغلت الحروف المقطّعة بال المفسّرين فضربوا يميناً وشمالًا، وقد أنهى الرازى أقوالهم فيها فى أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولًا، ولكن الإمام عليه السلام عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: «كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبين تقوّله، فقال اللّه: الم* ذلِكَ الكتابُ أى: يا محمّد، هذا الكتاب الذى نزّلناه عليك هو الحروف المقطّعة اليى منها «ألف»، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّه لا يقدرون عليه بقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبعْضٍ ظَهِيرا «١»» «٢»

.

وقد روى هذا المعنى عن أبيه الإمام الهادى عليه السلام «٣».

٢- كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك فى طريق المسلمين فيقولون إنّكم تقولون فى صلواتكم: اهدنا الصِّراط المُستقيم أو لستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنّكم متنكّبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «أدِم لناتوفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيّامنا حتّى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمالنا».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١۶

ثمّ فسّر الصراط بقوله: «الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط فى الدينا وصراط فى الآخرة، أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شىء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذى هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة» «١»،

وكان قد استفحل أمر الغلاة فى عصر الإمام العسكرى ونسبوا إلى الأئمّة الهداة أُموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركّز الإمام على أنّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

٣- ربّما تغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيهِم ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كلّ هذا نعمة من اللّه، ولكنّ المراد من الآية بقرنية قوله: غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالِّين «٢»

هو نعمة التوفيق والهداية، ولأجل ذلك نرى أنّ الإمام يفسّر هذا الإنعام بقوله:

«قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال اللّه عزّ وجلّ: وَمَنْ يُطِع اللَّهَ والرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدّيقينَ والشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من اللّه ظاهرة» «٣».

۴- لقد تفشّت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تخلق، تأثراً بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمّد بن صالح عن قول اللّه: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ «۴»

فقال: «هل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١٧

يمحو إلّاما كان وهل يثبت إلّامالم يكن»؟

فقلت فى نفسى: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطى: إنّه لا يعلم الشىء حتى يكون، فنظرإلىَّ شزراً، وقال: «تعالى اللّه الجبّار العالم بالشىء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه» «١».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١٨

الإمام الثانى عشر: المهدى ابن الحسن المنتظر عليه السلام

الإمام الثانى عشر: المهدى ابن الحسن المنتظر عليه السلام

اشارة

الإمام الثانى عشر: المهدى ابن الحسن المنتظر عليه السلام

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكرى الحجّة، الخلف الصالح، ولد عليه السلام بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه اللَّه الحكم صبيّاً كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه:

يايَحْيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبيّاً «۱»

،

وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه: إنّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنى نَبيّاً «۲»

.

اتّفق المسلمون على ظهور المهدى فى آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل، وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن اللَّه ينجى العالم من ذلّ العبودية لغير اللَّه، ويلغى الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التى سنّتها الأهواء، ويقطع أُواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويمحى أسباب العداء والبغضاء التى صارت سبباً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۹

لاختلاف الأُمّة وافتراق الكلمة، ويحقّق اللَّه سبحانه بظهوره وعده الذى وعد به المؤمنين بقوله:

۱- وعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَستَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنى لا يُشْرِكُونَ بى شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ «۱».

۲- وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ «۲».

۳- وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ «۳».

وتشهد الأُ مّة بعد ظهوره عليه السلام عصراً ذهبياً لا يبقى فيه على الأرض بيت إلّا ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلّاوينادى فيها بشهادة «لا إله إلّا اللَّه» بكرة وعشياً.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة المؤكدة على إمامة أهل البيت عليه السلام، والمشيرة صراحة إلى أنّ عددهم كعدد نقباء بنى إسرائيل، وأنّ آخر هؤلاء الأئمّة هو الذى يملأ الأرض- فى عهده- عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّ أحاديث الإمام الثانى عشر الموسوم بالمهدى المنتظر قد رواها جملة من محدثى السنّة فى صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذى (المتوفّى عام ۲۹۷ ه)، وأبى داود (المتوفّى عام ۲۷۵ ه) وغيرهم؛ حيث

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۰

أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وصحابته، أمثال على ابن أبى طالب عليه السلام، وعبداللَّه بن عباس، وعبداللَّه بن عمر عليه السلام وأُمّ سلمة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة وغيرهم:

۱- روى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم واحد لبعث اللَّه رجلًا من أهل بيتى يملأها عدلًا كما ملئت جوراً» «۱».

۲- أخرج أبو داود عن عبداللَّه بن مسعود: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل

بيتى يواطئ اسمه اسمى» «۲».

۳- أخرج أبو داود عن أُمّ سلمة- رضى اللَّه عنها- قالت: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» «۳».

۴- أخرج الترمذى عن ابن مسعود: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى» «۴».

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التى بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه حتّى قال الدكتور عبدالباقى: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح «۵».

هذا هو المهدى الذى اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة فى ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدى الموعود هو الإمام الثانى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۱

عشر الذى ولد بسامراء عام ۲۵۵ ه واختفى بعد وفاة أبيه عام ۲۶۰ ه، وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ما ترك شكّاً ولا شبهة «۱» ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمّد بن الحسن العسكرى.

نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد فى آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت أدرى بما فى البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل البيت فى كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكرى هو المهدى الموعود.

ومّمن وافق من علماء أهل السنّة بأنّ وليد بيت الحسن العسكرى هو المهدى الموعود:

۱- كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشى الشافعى فى كتابه «مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعى فى «مرآة الجنان» فى حوادث سنة ۶۵۲ ه.

قال- بعد سرد اسمه ونسبه-: «المهدى الحجّة، الخلف الصالح المنتظر، فأمّا مولده فبسر من رأى، وأمّا نسبه أباً فأبوه الحسن الخالص» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة فى المهدى من طريق أبى داود، والترمذى ومسلم، والبخارى وغيرهم، ثمّ ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله عليه السلام من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك، وأجاب عنها جميعاً، ثمّ قال رادّاً على تأويل البعض لهذه الروايات بأنّها لا تدلّ على أنّه محمّد بن الحسن العسكرى قائلًا: بأنّ الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجوده فى محمّد بن الحسن العسكرى علمنا هو المهدى.

۲- أبو عبداللَّه محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجى الشافعى فى كتابيه: «البيان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۲

فى أخبار صاحب الزمان» و «كفاية الطالب فى مناقب على ابن أبى طالب».

۳- نور الدين على بن محمّد بن الصباغ المالكى فى كتابه: «الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة».

۴- الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبطابن الجوزى فى «تذكرة الخواص».

إلى غير ذلك من علماء وحفّاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين فى أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدى من علماء أهل السنّة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان على وجود صاحب الزمان» ورسالة «كشف الأستار» للشيخ حسين النورى «۱».

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدى فى عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً، حتى أنّ شاعراً مثل دعبل الخزاعى ذكره فى قصيدته التى أنشدها لعلى بن موسى الرضا عليه السلام فقال:

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم اللَّه والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزى على النعماء والنقمات ولمّا وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: «يا خزاعى نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدرى من هذا الإمام ومتى يقوم»؟

فقلت: لا يا مولاى، إلّاأنّى سمعت بخروج إمام منكم يطّهر الأرض من الفساد، ويملأها عدلًا كما ملئت جور.

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمّد ابنى (الجواد) وبعد محمّد ابنه على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۳

(الهادى)، وبعد على ابنه الحسن (العسكرى)، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلًا كما ملئت جوراً، وأمّا متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدّثنى أبى عن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قيل له: يا رسول اللّه متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله الساعة لا يجليها لوقتها إلّا هو، ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة «۱».

ثمّ إنّ للمهدى- عجّل اللّه تعالى فرجه- غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت، أمّا الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير على بن محمّد السمرى عام ۳۲۹ ه، ففى هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته فى أُمور شتّى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهى بعد الأُولى إلى أن يقوم بإذن اللّه تعالى.

وأمّا من رأى الحجّة فى زمان أبيه وفى الغيبة الصغرى وحتى فى الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج، وقد أُلّفت فى ذلك كتب أحسنها وأجملها: «كمال الدين» للصدوق، و «الغيبة» للشيخ الطوسى.

فنذكر هنا بعض من رآه فى صباه:

فيمن رأى المهدى فى بيت الإمام العسكرى:

فيمن رأى المهدى فى بيت الإمام العسكرى:

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكرى رأوا الإمام المهدى فى أيام صباه، ووالده بعد حى. وها نحن نذكر من الكثير شيئاً قليلًا حتى لا يرتاب المنصف فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۴

ولادته:

۱- روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبى محمّد الحسن بن على عليه السلام هو جالس على دكّان فى الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسى له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّى المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، فى خدّه الأيمن خال، وفى رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبى محمد ثمّ قال لى: هذا صاحبكم «۱».

۲- روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابورى قال: لما همّ الوالى عمر بن عوف بقتلى غلب علىَّ خوف عظيم، فودعت أهلى وتوجهت إلى دار أبى محمّد لأُودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً فى جنبه وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسينى ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإنّ اللّه سيكفيك شره، فازداد تحيّرى، فقلت لأبى محمّد: يا سيدى يا بن رسول اللّه صلى الله عليه و آله من هذا وقد أخبرنى بما كان فى ضميرى؟

فقال: هو ابنى وخليفتى من بعدى «۲».

۳- روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لأبى محمد الحسن العسكرى: يا ابن رسول اللّه فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لو لا كرامتك على اللّه عزّوجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابنى هذا، إنّه سمّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكنيّه، الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلًا كما ملئت جوراً و ظلماً «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۵

۴- روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثنى أبى عن جده أنّه كان فى دار الحسن بن على عليه السلام فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن على الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتى فى مولاى القائم عليه السلام، قال: فإذا أنا به، قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو عليه السلام ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب «۱».

۵- روى عبداللّه بن جعفر الحميرى قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمرى (أحد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبى محمد عليه السلام؟ فقال: أى واللّه ورقبته مثل ذا- أومأ بيده- فقلت له: فبقيت واحدة؟

فقال لى: هات. قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك... «۲».

۶- روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إلىَّ أبو محمّد الحسن بن على عليه السلام فقال: يا عمة اجعلى إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ اللّه تبارك وتعالى سيظهر فى هذه الليلة الحجة، وهو حجّته فى أرضه.

ثمّ إنّ حكيمة عمة الإمام العسكرى تتحدث عن ولادة الإمام المهدى وتقول:

فصممته إلىَّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بى أبو محمد عليه السلام: هلمّ إلىَّ ابنى يا عمة، فجئت إليه... «۳».

۷- ورى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدى أبى محمد عليه السلام إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت فى نفسى: ولى اللّه وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة إخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا للّه وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۶

فقال لى: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، والهمت أن قلت: لبيك يا سيدى. فقال: جئت إلى ولىّ اللّه وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلّامن عرف معرفتك وعرف مقالتك... إلى أن قال: فنظر إلىَّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدى والحجّة من بعدى بما كان فى نفسك وجئت تسألنى عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذى أسررته فى نفسى من الإمام المهدى ولم ألقه بعد ذلك «۱».

هذه نماذج ممّن رأى الإمام المهدى بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناه ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام فى المقال.

أسئلة مهمّة حول المهدى

اشارة

أسئلة مهمّة حول المهدى

- عجّل اللّه تعالى فرجه-

إنّ القول بأنّ الإمام المهدى لا يزال حياً يرزق منذ ولادته عام ۲۵۵ هجرية إلى الآن، وأنّه غائب سوف يظهر بأمر من اللّه سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته، نذكر رؤوسها:

۱- كيف يكون إماماً وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه فى غيبته؟

۲- لماذا غاب؟

۳- كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

۴- ماهى أشراط وعلائم ظهوره؟

هذه أسئلة أُثيرت حول الإمام المهدى منذ أن غاب، وكلّما طالت غيبته اشتدّ التركيز عليها، وقد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها فى مؤلّفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أنّ الإحالة لما كانت غير خالية عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۷

المحذور، نبحث عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسّط إلى المصادر المؤلّفة فى هذا المجال.

الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأُمة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضاً وحلًا.

أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياء اللّه، وأنّهم بين ظاهرٍ قائم بالأُمور ومُختَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب اللّه العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّة والأولياء والقادة للأُمّة: ولىّ غائب مستور، لا يعرفه حتى نبى زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى عليه السلام بقوله: فَوَجَدا عَبْداً مِن عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْماً* قالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ على أنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً الآيات «۱».

ووليّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأُمّة وتقتدى به.

فالقرآن إذن يدلّ على أنّ الولى ربّما يكون غائباً، ولكنّه مع ذلك لا يعيش فى غفلة عن أُمّته، بل يتصرّف فى مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه أبناء الأُمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولى إمّا ولى حاضر مشاهَد، أو غائب محجوب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۸

وإلى ذلك يشير الإمام على بن أبى طالب فى كلامه لكميل بن زياد النخعىّ، يقول كميل: أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن طالب عليه السلام فأخرجنى إلى الجبّان، فلمّا أصحر، تنفَّس الصعداء، وكان مما قاله: «اللّهم، لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حُجج اللّه وبيِّناته» «۱».

وليست غيبة الإمام المهدى، بِدعاً فى تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه:

وواعَدنا موسى ثلاثينَ لَيلةً وأتممناها بِعَشرٍ فَتمَّ ميقاتُ ربِّهِ أربعينَ لِيلةً وقالَ مُوسى لأخيهِ هارونَ اخلُفنى فى قومى وأصلح ولا تتّبعْ سبيلَ المفسدين «۲».

وهذا يونس كان من أنبياء اللّه سبحانه، ومع ذلك فقد غاب فى الظلمات كما يقول سبحانه: وذا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فى الظُّلُمات أن لا إِله إلّاأنت سُبحانك إِنّى كُنْتُ من الظَّالمين* فاستجبنا له ونَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنْجى المُؤْمنين «۳».

أولم يكن موسى ويونس نَبيّين من أنبياء اللَّه سبحانه؟ وما فائدة نبى يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟

فالجواب فى هـذا المقام، هو الجواب فى الإمام المهدى عليه السـلام وسـيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب فى زمان غيبته فى جواب السؤال التالى.

وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده فى زمن غيبته، لايدلّ على عدم كونه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۹

مفيداً فى زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم طريقاً إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا السؤال من نظائر فى التشريع الإسلامى، فيقيم البسطاء عـدم العلم بالفائـدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل فى تحليل المسائل العلمية، ولا شك أنّ عقول البشـر لا تصل إلى كثير من الأُمور المهمّـة فى عالم التكوين والتشـريع، بل لا تفهم مصـلحة كثير من سـننه، وإن كان فعله سـبحانه منزّهاً عن العبث، بعيـداً عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثانى: إنّ الغَيبَة لا تلازم عدم التصـرف فى الأُمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء اللَّه فى عصـره، فقد خرق السـفينة التى يمتلكها المستضـعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعْلَم أصـحاب السفينة بتصرّفه، وإلّا لصدُّوه عن الخرق، جهلًا منهم بغايـة علمه. كما أنّه بنى الجـدار، ليصون كنز اليتيمين، فأى مانع حينئـذ من أن يكون للإمام الغائب فى كلّ يوم وليلة تصـرّف من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك مادلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم فى أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضـر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضـطرين، ويعود المرضـى، وربّما يتكفّل- بنفسه الشريفة- قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه فى غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذى دلّت عليه الروايات خلافه، فالصـلحاء من الأُمّـة الذين يُسـتَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشـرّف بلقائه، والاسـتفادة من نور وجوده، وبالتالى تسـتفيد الأُمّة بواسطتهم.

الرابع: لاـ يجب على الإمـام أن يتولّى التصـرّف فى الأُمور الظاهريـة بنفسه، بل له توليـة غيره على التصـرف فى الأُمور كما فعل الإمام المهدى- أرواحنا له الفداء-

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۰

فى غَيبته. ففى الغيبـة الصـغرى، كـان له وكلاء أربعـة، يقومون بحوائـج الناس، وكانت الصـلة بينه وبين الناس مسـتمرّة بهم. وفى الغيبة الكبرى نصب الفقهـاء والعلمـاء العـدول العـالمين بالأحكـام، للقضاء وتـدبير الأُمور، وإقامـة الحـدود، وجعلهم حجـة على الناس، فهم يقومون فى عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أُمور الناس «۱».

وإلى هـذه الأجوبـة أشـار الإمـام المهـدى عليـه السـلام فى آخر توقيع له إلى بعض نـوّابه، بقـوله: «وأمّـا وجهُ الانتفـاع بى فى غَيبـتى، فكالانتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصارالسحاب» «۲».

الثانى: لماذا غاب المهدى عليه السلام؟

الثانى: لماذا غاب المهدى عليه السلام؟

إنّ ظهور الإمـام بين الناس، يترتّب عليه من الفائـدة ما لا يترتب عليه فى زمن الغيبـة، فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الاسـتفادة من وجوده، وما هى المصلحة التى أخفته عن أعين الناس؟

الجواب:

أنّ هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۱

أمّا النقض: فبما ذكرناه فى الإجابـة عن السؤال الأوّل، فإنّ قصور عقولنا عن إدراك أسـباب غيبته، لا يجرّنا إلى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولى من ردّ الروايات المتواترة، بل هو المتعّين.

وأمّا الحلّ: فإنّ أسـباب غيبته، واضـحة لمن أمعن فيما ورد حولها من الروايات، فإنّ الإمام المهـدى عليه السـلام هو آخر الأئمـة الاثنى عشـر الـذين وعـد بهم الرسول، وأناط عزّة الإسـلام بهم، ومن المعلوم أنّ الحكومات الإسـلامية لم تُقـدِّرْهُم، بل كانت لهم بالمرصاد، تلقيهم فى السـجون وتريق دمـاءهم الطـاهرة بالسـيف أو السمّ، فلو كـان ظـاهراً، لأقـدموا على قتله، إطفاءً لنوره، فلأجل ذلك اقتضـت المصـلحة أن يكن مستوراً عن أعين النـاس، يراهم ويرونه ولكن لا يعرفونه، إلى أن تقتضـى مشـيئة اللَّه سـبحانه ظهوره، بعـد حصول اسـتعدادٍ خـاص فى العـالم لقبوله، والانـضواء تحت لواء طـاعته، حتى يحقّق اللَّه تعـالى به مـا وعـد به الأُمم جمعاء من توريث الأرض للمستضعفين.

وقد ورد فى بعض الروايات إشارة إلى هذه النكتة، روى زرارة قال: سـمعت أبا جعفر (الباقر عليه السـلام) يقول: إنّ للقائم غَيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف.

قال زرارة: يعنى القتل.

وفى روايـة أُخرى: يخاف على نفسه الذبح «۱».

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره.

الثالث: الإمام المهدى وطول عمره:

الثالث: الإمام المهدى وطول عمره:

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدى، طول عمره فى فترة غَيبته، فإنّه ولد عام ۲۵۵ ه، فيكون عمره إلى العصر الحاضر أكثر من ألف ومائة وخمسين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۲

عاماً، فهل يمكن فى منطق العلم أن يعيش إنسان هذا العمر الطويل؟

الجواب:

من وجهين، نقضاً وحلًّا.

أمّا النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسينَ عاماً «۱».

وقد تضمّنت التوارة أسماء جماعة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم فى سِفْر التكوين «۲».

وقد قام المسـلمون بتأليف كتب حول المعمّرين، ككتاب «المعمّرين» لأبى حاتم السجسـتانى، كما ذكر الصدوق أسـماء عدّة منهم فى كتاب «كمال الـدين» «۳»، والعلّامـة الكراجكى فى رسـالته الخاصّـة، بـاسم «البرهـان على صـحة طول عمر الإمـام صاحب الزمان» «۴»،

والعلّامة المجلسى فى البحار «۵»، وغيرهم.

وأمّا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة اللَّه سبحانه: وَما قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ «۶» ، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية اللَّه سبحانه، فأى مشكلة فى أن يمدّ اللَّه سبحانه فى عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادى المرض ويرزقه عيش الهناء.

وبعبارة أُخرى: إنّ الحياة الطويلة إمّا ممكنة فى حد ذاتها أو ممتنعة، والثانى لم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۳

يقل به أحد، فتعيّن الأوّل، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

أضف إلى ذلك ما ثبت فى علم الحياة، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان فى فترة متدنية، ليس لقصور الاقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

وهناك كلمات ضافية من مَهَرة علم الطب فى إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت فى الكتب والمجلات العلمية المختلفة «۱».

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر، فكلّما كثرت العناية برعاية تلك الأُصول، طال العمر، ولأجل ذلك نرى أنّ الوفيات فى هذا الزمان، فى بعض الممالك، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذى قبل، وما هو إلّالرعاية أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقرّرات خاصة وحدود معيّنة، جارية على قوانين حفظ الصحّة، فلو فرض فى حياة شخص اجتماع موجبات الصحّة من كلّ وجه، طال عمره إلى ما شاء اللَّه.

وإذا قرأت ما تُدَوِّنه أقلام الأطباء فى هذا المجال، يتّضح لك معنى قوله سبحانه: فَلَوْلا أنّه كانَ مِنَ المُسَبِّحينَ* لَلَبِثَ فى بَطْنِهِ إلى يَومِ يُبْعَثونَ «۲»

.

فإذا كان عيش الإنسان فى بطون الحيتان، فى أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم البعث، فكيف لا يعيش إنسان على اليابسة، فى أجواء طبيعية، تحت رعاية اللَّه وعنايته، إلى ما شاء اللَّه؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۴

الرابع: ماهى علائم ظهوره عليه السلام؟

الرابع: ماهى علائم ظهوره عليه السلام؟

إذا كان للإمام الغائب، ظهورٌ بعد غيبة طويلة، فلا بدّ من أن يكون لظهوره علامات وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هى هذه العلامات؟

الجواب:

إنّ ما جاء فى كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة فى آخر الزمان على قسمين:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنوّ القيامة.

وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدى المنتظر.

وربّما وقع الخلط بينهما فى الكتب، ونحن نذكر القسم الثانى منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة، منها:

۱- النداء فى السماء.

۲- الخسوف والكسوف فى غير مواقعهما.

۳- الشقاق والنفاق فى المجتمع.

۴- ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج فى الأُمّة.

۵- ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

۶- قتل النفس الزكية.

۷- خروج الدجّال.

۸- خروج السفيانى.

وغير ذلك مما جاء فى الأحاديث الإسلامية «۱».

هذه هى علامات ظهوره، ولكن هناك أُمور تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۵

أهدافه نشير إلى إبرزها:

۱- الاستعداد العالمى: والمراد منه أنّ المجتمع الإنسانى- وبسبب شيوع الفساد- يصل إلى حدّ، يقنطمعه من تحقّق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التى تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله عن أن يُذعن ويُقرّ بأنّ الإصلاح لا يتحقّق إلّابظهور إعجاز إلهى، وحضور قوّة غيبية، تدمّر كلّ تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التى قَيَدَتْ بسلاسلها أعناق البشر.

۲- تكامل العقول: إنّ الحكومة العالمية للإمام المهدى عليه السلام لا تتحقّق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقّق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.

يقول الإمام الباقر عليه السلام فى حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: «إذا قام قائمنا، وَضَعَ اللَّه يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم» «۱».

فقوله عليه السلام: «فيجمع بها عقولهم»، بمعنى أنّ التكامل الاجتماعى يبلغ بالبشر إلى الحدّ الذى يَقْبَلُ فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصّد للثورة على الإمام والانقلاب عليه، وقتله أو سجنه.

۳- تكامل الصناعات: إنّ الحكومة العالمية الموحّدة لا تتحقق إلّابتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كلّه صوته ونداءه، وتعاليمه وقوانينه فى يوم واحد، وزمنٍ واحدٍ.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمنَ فى زمان القائم، وهو بالمشرق يرى أخاه الذى فى المغرب، وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى بالمشرق» «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۶

۴- الجيش الثورى العالمى: إنّ حكومة الإمام المهدى، وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغنى عن جيش فدائى ثائر وفعّال، يُمَهِّد الطريق للإمام عليه السلام ويواكبه بعد الظهور إلى تحقّق أهدافه وغاياته المتوخّاة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۷

حصيلة البحث

حصيلة البحث

حصيلة البحث

هؤلاء هم أئمّة الشيعة وقادتهم بل أئمّة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك؟ وقد ترك رسول اللّه بعد رحلته الثقلين وحثّ الأُمّة على التمسّك بهما وقال:

«إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً» «۱».

ولكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا فى تفسير كتاب اللّه العزيز على أقوال أئمّة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا فى تفسيره بأُناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقّون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفّى عام ۱۰۴ ه)، وعكرمة البربرى (المتوفّى عام ۱۰۴ ه)، وطاووس بن كيسان اليمانى (المتوفّى عام ۱۰۶ ه) وعطاء بن أبى رباح (المتوفّى عام ۱۱۴ ه)، ومحمّد بن كعب القرظى (المتوفّى عام ۱۱۸ ه)، إلى غير ذلك من أُناس لا يبلغون فى الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت- صلوات اللّه عليهم-...

فالإسلام عقيدة وشريعة، والنجاة عن الضلال- حسب مفاد حديث الثقلين- هو الرجوع إليهما، وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلّا فلا قيمة له، أمّا الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلّاإذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنّة نبيّه، وليس حديث أئمّة أهل البيت إلّاإشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۸

صفحه سفيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۹

الفصل الثالث

دور الشيعة

اشارة

دور الشيعة

فى

بناء الحضارة الإسلاميّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۰

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۱

تمهيد

اشارة

تمهيد

إنّ الحديث عن دور الإنسان فى بناء الحضارة البشرية حديث ذو شجون لا يسع المرء وهو يتحدّث عنه إلّاأن يتبيّن بوضوح أثر العمق العقائدى فى استقرار هذه الحضارات المتلاحقة والتى تركت- وبلا شكّ- لها بعض الآثار الدالّة عليها، وهذا العامل الداعم لقيام تلك الحضارات يكون وبلا أدنى ريب المفصل الأساسى فى هيكلية ذلك البناء الكبير.

ولقد شهدت الحياة البشرية على هذا الكوكب (الأرض) حضارات متعدّدة، لكلّ ميزاتها وخصائصها التى ضبطها التاريخ، وأفصحت عنها الاكتشافات الأثرية.

ومن مشاهير هذه الحضارات: الحضارة الصينية، المصرية، البابلية، اليونانية، الرومانية، الفارسية، وأخيراً الحضارة الغربية القائمة فى عصرنا الحاضر، ولكلّ من هذه الحضارات انطباعاتها الخاصة.

وأمّا الحضارة الإسلامية و التى تتوسّط بين الحضارة الأخيرة (الغربية) وما تقدّمها فهى تعدّ بلا شكّ من أكبر الحضارات فى تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون. وهى الأساس الوطيد الذى قامت عليه حركة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۲

النهضة الأوروبية. ولقد وضع عشرات من العلماء موسوعات وكتباً لبيان ما قدّمته الحضارة الإسلامية من خدمات جليلة إلى المجتمع البشرى فى المجالات المختلفة.

ولا يمكن لأحد القول بأنّ الحضارة الإسلامية حضارة عربية بحتة تفرَّد العرب فى إقامة بنيانها وتثبيت أركانها، بقدر ما كانت تمثّل الجهد المتفاعل لجميع الشعوب الإسلامية بقومياتها المختلفة من عرب وفرس وترك وغيرهم من القوميات، الذين ذابوا فى الإسلام ونسوا قوميّاتهم ومشخّصاتهم العنصرية والبيئية.

ومن هنا فإنّ أىّ تعبير عن الحضارة التى سادت إبّان تلك الحقبة الزاهرة من حياة البلاد العربية وما يجاورها، فإنّ المراد به الإشارة إلى الحضارة الإسلامية بكلّ أبعادها وأُسس بنيانها، والتى شارك فيها جميع المسلمين، المخلصين لرسالة السماء التى جاء بها نبىّ الرحمة محمّد صلى الله عليه و آله.

إنّ المسلمين الأوائل وبفضل جهدهم المخلص فى بناء حياة الأُمم والشعوب، استطاعوا أن يقيموا للإسلام حضارة عظيمة ورائعة مترامية الأطراف كانت متوازية مع خطّ انتشار الدعوة الإسلامية، فلا غرو أن تخفق راياتها فى بقاع واسعة من العالم تمتد من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً.

بلى لقد استطاع المسلمون أن يقيموا حضارة حقيقية ترتكز على أُسس أخلاقية وعقائدية سماوية، ضربت جذورها فى أعماق البناء الإنسانى واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته فى أرضه.

وإذا كان «ويل دورانت» فى كتابه الشهير «قصّة الحضارة» قد أشار إلى أنّ الحضارة تتألّف من عناصر أربعة، وهى:

۱- الموارد الاقتصادية.

۲- النظم السياسية.

۳- التقاليد الخلقية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۳

۴- متابعة العلوم والفنون.

وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق؛ لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحرّرت فى نفسه دوافع التضلّع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفكّ الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى فى طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها «۱».

فإنّ ما ذكره ذلك العالم الباحث من أُسس الحضارة وأركانها يرجع إلى تفسير الحضارة بالمعنى الجامع الشامل للحضارة الإلهية والماديّة، وأمّا بالنظر إلى الحضارة المرتكزة على الأُسس الدينية فمن أهمّ أركانها توعية الإنسان فى ظلال الاعتقاد باللَّه سبحانه واليوم الآخر، حتى يكون هو الدافع إلى العمل والالتزام بالسلوك الأخلاقى والدينى، فالحضارة المنقطعة عن التوعية الدينية حضارة صناعية لا إنسانية، وتمدّن مادّى وليس بإلهى.

إنّ مؤسّس الحضارة الإسلامية هو النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد جاء بسنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق كما

دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون، واستغلال الموارد الطبيعية، وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة.

ولا يشكّ فى ذلك من قرأ تاريخ الإسلام، وتاريخ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، خصوصاً إذا قارن بين حياة البشرية بعد بزوغ شمس الإسلام بما قبلها.

ثمّ إنّ المسلمين شيّدوا أركان الحضارة الإسلامية فى ظل الخطوط التى رسمها النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من خلال القرآن والسنّة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية، ونظم سياسية، وتقاليد دينية وخلقية، وأعطوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين فى شتّى مناحى العلم، ورفدوا حركة تطوّر الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة، والتى تعكسها مؤلّفاتهم القيّمة والتى لا زالت حتّى يومنا هذا مثار إعجاب الجميع، بل إنّهم عمدوا إلى ترجمة كتب العلم المختلفة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۴

لدى غيرهم من الأُمم، مثل الفرس واليونانيين وغيرهم، فأغنوا المكتبة الإسلامية بسيل وافر من المؤلّفات القيّمة والمهمة.

لقد شملت الحضارة الإسلامية كلّ ميادين الحياة المختلفة، فلم تلق جلّ جهدها فى جانب واحد من جوانب الرقىّ الحضارى دون غيره، بل شمل اهتمامها كلّ جوانب الحياة المختلفة، وتلك حقيقة لا يمكن لأحد الإغضاء عنها، فإذا كانت كلّ حضارة من الحضارات المعروفة قد تميّزت برقىّ فى جانب واحد من الجوانب الحياتية، سواء الاقتصادى كان أو العسكرى، فإنّ الحضارة الإسلامية تتمتّع بمجموع هذه المميزات؛ فلم تترك ميزة دون أُخرى.

والذى يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة فى بناء هذه الحضارة، خصوصاً فيما يتعلّق بالركن الرابع وهو متابعة العلوم والفنون، وأمّا الأركان الثلاثة الباقية فغير مطلوبة لنا فى هذا المقام؛ وذلك لأنّ الموارد الاقتصادية شارك فيها المسلمون انطلاقاً من دوافعهم النفسية من خلال الاهتمام بالأُمور التالية:

۱- التنمية الزراعية بجوانبها المختلفة.

۲- استخراج وصناعة المعادن المختلفة، مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة بأنواعها النفيسة المختلفة.

۳- إحداث القنوات المائية وبناء السدود.

۴- الاهتمام بتطوير الثروة الحيوانية وتوسيعها.

۵- صناعة الألبسة والأقمشة وغيرها.

۶- صناعة الورق وكتابة الكتب ونشرها فى العالم.

۷- إيجاد المواصلات البرّيّة و البحريّة، وتنظيم حركة الملاحة، ومحاربة قطّاع الطرق واللصوص فى البرّ والبحر.

۸- العناية الفائقة بالتجارة، وعقد الاتّفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۵

إلى غير ذلك ممّا يوجب ازدهار الوضع الاقتصادى، فلا يصح إبعاد قوم عن تلك الساحة وتخصيص الازدهار الاقتصادى بطائفة دون أُخرى؛ فإنّ الإنسان حسب الفطرة والدافع الغريزى ينساق إلى ذلك.

وأمّا النظم السياسية؛ فإنّ الدول الإسلامية المختلفة قد ساهمت فى إرساء دعائمها وتثبيت أركانها خلال سنى حكمها، ولا فرق فى ذلك بين دول الشيعة منها كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين وغيرهم كالساميين والسلاجقة وغيرهم.

وأمّا التقاليد الخلقية فقد كانت منبثقة من صميم الإسلام، ومأخوذة من الكتاب والسنّة، كما أنّ التقاليد القومية للشعوب المختلفة، والتى لم تكن معارضة لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء فقد فسح لها الإسلام المجال ولم ينه عنها.

فلأجل ذلك نركّز على الركن الرابع من هذه الأركان الأربعة للحضارة، وهو متابعة العلوم والفنون، فهى الطابع الأساسى للحضارة الإسلامية، وبها تتميّز عمّا تقدّم عليها وما تأخّر، فنأتى بموجز عن دور الشيعة فى بناء هذا الركن- أى ازدهار العلوم والفنون- ليظهر

أنّهم كانوا فى الطليعة، وكان لهم الدور الأساسى فى ازدهارها.

ولمّا كانت الحضارة الإسلامية تستمدّ أسباب وجودها من الكتاب والسنّة، فكلّ من قدّم خدمة للقرآن والسنّة لفظاً ومعنى، صورة ومادة، فقد شارك فى بناء الحضارة الإسلامية. وإليك هذا البيان تأييداً لما أسلفنا:

۱- قدماء الشيعة وعلم البيان ۲- قدماء الشيعة وعلم النحو

۱- قدماء الشيعة وعلم البيان ۲- قدماء الشيعة وعلم النحو

إنّ دراسة القرآن بين الأُمّة ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم التى تعدّ مفتاحاً له؛ إذ لولا تلك العلوم لكانت الدراسة ممتنعة، ونشرها فى ربوع العالم غير ميسور جدّاً. بل لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۶

من الاستفادة من القرآن الكريم؛ لأنّ الفتوحات فرضت على المجتمع العربى الاختلاط مع بقية القوميات، وسبَّب ذلك خطراً على بقاء اللغة العربية، وكان العرب عند ظهور الإسلام يعربون كلامهم على النحو الذى كان فى القرآن، إلّامن خالطهم من الموالى والمتعرّبين، ولكن اللحن لم يكثر إلّابعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق، فشاع اللحن فى قراءة القرآن، فمسّت الحاجة الشديدة إلى ضبط قواعد اللّغة «۱».

فقام أبو الأسود الدؤلى بوضع قواعد نحوية بأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأبو الأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب عليّاً وشهد معه صفّين، ثمّ أقام فى البصرة.

يقول الشيخ أبو الحسن سلامة الشامى النحوى: إنّ علياً دخل عليه أبو الأسود يوماً. قال: فرأيته مفكّراً، فقلت له: ما لى أراك مفكّراً يا أمير المؤمنين؟

قال: «إنّى سمعت من بعض الناس لحناً، وقد هممت أن أضع كتاباً أجمع فيه كلام العرب».

فقلت: إن فعلت ذلك أحييت أقواماً من الهلاك.

فألقى إلىَّ صحيفة فيها: «الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما دلّ على المسمّى، والفعل ما دلّ على حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى وليس باسم ولا فعل». وجعل يزيد على ذلك زيادات.

قال: واستأذنته أن أصنع فى النحو ما صنع، فأذن، وأتيته به فزاد فيه ونقص.

وفى رواية: أنّه ألقى إليه الصحيفة وقال له: «انحَ نحو هذه» فلهذا سمّى النحو نحواً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۷

ومن المعلوم أنّ هذه القواعد لم تكن لتسد الحاجة الملحّة، ولكن أبا الأسود قام بإكمالها وضبطها وبتمييز المنصوب من المرفوع، والاسم من الفعل، بعلامات نسمّيها الإعراب. فالروايات مجمعة على أنّ أبا الأسود (وهو شيعى المذهب توفّى سنة (۶۹ ه) إمّا مدوّن علم النحو أو واضعه، وأضحى ما دوّنه مصدراً لهذا العلم فى العصور اللاحقة.

وهناك كلام لابن النديم دونك لفظه، يقول:

قال محمّد بن إسحاق: زعم أكثر العلماء أنّ النحو أُخذ عن أبى الأسود الدؤلى، وأنّ أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

ثمّ نقل عن الطبرى وقال: إنّما سمّى النحو نحواً لأنّ أبا الأسود الدؤلى قال لعلىّ عليه السلام وقد ألقى عليه شيئاً من أُصول النحو، قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع. فسمّى ذلك نحواً «۱».

۲- وإذا كان أبو الأسود الدؤلى واضعاً للنحو، فالخليل بن أحمد الفراهيدى هو المنقّح له والباسط له. قال أبو بكر محمّد بن الحسن

الزبيدى: والخليل بن أحمد، أوحد العصر، وفريد الدهر، وجهبذ الأمّة، وأستاذ أهل الفطنة، الذى لم ير نظيره، ولا عرف فى الدنيا عديله، وهو الذى بسط النحو ومدّ أطنابه وبيّن علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتّى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غايته... وسيوافيك أنّ الخليل من أصحاب الإمام الصادق ومن شيعته.

ثمّ إنّ علماء الفريقين شاركوا فى إنضاج هذا العلم وإيصاله إلى القمّة. وليس للمنصف بخس حق طائفة لمصالح أُخرى، ولكن لمّا كان الهدف هو بيان دور الشيعة فى تطوير العلوم وتتبّعها فانّا نذكر من ألّف فى علم النحو من قدماء الشيعة فقط، ومنهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۸

۱- عطاء بن أبى الأسود: قال الشيخ الطوسى فى باب أصحاب الحسين بن علىّ: ومنهم ابن أبى الأسود الدؤلى.

وقال الحافظ السيوطى فى الطبقات: عطاء، أُستاذ الأصمعى وأبو عبيدة «۱».

۲- أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبى سارة الرواسى الكوفى: قال السيوطى:

هو أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً فى النحو وسمّاه الفيصل، وهو أُستاذ الكسائى والفرّاء «۲».

قال النجاشى: روى هو وأبوه عن أبى جعفر وأبى عبد اللّه عليهما السلام وله: كتاب الوقف والابتداء، وكتاب الهمز، وكتاب إعراب القرآن «۳».

۳- حمران بن أعين، أخو زرارة بن أعين: كان نحوياً إماماً فيه، عالماً بالحديث واللغة والقرآن، أخذ النحو والقراءة عن ابن أبى الأسود، وأخذ عنه الفرّاء، وكان قد أخذ الحديث عن الإمام السجّاد والباقر والصادق.

وآل أعين بيت كبير بالكوفة من أجلّ بيوت الشيعة، ولأبى غالب الزرارى رسالة فى ترجمة آل أعين قال: كان حمران من أكابر مشايخ الشيعة وكان عالماً بالنحو واللغة «۴».

۴- أبو عثمان المازنى، بكر بن محمّد: قال النجاشى: كان سيّد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة، ومقدّمته بذلك مشهورة، وكان من علماء الإمامية، قد تأدّب على يد إسماعيل بن ميثم «۵»، له فى الأدب: كتاب التصريف، كتاب ما يلحن فيه العامة،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۹

التعليق. مات سنة ۲۴۸ ه «۱».

۵- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق السكيت: كان مقدّماً عند أبى جعفر (الجواد) وأبى الحسن (الهادى) عليهما السلام وكانا يختصّانه. وله عن أبى جعفر عليه السلام رواية ومسائل، وقتله المتوكّل لأجل تشيّعه عام ۲۴۴ ه، وأمره مشهور. وكان وجيهاً فى علم العربية واللغة، ثقة، مصدّقاً، لا يطعن عليه. وله كتب: إصلاح المنطق، كتاب الألفاظ، كتاب ما اتّفق لفظه واختلف معناه، كتاب الأضداد، كتاب المذكّر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، و... «۲».

وسبب قتله: أنّ المتوكّل سأله يوماً وهو يعلّم ابنيه وقال: يا يعقوب، أيّهما أحبّ إليك، ابناى هذان، أم الحسن والحسين؟ فأجابه: «انّ قنبر خادم على خير منك ومن ابنيك» فأمر المتوكّل، فسلّوا لسانه من قفاه فمات، وقد خلّف بضعة وعشرين أثراً فى النحو واللغة والشعر «۳».

۶- ابن حمدون، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون: قال فيه النجاشى: الكاتب النديم شيخ أهل اللغة ووجههم. أُستاذ أبى العبّاس «۴» وكان خصّيصاً بسيّدنا أبى محمّد العسكرى وأبى الحسن قبله. له كتب. ثمّ ذكر كتبه «۵».

۷- أبو إسحاق النحوى، ثعلبة بن ميمون: قال عنه النجاشى: كان وجهاً فى أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحويّاً، لغويّاً، راوية، وكان حسن العمل، كثير العبادة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۰

والزهد، روى عن الصادق والكاظم «۱». وبما أنّ الإمام الكاظم توفّى عام مائة وثلاثة وثمانين، فهو من أهل المائة الثانية.

۸- قتيبة النحوى الجعفى الكوفى: قال النجاشى: المؤدّب، المقرئ، ثقة عين، روى عن الصادق عليه السلام «۲».

وذكره السيوطى فى بغية الوعاة، ووصفه فى تأسيس الشيعة بأنّه إمام أهل النحو واللغة «۳».

۹- إبراهيم بن أبى البلاد: قال النجاشى: كان ثقة، قارئاً، أديباً، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام «۴».

۱۰- محمّد بن سلمة اليشكرى: قال النجاشى: جليل من أصحابنا الكوفيين، عظيم القدر، فقيه، قارئ، لغوى، راوية، خرج إلى البادية ولقى العرب وأخذ عنهم. وأخذ عنه يعقوب بن السكّيت. ثمّ ذكر كتبه «۵»، وبما أنّه شيخ ابن السكيت فهو من أهل المائة الثانية وأوائل الثالثة.

۱۱- أبو عبد اللّه النحوى، الحسين بن أحمد بن خالويه: سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبنا، مع علمه بعلوم العربية، واللغة، والشعر. وله كتب، ومن كتبه: مستحسن القراءات والشواذّ، كتاب فى اللغة «۶».

ووصفه السيوطى فى الطبقات: إنّه إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دفن ببغداد سنة ۳۱۴ ه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۱

۱۲- أبو القاسم التنوخى: قال الشيخ رشيد الدين بن شهر آشوب: إنّه من جملة الشعراء المجاهرين بالشعر فى مدح أهل البيت.

وقال ياقوت: كان فى النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة والعروض قدوة، وكان يحفظ من اللغة والنحو شيئاً عظيماً «۱».

ما ذكرناه نماذج من أئمّة اللغة من الشيعة الإمامية فى القرون الأُولى، وأمّا من وليهم من الأئمّة فحدّث عنهم ولا حرج، فإنّ ذكر أسمائهم ونبذٍ من حياتهم يدفعنا إلى تأليف كتاب مفرد، وقد كفانا فى ذلك ما كتبه السيد الصدر فى هذا المجال، فقد بلغ النهاية، وقد ذكر أئمّة النحو من الشيعة إلى القرن السابع «۲» فبلغوا (۱۴۰) إماماً وأُستاذاً ومؤلّفاً فى الأدب العربى، ولا سيما النحو، وبينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى والشريف الرضى وابن الشجرىّ الذى يقول فى حقّه السيوطى: كان أوحد زمانه، وفرد أوانه فى علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب، توفّى عام (۵۴۲ ه).

ونجم الأئمّة الرضى الاسترآبادى، إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة.

۳- قدماء الشيعة وعلم الصرف

۳- قدماء الشيعة وعلم الصرف

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبو عثمان المازنى، وكان قبل ذلك مندرجاً فى علم النحو، كما ذكره فى كشف الظنون، وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنّى المتوفّى فى (۳۹۲ ه) «۳».

وأبسط كتاب فى الصرف، ما كتبه نجم الأئمّة محمّد بن الحسن الاسترآبادى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۲

الغروى، وله شرح الشافية فى الصرف، كما له شرح الكافية فى النحو، وكلا كتابيه جليل الخطر، محمود الأثر، قد جمع فيهما بين الدلائل والمبانى.

قال فى كشف الظنون: للكافية شروح أعظمها شرح الشيخ رضىّ الدين محمّد ابن الحسن الطوسى الاستر آبادى النحوى. قال السيوطى: لم يؤلّف عليها، بل ولا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً، فتداوله الناس واعتمدوا عليه، وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها، فرغ من تأليفه سنة (۶۸۳ ه).

أقول: فرغ من شرح الكافية سنة (۶۸۶ ه) فى النجف الأشرف، كما هو مذكور فى آخر الكتاب.

ولنكتف بهذا المقدار عن مساهمة الشيعة مع غيرهم فى بناء الأدب العربى، وتجديد قواعده وإرسائها فى مجالى النحو والصرف، وفيما ذكرناه غنى وكفاية.

۴- قدماء الشيعة وعلم اللغة

۴- قدماء الشيعة وعلم اللغة

ونريد بعلم اللغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أُصولها، واشتقاقاتها ومعانيها، وهو يعدّ بحقّ من العلوم الإنسانية التى ساهمت بشكل مباشر فى إقامة صرح الحضارة الإسلامية، وقد ظهر فى ميدان هذا العلم المهم جملة واسعة من علماء الشيعة، خلّفوا آثاراً مهمة أصبحت زاداً لطلّاب العلم والمعرفة، ومن هؤلاء الأفاضل:

۱- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدى: سيد أهل الأدب، وهو أوّل من ضبط اللغة، وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم، فألّف كتابه «العين» الذى جمع فيه ما كان معروفاً فى أيّامه من ألفاظ اللغة، وأحكامها، وقواعدها، ورتّب ذلك على حروف الهجاء، لكنّه رتّب الحروف حسب مخارجها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۳

من الحلق، فاللسان، فالأسنان، فالشفتين، وبدأ بحرف العين وختمها بحروف العلّة «واى» وسُمِّى الكتاب بأوّل لفظ من ألفاظه «۱».

وكان الكتاب مخطوطاً عزيز النسخة، لكنّه رأى النور أخيراً وطبع محقّقاً.

والخليل بن أحمد الذى لا يشكّ أحد فى تشيّعه من أعلام القرن الثانى الهجرى، قال المرزبانى: إنّه ولد عام مائة من الهجرة وتوفّى سنة (۱۷۰) أو (۱۷۵ ه)، وقال ابن قانع: إنّه توفّى سنة (۱۶۰ ه) «۲».

قد ألّف كتاباً فى الإمامة، أورده بتمامه محمّد بن جعفر المراغى فى كتابه، واستدرك عليه ما لم يذكره وأسماه «الخليلى».

قال النجاشى: محمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمدانى الوادعى المعروف ب «المراغى» كان يتعاطى الكلام، له: كتاب مختار الأخبار، كتاب الخليلى فى الإمامة، وكتاب ذكر المجاز من القرآن «۳».

قال العلّامة فى الخلاصة: كان خليل بن أحمد أفضل الناس فى الأدب وقوله حجّة فيه واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان إماميّ المذهب «۴».

وقال ابن داود: الخليل بن أحمد شيخ الناس فى علوم الأدب، فضله وزهده أشهر من أن يخفى، كان إماميّ المذهب «۵».

۲- أبان بن تغلب بن رباح الجريرى: من أصحاب الباقر والصادق، قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۴

النجاشى: كان قارئاً من وجوه القرّاء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب، وحكى عنهم «۱».

وقال ياقوت: ذكره أبو جعفر الطوسى فى مصنّفى الإمامية. وقال: هو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة، وقال: كان قارئاً، فقيهاً، لُغويّاً، نبيهاً، ثبتاً «۲».

۳- ابن حمدون النديم: شيخ أهل اللغة ووجههم وأُستاذ أبى العباس ثعلب «۳».

۴- أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدى: الأديب اللغوى، صاحب الجمهرة فى اللغة، مات هو وأبو هاشم الجبّائى فى يوم واحد، فقال الناس: مات علم اللغة والكلام. وألّف كتاب «جمهرة اللغة» على منوال كتاب «العين» للخليل، واختصره الصاحب بن عباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة» «۴».

۵- الصاحب بن عباد: عظيم الشأن، جليل القدر فى العلم والأدب، وألّف الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام لأجله، ومن كتبه فى اللغة:

«المحيط» عشرة مجلدات، قد عرفت تلخيص «الجوهرة»، وأمّا تشيّعه فحدّث عنه ولا حرج.

وكم له من قصائد فى مدح أهل البيت نذكر منها:

ألم تعلموا أنّ الوصيّ هو الذى آتى الزكاة وكان فى المحراب

ألم تعلموا أنّ الوصيّ هو الذى حكم الغدير له على الأصحاب «۵» وهكذا فإنّنا نتوقّف عند هذا الحد من إيراد نماذج من كبار القدماء الذين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۵

شاركوا المسلمين فى تأسيس العلوم العربية وتطويرها، ومن أراد التفصيل فليطلبه من محالّه «۱».

۵- قدماء الشيعة وعلم العروض

۵- قدماء الشيعة وعلم العروض

كما أسلفنا سابقاً من أنّ الشيعة بمفكّريها كانت هى المبتكرة لعلم النحو بتوجيه من الإمام على عليه السلام باب علم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله؛ فإنّها أيضاً المبتكرة لعلم العروض والمؤسسة لبنيانه الشامخ، وإليك أسماء بعض روّاده ورجاله:

۱- الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى: قال ابن خلّكان: هو الذى استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه فى خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً «۲».

۲- كافى الكفاة الصاحب بن عباد: الطائر الصيت، له كتاب الإقناع فى العروض «۳».

وقد توالى التأليف بعده إلى عصرنا هذا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المعاجم حول مصنّفات الشيعة الإمامية.

ومن أبرز ما ألّف فى العروض أخيراً أثران:

أحدهما: للسيد الشريف هبة الدين الشهرستانى (۱۳۰۱- ۱۳۸۶ ه) أسماه «رواشح الفيوض فى علم العروض» وقد طبع فى طهران (۱۳۲۴ ه).

ثانيهما: منظومة رصينة قيّمة قلّما رأى الدهر مثلها للشيخ مصطفى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۶

التبريزى (۱۲۹۸- ۱۳۳۸ ه) شرحها العلّامة أبو المجد الشيخ محمّد رضا الأصفهانى (۱۲۸۶- ۱۳۶۲ ه) وأسماها «أداء المفروض فى شرح أُرجوزة العروض» وإليك مستهلّها:

الحمد للَّه على إسباغ ما أولى لنا من فضله وأنعما

وخصّنا منه بواف وافر من بحر جوده المديد الزاخر

صلّى على نبيّنا المختار ما عاقب الليل على النهار

وآله معادن الرساله بهم يداوى علل الجهاله

خذها ودع عنك رموز الزامرة كعادة تجلى عليك بارزة

تجمع كلّ ظاهر وخافِ فى علمى العروض والقوافى «۱»

۶- قدماء الشيعة وطرائف الشعر

۶- قدماء الشيعة وطرائف الشعر

لا نريد من الشعر فى المقام الألفاظ المسبوكة، والكلمات المنضَّدة على أحد الأوزان الشعرية، وانّما نريد منه ما يحتوى على المضامين العالية فى الحياة، وما يبثّ روح الجهاد فى الإنسان، أو الذى يشتمل على حجاج فى الدين أو تبليغ للحقّ.

وعلى مثل هذا الشعر بنيت الحضارة الإنسانية، وهو مقياس ثقافة الأمّة ورقيّها، وله خلود عبر القرون لا تطمسه الدهور والأيّام.

فما نقرأه فى الذكر الحكيم من التنديد بالشعراء من قوله تعالى: والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوون «۲»

، إنّما يراد بذلك الشعراء المأجورون الذين يتاجرون بالشعر فيقلبون الحقائق، ويصنعون من الظالم مظلوماً، ومن المظلوم ظالماً، ولأجل ذلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۷

قال سبحانه: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهيمُونَ* وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ» «۱».

ومن هنا فإنّا نعنى بحديثنا هنا أُولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم فى خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدين الحنيف. ولقد ظهرت فى سماء الشعر وفى القرون الأُولى للعهد الإسلامى من بين رجالات الشيعة طائفة من الشعراء حظوا برعاية أهل البيت عليهم السلام وتقديرهم.

وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة مع ذكر أبيات من شعرهم الخالد:

۱- قيس بن سعد بن عبادة:

سيّد الخزرج، و الصحابى الجليل، كان زعيماً مطاعاً، كريماً ممدوحاً، وكان من شيعة علىّ عليه السلام ومن أشدّ المتحمّسين له، بعثه أميراً على مصر سنة (۳۶ ه)، وهو وأبوه وأهل بيته من الذين لم يبايعوا أبا بكر وقالوا: لا نبايع إلّاعليّاً «۲».

ومن أشعاره التى أنشدها بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام فى صفّين:

قلتُ لما بغى العدوّ علينا حسبنا ربّنا ونعم الوكيلُ

حسبنا الذى فتح البص - رة بالأمس والحديث الطويلُ

وعلىٌّ إمامنا وإمامٌ لسوانا أتى به التنزيلُ

يوم قال النبىّ من كنت مو لاه فهذا مولاه خطبٌ جليلُ

إنّما قاله النبىّ على الأُمّ - ة حتمٌ ما فيه قالٌ وقيلُ «۳» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۸

۲- الكميت بن زيد (۶۰- ۱۲۶ ه):

شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها، و من شعراء مضر. كان معروفاً بالتشيّع لبنى هاشم، مشهوراً بذلك، وقد حظى بتقدير أئمّة أهل البيت لإجهاره بالحق، ولجهاده فى سبيله، وهاشمياته المقدّرة ب ۵۷۸ بيتاً خلّدت ذكراه فى التاريخ وهى مشتملة على ميمية وبائية ورائية وغيرها.

وإليك أبياتاً من عينيّته:

ويوم الدوح دوح غدير خمٍّ أبان له الولاية لو أُطيعا

ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا إلى أن قال:

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقّه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا

فقل لبنى أُميّة حيث حلّوا وإن خفت المهنّد والقطيعا ولقد طبع ديوان الكميت غير مرّة، وشرحه الأُستاذ محمد شاكر الخيّاط والأُستاذ الرافعى «۱».

۳- السيد الحميرى (ت ۱۷۳ ه):

أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الملقّب بالسيّد، الشاعر المعروف، ومن المكثرين المجيدين، ومن الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام وهم:

«السيّد» و «بشار» و «أبو العتاهية»، وكان السيّد الحميرى متفانياً فى حبّ العترة الطاهرة فلم يكن يرى لمناوئيهم حرمة وقدراً، وكان يشدّد النكير عليهم فى كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۹

موقف ويهجوهم بألسنة حداد فى كلّ حول وطول.

ومن قصائده المعروفة عينيّته، وقد شرحها عدة من الأُدباء ومستهلّها:

لأُمّ عمرو باللوى مربَع طامسة أعلامها بلقعُ

تروع عنها الطير وحشيّة والوحشُ من خيفته تفزعُ «۱» ۴- دعبل الخزاعى (المتوفّى ۲۴۶ ه):

أبو علىّ دعبل بن علىّ الخزاعى، من بيت علم وفضل وأدب، يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعى الذى دعا له النبىّ صلى الله عليه و آله.

قال النجاشى: أبو على الشاعر المشهور فى أصحابنا، صنّف كتاب طبقات الشعراء، ومن أراد التوغّل فى حياته وسيرته فليقرأ النواحى الأربعة من حياته:

۱- تهالكه فى ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

۲- نبوغه فى الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

۳- روايته للحديث والرواة عنه ومن يروى عنهم.

۴- سيرته مع الخلفاء ثمّ ملحه ونوادره ثمّ ولادته ووفاته «۲».

وإليك مطلع تائيّته المعروفة:

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ نوائح عجم اللفظ والنطقات ۵- الأمير أبو فراس الحمدانى (۳۲۰- ۳۵۷ ه):

أبو فراس الحارث بن أبى العلاء، قال عنه الثعالبى: كان فرد دهره، وشمس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۰

عصره، أدباً وفضلًا وكرماً ونبلًا ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة «۱».

وتبعه فى إطرائه والثناء عليه ابن عساكر.

من قصائده المعروفة ميميّته التى مستهلّها:

الحقّ مهتضم والدين مخترم وفىء آل رسول اللَّه مقتسمُ

والناس عندك لا ناس فيحفظهم سوم الرعاة ولا شاءٌ ولا نعمُ إلى أن قال:

يا للرجال أما للَّه منتصر من الطغاة أما للَّه منتقم

بنو علىّ رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدمُ إلى أن قال:

أبلغ لديك بنى العباس مالكةً لا يدّعوا ملكها ملّاكها العجمُ

أىّ المفاخر أمست فى منازلكم وغيركم آمر فيها ومحتكمُ

أنّى يزيدكم فى مفخر علَمٌ وفى الخلاف عليكم يخفق العلمُ

يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم لمعشرٍ بَيْعهم يوم الهياج دمُ «۲» ويطيب لى فى هذا المقام أن أُشير إلى أسماء بعض من أنجبتهم مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى حلبة الشعر والأدب فى القرن الرابع والخامس، من أُناس معدودين فى القمّة، يمكن للقارئ الكريم أن يجد الشىء الكثير عن حياتهم فى دواوينهم، أو فى كتب الأدب المختلفة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۱

۱- ابن الحجّاج البغدادى (المتوفّى ۳۲۱ ه) صاحب القصيدة المعروفة:

يا صاحب القبّة البيضاء فى النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفى ۲- الشريف الرضى (۳۵۹- ۴۰۶ ه) الغنى عن كل تعريف وبيان.

۳- الشريف المرتضى (۳۵۵- ۴۳۶ ه) وهو كأخيه أشهر من أن يعرّف.

۴- مهيار الديلمى (المتوفّى ۴۴۸ ه) الذى يُعد فى الرعيل الأوّل من شعراء القرن الرابع وله غديريات كثيرة منها:

هل بعد مفترق الأظغان مجتمع أم هل زمان بهم قد فات يرتجع هذا عرض موجز لبعض الشعراء البارزين من الشيعة، وفيه كفاية لمن أراد الإجمال، و أمّا من أراد التوسّع فليرجع إلى الكتب التالية:

۱- الأدب فى ظلّ التشيّع: للشيخ عبد اللّه نعمة.

۲- تأسيس الشيعة: للسيّد حسن الصدر، الفصل السادس.

۳- الغدير: للعلّامة الأمينى بأجزائه الأحد عشر.

۷- قدماء الشيعة وعلم التفسير

۷- قدماء الشيعة وعلم التفسير

إنّ القرآن هو المصدر الرئيسى للمسلمين فى مجالى العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهى على وجه لا تجد له مثيلًا بين أصحاب الشرائع السابقة، حتّى أسّسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقى فى ظلّها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام ذكرها. فأدّوا واجبهم تجاه كتاب اللّه العزيز- شكر اللّه مساعيهم- من غير فرق بين الشيعة والسنّة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۲

إنّ مدرسة الشيعة منذ أن ارتحل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسير على أصعدة مختلفة، وخدمت الذكر الحكيم بصور شتّى، نأتى بوجه موجز، لما ألّف فى القرون الإسلامية الاولى.

إنّ أئمّة أهل البيت- بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله- هم المفسّرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسّروا القرآن بالعلوم التى نحلهم الرسول صلى الله عليه و آله بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم التى لا تشذّ عن قول الرسول صلى الله عليه و آله وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين فى عداد المفسّرين ولا نعترف بحقوق أئمّة أهل البيت وهم عديله باتفاق الجميع.

وهذا ما فعله فى كتابه محمّد حسين الذهبى، جعل عليّاً- وهو الوصى وباب علم النبىّ صلى الله عليه و آله- فى الطبقة الثالثة من حيث نقل الرواية عنه، وجعل تلميذه ابن عباس فى الدرجة الأُولى!! «۱»، ولم يذكر عن بقية الأئمّة شيئاً مع كثرة ما نقل عنهم فى مجال التفسير من الروايات الوافرة.

أقول: ما إن ارتحل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حتّى عكف المسلمون على دراسة القرآن وتدبره، بيد أنّهم وجدوا أنّ لفيفاً من المسلمين كانوا عاجزين عن فهم بعض ألفاظ القرآن. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز إلّاأ نّه يحوى ألفاظاً غير رائجة فيها، وربّما كانت رائجة بين القبائل الأُخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه ب «غريب القرآن» وقد سأل ابن الأزرق- رأس الخوارج- ابن عبّاس عن شىء كثير من غريب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقحاح، وقد جمعها السيوطى فى إتقانه «۲».

وبما أنّ تفسير غريب القرآن كان الخطوة الأُولى لتفسيره، فقد ألّف أصحابنا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۳

فى إبّان التدوين كتباً فى ذلك المضمار، نذكر قليلًا من كثير:

۱- غريب القرآن، لأبان بن تغلب بن رباح البكرى (ت ۱۴۱ ه) «۱».

۲- غريب القرآن، لمحمّد بن السائب الكلبى، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام «۲».

۳- غريب القرآن، لأبى روق، عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى التابعى، قال ابن عقدة: كان ممّن يقول بولاية أهل البيت «۳».

۴- غريب القرآن، لعبد الرحمن بن محمّد الأزدى الكوفى، جمع فيه ما ورد فى الكتب الثلاثة المتقدّمة «۴».

۵- غريب القرآن، للشيخ أبى جعفر أحمد بن محمّد الطبرى الآملى الوزير الشيعى (ت ۳۱۳ ه) «۵».

وقد توالى التأليف حول غريب القرآن فى القرون الماضية، فبلغ العشرات، وكان أخيرها- لا آخرها- ما ألّفه السيّد محمّد مهدى الخرسان فى جزأين «۶».

مجازات القرآن:

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معانى مفردات القرآن وألفاظه، فإنّ فى الجانب الآخر منه لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. إليك أخى القارئ الكريم نماذج

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۴

قليلة ممّا أُلّف فى ذلك المجال بيد أعلام الشيعة:

۱- مجاز القرآن، لشيخ النحاة الفرّاء يحيى بن زياد الكوفى (المتوفّى عام ۲۰۷ ه)، وقد طبع أخيراً فى جزأين «۱».

۲- مجاز القرآن، لمحمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمدانى. قال النجاشى:

له كتاب «ذكر المجاز من القرآن» «۲».

۳- مجازات القرآن، للشريف الرضى المسمّى بتلخيص البيان فى مجازات القرآن، وهو أحسن ما أُلّف فى هذا الباب وهو مطبوع.

التفسير بصور متنوّعة:

وهناك لون آخر من التفسير، يعمد فيه المفسّر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصّة كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وآيات الأحكام، وقصص الأنبياء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآيات الواردة فى مغازى النبىّ صلى الله عليه و آله، والنازلة فى حقّ العترة الطاهرة عليهم السلام إلى غير ذلك من الموضوعات التى لا تعمّ جميع آيات القرآن، بل تختصّ بموضوع واحد.

وكان علماء الشيعة قد شاركوا غيرهم من علماء المسلمين فى هذا الجانب الحيوى والمهم، ورفدوا المكتبة الإسلامية بهذه الأنواع من التفاسير، ومن أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم، وأخص بالذكر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

الشيعة والتفسير الموضوعى:

إنّ نزول القرآن نجوماً، وتوزّع الآيات الراجعة إلى موضوع واحد فى سور

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۵

متعدّدة، يطلب لنفسه نمطاً آخر، غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبى؛ فإنّ النمط الثانى يتّجه إلى تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية، وأمّا النمط الأوّل فيحاول فيه المفسّر إيراد الآيات الواردة فى موضوع خاصّ، فى مجال البحث، وتفسير الجميع جملة واحدة وفى محلّ واحد.

فيستمدّ المفسّر من المعاجم المؤلّفة حول القرآن، ومن غيرها، فى الوقوف على الآيات الواردة فى جانب معيّن، مثلًا فى خلق السماء والأرض، أو الإنسان، أو أفعاله وحياته الأخروية، فيفسّر المجموع مرّة واحدة، ويرفع إبهام آية بآية أُخرى، ويخرج بنتيجة واحدة، وهذا النوع من التفسير وإن لم يهتم به القدماء واكتفوا منه بتفسير بعض الموضوعات كآيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، إلّا أنّ المتأخّرين منهم بذلوا جهدهم فى طريقه، ولعلّ العلّامة المجلسى (۱۰۳۷- ۱۱۱۰ ه) كان أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه فى موسوعته

الموسومة ب «بحار الأنوار»، حيث أورد فى أوّل كل باب من أبواب كتابه المتخصّصة جملة الآيات الواردة حول موضوع الباب، ثمّ لجأ إلى تفسيرها إجمالًا، ثمّ أورد ما جمعه من الأحاديث التى لها صلة بالباب.

وقد قام كاتب هذه السطور بتفسير الآيات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتّى الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهيم القرآن» نسأل اللّه تعالى التوفيق لإتمامه.

الشيعة والتفسير الترتيبى:

قد تعرّفت على أنّ المنهج الراسخ بين القدماء وأكثر المتأخّرين هو التفسير الترتيبى، وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام على والتابعين له إلى العصر الحاضر بهذا النمط من التفسير، إمّا بتفسير جميع سوره، أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة فى القرون الثلاثة الأُولى، هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۶

إلى التفسير العلمى والتحليلى من أواخر القرن الرابع. فأوّل من ألّف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضى (۳۵۹- ۴۰۶ ه) مؤلّف كتاب «حقائق التأويل» فى عشرين جزءاً «۱»، ثمّ جاء بعده أخوه الشريف المرتضى فسلك مسلكه فى أماليه المعروفة ب «الدرر والغرر»، ثمّ توالى التأليف على هذا المنهاج من عصر الشيخ الأكبر الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) مؤلّف «التبيان فى تفسير القرآن» فى عشرة أجزاء كبار، إلى عصرنا هذا.

فقد قامت الشيعة فى كلّ قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة، ولغات متعدّدة. لا يحصيها إلّاالمتوغّل فى المعاجم وبطون المكتبات.

ولقد فهرسنا على وجه موجز أسماء مشاهير المفسّرين من الشيعة وأعلامهم فى ۱۴ قرناً، وفصّلنا كلّ قرن عن القرن الآخر، واكتفينا بالمعروفين منهم؛ لأنّ ذكر غيرهم عسير ومحوج إلى تأليف حافل. فبلغ عددهم (۱۲۲) مفسّراً. ومن أراد الإلمام بذلك فعليه الرجوع إلى المقدّمة التى قدّمناها لتفسير التبيان للشيخ الطوسى، ولأجل ذلك نطوى الكلام فى المقام.

۸- قدماء الشيعة وعلم الحديث

اشارة

۸- قدماء الشيعة وعلم الحديث

إنّ السنّة هى المصدر الثانى للثقافة الإسلامية بجميع مجالاتها، ولم يكن شىء أوجب بعد كتابة القرآن وتدوينه وصيانته من نقص أو زيادة، من كتابة حديث الرسول صلى الله عليه و آله وتدوينه وصيانته من الدسّ والدجل، وقد أمر به الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله غير مرّة، فقد روى الإمام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّه قال للنبىّ صلى الله عليه و آله: يا رسول اللّه أكتب كلّ ما أسمع منك؟ قال: «نعم». قلت: فى الرضا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۷

والسخط؟ قال صلى الله عليه و آله: «نعم، فإنّه لا ينبغى لى أن أقول فى ذلك إلّاحقّاً» «۱».

إنّ اللّه سبحانه أمر بكتابة الدَّين حفظاً له، واحتياطاً عليه، وإشفاقاً من دخول الريب فيه، فالعلم الذى حفظه أصعب من حفظ الدَّين أحرى بأن يكتب ويحفظ من دخول الريب والشكّ فيه «۲».

فإذا كان النبىّ صلى الله عليه و آله لا ينطق عن الهوى وإنّما ينطق عن الوحى الذى يوحى إليه «۳» فيجب حفظ أقواله وأفعاله أُسوة

بكتاب اللّه المجيد، حتّى لا يبقى المسلم فى حيرة من أمره، ويستغنى عن المقاييس الظنّية والاستنباطات الذوقية.

وبالرغم من وضوح الأمر و أهميته القصوى إلّاأنّ الخلافة الإسلامية باجتهاداتها حالت دون ذلك، بل وحاسبت عليه حتّى أنّ الخليفة الثانى عمر بن الخطّاب قال لأبى ذر وعبد اللّه بن مسعود وأبى الدرداء: «ما هذا الحديث الذى تفشون عن محمّد؟» «۴».

ولقد أضحى عمل الخليفة سنّة فاتّبعه عثمان ومشى على خطاه معاوية، فأصبح ترك كتابة الحديث سنّة إسلامية، وعدّت الكتابة شيئاً منكراً مخالفاً لها.

إنّ الرزيّة الكبرى هى المنع عن التحدّث بحديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكتابته وتدوينه، وفسح المجال فى نفس الوقت للرهبان والأحبار للتحدّث بما عندهم من صحيح وباطل، ولقد أذن عمر لتميم الدارى النصرانى الذى استسلم فى عام تسعة من الهجرة أن يقصّ «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۸

ولما تسنّم عمر بن عبد العزيز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث، فكتب إلى أبى بكر بن حزم فى المدينة، أن يقوم بتدوين الحديث قائلًا: إنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً «۱».

ومع ذلك فلم يقدر ابن حزم على القيام بما أمر به الخليفة؛ لأنّ رواسب الحظر السابق المؤكّد من قبل الخلفاء حالت دون أُمنيته، إلى أن زالت دولة الأُمويين وجاءت دولة العبّاسيين، فقام المسلمون بتدوين الحديث فى عصر أبى جعفر المنصور سنة (۱۴۳ ه)، وأنت تعلم أخى القارئ الكريم أنّ الخسارة التى لحقت بالتراث الإسلامى من منع تدوين السنّة لا تجبر بتدوينه بعد مضى قرن ونيّف، وبعد موت الصحابة وكثير من التابعين الذين رأوا النور المحمدى وسمعوا منه الحديث، ولم يحدّثوا بما سمّعوه إلّاسرّاً ومن ظهر القلب إلى مثله.

أضف إلى ذلك أنّ الأحبار والرهبان والمأجورين للبلاط الأُموى نشروا كلّ كذب وافتراء بين المسلمين.

اهتمام الشيعة بتدوين الحديث:

قام الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام بتأليف عدّة كتب فى زمان النبىّ صلى الله عليه و آله، فقد أملى رسول اللّه كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الإمام واشتهر بكتاب على، وقد روى عنه البخارى فى صحيحه فى باب «كتابة الحديث» «۲» وباب «أثم من تبرّأ من مواليه» «۳» وتبعه عليه السلام ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة له، وإليك أسماء من اهتمّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۹

بتدوين الآثار وما له صلة بالدين، وإن لم يكن حديث الرسول.

۱- قام أبو رافع صحابى الرسول صلى الله عليه و آله بتدوين كتاب السنن والأحكام والقضايا «۱».

۲- وقام الصحابى الكبير سلمان الفارسى: (ت ۳۴ ه) بتأليف كتاب حديث الجاثليق الرومى الذى بعثه ملك الروم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله.

قال الشيخ الطوسى: روى سلمان حديث الجاثليق الذى بعثه ملك الروم بعد النبىّ صلى الله عليه و آله «۲».

۳- وألّف الصحابى الورع أبو ذر الغفارى المتوفّى سنة ۳۲ ه كتاب الخطبة التى يشرح فيها الأُمور بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله «۳».

هذا ما يرجع إلى الصحابة من الشيعة، وأمّا الشيعة من غير الصحابة- أعنى:

التابعين وتابعى التابعين منهم- فقد قام عدد منهم بتدوين السنّة إلى عصر الغيبة الكبرى، وقد تكفّلت بذكرهم و ذكر تآليفهم معاجم الرجال قديماً وحديثاً، وإليك عرضاً موجزاً من محدّثى الشيعة ومؤلّفيهم فى القرن الأوّل وبداية القرن الثانى.

طبقات محدّثى الشيعة الطبقة الأولى:

اشارة

طبقات محدّثى الشيعة الطبقة الأُولى:

۱- الأصبغ بن نباتة المجاشعى، كان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام روى عنه عليه السلام عهد الأشتر، ووصيته إلى ابنه محمّد «۴».

۲- عبيد اللَّه بن أبى رافع المدنى، مولى النبىّ صلى الله عليه و آله، كان كاتب أمير المؤمنين عليه السلام له

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۰

كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وتسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفّين والنهروان «۱».

۳- ربيعة بن سميع، له كتاب فى زكاة النعم عن أمير المؤمنين عليه السلام «۲».

۴- سليم بن قيس الهلالى، أبو صادق، له كتاب مطبوع باسم: سليم بن قيس.

۵- علىّ بن أبى رافع، قال النجاشى عنه: تابعىّ من خيار الشيعة، كانت له صحبة مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب «۳».

۶- عبيد اللَّه بن الحرّ الجعفى، الفارس، الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام «۴».

۷- زيد بن وهب الجهنى، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرها «۵».

الطبقة الثانية

الطبقة الثانية:

۱- الإمام السجّاد زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام، له الصحيفة الكاملة، المشتهرة بزبور آل محمّد عليهم السلام.

۲- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى، أبو عبد اللَّه، (ت ۱۲۸ ه)، له كتب «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۱

۳- لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة، أوردها الشيخ فى رجاله وعدّه فى أصحاب الحسن والصادق عليهما السلام «۱».

۴- جارود بن منذر، الثقة، أورده الشيخ فى أصحاب الحسن والباقر والصادق عليهم السلام، له كتب «۲».

الطبقة الثالثة

الطبقة الثالثة:

وهم من أصحاب السجّاد والباقر عليهما السلام:

۱- برد الإسكاف، من أصحاب السجاد والصادقين عليهم السلام، له كتاب «۳».

۲- ثابت بن دينار، أبو حمزة الثمالى الأزدى، الثقة، (ت ۱۵۰ ه)، روى عنهم عليهم السلام، له كتاب، وله النوادر والزهد، وله تفسير القرآن «۴».

۳- ثابت بن هرمز الفارسى، أبو المقدّم العجلى، مولاهم الكوفى، روى نسخة عن علىّ بن الحسين عليهم السلام «۵».

۴- بسّام بن عبد اللَّه الصيرفى، مولى بنى أسد، أبو عبد اللَّه، روى عن أبى جعفر وأبى عبد اللَّه عليهما السلام، له كتاب «۶».

۵- محمّد بن قيس البجلى، له كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام «۷».

۶- حجر بن زائدة الحضرمى، روى عن الباقر والصادق عليهما السلام، له كتاب «۸».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۲

۷- زكريا بن عبد اللّه الفياض، له كتاب «۱».

۸- ثوير بن أبى فاختة «أبو جهم الكوفى»، واسم أبى فاختة: سعيد بن علاقة «۲».

۹- الحسين بن ثور بن أبى فاختة، سعيد بن حمران، له كتاب نوادر «۳».

۱۰- عبد المؤمن بن القاسم بن قيس الأنصارى، (ت ۱۴۷ ه)، عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب السجّاد والصادقين عليهما السلام، له كتاب «۴».

ولقد خصّ ص أبو عمرو الكشى باباً للمحدّثين المتقدّمين من الشيعة وجعله فى صدر رجاله، وتبعه النجاشى فى رجاله فخصّ الطبقة الأُولى بباب، ثمّ أورد أسماء الرواة على حسب الحروف الهجائية.

ولقد أجاد الشيخ الطوسى فى التعرّف على طبقات الشيعة بعد رسول اللّه إلى عصره، فذكر الأئمّة الاثنى عشر، وذكر أصحاب كلّ إمام وفق الترتيب الزمنى، ثمّ ذكر باباً آخر باسم من لم يرهم ولكن روى عنهم بالواسطة.

وأحسن كتاب أُلّف فى هذا المجال هو ما ألّفه أُستاذنا الجليل السيد النحرير المحقّق البروجردى- رحمه اللّه- الذى أخرج رجال الشيعة فى (۳۴) طبقة، من عصر الصحابة إلى زمانه (۱۲۹۲- ۱۳۸۰ ه) فهذا الكتاب يكشف عن سبق الشيعة فى نظم الحديث وتدوينه، وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قيمة.

وبذلك حفظوا نصوص النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته وقدموها إلى المجتمع الإسلامى، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الحبل الذى هو أحد الثقلين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۳

هذا عرض موجز لمحدّثى الشيعة من عصر الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام إلى عصر السجّاد والباقر عليهما السلام وأمّا الطبقات الأُخرى فيأتى الكلام فى فصل قدماء الشيعة والفقه؛ لأنّهم تجاوزوا التحديث إلى درجة الاجتهاد.

۹- قدماء الشيعة والفقه الإسلامى

اشارة

۹- قدماء الشيعة والفقه الإسلامى

إنّ الفقه الشيعى هو الشجرة الطيّبة الراسخة الجذور، المتّصلة الأُسس بالنبوة، والتى امتازت بالسعة، والشمولية، والعمق، والدقّة، والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدّات المتلاحقة من دون أن تتخطّى الحدود المرسومة فى الكتاب والسنّة.

إنّ الفقه الإمامى يعتمد فى الدرجة الأُولى على القرآن الكريم، ثمّ على السنّة المحمّدية المنقولة عن النبىّ صلى الله عليه و آله عن طريق العترة الطاهرة عليهم السلام أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم بإحسان.

وكما يعتمد الفقه الشيعى على الكتاب والسنّة، فإنّه كذلك يتّخذ من العقل مصدراً فى المجال الذى له الحقّ فى إبداء الرأى، كأبواب الملازمات العقلية، أو قبح التكليف بلا بيان، أو لزوم البراءة اليقينية عند الاشتغال اليقينى.

ولا يكتفى بذلك، بل يستفيد من الإجماع الكاشف عن وجود النص فى المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين فى عصر

الحضور.

إنّ الشيعة الإمامية قدّمت فى ظلّ هذه الأُسس الأربعة فقهاً يتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إليه الأُمّة، ولم يقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبىّ صلى الله عليه و آله إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبر العصور فقهاء عظاماً، وموسوعات كبيرة، لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلًا، وإليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهائهم مع الإيعاز إلى بعض كتبهم فى القرن الثانى والثالث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۴

فقهاء الشيعة فى القرن الثانى:

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدى أئمة الهدى عليهم السلام عدّة من الفقهاء العظام لا يستهان بعددهم، فبلغوا الذروة فى الاجتهاد، كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار، وكلّهم من أفاضل خرّيجى مدرسة أبى جعفر الباقر وولده الصادق عليهما السلام فأجمعت الطائفة على تصديق هؤلاء، وانقادت لهم فى الفقه والفقاهة.

ويليهم فى الفضل لفيف آخر، هم أحداث خرّيجى مدرسة أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام، أمثال: جميل بن دراج، و عبد اللَّه بن مسكان، وعبد اللَّه بن بكير، وحمّاد بن عثمان، وحمّاد بن عيسى، وأبان بن عثمان.

وهناك ثلّة أُخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الإمام موسى الكاظم وابنه أبى الحسن الرضا عليهما السلام منهم: يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبى عمير، وعبد اللَّه بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن علىّ بن فضال، وفضالة بن أيّوب «۱».

وأكثر هؤلاء من فقهاء القرن الثانى وأوائل القرن الثالث.

هؤلاء أعلام الشيعة فى الفقه والحديث فى القرن الثانى، وكلّهم خرّيجو مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولقد خلّفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل، وعناوين أُخرى.

أصحاب الجوامع الفقهية فى القرن الثالث:

لقد تخرّج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام جملة كبيرة من أعاظم الفقهاء؛ أوقفوا علمهم فى خدمة هذا الدين الحنيف؛ فشمّروا عن سواعدهم، وسخّروا أنفسهم قدر ما مكّنهم اللَّه تعالى عليه، فخلّفوا جوامع فقهيّة مهمّة كانت ولا زالت خير زاد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۵

للمسلمين، ومن هؤلاء الأعلام:

۱- يونس بن عبد الرحمن، الّذى وصفه ابن النديم فى فهرسته بعلّامة زمانه، له جوامع الآثار، والجامع الكبير، وكتاب الشرائع.

۲- صفوان بن يحيى البجلى، الذى كان أوثق أهل زمانه، صنّف ثلاثين كتاباً.

۳ و ۴- الحسن والحسين ابنا سعيد بن حمّاد الأهوازى، صنّفا ثلاثين كتاباً.

۵- أحمد بن محمّد بن خالد البرقى، (ت ۲۷۴ ه)، صاحب كتاب المحاسن وغيره.

۶- محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعرى القمّى، (ت ۲۹۳ ه)، صاحب نوادر الحكمة وكتاب الجامع المعروف.

۷- أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى، (ت ۲۲۱ ه)، صاحب الجامع المعروف.

فقهاء الشيعة فى القرن الرابع:

هؤلاء هم فقهاء الشيعة فى القرن الثالث وتليهم عدّة أُخرى فى القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الإجمال:

۱- الحسن بن على بن أبى عقيل، شيخ الشيعة وفقيهها، صاحب كتاب المتمسّك بحبل آل الرسول، المعاصر للكلينى.

۲- علىّ بن الحسين بن بابويه، (ت ۳۲۹ ه)، صاحب كتاب الشرائع.

۳- محمّد بن الحسن بن الوليد القمى، شيخ القميين وفقيههم ومتقدّمهم، مات سنة ۳۴۳ ه، ولقد بلغ فى الوثاقة والدقة على حد يسكن إليه الشيخ الصدوق فى تصحيحاته وتضعيفاته.

۴- جعفر بن محمّد بن قولويه، أستاذ الشيخ الصدوق، و مؤلّف كامل الزيارات، يقول النجاشى عنه: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلّائهم فى الفقه والحديث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۶

۵- محمّد بن علىّ بن الحسين الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) مؤلّف من لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية.

۶- محمّد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالإسكافى، (ت ۳۸۵ ه).

قال عنه النجاشى: وجه فى أصحابنا، ثقة جليل القدر، صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه، ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، وكتاب الأحمدى للفقه المحمّدى.

مشاهير الفقهاء فى القرن الخامس:

مشاهير الفقهاء فى القرن الخامس:

وفى القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، ازدان الفقه الشيعى بل الإسلامى بأسمائهم وآرائهم، ومنهم: الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) والسيّد المرتضى (۳۵۵- ۴۳۶ ه) والشيخ الكراجكى (ت ۴۴۹ ه) والشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) وسلار الديلمى مؤلّف المراسم (ت ۴۶۳ ه)، وابن البرّاج (۴۰۱- ۴۸۹ ه) مؤلّف المهذّب، وغيرهم من الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال.

ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه الرجوع إلى الموسوعات الرجالية، وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

هذا عرض موجز لمشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهى. ويشهد اللَّه أنّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود فى ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرتزقتها لا ينفكّون عن مطاردتهم وإيداعهم فى السجون وعرضهم على السيف، ومع ذلك نرى هذا الإنتاج العلمى الهائل فى مجال الفقه. والذى لو تأمل فيه علماء المسلمين بفرقهم المختلفة، وتجنّبوا أهواء التعصب، لأقرُّوا بلا ريب بما فيه من سعة الفكر، وعمق النظر، وغزارة الانتاج.

هذا هو الشيخ الطوسى الذى ألّف المبسوط فى الفقه المقارن (فى ۸ أجزاء) فى زمن كانت الفتن الطائفية على أوجها، والشيعة هم الضحية فى هذه المخاضات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۷

العسرة، والتى امتدت ألسنتها نحو الشيخ الطوسى نفسه، فأُحرقت داره، ومكتبته فى كرخ بغداد، فالتجأ سرّاً إلى النجف الأشرف، تاركاً بلده الذى عاش فيه قرابة نصف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب، وأُجيزوا مقابل أبيات معدودة من الشعر الرخيص، أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا.

۱۰- قدماء الشيعة وعلم أُصول الفقه

۱۰- قدماء الشيعة وعلم أُصول الفقه

إنّ السنّة النبوية بعد القرآن الكريم هى المصدر للتشريع، وقد سبق أنّ الخلافة- بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله- حالت دون تحديث ما تركه بين الأُمّة، وكتابته وتدوينه. فلم تدوّن السنّة إلى عصر أبى جعفر المنصور، إلّاصحائف غير منظّمة ولا مرتّبة، إلى أن شرع علماء الإسلام فى التدوين سنة (۵۳ ه) «۱».

إنّ الحيلولة بين السنّة وتدوينها ونشرها أدّت إلى نتائج سلبية عظيمة، منها قصور ما وصل إلى الفقهاء فى ذلك العصر صحيحاً من الرسول صلى الله عليه و آله عن تلبية متطلّباتهم فى مجال الأحكام، حتّى اشتهر عن إمام الحنفية أنّه لم يثبت عنده من أحاديث الرسول

صلى الله عليه و آله فى مجال التشريع إلّاسبعة عشر حديثاً.

ونحن وإن كنّا لا نتوافق مع ما حُكى عن النعمان، ولكن نؤكّد على شىء آخر، وهو أنّ ما ورد فى مجموع الصحاح والمسانيد والسنن الأعم من الصحيح والضعيف فى مجال الأحكام الشرعية لا يتجاوز ۵۰۰ حديث.

قال السيّد محمّد رشيد رضا: إنّ أحاديث الأحكام الأُصول لا تتجاوز ۵۰۰ حديث تمدّها «۲» أربعة آلاف موقوفات و مراسيل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۸

ويقول أيضاً فى تفسيره: يقولون إنّ مصدر القوانين الأُمّة، ونحن نقول بذلك فى غير المنصوص فى الكتاب والسنّة. كما قرّره الإمام الرازى والمنصوص قليل جدّاً «۱».

وما ذكره من قضية الإمداد، يوحى إلى الموقوفات عن الصحابة، من دون أن يثبت صدورها عن النبىّ صلى الله عليه و آله فهذه الموقوفات تعرب عن اجتهادات الصحابة فى المسألة. ومن المعلوم أنّ قول الصحابى لا يكون حجّة إلّاإذا نسبه إلى الرسول صلى الله عليه و آله.

هذا وإنّ الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ۸۵۲ ه) جمع كلّ ما ورد فى مجال التشريع فى كتاب أسماه بلوغ المرام من أدلّة الأحكام «۲» وهو كتاب صغير جدّاً.

إنّ افتقاد النصّ فى مجال التشريع الذى واجه فقهاء أهل السنّة بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله، هو الذى دعاهم إلى التفحّص عن الحلّ لهذه الأزمة حتّى تسدّ حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنّية التى ما أنزل اللّه بها من سلطان، كالقياس، و الاستقراء، والاستحسان، وسدّ الذرائع، وسنّة الخلفاء، أو سنّة الصحابة، أو رأى أهل المدينة، إلى غير ذلك من القواعد، أسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية، وقد جاء ذلك نواة لتأسيس علم أُصول الفقه بصورة مختصرة نمت ونضجت فى الأجيال.

وأمّا الشيعة فحيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول بعد وفاته لوجود باب علم النبىّ صلى الله عليه و آله؛ على عليه السلام والأئمّة المعصومين بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أيّة حاجة للعمل بتلك المقاييس، وبالتالى لم يكن هناك أىّ دافع للاتّجاه نحو أُصول الفقه.

نعم لمّا كان الإسلام ديناً عالمياً، والنبىّ صلى الله عليه و آله خاتم الأنبياء، والأُصول والسنن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۹

مهما كثرت لا يمكن أن تلبّى بحرفيّتها حاجات المسلمين إلى يوم القيامة، انبرى أئمّة أهل البيت إلى إملاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات التى يواجه بها الفقيه. وتلك الأُصول هى التى تكون أساساً لعلم أُصول الفقه، ولقد جمعها عدّة من الأعلام فى كتاب خاصّ أفضلها «الفصول المهمّة فى أُصول الأئمّة» للشيخ المحدّث الحرّ العاملى المتوفّى سنة (۱۱۰۴ ه).

ومن هنا فإنّا يمكننا القول إنّ وجود أئمّة أهل البيت عليهم السلام بين ظهرانى الشيعة أغنى هذه الطائفة عن الحاجة الملحّة لتدوين مسائل أُصول الفقه إبّان تلك الفترة الماضية، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّه لم ينبرِ لفيف من صحابة الأئمّة لدراسة بعض مسائل الفقه نظير:

۱- هشام بن الحكم (ت ۱۹۹ ه)، صنّف كتاب الألفاظ «۱».

۲- يونس بن عبد الرحمن، صنّف كتاب اختلاف الحديث ومسائله. وهو مبحث تعارض الحديثين «۲».

۳- إسماعيل بن علىّ بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت (۲۳۷- ۳۱۱ ه).

قال عنه النجاشى: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا. وذكر مصنّفاته وعدّ منها كتاب الخصوص والعموم «۳».

وذكره ابن النديم فى فهرسته، وعدّ من مصنّفاته كتاب إبطال القياس، وكتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۰

نقض اجتهاد الرأى على ابن الراوندى «۱».

۴- أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختى، من علماء القرن الثالث، له كتاب الخصوص والعموم والخبر الواحد والعمل به «۲».

۵- أبو منصور صرّام النيشابورى، من علماء القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، له إبطال القياس «۳».

۶- محمّد بن أحمد بن داود بن علىّ (ت ۳۶۸ ه)، قال النجاشى: شيخ هذه الطائفة وعالمها، له كتاب الحديثين المختلفين «۴».

۷- محمّد بن أحمد بن الجنيد المتوفّى سنة (۳۸۱ ه)، له كتاب كشف التمويه والالتباس فى إبطال القياس «۵».

والطابع السائد على هذه الكتب هو دراسة بعض المسائل الأُصولية، كحجّية خبر الواحد، أو حلّ مشكلة اختلاف الحديثين، أو نقد بعض الأساليب الرائجة فى تلك الأجيال فى استنباط الأحكام، كالقياس وغيره، ولا يصح عدّها كتباً أُصولية بالمعنى المصطلح.

نعم؛ يمكن عدّها مرحلة أُولى ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية.

وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول، بإدخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم أُصول الفقه، وأوّل من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه:

۱- معلم الأُمّة الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) ألّف رسالة فى هذا المضمار

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۱

وأدرجها تلميذه العلّامة الكراجكى فى كتابه كنز الفوائد «۱».

وألّف بعده تلميذه الجليل علم الهدى المعروف بالسيّد المرتضى كتابه القيّم «الذريعة إلى أُصول الشريعة»، والذى طبع فى جزأين، وقد رأيت منه نسخة مخطوطة فى مدينة قزوين كتب فيها: إنّ تاريخ فراغ المؤلّف منه عام (۴۰۰ ه).

۲- الشيخ الطوسى: (۳۸۵- ۴۶۰ ه) ألّف كتاب عدّة الأُصول والذى يحتلّ مكانة رفيعة فى هذا الميدان، حتّى أنّه أُعيد طبعه لمرات متكرّرة.

وهكذا يمكن القول بأنّ هذه الكتب كوّنت اللبنة الأساسية التى توسعت بواسطتها وانتشرت آراء الشيعة فى علم الأُصول.

وأمّا فى المرحلة الثالثة من مراحل تطوّر علم الأُصول لدى الشيعة فقد شهدت بزوغ جملة واسعة من كبار العلماء توسّعوا بشكل كبير فى تثبيت وشرح الأبعاد الأساسية لعلم الأُصول، فكان من نتاج تلك المرحلة:

۱- التقريب فى أُصول الفقه للشيخ أبى ليلى المعروف بسلّار بن عبد العزيز الديلمى صاحب المراسم، توفّى عام (۴۶۳ ه).

۲- غنية النزوع إلى علمى الأُصول والفروع، تأليف أبى المكارم حمزة بن على المعروف بابن زهرة، المتوفّى عام (۵۸۵ ه).

۳- المصادر، تأليف الشيخ سديد الدين الحمصى، المتوفّى حدود سنة (۶۰۰ ه).

هذه هى المراحل الثلاث التى مرّ بها علم الأُصول، وقد تلتها مراحل أُخرى إلى أن بلغت فى القرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها، و أعلى مراحل كمالها، ويتّضح ذلك من ملاحظة ما أُلّف من عصر الأُستاذ الأكبر المحقّق البهبهانى (۱۱۱۸- ۱۲۰۶ ه) إلى يومنا؛ فقد راج التحقيق فى المسائل الأُصولية من عصره إلى عصر الشيخ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۲

مرتضى الأنصارى (۱۲۱۲- ۱۲۸۱ ه) وعصر تلميذه الشيخ محمّد كاظم الخراسانى (۱۲۵۵- ۱۳۲۹ ه) ففى هذه الفترة؛ أى القرون الثلاثة، أُلّفت مئات الكتب والرسائل فى ذلك المجال، ولا أُغالى إذا قلت: إنّه لم تبلغ طائفة من الطوائف الإسلامية تلك الدرجة التى وصلت إليها الشيعة فى علمى الفقه والأُصول من جانب كثرة الانتاج والاستيعاب ودقّة النظر، شكر اللَّه مساعيهم.

۱۱- قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير

۱۱- قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير

مغازى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله جزء من تاريخ حياته وسيرته، والرسول صلى الله عليه و آله قدوة وأسوة، وفعله كقوله حجّة بلا إشكال، وقد وضع بعضهم كتباً فى فقه السيرة «۱» فكان على المسلمين ضبط دقيقها وجليلها، وقد قاموا بذلك لولا أنّ الخلافة حالت دون الأُمنية، ولكن قيّض اللّه سبحانه، رجالًا فى الشيعة فى ذلك المجال ضبطوا سيرة الرسول صلى الله عليه و آله ومغازيه، منهم:

۱- ابن إسحاق، محمّد بن إسحاق (ت ۱۵۱ ه) عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله «۲» من أصحاب الإمام الصادق. ولأجل انتمائه إلى بيت النبوّة وصفه ابن حجر فى التقريب: «بأنّه إمام المغازى، صدوق، يدلّس، ورمى بالتشيّع والقدر» «۳».

وفى مختصر الذهبى: أنّه كان صدوقاً من بحور العلم.

فى تاريخ اليافعى عن شعبة بن الحجّاج أنّه قال: محمّد بن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۳

وعن الشافعى: من أراد أن يتبحَّر فى المغازى فهو عيال محمّد بن إسحاق «۱».

و لمّا كان المترجم شيعياً مجاهراً فى ولائه لأهل البيت عمد ابن هشام (ت ۲۱۲ ه) بتلخيص كتابه على أساس حذف ما لا يلائم نزعته، فحذف أكثر ما له صلة بفضائل الإمام على وأهل بيته.

فعلى المسلمين الغيارى الباحثين عن الحقيقة التفحّص فى مكتبات العالم وفهارسها، حتّى يعثروا على النسخة الأُمّ، وينشروا هذا الكنز الدفين خدمة للدين وإحياءً لسيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكان قد أعلن أحد المستشرقين أنّه قد عثر على الأصل ونشره باسم سيرة ابن إسحاق إلّاأنّه جزء من السيرة لا كلّها.

ومن حسن الحظّ أنّ سيرة ابن إسحاق وإن لم تكن موجودة بصورتها لكنّها موجودة بمادتها، فقد بثّها الطبرسى (۴۷۰- ۵۴۸ ه) فى أجزاء مجمع البيان، وابن الجوزى (ت ۵۹۷ ه) فى المنتظم، وابن كثير فى تاريخه وغيرهم. فيمكن للباحثين، استخراج مادة السيرة متفرّقة عن هذه الكتب، وملخّصها المعروف بالسيرة النبوية لابن هشام.

۲- عبيد اللّه بن أبى رافع، وكان قد سبق ابن إسحاق، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فقد ألّف كتاباً أسماه «تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفّين والنهروان من الصحابة» ذكره الشيخ فى الفهرست «۲»، إلّاأنّه أُلّف فى مغازى الإمام على عليه السلام لا فى مغازى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

۳- جابر الجعفى (ت ۱۲۸ ه) ألّف كتباً فى ذلك المجال: قال النجاشى: جابر:

عربىّ قديم، ثمّ ذكر نسبه وعدّ من كتبه: كتاب الجَمل، وكتاب صفّين، وكتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۴

النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام «۱».

۴- أبان بن عثمان الأحمر البجلى الكوفى، هو ممّن ألّف فى ذلك المجال أيضاً والذى أخذ عنه أبوعبيدة معمّر بن المثنّى (۱۱۰- ۲۰۹ ه) وأبو عبداللّه بن القاسم ابن سلّام (۱۵۷- ۲۲۴ ه) وأكثروا الحكاية عنه فى أخبار الشعراء والنسب والأيّام.

له كتاب حسن يجمع المبتدأ والمغازى والوفاة والردّة «۲». وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبى صلى الله عليه و آله من مبعثه ومغازيه ووفاته، وأخبار يوم السقيفة وارتداد بعض القبائل.

۵- ومن مشاهير هذا الفن من الشيعة أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى الغامدى، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، روى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام. وصنّف كتباً: منها كتاب المغازى، كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام... «۳».

۶- ومن أعلامه نصر بن مزاحم (۲۱۲ ه) ألّف كتباً كثيرة فى ذلك المجال، لعلّ أهمها كتاب «وقعة صفّين» الشهير «۴».

۷- هشام بن محمّد بن السائب الكلبى (المتوفّى ۲۰۶ ه) أعلم علماء النسب والسير والآثار، ذكره النجاشى وقال: الناسب، العالم بالأيّام،

المشهور بالفضل والعلم، وكان يختصّ بمذهبنا، ثمّ ذكر كتبه «۵».

هذا عرض موجز لمن شارك المسلمين من قدماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تدوين السيرة والمغازى والمقاتل والتاريخ، وأمّا المتأخّرون

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۵

فسل عنهم ولا حرج، وراجع المعاجم كأعيان الشيعة للسيد الأمين العاملى، والذريعة لشيخنا الطهرانى.

۱۲- قدماء الشيعة وعلم الرجال

۱۲- قدماء الشيعة وعلم الرجال

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، وأولوه اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلّة كبيرة من سادة هذا العلم، وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلّفين منهم:

۱- عبد اللّه بن جبلة الكنانى (ت ۲۱۹ ه).

قال النجاشى: وبيت جبلة مشهور بالكوفة، كان فقيهاً ثقة مشهوراً، له كتب، منها كتاب الرجال... «۱».

۲- علىّ بن الحسن بن فضّال، كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم، وعارفهم بالحديث، من أصحاب الإمام الهادى والعسكرى، له كتب منها كتاب الرجال «۲».

۳- الحسن بن محبوب السّراد (۱۵۰- ۲۲۴ ه) الراوى عن ستّين رجلًا من أصحاب الصادق عليه السلام، له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار» «۳».

۴- أبو عمرو الكشّى، البصير بالأخبار والرجال، تلميذ الشيخ العيّاشى، وكتابه المعروف ب «معرفة الرجال» هو الذى لخّصه الشيخ الطوسى وأسماه ب «اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود فى الأعصار الأخيرة.

۵- الشيخ أبو العبّاس أحمد بن علىّ النجاشى (۳۷۲- ۴۵۰ ه) من نقّاد هذا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۶

الفن ومن أجلّائه وأعيانه حاز قصب السبق فى ميدان علم الرجال، له كتاب فهرس مصنّفى الشيعة المعروف برجال النجاشى.

۶- والشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) الغنى عن التعريف، عمل كتابين أحدهما الفهرست والآخر الرجال، ويعدّان من أُمّهات الكتب الرجالية.

وتوالى التأليف فى علم الرجال كما فى قرينه علم الدراية إلى عصرنا هذا، وقد أنهى الشيخ الطهرانى، المؤلّفين من الشيعة فى علم الرجال فبلغوا قرابة خمسمائة مؤلّف، شكر اللّه مساعى الجميع.

هذا عرض موجز لمشاركة علماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم وإكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهم الجبّارة فى القرون الأُولى وما بعدها إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة من عمالقة العلم وجهابذة الفضل، كرّسوا حياتهم الثمينة فى إرساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها، فخلّدوا لأنفسهم صحائف بيضاء، ولصالح أُمّتهم حضارة إنسانية، كل ذلك فى ظروف قاسية، وسلطات ظالمة شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلّافى فترات يسيرة.

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة التى توارثها قهراً من الأجيال الماضية، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفى فى توضيح ذلك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها (۴۷) مرّة، و «التفكّر» (۱۸) مرّة، و «اللب» (۱۶) مرّة و «التدبّر» (۴) مرات و «النُهى» مرتين.

فبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقّل ببيانات مختلفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۷

فتارة يدعو الإنسان إلى التأمّل فيما حوله من الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: «ءَأَنْتُمْ أَشَدُ خَلْقاً أمِ السَّماءُ بَناها* رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها* وأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها* والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحاها* أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها* وَالجِبالَ أَرْساها* متاعاً لَكُمْ ولأَنْعامِكُمْ» «۱».

وأُخرى يدعوه إلى التفكير والاستدلال المنطقى، فقال سبحانه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأَرْضَ بَلْ لا يوقِنُونَ «۲»

فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر فى الكون نظرة ثاقبة فاحصة، وأُخرى بالحثّ على التفكير فى المعارف بأُسلوب منطقى وبرهانى، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وحثّهم على التأمّل والتدبّر فى العلوم المختلفة، دون التقليد الأعمى والتتبّع غير المتبصّر، وجعل لأُولئك المكانة المتميّزة.

غير أنّ المسلمين سوى قليل منهم تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً فيما يرجع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعطّل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم بالجمود على المفردات الواردة فى الكتاب والسنّة، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم فى الخالق: اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عمّا وراء ذلك «۳»!!! فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكّر فى اللّه سبحانه، فقالوا: أُعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبّية، فمن شَغَل ما أُعطى لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۸

فالأكثرية الساحقة فى القرون الأُولى كانوا بين مشبّه ومعطّل، غير أنّه سبحانه شملت عنايته أُمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين:

۱- النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة كما وردت فى القرآن الكريم.

۲- ترتيب المقاييس المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا أيضاً هو الخطّ الذى رسمه القرآن الكريم، وسار على هذا الخطّ الأئمّة عليهم السلام من أوّلهم إلى آخرهم.

ترى ذلك فى كلام الإمام على عليه السلام بوضوح، فى أحاديثه وخطبه ورسائله، ولا يسعنا هنا أن نستعرض ولو بعضاً ممّا له عليه السلام فى هذا المجال، إلّاأنّا نكتفى بحديث واحد.

سأله سائل: هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا فى بيضة من غير أن يُصغّر الدنيا أو يُكبّر البيضة؟ فقال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لا يُنسب إلى العجز، والذى سألتنى لا يكون» «۱».

إنّ خطب الإمام على عليه السلام ورسائله وقصار حكمه كانت هى الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم يتوقّف نشاط الشيعة فى ذلك المجال، بل ونتيجة لتوالى الأئمة عليهم السلام إمام بعد إمام، كان يعنى ذلك استمرار عين المنهج السابق الذى ربّى عليه الإمام علىّ عليه السلام شيعته، فواصل الأئمّة من بعده- عليهم وعليه السلام- فى حياتهم تربية شيعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكّر فى المعارف، حتّى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيّد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۹

الساجدين إلى عصر الإمام العسكرى، تجد أسماءهم وتآليفهم وأفكارهم فى المعاجم وكتب الرجال، وقد نبغ فى عصر أئمّة أهل البيت مفكّرون بارزون أدّوا لعموم المسلمين خدمات لا تنكر، وأشرعوا أبواب المعرفة للباحثين والمفكّرين الذين تلوهم، ومن هؤلاء: متكلّمو الشيعة فى القرن الثانى:

۱- زرارة بن أعين: مولى بنى عبد اللّه بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، أبو الحسن: شيخ أصحابنا فى زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه.

قال أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة والجبر «۱».

وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيّع «۲». وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التى أجمعت الطائفة على تصديقهم، وهو غنىّ عن التعريف والتوصيف.

۲- محمّد بن علىّ بن النعمان بن أبى طريفة البجلى: مولى الأحول «أبو جعفر» كوفى، صيرفى يلقب ب «مؤمن الطاق» و «صاحب الطاق»، ويلقّبه المخالفون ب «شيطان الطاق»... وكان دكّانه فى طاق المحامل فى الكوفة، فيرجع إليه فى النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق».

أمّامنزلته فى العلم وحسن الخاطر فأشهر، وقد نسبت إليه أشياء لم تثبت عندنا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۰

وله كتاب «افعل لا تفعل» وهو كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخّرين أحاديث تدلّ على فسادها، ويذكر تباين أقاويل الصحابة.

وله كتاب «الاحتجاج فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبى حنيفة والمرجئة... «۱».

وقال ابن النديم: وكان متكلّماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة فى إمامة المفضول، كتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة «۲».

۳- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: «أقول لك ما قال رسول اللّه لحسّان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وهو الذى فتق الكلام فى الإمامة، وهذّب المذهب، وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب «۳».

ويقول الشهرستانى: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور فى الأُصول، لا ينبغى أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة؛ فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم الغلاة... «۴».

وقال النجاشى: هشام بن الحكم، أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل بنى شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة (۱۹۹ ه)، ويقال: إنّه مات فى هذه السنة، له كتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۱

يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه فبلغت ثلاثين كتاباً «۱».

وأمّا أحمد أمين فيقول عنه: أكبر شخصية شيعية فى الكلام، وكان جداً قوىّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له فى كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرّقة تدل على حضور بديهته وقوّة حججه.

إنّ الرجل كان فى بداية أمره من تلاميذ أبى الشاكر الديصانى، صاحب النزعة الإلحادية فى الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان الجبرى المتطرّف المقتول بترمذ عام (۱۲۸ ه)، ثمّ لحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التى لا توافق أُصول الإمامية، فإنّما هى راجعة إلى العصرين اللّذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حدّ كبير، حتّى صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية «۲».

۴- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلّمين، تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام.

روى الكلينى: أنّه أتى شامىّ إلى أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام ليناظر أصحابه، فقال عليه السلام ليونس بن يعقوب: أُنظر من ترى بالباب من المتكلّمين... إلى أن قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۲

يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندى أحسنهم كلاماً وقد تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام «۱».

۵- عيسى بن روضة حاجب المنصور: قال عنه النجاشى: كان متكلّماً، جيد الكلام، وله كتاب فى الإمامة. وقرأت فى بعض الكتب: أنّ المنصور لمّا كان بالحيرة، تسمّع على عيسى بن روضة، وكان مولاه، وهو يتكلّم فى الإمامة فأُعجب به واستجاد كلامه «۲».

۶- الضحّاك، أبو مالك الحضرمى: كوفى، عربى، أدرك أبا عبد اللّه عليه السلام وقال قوم من أصحابنا: روى عنه، وقال آخرون: لم يرو عنه، روى عن أبى الحسن، وكان متكلّماً ثقة ثقة فى الحديث، وله كتاب فى التوحيد رواه عنه علىّ بن الحسن الطاطرى «۳» فالرجل من متكلّمى القرن الثانى.

وقال ابن النديم: من متكلّمى الشيعة، وله مع أبى علىّ الجبّائى مجلس فى الإمامة وتثبيتها بحضرة أبى محمّد القاسم بن محمّد الكوفى، وله من الكتب: كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبى علىّ ولم يتمّه «۴».

۷- علىّ بن الحسن بن محمّد الطائى: المعروف ب «الطاطرى» كان فقيهاً ثقة فى حديثه، له كتب منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية «۵» وغيرها.

وعدّه ابن النديم من متكلّمى الإمامية وقال: ومن القدماء الطاطرى، وكان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۳

شيعياً، وله من الكتب كتاب الإمامة حسن «۱».

۸- الحسن بن علىّ بن يقطين بن موسى، مولى بنى هاشم، وقيل مولى بنى أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روى عن أبى الحسن والرضا عليهما السلام، وله كتاب مسائل أبى الحسن موسى عليه السلام «۲» وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفّى عام (۱۸۳ ه)، والثانى توفّى عام (۲۰۳ ه)، فالرجل من متكلّمى القرن الثانى وأوائل الثالث.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الرضا عليه السلام «۳».

۹- حديد بن حكيم: أبو على الأزدى المدائنى، ثقة، وجه، متكلّم، روى عن أبى عبداللّه، وأبى الحسن عليهما السلام و له كتاب يرويه محمّد بن خالد «۴».

۱۰- فضّال بن الحسن بن فضّال: وهو من متكلّمى عصر الصادق عليه السلام وذكره الطبرسى فى احتجاجه ومناظرته مع أبى حنيفة، فلاحظ «۵».

إنّ ما ذكرناه من أساتذة الكلام كانوا نماذج مصغّرة من تلامذة أهل البيت عليهم السلام وخرّيجى مدرستهم، وقد اكتفينا بذكر هذه الطائفة تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ومن ابتغى الاستزادة فعليه بالمراجع التاريخية وكتب الكلام المختلفة التى حفلت بأسماء الأعلام الباقين، أمثال حمران بن أعين الشيبانى، وهشام بن سالم الجواليقى، والسيد الحميرى، والكميت الأسدى «۶».

متكلّمو الشيعة فى القرن الثالث:

۱- الفضل بن شاذان بن خليل أبو محمّد الأزدى النيشابورى: كان أبوه من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۴

أصحاب يونس، وروى عن أبى جعفر الثانى وقيل الرضا عليهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلّمين، وله جلالة فى هذه الطائفة، وهو فى قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجى أنّه صنّف مائة وثمانين كتاباً.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الهادى والعسكرى. وقد توفّى عام (۲۶۰ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث. وقد ذكر النجاشى فهرس كتبه فراجع للاستزادة «۱».

۲- حكم بن هشام بن حكم: أبو محمّد، مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكى عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأى له كتاباً فى الإمامة «۲» وقد توفّى والده عام (۲۰۰ ه أو ۱۹۹ ه) فهو من متكلّمى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث.

۳- داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصرى- رحمه اللّه- شيخ جليل، فقيه متكلّم من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب منها: كتاب فى الإمامة على سائر من خالفه من الأُمم، والآخر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۵

مجرّد الدلائل والبراهين «۱».

وذكره الشيخ الطوسى فى الفهرست فى باب الكنى وقال: إنّه من جملة متكلّمى الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختى وأخذ عنه، واجتمع معه فى الحائر على ساكنه السلام، وكان ورد للزيارة «۲»، فبما أنّه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختى المعاصر للجبّائى (ت ۳۰۳ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث.

۴- محمّد بن عبد اللّه بن مملك الاصبهانى: أصله من جرجان، وسكن إصبهان، جليل فى أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة له كتب منها كتاب الجامع فى سائر أبواب الكلام كبير، كتاب المسائل والجوابات فى الإمامة، كتاب مواليد الأئمة عليهم السلام، كتاب مجالسه مع أبى على الجبّائى (۲۳۵- ۳۰۳ ه) «۳».

۵- ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكرى: صاحب أبى عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلّم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطّلاع بالحديث والرواية، والفقه، له كتب فى الحديث والإمامة وغيرها «۴».

۶- إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومى: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة «۵».

۷- محمّد بن هارون، أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة.

قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودى له مصنّفات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۶

حسان فى الإمامة وغيرها، وكانت وفاته سنة (۲۴۷ ه) «۱».

۸- إبراهيم بن سليمان بن أبى داحة المزنى: مولى آل طلحة بن عبيد اللّه، أبوإسحاق، وكان وجه أصحابنا البصريين فى الفقه والكلام والأدب والشعر «۲».

۹- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى أشياء إلّافى أصل الإمامة، وله من الكتب: كتاب المعرفة، كتاب فى الاستطاعة، كتاب الإمامة، كتاب على من أبى وجوب الإمامة بالنصّ «۳».

۱۰- الحسين بن اشكيب: ثقة مقدّم، ذكره أبو عمرو فى كتاب الرجال فى أصحاب أبى الحسن العسكرى عليه السلام ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب له من الكتب: كتاب الردّ على من زعم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان على دين قومه، والردّ على الزيدية «۴».

۱۱- عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكرى: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام. من كتبه: كتاب الكامل فى الإمامة، كتاب حسن «۵».

۱۲- علىّ بن منصور، أبو الحسن، كوفى سكن بغداد، متكلّم من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير فى التوحيد والإمامة «۶».

۱۳- علىّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۷

بنى أسد، كوفى، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل (۱۳۵- ۲۳۵ ه) والنظّام (۱۶۰- ۲۳۱ ه) له

مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة «۱».

وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم فى مذهب الإمامة علىّ بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وميثم (جدّه) من أجلّة أصحاب علىّ- رضى اللّه عنه- ولعلىّ من الكتب كتاب الإمامة و كتاب الاستحقاق «۲».

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

اشارة

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة التى توارثها قهراً من الأجيال الماضية، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفى فى توضيح ذلك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها (۴۷) مرّة، و «التفكّر» (۱۸) مرّة، و «اللب» (۱۶) مرّة و «التدبّر» (۴) مرات و «النُهى» مرتين.

فبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقّل ببيانات مختلفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۷

فتارة يدعو الإنسان إلى التأمّل فيما حوله من الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: «ءَأَنْتُمْ أَشَدُ خَلْقَاً أَمِ السَّماءُ بَناها* رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها* وأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها* والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحاها* أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها* وَالجِبالَ أَرْساها* متاعاً لَكُمْ ولأَنْعامِكُمْ» «۱».

وأُخرى يدعوه إلى التفكير والاستدلال المنطقى، فقال سبحانه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأَرْضَ بَلْ لا يوقِنُونَ «۲»

فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر فى الكون نظرة ثاقبة فاحصة، وأُخرى بالحثّ على التفكير فى المعارف بأُسلوب منطقى وبرهانى، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وحثّهم على التأمّل والتدبّر فى العلوم المختلفة، دون التقليد الأعمى والتتبّع غير المتبصّر، وجعل لأُولئك المكانة المتميّزة.

غير أنّ المسلمين سوى قليل منهم تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً فيما يرجع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعطّل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم بالجمود على المفردات الواردة فى الكتاب والسنّة، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم فى الخالق: اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عمّا وراء ذلك «۳»!!! فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكّر فى اللّه سبحانه، فقالوا: أُعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبيّة، فمن شَغَل ما أُعطى لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۸

فالأكثرية الساحقة فى القرون الأُولى كانوا بين مشبّه ومعطّل، غير أنّه سبحانه شملت عنايته أُمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين:

۱- النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة كما وردت فى القرآن الكريم.

۲- ترتيب المقاييس المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا أيضاً هو الخطّ الذى رسمه القرآن الكريم، وسار على هذا الخطّ الأئمّة عليهم السلام من أوّلهم إلى آخرهم.

ترى ذلك فى كلام الإمام على عليه السلام بوضوح، فى أحاديثه وخطبه ورسائله، ولا يسعنا هنا أن نستعرض ولو بعضاً ممّا له عليه السلام فى هذا المجال، إلّاأنّا نكتفى بحديث واحد.

سأله سائل: هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا فى بيضة من غير أن يُصغّر الدنيا أو يُكبّر البيضة؟ فقال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لا يُنسب إلى العجز، والذى سألتنى لا يكون» «۱».

إنّ خطب الإمام على عليه السلام ورسائله وقصار حكمه كانت هى الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم يتوقّف نشاط الشيعة فى ذلك المجال، بل ونتيجة لتوالى الأئمة عليهم السلام إمام بعد إمام، كان يعنى ذلك استمرار عين المنهج السابق الذى ربّى عليه الإمام علىّ عليه السلام شيعته، فواصل الأئمّة من بعده- عليهم وعليه السلام- فى حياتهم تربية شيعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكّر فى المعارف، حتّى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيّد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۹

الساجدين إلى عصر الإمام العسكرى، تجد أسماءهم وتآليفهم وأفكارهم فى المعاجم وكتب الرجال، وقد نبغ فى عصر أئمّة أهل البيت مفكّرون بارزون أدّوا لعموم المسلمين خدمات لا تنكر، وأشرعوا أبواب المعرفة للباحثين والمفكّرين الذين تلوهم، ومن هؤلاء:

متكلّمو الشيعة فى القرن الثانى:

۱- زرارة بن أعين: مولى بنى عبد اللّه بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، أبو الحسن: شيخ أصحابنا فى زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه.

قال أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة والجبر «۱».

وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيّع «۲». وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التى أجمعت الطائفة على تصديقهم، وهو غنىّ عن التعريف والتوصيف.

۲- محمّد بن علىّ بن النعمان بن أبى طريفة البجلى: مولى الأحول «أبو جعفر» كوفى، صيرفى يلقب ب «مؤمن الطاق» و «صاحب الطاق»، ويلقّبه المخالفون ب «شيطان الطاق»... وكان دكّانه فى طاق المحامل فى الكوفة، فيرجع إليه فى النقد فيردّ رداً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق».

أمّامنزلته فى العلم وحسن الخاطر فأشهر، وقد نسبت إليه أشياء لم تثبت عندنا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۰

وله كتاب «افعل لا تفعل» وهو كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخّرين أحاديث تدلّ على فسادها، ويذكر تباين أقاويل الصحابة.

وله كتاب «الاحتجاج فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبى حنيفة والمرجئة... «۱».

وقال ابن النديم: وكان متكلّماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة فى إمامة المفضول، كتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة «۲».

۳- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: «أقول لك ما قال رسول اللّه لحسّان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وهو الذى فتق الكلام فى الإمامة، وهذّب المذهب، وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب «۳».

ويقول الشهرستانى: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور فى الأُصول، لا ينبغى أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة؛ فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم الغلاة... «۴».

وقال النجاشى: هشام بن الحكم، أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل بنى شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة (۱۹۹ ه)، ويقال: إنّه مات

فى هذه السنة، له كتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۱

يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه فبلغت ثلاثين كتاباً «۱».

وأمّا أحمد أمين فيقول عنه: أكبر شخصية شيعية فى الكلام، وكان جداً قوىّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له فى كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرّقة تدل على حضور بديهيته وقوّة حججه.

إنّ الرجل كان فى بداية أمره من تلاميذ أبى الشاكر الديصانى، صاحب النزعة الإلحادية فى الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان الجبرى المتطرّف المقتول بترمذ عام (۱۲۸ ه)، ثمّ لحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التى لا توافق أُصول الإمامية، فإنّما هى راجعة إلى العصرين اللّذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حدّ كبير، حتّى صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية «۲».

۴- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلّمين، تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام.

روى الكلينى: أنّه أتى شامىّ إلى أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام ليناظر أصحابه، فقال عليه السلام ليونس بن يعقوب: أُنظر من ترى بالباب من المتكلّمين... إلى أن قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۲

يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندى أحسنهم كلاماً وقد تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام «۱».

۵- عيسى بن روضة حاجب المنصور: قال عنه النجاشى: كان متكلّماً، جيد الكلام، وله كتاب فى الإمامة. وقرأت فى بعض الكتب: أنّ المنصور لمّا كان بالحيرة، تسمّع على عيسى بن روضة، وكان مولاه، وهو يتكلّم فى الإمامة فأُعجب به واستجاد كلامه «۲».

۶- الضحّاك، أبو مالك الحضرمى: كوفى، عربى، أدرك أبا عبد اللّه عليه السلام وقال قوم من أصحابنا: روى عنه، وقال آخرون: لم يرو عنه، روى عن أبى الحسن، وكان متكلّماً ثقة ثقة فى الحديث، وله كتاب فى التوحيد رواه عنه علىّ بن الحسن الطاطرى «۳» فالرجل من متكلّمى القرن الثانى.

وقال ابن النديم: من متكلّمى الشيعة، وله مع أبى علىّ الجبّائى مجلس فى الإمامة وتثبيتها بحضرة أبى محمّد القاسم بن محمّد الكوفى، وله من الكتب: كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبى علىّ ولم يتمّه «۴».

۷- علىّ بن الحسن بن محمّد الطائى: المعروف ب «الطاطرى» كان فقيهاً ثقة فى حديثه، له كتب منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية «۵» وغيرها.

وعدّه ابن النديم من متكلّمى الإمامية وقال: ومن القدماء الطاطرى، وكان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۳

شيعياً، وله من الكتب كتاب الإمامة حسن «۱».

۸- الحسن بن علىّ بن يقطين بن موسى، مولى بنى هاشم، وقيل مولى بنى أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روى عن أبى الحسن والرضا عليهما السلام، وله كتاب مسائل أبى الحسن موسى عليه السلام «۲» وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفّى عام (۱۸۳ ه)، والثانى توفّى عام (۲۰۳ ه)، فالرجل من متكلّمى القرن الثانى وأوائل الثالث.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الرضا عليه السلام «۳».

۹- حديد بن حكيم: أبو على الأزدى المدائنى، ثقة، وجه، متكلّم، روى عن أبى عبداللّه، وأبى الحسن عليهما السلام و له كتاب يرويه محمّد بن خالد «۴».

۱۰- فضّال بن الحسن بن فضّال: وهو من متكلّمى عصر الصادق عليه السلام وذكره الطبرسى فى احتجاجه ومناظرته مع أبى حنيفة، فلاحظ «۵».

إنّ ما ذكرناه من أساتذة الكلام كانوا نماذج مصغّرة من تلامذة أهل البيت عليهم السلام وخرّيجى مدرستهم، وقد اكتفينا بذكر هذه الطائفة تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ومن ابتغى الاستزادة فعليه بالمراجع التاريخية وكتب الكلام المختلفة التى حفلت بأسماء الأعلام الباقين، أمثال حمران بن أعين الشيبانى، وهشام بن سالم الجواليقى، والسيد الحميرى، والكميت الأسدى «۶».

متكلّمو الشيعة فى القرن الثالث:

۱- الفضل بن شاذان بن خليل أبو محمّد الأزدى النيشابورى: كان أبوه من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۴

أصحاب يونس، وروى عن أبى جعفر الثانى وقيل الرضا عليهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلّمين، وله جلالة فى هذه الطائفة، وهو فى قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجى أنّه صنّف مائة وثمانين كتاباً.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الهادى والعسكرى. وقد توفّى عام (۲۶۰ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث. وقد ذكر النجاشى فهرس كتبه فراجع للاستزادة «۱».

۲- حكم بن هشام بن حكم: أبو محمّد، مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكى عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأى له كتاباً فى الإمامة «۲» وقد توفّى والده عام (۲۰۰ ه أو ۱۹۹ ه) فهو من متكلّمى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث.

۳- داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصرى- رحمه اللّه- شيخ جليل، فقيه متكلّم من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب منها: كتاب فى الإمامة على سائر من خالفه من الأُمم، والآخر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۵

مجرّد الدلائل والبراهين «۱».

وذكره الشيخ الطوسى فى الفهرست فى باب الكنى وقال: إنّه من جملة متكلّمى الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختى وأخذ عنه، واجتمع معه فى الحائر على ساكنه السلام، وكان ورد للزيارة «۲»، فبما أنّه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختى المعاصر للجبّائى (ت ۳۰۳ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث.

۴- محمّد بن عبد اللّه بن مملك الاصبهانى: أصله من جرجان، وسكن إصبهان، جليل فى أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة له كتب منها كتاب الجامع فى سائر أبواب الكلام كبير، كتاب المسائل والجوابات فى الإمامة، كتاب مواليد الأئمة عليهم السلام، كتاب مجالسه مع أبى على الجبّائى (۲۳۵- ۳۰۳ ه) «۳».

۵- ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكرى: صاحب أبى عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلّم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطّلاع بالحديث والرواية، والفقه، له كتب فى الحديث والإمامة وغيرها «۴».

۶- إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومى: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة «۵».

۷- محمّد بن هارون، أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة.

قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودى له مصنّفات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۶

حسان فى الإمامة وغيرها، وكانت وفاته سنة (۲۴۷ ه) «۱».

۸- إبراهيم بن سليمان بن أبى داحة المزنى: مولى آل طلحة بن عبيد اللّه، أبوإسحاق، وكان وجه أصحابنا البصريين فى الفقه والكلام والأدب والشعر «۲».

۹- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى أشياء إلّافى أصل الإمامة، وله من الكتب: كتاب المعرفة، كتاب فى الاستطاعة، كتاب الإمامة، كتاب على من أبى وجوب الإمامة بالنصّ «۳».

۱۰- الحسين بن اشكيب: ثقة مقدّم، ذكره أبو عمرو فى كتاب الرجال فى أصحاب أبى الحسن العسكرى عليه السلام ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب له من الكتب: كتاب الردّ على من زعم أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان على دين قومه، والردّ على الزيدية «۴».

۱۱- عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكرى: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام. من كتبه: كتاب الكامل فى الإمامة، كتاب حسن «۵».

۱۲- علىّ بن منصور، أبو الحسن، كوفى سكن بغداد، متكلّم من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير فى التوحيد والإمامة «۶».

۱۳- علىّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۷

بنى أسد، كوفى، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل (۱۳۵- ۲۳۵ ه) والنظّام (۱۶۰- ۲۳۱ ه) له مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة «۱».

وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم فى مذهب الإمامة علىّ بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وميثم (جدّه) من أجلّة أصحاب علىّ- رضى اللّه عنه- ولعلىّ من الكتب كتاب الإمامة و كتاب الاستحقاق «۲».

متكلّمو الشيعة فى القرن الرابع

متكلّمو الشيعة فى القرن الرابع:

۱- الحسن بن على بن أبى عقيل: أبو محمّد العمانى، الحذّاء، فقيه متكلّم ثقة، له كتب فى الفقه والكلام، منها كتاب «المتمسّك بحبل الرسول» «۳».

۲- إسماعيل بن علىّ بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة فى الدنيا والدين، يجرى مجرى الوزراء فى جلالة الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء فى الإمامة، التنبيه فى الإمامة.

وقال ابن النديم: أبو سهل، إسماعيل بن علىّ بن نوبخت، من كبار الشيعة، وكان أبو الحسن الناشئ يقول: إنّه أُستاذه، وكان فاضلًا، عالماً، متكلّماً، وله مجالس بحضرة جماعة من المتكلّمين... وذكر فهرس كتبه «۴».

۳- الحسين بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه: (أخو الصدوق) القمى أبو عبد اللّه، ثقة، روى عن أبيه إجازة، وله كتب منها: كتاب التوحيد ونفى التشبيه، وقد توفّى أخوه عام (۳۸۱ ه) فهم من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۸

ولدا بدعوة صاحب الأمر عليه السلام، ترجمه ابن حجر فى لسان الميزان «۱».

۴- محمّد بن بشر الحمدونى «أبو الحسين السوسنجردى»: متكلّم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب، منها: كتاب المقنع فى الإمامة، كتاب المنقذ فى الإمامة «۲».

وقال ابن النديم: السوسنجردى من غلمان أبى سهل النوبختى ويكنّى أباالحسن، ويعرف بالحمدونى منسوباً إلى آل حمدون، وله من الكتب كتاب الإنقاذ فى الإمامة «۳».

وقال ابن حجر: كان زاهداً ورعاً متكلّماً، على مذهب الإمامية، وله مصنّفات فى نصرة مذهبه «۴».

۵- يحيى أبو محمّد العلوى من بنى زبارة: علوى، سيّد، متكلّم، فقيه، من أهل نيشابور. قال الشيخ الطوسى: جليل القدر، عظيم الرئاسة، متكلّم، حاذق، زاهد، ورع، لقيت جماعة ممّن لقوه وقرأوا عليه، له كتاب إبطال القياس، وكتاب فى التوحيد «۵».

۶- محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازى، أبو جعفر: متكلّم، عظيم القدر حسن العقيدة، قوىّ فى الكلام، له كتب فى الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطّة وذكره فى فهرسته الذى يذكر فيه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبد الرحمن بن قبة.

وقال ابن النديم: أبو جعفر بن محمّد بن قبة من متكلّمى الشيعة وحذّاقهم، وله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۹

من الكتب: كتاب الإنصاف فى الإمامة، كتاب الإمامة «۱».

وقال العلّامة الحلّى عنه: «وكان حاذقاً شيخ الإمامية فى عصره» «۲».

۷- علىّ بن وصيف، أبو الحسن الناشئ: (۲۷۱- ۳۶۵ ه) ذكره النجاشى وقال: الشاعر المتكلّم، ذكر شيخنا- رضى اللَّه عنه- أنّ له كتاباً فى الإمامة «۳».

وقال الطوسى: كان شاعراً مجوّداً فى أهل البيت عليهم السلام و متكلّماً بارعا و ل كتب «۴».

وقال ابن خلّكان: من الشعراء المحبّين، وله فى أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلّماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبى سهل إسماعيل بن علىّ بن نوبخت المتكلّم، وكان من كبار الشيعة، وله تصانيف كثيرة، وقال ابن كثير: إنّه كان متكلّماً، بارعاً من كبار الشيعة، فهو من متكلّمى القرن الرابع «۵».

۱۰- الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختى: شيخنا المبرز على نظرائه فى زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له على الأوائل كتب كثيرة، منها:

۱- كتاب الآ راء والديانات، يقول النجاشى: كتاب كبير حسن يحتوى على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبى عبد اللَّه (المفيد)- رحمه اللَّه-.

۲- كتاب فرق الشيعة.

۳- كتاب الردّ على فرق الشيعة ما خلا الإمامية.

۴- كتاب الجامع فى الإمامة «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۰

والرجل من أكابر متكلّمى الشيعة، عاصر الجبّائى (ت ۳۰۳ ه)، والبلخى (ت ۳۱۹ ه)، وأبا جعفر بن قبة المتوفّى قبل البلخى، فهو من أعيان متكلّمى الشيعة فى أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع.

وقال عنه ابن النديم: أبو محمّد الحسن بن موسى بن أُخت أبى سهل بن نوبخت، متكلّم فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبى عثمان الدمشقى، وإسحاق وثابت وغيرهم، وكانت المعتزلة تدّعيه، والشيعة تدّعيه ولكنّه إلى حيّز الشيعة ما هو (كذا) لأنّ آل نوبخت معروفون بولاية علىّ وولده عليهم السلام فى الظاهر، فلذلك ذكرناه فى هذا الموضع... وله مصنّفات ومؤلّفات فى الكلام والفلسفة وغيرها. ثمّ ذكر فهرس كتبه ولم يذكر إلّاالقليل من الكثير «۱».

أقول: إنّ بيت نوبخت من أرفع البيوتات الشيعية نبغ منه فلاسفة كبار، متكلّمون عظام، لا يسعنا هنا الحديث عنهم، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلّفة حول هذا البيت.

هؤلاء هم بعض أعلام الشيعة و متكلّموهم فى القرون الأربعة من الذين ذادوا عن حياض الإسلام والتشيّع ببيانهم وبنانهم، أتينا بأسمائهم فى هذا المقام كنموذج عن رجالات الشيعة الأفذاذ الذين ساهموا مع إخوانهم من المفكّرين المسلمين فى بناء صرح

الحضارة الإسلامية الخالد، ونختم بحثنا هذا بذكر أكبر فطاحلة الكلام ورجاله الأفذاذ، رجل قلّ أن يسمع الدهر بمثله، ونقصد به شيخ الأُمّة وأُستاذ المتكلّمين شيخنا المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) الذى نطق بفضله وعلمه وورعه وتقاه لسان كل موافق ومخالف، وإليك نموذجاً ممّا ذكره أصحاب التذكرة وعلماء الرجال فى كتبهم على وجه الإيجاز، ونركّز على كلمات أهل السنّة و مع ذكر القليل من كلمات الشيعة فى حقّه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۱

۱- قال عنه معاصره ابن النديم (ت ۳۸۸ ه) فى الفهرست:

ابن المعلم أبو عبد اللّه، فى عصرنا انتهت رئاسة متكلّمى الشيعة إليه، مقدّم فى صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضى الخاطرة، شاهدته فرأيته بارعاً... «۱».

۲- وقال عبد الرحمن بن الجوزى (ت ۵۹۷ ه):

شيخ الإمامية وعالمها، صنّف على مذهبه، ومن أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره- بدرب رياح- يحضره كافّة العلماء، له منزلة عند أُمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبه «۲».

۳- وقال أبو السعادات عبد اللّه بن أسعد اليافعى (ت ۷۶۸ ه):

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة توفّى عالم الشيعة وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد، وابن المعلّم أيضاً، البارع فى الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة فى الدولة البويهية.

قال ابن أبى طى: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستّاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتى مصنّف، وكانت جنازته مشهورة وشيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة «۳».

۴- ووصفه أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت ۷۷۴ ه) بقوله:

شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامى عن حوزتهم، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء وسائر الطوائف «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۲

۵- وقال الذهبى (ت ۷۴۸ ه):

عالم الشيعة وإمام الرافضة وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبى طى فى تاريخه- تاريخ الإمامية:- هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة العظيمة فى الدولة البويهية «۱».

۶- قال ابن حجر (ت ۸۵۲ ه) بعد نقل ما ذكره الذهبى:

وكان كثير التعقيب والتخشّع والإكباب على العلم، تخرّج به جماعة، وبرع فى المقالة الإمامية حتّى يقال: له على كلّ إمامى منّة، وكان أبوه معلماً بواسط، وما كان المفيد ينام من الليل إلّاهجعة ثمّ يقوم يصلى أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن «۲».

۷- وقال عنه ابن العماد الحنبلى (ت ۱۰۸۹ ه):

ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرافضة، وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبى طى فى تاريخ الإمامية: هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام، والفقه، والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة فى الدولة البويهية «۳».

هذا جانب ممّا ترجم له أهل السنّة، وأمّا الشيعة فنقتصر على كلام تلميذيه الطوسى والنجاشى توخّياً للاختصار:

۱- يقول الشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) فى الفهرست:

المفيد يكنّى أباعبداللّه، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلّمى الإمامية،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۳

انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، وكان مقدّماً فى العلم، وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتى مصنّف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة (۳۳۸ ه)، وتوفّى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (۴۱۳ ه)، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق «۱».

۲- ويقول تلميذه الآخر، النجاشى (۳۷۲- ۴۵۰ ه):

شيخنا وأُستاذنا- رضى اللَّه عنه- فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم. ثمّ ذكر تصانيفه «۲».

وهكذا وبعد أن أوردنا بعضاً من رجالات الطائفة الذين برعوا فى علم الكلام حتّى نهاية القرن الرابع، أودّ أن أُشير إلى بعض أساتذة الفلسفة الذين لمعت أسماؤهم فى سماء العالم الإسلامى بعد القرن الرابع الهجرى.

مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع

مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع:

۱- الشيخ أبو على بن سينا: إذا كان الشيخ المفيد أكبر متكلّم للشيعة ظهر فى العراق، فإنّ الشيخ الرئيس ابن سينا (۳۷۰- ۴۲۸ ه) أكبر فيلسوف إسلامى شيعى ظهر فى المشرق، وهو من الذين دفعوا عجلة الفكر والعلم إلى الأمام خطوات كثيرة، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً، وكتبت عنه دراسات ضافية من المسلمين والمستشرقين، ونحن فى غنى عن إفاضة القول فى ترجمة حياته، وآثاره التى خلّفها، والتلاميذ الذين تربّوا فى مدرسته، ولكن نشير إلى كتابين من كتبه لما لهما من الشهرة والمكانة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۴

ألف- الشفاء: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات والرياضيات وقد طبع أخيراً فى مصر فى أجزاء، وبالإمعان فيما ذكره فى مبحث النبوّة يعلم منه مذهبه، قال: والاستخلاف بالنص أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدّى إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف «۱».

باء- الإشارات: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات، وهو من أحسن مؤلّفاته، وفيه آراؤه النهائية، وقد وقع موقع العناية لمن بعده، فشرحه الإمام الرازى (۵۴۳- ۶۰۶ ه) والمحقّق الطوسى (۵۹۷- ۶۷۲ ه) والشرح الثانى كان محور الدراسة فى الحوزات العلمية.

۲- نصير الدين الطوسى: سلطان المحقّقين وأُستاذ الحكماء والمتكلّمين (۵۹۷- ۶۷۲ ه) وهو أشهر من أن يذكر، شارك فى جميع العلوم النظرية فأصبح أُستاذاً محقّقاً مؤسّساً، أثنى عليه الموافق والمخالف.

۳- الشيخ كمال الدين، ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانى (۶۳۶- ۶۹۹ ه) الفيلسوف المحقّق، والحكيم المدقّق، قدوة المتكلّمين، تظهر جلالة شأنه و سطوع برهانه من الإمعان فى شرحه لنهج البلاغة فى أربعة أجزاء، وله «قواعد المرام فى الكلام» وكلاهما مطبوعان.

۴- العلّامة الحلّى: شيخ الشيعة جمال الدين المعروف بالعلّامة الحلّى (۶۴۸- ۷۲۶ ه) له الجوهر النضيد فى شرح منطق التجريد، وكشف المراد فى الكلام، وكتبه فى المنطق والكلام والفلسفة تنوف على العشرين.

۵- قطب الدين الرازى (ت ۷۶۶ ه) تلميذ العلّامة الحلّى وأُستاذ الشهيد الأوّل، له شرح المطالع فى المنطق، والمحاكمات بين العلمين: الرازى ونصير الدين الطوسى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۵

إلى غير ذلك من العقول الكبيرة التى ظهرت فى الحوزات الشيعية، كالفاضل المقداد (ت ۸۰۸ ه) مؤلّف نهج المسترشدين فى الكلام، والشيخ بهاء الدين العاملى (۹۵۳- ۱۰۳۰ ه)، والسيد محمّد باقر المعروف بالداماد (ت ۱۰۴۰ ه)، وتلميذه المعروف بصدر المتألّهين مؤلّف الأسفار الأربعة (۹۷۱- ۱۰۵۰ ه)، وغيرهم ممّن يتعسّر علينا إحصاء أسمائهم فضلًا عن تحرير تراجمهم.

هذه لمحة عابرة عن مشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم العقلية، والتى اقتصرنا فيها على ذكر ما يتّسع به المجال

من بعض المشاهير منهم إلى أواسط القرن الحادى عشر، حيث إنّ هناك العديد من الأسماء الكبيرة واللامعة.

هذا وقد قام المتتبع المتضلّع الشيخ عبد اللّه نعمة بتأليف كتاب حول فلاسفة الشيعة ومتكلّميهم أسماه «فلاسفة الشيعة» فسدّ بذلك بعض الفراغ جزاه اللّه خيراً.

ومن الجانب الآخر يجد المرء أنّ هذا العطاء المقدّس فى علوم التفكير والبرهنة لم يزل متواصلًا لدى الشيعة وحتّى عصرنا الحاضر هذا، حيث ظهرت العديد من الشخصيات الفذّة والبارزة، رفدت المكتبة الإسلامية بمؤلّفات غنيّة فى الكلام والفلسفة والمنطق، فى الوقت الذى عاش فيه كثير من هؤلاء العلماء والمفكّرين فى ظروف قاهرة ومصاعب جمّة، لعبت فيها السلطات الجائرة دوراً كبيراً فى مطاردة وتصفية الكثير منهم، حتّى صار ذلك سبباً فى اختفاء آثارهم وضياعها، بل وتراكم الأساطير حولها.

وبذلك تقف على ضعف وركاكة ما ذكره المستشرق آدم متز فى حقّ كلام الشيعة:

«أمّا من حيث العقيدة والمذهب، فإنّ الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولابدّ أن يكون قلّة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة ممّا لاءم أغراض الشيعة، ولم يكن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۶

للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاصّ بهم» «۱».

إنّ الشيعة عن بكرة أبيهم كانوا مقتفين أثر أئمّتهم، ولم يكونوا ورثة للمعتزلة ولا لغيرهم، وإنّما أخذت المعتزلة أُصول مذهبهم عن أئمّة أهل البيت، كما هو واضح للجميع، بل والمعروف كثرة المناظرات بين الشيعة والمعتزلة منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام وإلى عصر المفيد وما بعده.

نعم، ما أضعف ما ذهب إليه هذا المستشرق، وفى ذلك دلالة واضحة على سطحيّة الآراء التى يذهب إليها الغرباء فى الحكم على عقائد المسلمين، ولسنا نلومه بقدر ما نلوم به إخواننا المسلمين ومفكّريهم الذين يستندون فى كثير من مذاهبهم على أقوال هؤلاء وتخرّصاتهم، حتّى أنّ الشيخ المفيد وضع كتباً فى نقد المعتزلة، كما وضع قبله بعض أئمّة المتكلّمين من الشيعة ردوداً على المعتزلة، فكيف يكون الشيعة ورثة للمعتزلة؟ نعم إنّ القائل خلط مسألة الاتّفاق فى بعض المسائل بالتبعية والاقتفاء، فالشيعة والمعتزلة تتّفقان فى بعض الأُصول، لا أنّ أحدهما عيال على الآخر.

۱۴- قدماء الشيعة والعلوم الكونية

اشارة

۱۴- قدماء الشيعة والعلوم الكونية

لم يكن اتّجاه الشيعة مختصّاً بالعلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق فحسب، بل امتدّ نشاطهم وحركتهم الفكرية إلى العلوم الرياضية، والكونية، فتجد هذا النشاط بارزاً فى مؤلّفاتهم طيلة القرون الماضية، ونحن نأتى هنا بذكر موجز عن مشاهير علمائهم ومؤلّفاتهم فى القرون الأُولى تاركين غيرهم للمعاجم:

۱- هشام بن الحكم (ت ۱۹۹ ه)، له آراء فى الأعراض كاللون والطعم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۷

والرائحة، وقد أخذ منه إبراهيم بن سيّار النظّام، وحاصل هذا الرأى أنّ الرائحة جزئيات متبخّرة من الأجسام تتأثّر بها الغدد الأنفية، وأنّ الأطعمة جزئيات صغيرة تتأثّر بها الحليمات اللسانية «۱».

۲- إنّ بيت آل نوبخت بيت شيعى عريق، فقد قاموا بترجمة الكثير من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسية إلى العربية، كما برع منهم من له باع طويل فى كثير من العلوم، ومنها العلوم الكونية.

قال ابن النديم: آل نوبخت معروفون بولاية على وولده.

وقال الأفندى فى رياض العلماء: بنو نوبخت طائفة معروفة من متكلّمى الإمامية منهم:

أ- أبو الفضل بن نوبخت، قال ابن النديم: كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وقال ابن القفطى فى تاريخ الحكماء: إنّه مذكور مشهور من أئمّة المتكلّمين وذُكر فى كتب المتكلّمين. وكان فى زمن هارون الرشيد وولّاه القيام بخزانة كتب الحكمة، وهو من متكلّمى أواخر القرن الثانى.

ب- ولده إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت، من متكلّمى القرن الثالث.

ج- يعقوب بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت، متقدّم فى الحكمة والكلام والنجوم «۲».

۳- أبو علىّ أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مسكويه، من أعيان الشيعة وأعلام فلاسفتهم، صنّف فى علوم الأوائل، وله تعليقات فى المنطق، ومقالات جليلة فى أقسام الحكمة والرياضة «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۸

۴- جابر بن حيّان، ويعدّ من أشهر علماء الشيعة وأقدمهم الذين برزوا فى علم الكيمياء، وهو أوّل من أشار إلى طبقات العين قبل «يوحنا بن ما سويه» (ت ۲۴۳ ه) وقبل حنين بن إسحاق (ت ۲۶۴ ه) وأوّل من أثبت إمكان تحويل المعدن الخسّيس إلى الذهب والفضة، فلم تقف عبقريته فى الكيمياء عند هذا الحدّ، بل دفعته إلى ابتكار شىء جديد فى الكيمياء فأدخل فيها ما سمّاه بعلم الميزان، والمقصود منه معادلة ما فى الأجسام والطبائع، وجعل لكلّ جسم من الأجسام، موازين خاصّة «۱» وقد أُلّفت حول جابر وعبقريته كتب كثيرة، فمن أراد فليرجع إليها، وقد اتّفق الكلّ على أنّه تلميذ الإمام الصادق عليه السلام.

۵- الشريف أبو القاسم علىّ بن القاسم القصرى، وهو من علماء القرن الرابع، ذكره ابن طاووس فى فرج المهموم فى عداد منجّمى الشيعة «۲».

وهذه نماذج من علماء الشيعة فى الطبيعيات والفلكيات، وأمّا المتأخّرون، فحدّث عنهم ولا حرج، وقد أتى بقسم كبير منهم الشيخ عبد اللّه نعمة فى كتابه «فلاسفة الشيعة» فمن أراد فليرجع إليه، غير أنّا نذكر هنا المحقّق الطوسى الذى له حقّ على الأُمّة جمعاء، والذى تقول فى حقّه المستشرقة الألمانية:

«وحصل نصير الدين الطوسى على مرصده، فكان معهداً للأبحاث لا مثيل له، وزوّده بالآلات الفلكية التى زادت فى شهرة المعهد، ورفعت مكانته... ويحكى أنّ زائراً قصد ابن الفلكى نصير الدين فى مرصده فى مراغة، فلمّا رأى الآلات الفلكية المتنوّعة ذُهل، وقد ازداد دهشة حين رأى «المحلقة» ذات الخمس حلقات والدوائر من النحاس: أولاها: تمثل خطّ الطول الذى كان مركّزاً فى الأسفل، وثانيتها: خطّ الاستواء، وثالثتها: الخطّ الاهليلجى، ورابعتها: دائرة خطّ الأرض،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۹

وخامستها: دائرة الانقلاب الصيفى والشتوى، وشاهد أيضاً دائرة السمت التى يمكن للمرء بواسطتها أن يحدّد سمت النجوم، أى الزاوية الناتجة على خطّ أُفقى ثابت وخطّ أُفقى آخر صادر عن كوكب فى السماء.

وتقول أيضاً: إنّ نصير الدين أحضر إلى مكتبة المعهد أربعمائة ألف مجلّد كانت قد سرقت من مكتبات بغداد وسورية وبلاد بابل، وقد استدعى علماء ذوى شهرة طائرة من إسبانيا ودمشق وتفليس والموصل إلى مدينة مراغة لكى يعملوا على وضع الازياج بأسرع وقت ممكن» «۱».

ويناسب فى المقام ذكر إجمالى عمّا قدّموا من الخدمة فى مجال الجغرافية وعلم البلدان فنقول:

الجغرافية وتقويم البلدان

الجغرافية وتقويم البلدان

الجغرافية وتقويم البلدان

نذكر فى المقام رحّالتين طافا البلاد الإسلامية وكتبا ما يرجع إلى جغرافية البلدان، وقد صار كتاباهما أساساً للآخرين:

۱- أحمد بن أبى يعقوب بن واضح، المعروف باليعقوبى، المتوفّى فى أواخر القرن الثالث، فهو أوّل جغرافى بين العرب، وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصّة، ومتوخّياً قصد ما أراد من وصف البلد وخصائصها، وهو يقول عن نفسه: إنّه عنى فى عنفوان شبابه وحدّة ذهنه بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأنّه سافر حديث السنّ، واتّصلت أسفاره، ودام تغرّبه، وقد طاف فى بلاد المملكة الإسلامية كلّها، فنزل أرمينيّة، وورد خراسان، وأقام بمصر والمغرب، بل سافر إلى الهند وكان متى لقى رجلًا سأله عن وطنه ومصره، وعن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۰

زرعه ما هو؟ وساكنيه من هم؟ عرب أو عجم؟ وعن شرب أهله ولباسهم ودياناتهم ومقالاتهم، من غير أن يلحقه من ذلك ملال ولا فتور، وقد وصف المملكة الإسلامية مبتدئاً ببغداد وصفاً منظّماً مع إصابة جديرة بالثقة والإعجاب «۱».

۲- أبو الحسن علىّ بن الحسين المسعودى (ت ۳۴۶ ه) فقد ألّف فى ذلك المضمار كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وكتابه الآخر «التاريخ فى أخبار الأُمم من العرب والعجم» وكتابه الثالث «التنبيه والأشراف» فقد اشتمل وراء التاريخ على الجغرافية وتقويم البلدان، وقد جرّه حُبّه للاستطلاع إلى السفر إلى بلاد بعيدة، فكتب ما رآه وشاهده.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۱

بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

اشارة

بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

يمثّل الشيعة شريحة كبيرة من المجتمع الإسلامى الكبير المتوزّع فى بقاع العالم المختلفة، حيث ساهموا كما أسلفنا مع إخوانهم المسلمين فى بناء الحضارة الإسلامية، وإقامة صرح الدين الحنيف، ونشره فى أصقاع المعمورة، وسنحاول فى بحثنا هذا استعراض وجود الشيعة فى بلدان العالم مع ذكر مختصر عن جوامعهم ومعاهدهم ودورهم وأعدادهم، لكى يكون القارئ الكريم على تصوّر واضح عنهم.

بلدان الشيعة:

بلدان الشيعة:

ينتشر الشيعة فى جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربّما تعد بعض البلدان معقل الشيعة ومزدحمها حيث يكون المذهب السائد فيها هو مذهب التشيع، فى حين تتفاوت هذه النسبة فى بلدان أُخرى. وإليك أسماء بعضها، وهى إيران، والعراق، وسورية، والسعودية، وتركيا، وأفغانستان، والباكستان، والهند، واليمن، ومصر، والإمارات العربية المتّحدة، والبحرين، والكويت، ومسقط، وعمان، والتبت،

والصين، وآذربيجان، وطاجيكستان، وباقى الجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتى، وماليزيا، وأندونيسيا، وسيلان، وتايلند، وسنغافورة، وشمال أفريقيا، والصومال، والأرجنتين، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وألبانيا، والولايات المتّحدة، وكندا وغيرها من الدول المختلفة التى يضيق المجال بحصرها.

ولا بأس بالإيعاز إلى خصوصيّات بعض البلدان؛ إذ فيه تسليط لبعض الضوء للتعرّف على ماضى التشيّع وما لاقاه أتباعه من العدوان والويلات والمصائب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۲

التشيّع حجازى المحتد والمولد:

التشيّع حجازى المحتد والمولد:

التشيّع حجازى المحتد والمولد؛ إذ فيه نشأ، وفى تربته غرست شجرته، ثمّ نمت وكبرت، فصارت شجرة طيّبة ذات أغصان متّسقة وثمار يانعة. وفيه حثّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله على ولاء الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام وسمّى أولياءه شيعة، وحدّث بحديث الثقلين، وجعل أئمة أهل البيت قرناء الكتاب فى العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفيه رَقى النبىّ صلى الله عليه و آله المنبر الذى صنعوه من رحال الإبل وأخذ بيد وصيّه ووليّ عهده علىّ المرتضى وحمد اللّه وأثنى عليه وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: اللّهمّ بلى، ولما أخذ من الجمع المحتشد الإقرار بأولويّته على النفس والنفيس عرَّف عليّاً خليفة بعده وقال: «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه» ونزل من المنبر ثمّ نزلت آيات من الذكر الحكيم تشير إلى هذه البيعة وتؤكّدها، ومن ثمّ تبودلت التهانى والتحيّات بين الإمام والصحابة «۱».

وقد أشار إلى بعض ما ذُكر مؤلّف خطط الشام وقال: «إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله هو الذى حثّ على ولاء علىّ وأهل بيته عليهم السلام وهو أوّل من سمّى أولياءه بالشيعة، وفى عهده ظهر التشيّع وسمّى جماعة بالشيعة «۲».

ولما ارتحل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى دار البقاء تناسى أُولو القوّة والمنعة من الصحابة عهد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فحالوا بين النبىّ صلى الله عليه و آله وأُمنيته كما حالوا بين أُمّته وإمامها، فتداولوا كُرة الخلافة بينهم، وأخذوا بمقاليد الحكم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحكم، لا عمل له إلّاهداية الأُمّة وإرشادها بلسانه وبيانه وقلمه وبنانه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۳

ولقد كان الذى دعا علياً إلى السكوت والانحياز، هو مشاهدة ظاهرة الردّة الطارئة على المجتمع الإسلامى عن طريق مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأفّاك، وسجاح بنت الحرث الدجّالة، وأتباعهم الرعاع الذين كانوا على الدين الفتىّ خطراً جدّياً كان من الممكن أن يؤدّى إلى محق الإسلام وسحق المسلمين.

ويحدّث عن هذه الحقيقة الإمام فى رسالته التى أرسلها مع مالك الأشتر إلى أهل مصر، حيث يقول فيها: «فأمسكت يدى حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه و آله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىّ أعظم» «۱».

رأى الإمام أنّ صيانة الإسلام وردّ عادية الأعداء تتوقّفان على المسالمة والموادعة، فألقى حبل الخلافة على غاربها، تقديماً للأهمّ على المهمّ، وتبعته شيعته صابرين على مضض الحياة ومرّها.

بقى الإمام منعزلًا عن الحكم قرابة ربع قرن إلى أن قتل عثمان فى عقر داره، وانثال الناس إلى دار علىّ من كلّ جانب مجتمعين حوله كربيضة الغنم، يطلبون منه القيام بالأمر وأخذ مقاليد الحكم، وفيهم شيعته المخلصون الأوفياء، فلم ير بدّاً من قبول دعوتهم لقيام الحجّة بوجود الناصر «۲».

ولمّا نكث الناكثون البيعة، وقادوا حبيسة رسول اللّه صلى الله عليه و آله «عائشة» معهم إلى البصرة، ارتحل الإمام بأنصاره وشيعته إلى العراق إلّاقليلًا بقوا فى الحجاز لقلع مادّة الفساد قبل أن تستفحل، ولمّا قلع عين الفتنة، استوطن الإمام الكوفة، واستوطنها معه شيعته، وصارت الكوفة عاصمة التشيّع، ومعقله، وفيها نما وأينع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۴

وأثمر ومنها انحدر إلى سائر البلدان، بعد ما كان الحجاز مهبط التشيّع ومغرسه ومحتده. فكان حجازى المحتد والمغرس، عراقى النشوء والنمو، ولم يكن يوم ذاك يتظلّل فى ظلال التشيّع إلّاعربى صميم، من عدنانىّ وقحطانىّ، ولم يكن بينهم فارسىّ ولا بربرىّ الأصل ولا شعوبىّ العقيدة يمقت العرب.

وهكذا فإنّا يمكننا القول بأنّ مهد التشيّع الأوّل كان فى أرض الحجاز الطيّبة ومنها درج واشتد حتّى تسامق وتطاول وأصبح له وجود فى كلّ بقاع المعمورة.

ولا زال الشيعة يعيشون مع إخوانهم المسلمين فى مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، وحضرموت، ونجران، وغيرها، كما توجد فى أنحاء من أرض الحجاز الكثير من القبائل العربية الشيعية أمثال بنى جهم، وبنو علىّ، وغيرهم.

وأمّا المنطقة الشرقية كالإحساء والقطيف والدمّام، فأكثر سكّانها من الشيعة.

التشيّع عراقى النشوء والنمو:

التشيّع عراقى النشوء والنمو:

قد عرفت أنّه لمّا غادر الإمام المدينة المنوّرة متوجّهاً إلى العراق واستوطن الكوفة هاجر كثير من شيعته معه واستوطنوا العراق، فصار ذلك أقوى سبب لنشوء التشيّع ونموّه فى العراق، ولا سيما فى الكوفة، فصارت معقل الشيعة، ولمّا قضى الإمام نحبه حاولت السلطة الأُموية وعمّالها استئصال التشيّع منها بأبشع صورة مستخدمة فى ذلك شتّى الأساليب الإجرامية الرهيبة من دون أىّ وازع من ضمير.

وبالرغم من أنّ العراق وأخصّ منه الكوفة كان علوى النزعة هاشمى الولاء، إلّا أنّ الحسين ابن الإمام علىّ عليهما السلام قتل بسيف الكوفيين، وسقط عطشان وحوله أجساد أبنائه وأبناء أخيه وأصحابه، إلّا أنّ ذلك لا يدلّ على انسلاخهم عن التشيّع؛ لأنّ الشيعة يوم ذاك كانوا بين مسجون فى زنزانات الأُمويين، أو مرعوب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۵

متخاذل فاقد للتصميم والحمية، أو منتظر لما تؤول إليه الأُمور، أو ناصر التحق بالحسين فى أحلك الظروف. هؤلاء هم الشيعة.

وأمّا الذين شاركوا فى قتل الحسين فلم يكونوا من الشيعة أبداً، بل كانوا أتباع الأُمويين والمنضوين تحت راياتهم. فلما قتل الحسين أثار قتله شجون الشيعة، وبقوا يتحيّنون الفرص للانقضاض على الحكم الأُموى الفاسد وأتباعه، حتّى تهيّأت الفرصة عند خروج المختار من سجنه، فالتفوا حوله فى ثورة كبيرة اقتلعت جذور الامويين واقتصّت من أعوانهم قتلة الحسين وأهل بيته وأصحابه.

وقد حاول الأُمويون جعل العراق أُموياً، وبذلوا جهوداً حثيثة فى سبيل هذا الأمر، إلّاأنّ جهودهم ذهبت أدراج الرياح، وبقى العراق هاشمياً وعلوياً، حتّى أنّ دعوة العباسيين نجحت فى بداية الأمر فى العراق فى ظلّ طلب ثأر الحسين وأهل بيته، وكانت الدعوة للرضا من آل محمّد صلى الله عليه و آله.

لقد تبلور التشيّع بعد حادثة الطفّ بقليل واتّسع نطاقه وصار العراق مركزه، وكانت القوافل من أنحاء العراق وغيره من بلاد المسلمين تؤمّ قبر الحسين وأصحابه، فصارت مشاهد أهل البيت فيها معمورة بالزائرين والمجاورين، وكانت المآتم تقام فى حواضرها تخليداً لذكرى استشهاد الإمام الحسين المفجع، واتّخذت الشيعة قرب مشاهد أئمّتهم، حوزات علمية ومعاهد فكرية، فازدهر العراق بعمالقة الفكر، وأساتذة الفقه، وأساطين الكلام، وأعان على نشر التشيّع ونموّه فى العراق نشوء دول وإمارات للشيعة فى القرن الرابع وما بعده.

يقول الشيخ المظفّر «۱»: وساعد على نمو التشيّع وانتشاره فى العراق، أن تكوّنت من الشيعة فيه سلطنات دول وإمارات كسلطنة آل بويه، وإمارة بنى مزيد فى الحلّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۶

والنيل، وبنى شاهين فى البطائح، وبنى حمدان وآل المسيّب فى الموصل، ونصيبين، وكدولة بعض المغول أمثال محمّد خدابنده وابنه أبى سعيد، وأمّا محمود غازان فقد قيل بتشيّعه وهناك أمارات عليه إلّاأنّه لم يصارح به، وكدولة الجلائرية التى أسّسها الشيخ حسن الجلائرى أحد قوّاد المغول وابن أُخت محمود غازان ومحمّد خدابنده، وكانت بغداد عاصمة ملكه، وكالدولة الصفوية التى ناصرت التشيّع ونشرته فى البلاد بشتّى الطرق، فكأنّما هى دولة دينية تأسّست لنشر مذهب أهل البيت.

وأيّد مذهب التشيّع أيضاً أن انعقدت عدّة وزارات من رجاله، فقد استوزر السفاح أوّل ملوك بنى العباس أبا سلمة الخلّال الكوفى الهمدانى داعية أهل البيت، وقتله على التشيّع.

واستوزر المنصور: محمّد بن الأشعث الخزاعى.

واستوزر المهدى: أبا عبد اللَّه يعقوب بن داود، وحبسه لتشيّعه، واستوزر الرشيد: علىّ بن يقطين، وجعفر بن الأشعث الخزاعى.

واستوزر المأمون: الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف، وقتله عندما أحسّ بميله إلى الرضا عليه السلام، واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل.

واستوزر المعتزّ والمهتدى: أبا الفضل جعفر بن محمود الإسكافى.

واستوزر المقتدى: أبا شجاع ظهير الدين محمّد بن الحسين الهمدانى، وعزله لتشيّعه.

واستوزر المستظهر: أبا المعالى هبة الدين بن محمّد بن المطّلب، وعزله لتشيّعه، ثمّ أعاده على أن لا يخرج من مذهب أهل السنّة، ثمّ تغيّر عليه وعزله.

واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر: مؤيّد الدين محمّد بن عبد الكريم القمّى من ذريّة المقداد- رضوان اللَّه عليه-.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۷

واستوزر المستعصم آخر ملوك بنى العباس: أبا طالب محمّد بن أحمد العلقمى الأسدى، وأقرّه هولاكو على الوزارة، ولمّا مات- رحمه اللَّه- استوزر: ولده أبا الفضل عزّالدين. إلى ما سوى هؤلاء.

وأمّا الإمارات، والقيادات، والكتابة، والخزانة، فما أكثرها، أمثال: إمارة آل قشتمر، وآل أبى فراس الشيبانى، وآل دبيس كما أشرنا إليهم.

وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعى، وقيادة أولاده كابنه عبد اللَّه، ومحمّد بن عبد اللَّه وغيرهما، وتولّيهم إمارة هراة.

وكان عبد اللَّه بن سنان خازناً للمنصور والمهدى والهادى والرشيد، وكان من ثقات الرواة لأبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام. إلى ما يعسر استقصاؤه.

وكفاك برهاناً على أنّ التشيّع كان ضارباً أطنابه على بسيطة العراق، ما كان من نقابة الطالبيين فى بغداد، فما أكثر ما كان يتولّاها الشيعة، أمثال الشريف الرضى وأبيه وابنه وأخيه المرتضى، وقد تولّوا المظالم أيضاً، وتولّى الشريف الرضى وأبوه أيضاً إمارة الحاج، كما تولّاها ثلاث عشرة حجّة حسام الدين أبو فراس جعفر بن أبى فراس الشيبانى.

وتولّى آل طاووس نقابة الطالبيين فى العراق عامة، تولّاها منهم السيّدان العلمان رضى الدين وغياث الدين عبد الكريم «۱».

كما تولّى الأوقاف فى العراق وغيرها ممّا كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الدين الطوسى- طاب ثراه- وعندما قبض عليها، أقام ببغداد، وتصفّح الأوقاف، وأدار أخبار الفقهاء والمدرّسين، وقرّر القواعد فى الوقف، وأصلحها بعد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۸

اختلالها «۱»، ومن بعده تولّاها ابنه أحمد فخر الدين، ولمّا وليها حذف الحصّة الديوانية فى الوقوف، ووفّرت على أربابها «۲».

وهكذا فإنّ الاستقراء الموضوعى لسكان العراق يكشف بوضوح التفوّق الكبير فى عدد الشيعة على ماعداهم، فجنوب العراق يغلب على سكّانه الشيعة بشكل واضح جدّاً، وأما وسطه فتتركّز شيعته فى أغلب محافظاته أمثال محافظة النجف وكربلاء وبابل وواسط والسماوة والديوانية وغيرها، وأما شمال العراق فتقلّ نسبة الشيعة فيه بشكل ملحوظ، إلّاأنّ هناك أعداداً لا بأس بها فى محافظتى الموصل وكركوك.

الشيعة فى اليمن:

الشيعة فى اليمن:

دخل التشيّع فى اليمن بعد أن أسلموا على يد علىّ عليه السلام، حيث يحدّثنا التاريخ: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، فأقام هناك ستّة أشهر فلم يجيبوه إلى شىء. فبعث النبىّ صلى الله عليه و آله علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأمره أن يُرجع خالد بن الوليد ومن معه.

قال البراء: فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلّى بنا علىّ الفجر، فلمّا فرغ صفّنا صفّاً واحداً ثمّ تقدّم بين أيدينا فحمد اللَّه وأثنى عليه ثمّ قرأ عليهم كتاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأسلمت همدان كلّها فى يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلمّا قرأ كتابه خرّ ساجداً ثمّ جلس فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام «۳».

فكان تمسّكهم بعرى الإسلام على يد علىّ عليه السلام، وصار هذا أكبر العوامل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۹

لصيرورتهم علويين مذهباً ونزعة. وفى ظلّ هذه النزعة ضحّوا بأنفسهم ونفيسهم بين يدى علىّ عليه السلام فى حروبه.

أضف إليه أنّهم سمعوا من المصطفى صلى الله عليه و آله فضائل إمامهم ومناقبه غير مرّة، وهذا ممّا زادهم شوقاً وملأ قلوبهم حبّاً وولاءً له، فقد روى المحدثون: أنّ اليمانّيين طلبوا من النبىّ صلى الله عليه و آله أن يبعث إليهم رجلًا يفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب اللَّه، فبعث النبىّ صلى الله عليه و آله علياً وضرب على صدره وقال: «اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال الإمام علىّ عليه السلام: «فما شككت فى قضاء بين اثنين حتّى الساعة» «۱».

بقى الإمام علىّ عليه السلام بينهم مدّة يفقّههم فى الدين، ويقضى بكتاب اللَّه، ويحلّ المشاكل القضائية، بما تنبهر به العقول.

ومن هنا تتوضّح الصورة عن حقد الأُمويين على أهل اليمن وقسوتهم فى تعاملهم معهم، كما فعل ذلك بسر بن أُرطاة عند حملته على اليمن، حيث لم يترك محرّماً إلّااستحلّه، ولا جريمة إلّافعلها فلحقته اللعنة فى الدارين.

نعم إنّ شيعة أهل اليمن كانوا من خلّص شيعة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فلا غرو ولا غرابة أن يذكرهم فى شعره بقوله:

فلو كنت بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلى بسلام وممّا يدل على فرط حبّهم وولائهم لعلىّ عليه السلام ما قاله سيّدهم سعيد بن قيس الهمدانى- رضوان اللَّه عليه- فى وقعة الجمل:

قل للوصىّ أقبلت قَحطانُها فادع بها تكفيكها هَمدَانُها همُ بنوها وهُم أُخوانها «۲»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۰

نعم رحل يحيى بن الحسين الرسّى العلوى من العراق إلى اليمن فى القرن الثالث ودعا إلى المذهب الزيدى فى ظلّ ولاء أهل البيت وأخذ بمجامع القلوب وانتشرت دعوته فانتموا إلى زيد، فالشيعة إلى اليوم فى اليمن زيديّو المذهب يهتفون فى الأذان ب «حىّ على

خير العمل».

ويوجد هناك شيعة إماميّة قليلون.

كانت الحكومة منذ دعوة الرسّى العلوى بيد الزيدية، وكان آخر حاكم مقتدر زيدى يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكّل على اللَّه، ولما اغتيل هو وولداه الحسن والمحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام (۱۳۶۷ ه) فى ظلّ مؤامرة أجنبية، قام مكانه ولده الإمام بدر الدين، ولم يكن له نصيب من الحكم إلّامدّة قليلة حتّى أُزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكرى، وبذلك انتهى الحكم الزيدى فى اليمن، ولكنّ اليمنيّين بقوا على انتمائهم إلى التشيّع.

الشيعة فى سورية ولبنان:

الشيعة فى سورية ولبنان:

ظلّ التشيّع سائداً فى الشام وحلب وبعلبك وجبل عامل منذ القرن الأوّل إلى يومنا هذا، ومن المعروف أنّ أبا ذر الصحابى الجليل هو الذى بذر بذرته، أو غرس شجرته، وذلك عندما نفاه عثمان من المدينة إلى الشام، وكان يجول فى الشام وضواحيه وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من دون أن يخاف قوّة أو سطوة، أو إهانة أو قسوة، وطبع الحال يقتضى أن يبوح بما انطوت عليه جوانحه من الولاء لعلىّ وأهل بيته، يدعو له على القدر المستطاع، فنمت بذرة التشيّع فى ظلّ التستّر والتقيّة، وأمّا اليوم فالشيعة مجاهرون ولهم شأن عند الدولة، ولهم مظاهر فى الشام وضواحيه، ترى اسم علىّ والحسين مكتوبين تحت قبّة المسجد الأُموى، وفى الجانب الشرقى مسجد خاصّ باسم رأس الحسين، وفى نفس البلد قباب مشيّدة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۱

لأهل البيت، أمثال زينب بنت علىّ عليهما السلام و رقيّة بنت الحسين عليهما السلام فى الوقت نفسه لا تجد أثراً لمعاوية «۱» ويزيد والحكّام الأُمويين. إنّ فى ذلك لعبرة لأُولى الألباب.

قويت شوكة التشيّع فى سورية بعد قيام دولة الحمدانيين فى الشام والجزيرة، وكان لسيف الدولة أيادٍ بيضاء فى رفع منارة التشيّع، كيف وأبو فراس صاحب القصيدة الميمية هو ابن عمّه الذى يقول:

الحقّ مهتضم والدين مخترمُ وفَيءُ آل رسول اللَّه مقتسمُ وأمّا جبل عامل فقد انتشر فيه التشيّع منذ دخل إلى الشام ووجد فى تلك البقاع مرتعاً خصباً ونفوساً متلهّفة، فتعلّق به أهله تعلّقاً شديداً حتّى لقد برز منهم العديد من العلماء الكبار طبقوا البلاد شهرة وصيتاً أخصّ منهم بالذكر:

۱- محمّد بن مكّى المعروف بالشهيد الأوّل (۷۳۴- ۷۸۶ ه) وكان إماماً فى الفقه، ولكنّه صلب بيد الجور، ثمّ رجم، ثمّ أُحرق، بذنب أنّه شيعى موالٍ لأهل البيت ولا يفتى بفتوى أئمّة المذاهب الأربعة.

وله كتب فقهية أشهرها كتاب اللمعة الدمشقية، ألّفه فى السجن خلال أُسبوع ولم يكن عنده من الكتب الفقهية سوى المختصر النافع للمحقّق الحلّى (۶۰۰- ۶۷۶ ه).

۲- زين الدين بن علىّ الجبعى (۹۱۱- ۹۶۶ ه) المعروف بالشهيد الثانى صاحب الروضة البهيّة فى شرح اللمعة الدمشقية، والمسالك فى شرح الشرائع الذى يتضمّن مجموع الكتب الفقهية مع ذكر المستند والدليل. وقد امتدت إليه أيدى الظلم كسلفه الشهيد الأوّل، حيث اعتقل بأمر الخليفة العثمانى ثمّ قتله معتقلوه قرب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۲

شاطئ البحر وحُزّ رأسه من جسده وأُرسل إلى السلطان.

وتاللَّه إنّها لجرائم بشعة تقشعرّ منها الأبدان، ويندى لها جبين البشرية خجلًا، فما معنى هذه القسوة المتناهية فى قتل الشيعة وعلمائها،

وإذا كان هـذا مصـير الشـيعة من قبل الحكومات المتعاقبـة والظالمة، فهل يلومهم أحد على اتّخاذهم التقية حجاباً لحقن دمائهم وحفظ أعراضهم؟! لا أعتقد أن يلومهم عليها عاقل؛ لأنّ الملام من دفعهم إليها لا هم.

أقول: ورغم هذا الإسـراف فى مطاردة الشيعة وقتلهم، فقد ظهر فى جبل عامل بعد هذين العالمين الجليلين، علماء فضلاء وفقهاء عظام، ولم يزل منـار التشـيّع مرتفعـاًولواؤه خفّاقـاًبهم، ولقـد تحمّلوا عبرالقرون و خصوصاً فى عهـد السـلطة العثمانيـة المصاعب الجسام والتى ذكرها التاريـخ فى صـفحات سوداء لا تنسـى، ولا سـيما فى عهـد أحمـد باشا الجزّار، ممثّل الدولة العثمانية فى بلاد الشام من (۱۱۹۵-۱۱۹۸ ه).

ولقـد ألّف الشـيخ الحرّ العـاملى كتابـاً أسـماه أمـل الآمـل فى علماء جبل عامل طبع فى جزأين، واسـتدرك عليه السـيد الجليل حسـن الصدر.

وأمّا بالنسـبة إلى بعلبك فهى من المـدن الشـيعية العريقـة، والتى ظهر بها التشـيّع منـذ دخل بلاد الشام وراج فى ظلّ الدولـة الحمدانية، ووجد فى نفوس أهلها خير موطن، فاحتضنوه وتمسّكوا به.

الشيعة فى مصر:

الشيعة فى مصر:

دخل التشـيّع مصـر فى اليوم الذى دخل فيه الإسـلام، ولقد شـهد جماعة من شيعة علىّ عليه السلام فتح مصر، منهم: المقداد بن الأسود الكندى، وأبو ذر الغفارى، وأبورافع، وأبو أيوب الأنصارى، وزارها عمّار بن ياسر فى خلافة عثمان «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۳

وهؤلاء ما كانوا يبطنون فكرة التشيّع التى كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

ولأجل ذلك حين قتل عثمان، بإجهاز المصريين عليه، بايعوا عليّاً كما بايع أهلها طوعاً ورغبة.

لمّا بعث علىّ عليه السلام قيس بن سعد أميراً على مصر بايع أهلها طوعاً، إلّاقرية يقال لها خربتاء «۱».

كـان هـذا نواة لمـذهب التشـيّع فى تلـك البلاد، وإن تغلّب عليها الأمويون بعـد ذلك حين قَتلَ عمرو بن العاص ومعاويـة بن حديـج- اللذين أرسـلهما معاوية بن أبى سـفيان إلى مصـر- والى علىّ عليه السلام على مصر محمّد بن أبى بكر بشكل بشع، ثمّ جعلوا جثّته فى جيفـة حمار وأحرقوها بالنار، وهو أُسـلوب يـدلّ على انحراف كبير عن الـدين، وانسـلاخ عن أبسط معانى الإنسانيـة، ولكن للحقّ دولة وللباطـل جولـة، فهـذه الأعمال الإجراميـة وما ارتكبه العباسـيون من الجرائم صارت سـبباً لابتعاد الناس عن السـلطات المتعاقبـة الظالمة وتعاطفهم مع العلويين واحتضانهم لهم، ويظهر ذلك بوضوح عند قيام الدولة الفاطمية الشـيعية هناك والتفاف المسلمين حولها، والتى كـان لهـا الـدور الأـكبر فى انتشـار التشـيّع واعتناق المسـلمين له فى شـمال أفريقيا، حيث امتـدّ نفوذها وسـلطانها إلى الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، وكذا إلى السودان جنوب مصر.

لقد اعتنق المصريّون التشيّع برغبة وجهروا بحبّ على خير العمل، وتفضيل علىّ على غيره، كما جهروا بالصلاة على النبىّ وآله صلى الله عليه و آله.

لقـد قامت فى عهـد الفاطميين مراسم عاشوراء، وعيـد الغدير، ولم تزل هذه المراسم إلى يومنا هذا. وكان التشـيّع مخيّماً على مصـر فى عهد الفاطميين وضارباً أطنابه فى القرى والبلدان، لولا أنّ صلاح الدين الأيوبى أزال سلطتهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۴

ومذهبهم من مصر بقوّة السيف والنار، والتاريخ يشهد على عظم الجرائم وقسوتها التى قام بها صلاح الدين وأتباعه فى سبيل هذا الأمر.

وهذه الصـفحة من تاريخ مصـر مليئة بالأسـى والحزن، راح ضـحيتها العديد من أتباع المذهب المحمّدى، إلّاأنّها لم تسـتطع أن تقضى

عليه، فلا زال هناك الكثير من الشيعة ومن المتعاطفين روحياً معهم، والذين يعبّرون عن ذلك بوضوح فى حرصهم على زيارة المشاهد المعروفة برأس الإمام الحسين عليه السلام ومرقد أُخته السيدة زينب- رضوان اللّه عليها-.

الشيعة فى إيران:

الشيعة فى إيران:

إنّ التشيّع هو المذهب الساحق فى إيران من أوائل القرن العاشر (۹۰۵ ه) إلى يومنا هذا وذلك أنّ الدولة الصفويّة الشيعية هى التى أشاعت التشيّع فى إيران، وفى عصرها ثبتت أركانه، وتعلّق به المسلمون تعلّقاً عظيماً، وتزايد عدد الشيعة بتقادم السنين، فإن بلغ عدد النفوس فى إيران الإسلامية قرابة ستّين مليوناً، فالأكثرية هم الشيعة، ولا يتجاوز عدد سائر الطوائف عن أربعة ملايين نسمة، يرفل الجميع بثوب الأُخوّة الإسلامية والمحبّة والتفاهم فى ظلّ العقائد العظيمة التى يتمسّك بها الشيعة والتى تحدّد علاقتهم بإخوانهم من سائر المذاهب الإسلامية، والتى كرّسها قيام الجمهورية الإسلامية المباركة، بزعيمها الراحل الإمام الخمينى قدس سره والذى دعا إلى تقوية الترابط بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وأمر بإثبات أيّام معيّنة خلال العام سمّيت بأُسبوع الوحدة، وعلى نفس خطاه واصل خلفه سماحة آية اللّه السيد علىّ الخامنئى تعهّد شجرة الوحدة بتكافل جميع المسؤولين فى الدولة الإسلامية المباركة، والتى يلمسها بوضوح كلّ من زار هذه الدولة أو مرّ بها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۵

أسباب اعتناق الفرس للإسلام و لمذهب التشيّع:

أسباب اعتناق الفرس للإسلام و لمذهب التشيّع:

ثمّ إنّ هنا أُموراً لا محيص عن طرحها وتحليلها؛ لأنّها من المواضيع التى كثر فيها اللغط، وقد أكثر المستشرقون وغيرهم فيها الصخب والهياج وهى:

۱- ما هو السبب الحقيقى لدخول الفرس فى الإسلام؟

۲- ما هو السبب الحقيقى لجنوحهم إلى آل البيت؟

۳- سببان مزعومان: الأصهار، وإرادة هدم الإسلام.

وإليك تحليل تلك النقاط:

۱- ما هو السبب الحقيقى لدخول الفرس فى الإسلام؟

إنّ الفرس دخلوا فى الإسلام كدخول سائر الشعوب، والعلّة فى الجميع واحدة أو متقاربة، وحاصلها: أنّهم وقفوا على أنّ فى هذه الشريعة الغرّاء من سمات العدل والمساواة، ورفض التمييز العنصرى، والنظام الطبقى، وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لا فضل لأعجمى على عربى ولا لعربى على أعجمى إلّابالتقوى، وكانت الثورة الإسلامية تحمل يوم تفجّرها رايات العدل العظيمة، فكان ذلك هو الدافع المهمّ للشعوب للدخول فى الإسلام، والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب.

۲- ما هو السبب الحقيقى لولائهم آل البيت عليهم السلام؟

إنّ السبب الحقيقى لولائهم وجنوحهم إلى أهل البيت هو أنّهم شاهدوا أنّ علياً وأهل بيته- خلافاً للخلفاء عامّتهم- يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة، فأخذوا يتحنّنون إليهم حيناً بعد حين، وشبراً بعد شبر، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فى قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء، وإن لم يكن الحبّ- يوم ذاك- ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول صلى الله عليه و آله وإمامتهم بعده، بل كان حبّاً

وودّاً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية، وتدلّ على ذلك عشرات من القضايا نذكر بعضها:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۶

۱- روى الفضل بن أبى قرة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتت الموالى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب، إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يعطينا معهم العطايا بالسويّة، وزوّج سلمان، وبلالًا، وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء، فقالوا: لا نفعل، فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيهم، فصاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يا معشر الموالى إنّ هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوّجون إليكم ولا يزوّجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارك اللَّه لكم؛ فانّى قد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء فى التجارة وواحد فى غيرها» «۱».

۲- وروى أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفى فى غاراته: عن عبّاد ابن عبد اللَّه الأسدى، قال: كنت جالساً يوم الجمعة، وعلىّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث، فجعل يتخطى الناس فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبين اليوم من أمر العرب ما كان يخفى، فقال علىّ عليه السلام: «من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة، يقبل أحدهم يتقلّب على حشاياه، ويهجّد قوم لذكر اللَّه، فيأمرنى أن أطردهم فأكون من الظالمين، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمّداً صلى الله عليه و آله يقول:

ليضربنّكم واللَّه على الدين عَوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

قال المغيرة: كان علىّ عليه السلام أميل إلى الموالى وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۷

۳- روى ابن شهر آشوب: لما ورد بِسبى الفرس إلى المدينة أراد عمر بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير فى الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال: أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلام، ورغبوا فى الإسلام، وقد أعتقت منهم لوجه اللَّه حقّى وحقّ بنى هاشم» فقالت المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اللّهمّ فاشهد أنّهم قد وهبوا، وقبلت وأعتقت»، فقال عمر: سبق إليها علىّ ابن أبى طالب عليه السلام ونقض عزمى فى الأعاجم «۱».

۴- روى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: قال رجل له: إنّ الناس يقولون: من لم يكن عربياً صلباً، أو مولى صريحاً، فهو سفلى، فقال: «وأىّ شىء المولى الصريح»؟! فقال له الرجل: من ملك أبواه، فقال: «ولِمَ قالوا هذا»؟! قال:

يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مولى القوم من أنفسهم، فقال: «سبحان اللَّه، أما بلغك أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: أنا مولى من لا مولى له، أنا مولى كلّ مسلم، عربيّها وعجميّها، فمن والى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أليس يكون من نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟» ثمّ قال: «أيّهما أشرف، من كان من نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو من كان من نفس أعرابى جلف بائل على عقبيه؟ ثمّ قال: من دخل فى الإسلام رغبة، خير ممّن دخل رهبة، ودخل المنافقون رهبة، والموالى دخلوا رغبة» «۲».

۵- روى الفضل بن شاذان (ت ۲۶۰ ه): أنّ عمر بن الخطاب نهى عن أن يتزوّج العجم فى العرب وقال: لأمنعنّ فروجهنّ إلّامن الأكفاء «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۸

۶- روى المفيد: أنّ سلمان الفارسى- رضى اللَّه عنه- دخل مجلس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم فعظّموه وقدّموه وصدّروه إجلالًا لحقّه، وإعظاماً لشيبته، واختصاصه بالمصطفى صلى الله عليه و آله وآله فدخل عمر فنظر إليه، فقال: من هذا العجمى المتصدّر

فيما بين العرب؟ فصعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله المنبر فخطب، فقال: «إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، ولا للأحمر على الأسود إلّابالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منّا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان» «۱».

۷- روى الثقفى فى الغارات: أنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأُخرى من الموالى، فأعطى كلّ واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين، إنّى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال علىّ عليه السلام: «إنّى لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفىء فضلًا على بنى إسحاق» «۲».

۸- روى المفيد عن ربيعة وعمارة وغيرهما: أنّ طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية، طلباً لما فى يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريشاً على الموالى والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور؟! لا واللّه لا أفعل ما طلعت شمس ولاح فى السماء نجم، ولو كانت أموالهم لى لواسيت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۹

بينهم، فكيف وإنّما هى أموالهم» «۱».

۹- روى المبرّد: قال الأشعث بن قيس لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام وأتاه يتخطّى رقاب الناس وعلىّ على المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض على المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدى: ما لنا ولهذا؟- يعنى الأشعث- ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولًا لا يزال يذكر، فقال علىّ: «من يعذرنى من هذه الضياطرة، يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرنى أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة ليضربنّكم على الدين عَوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً» «۲».

هذه الشواهد الكثيرة توقفنا على السبب الحقيقى لتوجّه الفرس والموالى إلى آل البيت، وأنّه لم يكن إلّالصمودهم فى طريق تحقيق العدل والمساواة، والمكافحة ضد العنصرية والتعصّب.

۳- سببان مزعومان: الإصهار، وإرادة هدم الإسلام:

أولًا: هل الإصهار كان سبباً للولاء:

روى الزمخشرى فى ربيع الأبرار وغيره: أنّ الصحابة جاءوا بسبى فارس فى خلافة الخليفة الثانى كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علىّ: «إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن» فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهنّ؟ فقال: «يقوَّمن ومهما بلغ ثمنهنَّ قام به من يختارهنَّ» فقوِّمن فأخذهنَّ علىّ فدفع واحدة لعبد اللّه بن عمر،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۰

وأُخرى لولده الحسين، وأُخرى لمحمّد بن أبى بكر، فأولد عبد اللّه بن عمر: ولده سالماً، وأولد الحسين: زين العابدين، وأولد محمّد: ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة، وأُمّهاتهم بنات يزدجرد «۱».

وقد استند إلى هذه القصّة أحمد أمين فى فجر الإسلام، والدكتور حسن إبراهيم فى التاريخ السياسى للإسلام «۲»، وذهبا إلى أنّ الاصهار صار سبباً لتشيّع الفرس.

لن ندخل فى نقاش مع هذه القصّة وأنّها هل هى صادقة أو ممّا وضعه أصحاب الأساطير، وكفانا فى هذا الأمر ما ألّفه زميلنا العزيز الدكتور السيد جعفر شهيدى «۳»، ولو وقفنا إلى جانب هذه القصّة وسلّمنا بها، فإنّا نسأل أىّ صلة بين دخول الفرس فى التشيّع ومصاهرة الإمام الحسين يزدجرد، فلو كانت تلك علّة فليكن تسنّن الفرس لأصهار عبد اللّه بن عمر ومحمّد بن أبى بكر لهم، فإنّ

الرجلين من أبناء الخليفتين، على أنّ هذا التفسير يدلّ على سطحية فى التفكير وسقم فى المنطق لا يقرّ به العقلاء.

ثانياً: إرادة هدم الإسلام:

أثار بعض أعداء الإسلام، ومن أعماه الحقد وخبث السريرة، الكثير من الشبهات حول تمسّك الفرس بالمذهب الشيعى، وولائهم العميق لأهل البيت عليهم السلام، ومن هذه الشبهات السقيمة التى وجدت من يطبّل لها ويزمّر، هى أنّ الفرس ما دخلوا فى المذهب الشيعى إلّاللتستّر من أجل هدم الإسلام تحت هذا الغطاء.

وإلى هذا الرأى السقيم يذهب ضمناً أحمد أمين فى تخرّصاته دون أن يحاسب نفسه على تقوّلاته التى هى أشدّ المعاول هدماً فى صرح الإسلام لا الفرس الذين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۱

يتّهمهم ظلماً وجوراً، حيث قال: والحقّ أنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كلّ من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كلّ هؤلاء كانوا يتّخذون حبّ أهل البيت ستاراً!! «۱»

وقد استغل هذه الأُطروحة الخبيثة الكاتب الأمريكى «لو تروب ستودارد» فى كتابه «حاضر العالم الإسلامى» الذى نقله إلى العربية الأمير شكيب أرسلان، وتجد الفكرة أيضاً عند صاحب المنار، ومحبّ الدين الخطيب، وغيرهم من كتّاب العصر.

وهذا الكلام أشبه بكلام من أعمى اللَّه بصره وبصيرته؛ فإنّ من نظر إلى تاريخ الفرس يجد أنّهم خدموا الإسلام بنفسهم ونفيسهم وأقلامهم وآرائهم من غير فرق بين الشيعى والسنّى، وخدمات المذهب الشيعى للإسلام أعظم من أن تحصى، وأوضح من أن تخفيها إرهاصات الحاقدين، وقد تقدّم منّا فى الصفحات الأُولى وما بعدها دور الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية، وما شيعة الفرس إلّاجزءاً من عموم الشيعة المسلمين، ولهم أيادٍ بيضاء مشكورة فى خدمة الإسلام، ولن يضرّهم نفث السموم وتخرّص المتخرّصين.

دول الشيعة

دول الشيعة

رغم أنّ الأُمويين حاولوا جاهدين القضاء على التشيّع، وأراد العباسيّون الوقوف فى وجه انتشاره بعد اليأس عن استئصاله، إلّا أنّه بلطف اللَّه تعالى نما وازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق، بل قامت لهم هنا وهناك دول

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۲

ودويلات نظير:

۱- دولة الأدارسة فى المغرب (۱۹۴- ۳۰۵ ه).

۲- دولة العلويين فى الديلم (۲۰۵- ۳۰۴ ه).

۳- دولة البويهيين فى العراق وما يتّصل به من بلاد فارس (۳۲۱- ۴۴۷ ه).

۴- دولة الحمدانيين فى سورية والموصل وكركوك (۲۹۳- ۳۹۲ ه).

۵- دولة الفاطميين فى مصر (۲۹۶- ۵۶۷ ه).

۶- دولة الصفويين فى إيران (۹۰۵- ۱۱۳۳ ه).

۷- دولة الزنديين (۱۱۴۸- ۱۱۹۳ ه).

۸- دولة القاجاريين (۱۲۰۰- ۱۳۴۴ ه).

أضف إلى ذلك وجود إمارات للشيعة فى نقاط مختلفة من العالم.

أقول: إنّ إفاضة القول فى مؤسّسى هذه الدول وترجمة أحوالهم وما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقلّ فى ذلك، فمن أراد الاطّلاع على ذلك فليراجع الكتب المؤلّفة فى هذه المواضيع «۱».

الجامعات العلمية للشيعة

اشارة

الجامعات العلمية للشيعة

الإسلام دين العلم والمعرفة، دفع الإنسان من حضيض الجهل والأُميّة إلى أعلى مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه على القراءة والكتابة «۲»، والتدبّر فى آثار الكون ومظاهر الطبيعة، ونبذ التقليد فى تبنّى العقيدة، فأراد للإنسان حياة نابضة بالفكر والثقافة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۳

وقد كانت للشيعة خلال القرون الماضية جامعات وحوزات علمية نشير إلى بعضها إجمالًا:

۱- المدينة المنورة:

۱- المدينة المنورة:

إنّ المدينة المنوّرة هى المنطلق العلمى الأوّل لنشر العلم والثقافة فهى المدرسة الأُولى للمسلمين، نشأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وعلى رأسهم: ابن عباس حبر الأُمّة، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وأبو رافع الذى هو من خيار شيعة الإمام على مؤلّف كتاب السنن والأحكام والقضاء «۱»، وغيرهم.

ثمّ جاءت بعدهم طبقة من التابعين تخرّجوا من تلك المدرسة على يد الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ولقد روى الكلينى عن الإمام الصادق أنّه قال:

«كان سعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمّد بن أبى بكر، وأبو خالد الكابلى من ثقات على بن الحسين عليهما السلام» «۲».

وازدهرت تلك المدرسة فى عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وزخرت بطلّاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية، فكان بيتهما جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم وحملة الحديث، يأتون إليها من كلّ فجّ عميق.

۲- الكوفة وجامعها الكبير:

۲- الكوفة وجامعها الكبير:

قد سبق أنّ الإمام أمير المؤمنين هاجر من المدينة إلى الكوفة واستوطن معه خيار شيعته ومن تربّى على يديه من الصحابة والتابعين.

ولقد أتى ابن سعد فى طبقاته الكبرى على ذكر جماعة من التابعين الذين سكنوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۴

الكوفة «۱» وكان قد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الإمام الصادق عليه السلام المدينة المنوّرة إلى الكوفة أيّام أبى العباس السفاح حيث بقى فيها مدّة سنتين.

وقد اغتنم الإمام فرصة ذهبية أوجدتها الظروف السياسية آنذاك، وهى أنّ الحكومة العباسية كانت جديدة العهد بعد سقوط الدولة الأُموية ولم يكن للعباسيين يومذاك قدرة على الوقوف فى وجه الإمام لانشغالهم بأُمور الدولة، بالإضافة إلى أنّهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة، فلم يكن من مصلحتهم فى تلك الفترة الوقوف فى وجه الإمام عليه السلام، فعمد فى زمن وجوده عليه السلام إلى نشر علوم جمّة، وتخرّج على يديه الكثير من الطلبة النابغين.

هذا الحسن بن على بن زياد الوشّاء يحكى لنا ازدهار مدرسة الكوفة فى تلك الظروف كما ينقله عنه النجاشى:

أدركت فى هذا المسجد- يعنى مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلّ يقول:

حدّثنى جعفر بن محمّد. ويضيف النجاشى: كان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب، ثمّ ذكر أسماءها «۲».

وكان من خرّيجى هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير أبان بن تغلب بن رباح الكوفى، ومحمّد بن مسلم الطائفى، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممّن تكفّلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم.

ولقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم فى هذه الظروف فى الكوفة (۶۶۰۰) كتاب، ولقد امتاز من بينها (۴۰۰) كتاب اشتهرت بالأُصول الأربعمائة «۳» فهذه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۵

الكتب هى التى أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية فى كتبهم المختلفة.

ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوماً أُخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة من المؤلّفين الكبار الذين صنّفوا كتباً كثيرة فى علوم مختلفة ومتنوّعة كهشام بن محمّد بن السائب الكلبى الذى ألّف أكثر من مائتى كتاب «۱»، وابن شاذان ألّف ۲۸۰ كتاباً «۲»، وابن عمير صنّف ۱۹۴ كتاباً، وابن دوّل الذى صنّف ۱۰۰ كتاب «۳»، وجابر بن حيان أُستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلّفين العظام فى كافّة العلوم الإسلامية.

۳- مدرسة قم والرى:

۳- مدرسة قم والرى:

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة، نعم كانت قم والرى وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة، وقد عرفت أنّ الأشعريين هاجروا- خوفاً من الحجّاج- إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة فى إيران.

كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، رغم ما كانت تتعرّض له من مضايقات من قبل العباسيين، إلّاأنّها لم تقف عائقاً أمام تطوّر العلوم المختلفة وازدياد طلب العلم فيها، ولما هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفى تلميذ يونس بن عبد الرحمن وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام إلى قم، نشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسة قم والرى مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار. وساعد على ذلك بسط الدولة البويهية نفوذها على تلك البلدان، ولقد تخرّج من تلك المدرسة علماء ومحدّثون منهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۶

۱- علىّ بن إبراهيم شيخ الكلينى. الذى كان حيّاً سنة (۳۰۷ ه) «۱».

۲- محمّد بن يعقوب الكلينى، (ت ۳۲۹ ه)، مؤلّف الكافى فى الفروع والأُصول.

۳- علىّ بن الحسين بن بابويه، والد الشيخ الصدوق صاحب الشرائع، (ت ۳۲۹ ه).

۴- ابن قولويه أبو القاسم جعفر بن محمّد (۲۸۵- ۳۶۸ ه) من تلامذة الكلينى وأُستاذ الشيخ المفيد.

والذى يدلّ على وجود النشاط الفكرى فى أوائل القرن الثالث ما رواه الشيخ فى كتاب الغيبة: أنّه أنفذ الشيخ حسين بن روح- رضى

اللَّه تعالى عنه- النائب الخاصّ للإمام المنتظر- عجّل اللَّه تعالى فرجه الشريف- كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: انظروا ما فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شيء يخالفكم. فكتبوا إليه: إنّه كلّه صحيح... «۲».

فهذه الرواية وغيرها تعرب عن وجود نشاط فكرى وفقهى فى ذينك البلدين فى القرن الثالث والرابع، وكفى فى فضلها أنّ كتاب «الكافى» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» وكتب محمّد بن أحمد بن خالد البرقى (ت ۲۷۴ ه) من ثمار هذه المدرسة العظيمة.

۴- مدرسة بغداد:

۴- مدرسة بغداد:

كانت مدرسة الكوفة تزدهر بمختلف النشاطات العلمية عندما كانت بغداد عاصمة الخلافة، ولمّا دبّ الضعف فى السلطة العباسية وصارت السلطة بيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۷

البويهيين تنفّس علماء الشيعة فى أكثر مناطق العراق، فأُسّست مدرسة رابعة للشيعة فى العاصمة أنجبت شخصيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية نظير:

۱- الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) تلك الشخصية الفذّة الذى اعترف المؤالف والمخالف بعلمه، وذكائه، وزهده، وتقواه، وكان شيخ أساتذة الكلام فى عصره الذى شهد قمة الجدل الفكرى والعقائدى بين المدارس الفكرية المختلفة، وكان- رحمه اللَّه- عظيم الشأن رفيع المنزلة، له كرسى للتدريس فى مسجد براثا فى بغداد، يقصده العلماء والعوام للاستزادة من علمه، وله أكثر من (۲۰۰) مصنّف فى مختلف العلوم.

۲- السيد المرتضى علم الهدى (۳۵۵- ۴۳۶ ه)، قال عنه الثعالبى فى يتيمته (۱: ۵۳) قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى فى المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم.

وفى تاريخ ابن خلّكان: كان إماماً فى علم الكلام والأدب والشعر.

السيد المرتضى الذى حاز من العلوم ما لم يدانه فيها أحد فى زمانه، أخذ العلم على يد أُستاذ المتكلّمين الشيخ المفيد- رحمه اللَّه- وله مصنّفات كثيرة لا يسعنا عدّها هنا، منها: الانتصار، تنزيه الأنبياء، جمل العلم والعمل وغيرها.

۳- السيد الرضى (۳۵۹- ۴۰۶ ه)، علم من أعلام عصره فى العلم والحديث والأدب، درس العلم هو وأخوه السيد المرتضى على يد الشيخ المفيد- رحمه اللَّه- له مؤلّفات جمّة منها: خصائص الأئمّة، معانى القرآن، حقائق التأويل.

۴- الشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) وهو شيخ الطائفة ومن أعلام الأُمّة، تربّى على يد شيخه المفيد والسيد المرتضى. وله مؤلّفات جمّة غنية عن التعريف، منها كتابا: «التهذيب» و «الاستبصار» وهما من المصادر المهمّة عند الشيعة.

وكانت مدرسة بغداد زاهرة فى عهد هذه الأعلام واحد بعد الآخر، وقام كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۸

منهم بدور كبير فى تطوير العلوم وتقدّمها، وكان يحضر فى حلقات دروسهم مئات من المجتهدين والمحدّثين من الشيعة والسنّة.

واستمرّ هذا الحال إلى أن ضعفت سلطة البويهيين، ودخل طغرل بك الحاكم التركى بغداد، فأشعل نار الفتنة بين الطائفتين السنّة والشيعة، وأحرق دوراً فى الكرخ، ولم يكتف بذلك حتّى كبس دار الشيخ الطوسى وأخذ ما وجد من دفاتره وكتبه، وأحرق الكرسى الذى كان الشيخ يجلس عليه «۱».۲

۵- مدرسة النجف الأشرف:

۵- مدرسة النجف الأشرف:

إنّ هـذه الحادثة المؤلمة التى أدّت إلى ضـياع الثروة العلمية للشـيعة وقتل العديد من الأبرياء، دفعت الشـيخ الطوسـى- رحمه اللّه- إلى مغادرة بغـداد واللجوء إلى النجف الأشـرف وتأسـيس مدرسـة علمية شـيعية فى جوار قبر أمير المؤمنين عليه السـلام، وشاء اللّه تبارك وتعـالى أن تكون هـذه المدرسـة مدرسـة كبرى أنجبت خلال ألف سـنة من عمرها عشـرات الآ لاف من العلماء والفقهاء والمتكلّمين والحكماء.

والمعروف أنّ الشـيخ الطوسى هو المؤسّس لتلك الجامعة العلمية المباركة، وهو حقّ لا غبار عليه، ومع ذلك يظهر من النجاشى وغيره أنّ الشـيخ ورد عليهـا وكـانت غير خاليـة من النشـاط العلمى. يقول فى ترجمـة الحسـين بن أحمـد بن المغيرة: له كتاب عمل السـلطان أجازنا بروايته أبو عبد اللّه بن الخمرى الشيخ صالح فى مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة (۴۰۰ ه) «۲».

ولقد اسـتغلّ الشـيخ تلك الأرضية العلمية، وأعانته على ذلك الهجرة العلمية الواسعة التى شملت أكثر الأقطار الشيعية، فتقاطرت الوفود إليها، من كلّ فجّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۹

فصارت حوزة علمية، وكلّيّة جامعة فى جوار النبأ العظيم علىّ أمير المؤمنين- من عصـر تأسيسـها (۴۴۸ ه)- إلى يومنا هذا، ولقد مضـى على عمرها قرابة (۱۰۰۰) سنة، وهى بحقّ شجرة طيبة أصلها فى الأرض وفرعها فى السماء آتت أُكلها كلّ حين بإذن ربّها.

إنّ لجامعة النجف الأشـرف حقوقاً كبرى على الإسـلام والمسـلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية التى أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضى النجف وحاضرها» يقع فى ثلاثة أجزاء «۱». وقد قام الشيخ هادى الأمينى بتخريج أسماء طائفة من العلماء الذين تخرّجوا من هذه المدرسة الكبرى، فراجع.

۶- مدرسة الحلّة:

۶- مدرسة الحلّة:

فى الوقت الـذى كانت جامعـة النجف تزدهر وتنجب جملـة من العلماء الأفـذاذ، تأسّـست للشـيعة فى الحلّة الفيحاء جامعة كبيرة أُخرى كانت تحفل بكبار العلماء، وتزدهر بالنشاط الفكرى، عقدت فيها ندوات البحث والجدل، وأُنشئت فيها المدارس والمكاتب، وظهر فى هذا الدور فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير فى تطوير الفقه الشيعى وأُصوله، نأتى بأسماء بعضهم:

۱- المحقّق الحلّى، نجم الـدين أبو القاسم جعفر بن سـعيد، من كبار فقهاء الشـيعة، يصـفه تلميـذه ابن داود بقوله: الإمام العلّامة، واحد عصره، كـان ألسن أهل زمانه، وأقواهم بالحجّة، وأسـرعهم اسـتحضاراً «۲» توفّى عـام (۶۷۶ ه). لـه مـن الكتب: «شـرائع الإسـلام» فى جزأين، وهو أثر خالد شرحه العلماء وعلّقوا عليه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۰

واختصره فى كتاب أسماه «المختصر النافع» وشرحه أيضاً وأسماه «المعتبر فى شرح المختصر».

۲- العلّامـة الحلّى، جمـال الـدين حسن بن يوسـف (۶۴۸- ۷۲۶ ه) تخرّج على يـد خـاله المحقّـق الحلّى فى الفقـه، وعلى يـد المحقّق الطوسـى فى الفلسـفة والرياضـيات، وعرف بـالنبوغ وهـو بعـد لم يتجـاوز سنّ المراهقـة، وقـد بلـغ الفقه الشـيعى فى عصـره القمـة، وله موسوعات فيه أجلّها «تذكرة الفقهاء» ولعلّه لم يؤلّف مثله.

۳- فخر المحققين، محمّد بن الحسن بن يوسف (۶۸۲- ۷۷۱ ه) ولد العلّامة الحلّى، تتلمذ على يد أبيه، ونشأ تحت رعايته وعنايته، وألّف والده قسماً من كتبه بالتماس منه، وقد تتلمذ عليه إمام الفقه الشهيد الأوّل (۷۳۴- ۷۸۶ ه).

إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاووس، وابن ورّام، وابن نما، وابن أبى الفوارس الحلّيين، الذين حفلت بهم مدرسة الحلّة، ولهم على العلم وأهله أيادٍ بيضاء، لا يسعنا ذكر حياتهم.

۷- الجامع الأزهر:

۷- الجامع الأزهر:

امتدّ سلطان الدولة الفاطمية من المحيط الأطلسى غرباً، إلى البحرالأحمر شرقاً، ونافست الدولة الفاطمية الشيعية خلافة الحكّام العباسيين فى بغداد، وكان المعزّ لدين اللّه- أحد الخلفاء الفاطميين بمصر- رجلًا مثقّفاً ومولعاً بالعلوم والآداب، وقد اتّخذ بفضل تدبير قائده العسكرى القاهرة عاصمة للدولة الجديدة، وبنى الجامع الأزهر، وعقدت فيه حلقات الدرس، وكان يركّز على نشر المذهب الشيعى بين الناس، وقد أمر أن يؤذّن فى جميع المساجد ب «حىّ على خير العمل» ومنع من لبس السواد شعار العباسيين.

إنّ المسلمين عامّة- وفى طليعتهم المصريون- مدينون فى ثقافتهم وازدهار

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۱

علومهم وتقدّمهم فى مجال العلم والصنعة للفاطميين وهممهم العالية؛ فإنّ الجامع الأزهر لا يزال مزدهراً من يوم بنى إلى يومنا هذا باعتباره أعظم الجامعات العلمية «۱»، وهى كانت جامعة شيعية من بدء تأسيسها إلى قرنين.

وإن شئت أن تقف على صورة صغيرة من خدماتهم الجليلة فاقرأ ما كتبه السيّد مير على حيث ذكر: «كان الفاطميون يشجّعون على العلم، ويكرمون العلماء، فشيّدوا الكلّيات، والمكاتب العامة، ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون، والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعيّنوا لها أشهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرّاً على نفقة الدولة، كما كان الطلّاب يمنحون جميع الأدوات الكتابية مجّاناً، وكان الخلفاء يعقدون المناظرات فى شتّى فروع العلم، كالمنطق والرياضيات والفقه والطب، وكان الأساتذة يرتدون لباساً خاصاً عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية- كما هى الحال اليوم- وأُرصدت للإنفاق على تلك المؤسّسات، وعلى أساتذتها، وطلّابها، وموظّفيها، أملاك بلغ إيرادها السنوى (۴۳) مليون درهم، ودعى الأساتذة من آسيا والأندلس لإلقاء المحاضرات فى دار الحكمة، فازدادت بهم روعة وبهاء «۲».

وقد ألّف غير واحد من المؤرّخين كتباً ورسائل حول الأزهر الشريف ومن أراد التفصيل فليرجع إليها.

۸- مدارس الشيعة فى الشامات:

۸- مدارس الشيعة فى الشامات:

كانت الشيعة تعيش تحت الضغط والإرهاب السياسى من قبل الأُمويين والعباسيين، فلمّا دبّ الضعف فى جهاز الخلافة العباسية، وظهرت دول شيعية فى العراق- خصوصاً دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب- استطاعت الشيعة أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۲

تجاهر بنشاطها الثقافى، وفى ظلّ هذه الحرّية أُسّست مدارس شيعية فى جبل عامل، وحلب، تخرّج منها العديد من العلماء الأفذاذ والفضلاء.

فأمّا حلب فقد ازدانت بالعديد من الأسماء اللامعة كأبناء زهرة وغيرهم، من رجال العلم والأدب.

وأمّا مدرسة جبل عامل فقد كانت تتراوح بين القوّة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأوّل من العراق إلى مسقط رأسه «جزّين»، فأخذت تلك المدرسة فى نفسها نشاطاً واسعاً، وقد تخرّج من تلك المدرسة منذ تلك العهود إلى يومنا هذا مئات من الفقهاء والعلماء لا يحصيها إلّااللّه سبحانه، ومن الشخصيات البارزة فى هذه المدرسة: المحقّق الشيخ على الكركى مؤلّف «جامع المقاصد» (المتوفّى عام ۹۴۰ ه) وبعده الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثانى (۹۱۱- ۹۶۶ ه).

هذا غيض من فيض وقليل من كثير، ممّن أنجبتهم هذه التربة الخصبة بالعلم والأدب.

ولنكتف بهذا المقدار من الإشارة إلى الجامعات الشيعية؛ فإنّ الإحصاء يحوجنا إلى بسط فى المقال، ويطيب لنا الإشارة إلى أسماء المعاهد الأُخرى مجرّدة.

جامعات أُخر للشيعة فى أقطار العالم:

جامعات أُخر للشيعة فى أقطار العالم:

كانت للشيعة جامعات متعدّدة فى أقطار العالم المختلفة لم تزل بعضها زاهرة إلى اليوم. فالشرق الإسلامى كأفغانستان والباكستان والهند تزخر بالشيعة، ولهم هناك جامعات وكلّيات فى هراة ولكنهو وبومبى، كما أنّ للشيعة نشاطات ثقافية فى آسيا الجنوبية الشرقية كمالزيا وتايلند، ومن أراد الوقوف على الخرّيجين من هذه المدارس فعليه أن يقرأ تاريخ هذه البلاد، خصوصاً بلاد الهند.

ومنذ تسنّم الصفويّة منصّة الحكم أُسّست فى إيران حوزات فقهية وكلامية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۳

وفلسفية زاهرة، وقد تخرج منها آلاف من العلماء، ومن هذه الجامعات: جامعة أصفهان، وطهران، وخراسان، وتبريز، وقزوين، وزنجان، وشيراز، وأخيراً الجامعة الكبرى للشيعة فى قم المحمية بجوار فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وقد أُسّست هذه الجامعة سنة (۱۳۴۰ ه) على يد رجل العلم والزهد الشيخ عبد الكريم اليزدى (۱۲۷۴- ۱۳۵۵ ه)، ولم تزل هذه الجامعة مشعَّة زاهرة، وقد تقاطر إليها الأساتذة ووفود الطلاب من نقاط شتّى، ومن جنسيّات مختلفة منذ أوّل يومها، ويتجاوز عدد الطلاب فيها فى هذه السنين (۲۵۰۰۰ طالب)، وفيها مكتبات زاخرة، ومؤسّسات علمية، ومراكز تحقيقية، ومطابع حديثة، وعمالقة الفكر وأساتذة القلم، ومنها تفجّرت الثورة الإسلامية على يد أحد خرّيجيها ألا وهو الإمام الخمينى- قدس اللّه سره- فانبثقت أنوارها على ربوع العالم، وأيقظت الأُمّة من سباتها العميق.

عدد الشيعة

عدد الشيعة

إنّ مراكز الإحصاء فى العالم تخضع لنفوذ أعداء الإسلام خصوصاً الصهاينة، وقد صار ذلك سبباً لعدم وجود إحصاء دقيق بأيدينا عن عدد المسلمين وعامّة طوائفهم ومنهم الشيعة. ولكن القرائن تشهد على أنّ الشيعة بطوائفها الثلاث:

الإمامية والزيدية والإسماعيلية يؤلّفون خمس أو ربع المسلمين، فلو كان عدد المسلمين- على ما يقولون- مليار نسمة فالشيعة تبلغ (۲۰۰) مليون، وأكثرهم عدداً هم الإمامية المعروفون بالاثنى عشرية أو الجعفرية.

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد فى ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۴

صفحه سفيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۵

الفصل الرابع

اشارة

الفصل الرابع:

مع الشيعة الإماميّة

فى عقائدهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۶

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۷

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

اشارة

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

إنّ المناهج الكلاميـة التى فرّقت المسلمين إلى مـذاهب حدثت فى أواخر القرن الأوّل الهجرى، واستمرّت فى القرون التالية، فنجمت عنها فرق إسلامية مختلفة كالمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والحشوية، والأشعرية، والكرّامية بفرقهم المتشعّبة. وهذه الفرق بمجموعها تكون نتاجاً حقيقياً لمخاض البحث والمذاكرة، وكنتيجة منطقية للتوسع الأُفقى فى الرقعة الإسلامية التى شملت العديد من الأُمم والقوميات المختلفة، وما يؤلّفه ذلك من احتكاك وجدل فكرى وتأثّر وتأثير فى تلك التيّارات الفكرية وتداخل غير محسوس فى أحيان كثيرة أُوجد ودون وعى من الكثيرين، ركائز وجود هذه التصوّرات التى تبلورت فيما بعد فيما يسمّى بالفرق الإسلامية.

ومن هنا فإنّ المرء لا يجد لها تاريخاً متّصلًا بزمن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ويقف على صدق ما ذكرنا من سبر أجزاء كتابنا هذا.

فالخوارج مثلًا كانوا فرقة سياسية نشأت فى عام (۳۷ ه) أثناء حرب صفّين، ثمّ تبدّلت إلى فرقة دينيّة فى أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثانى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۸

والمرجئة ظهرت فى الأوساط الإسلاميّة عند اختلاف الناس فى الخليفة عثمان والإمام علىّ، ثمّ تطورت إلى معنى آخر، وكان من حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان وتأخير العمل.

والجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّى سنة (۱۲۸ ه).

والمعتزلة تستمدّ أُصولها من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى المتوفّى عام (۱۳۰ ه)، وهكذا القدريّة والكرّاميّة والظاهريّة والأشعريّة فجميعها فرق نتجت عن البحث الكلامى وصقلها الجدل عبر القرون، فلا تجد لهذه الفرق سنداً متّصلًا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وأمّا عقائد الشيعة الإمامية فعلى النقيض من ذلك، ولا صلة فى نشأتها بينها وبين تلك الفرق، لأنّها أخذت أساساً من مصادر التشريع الحقيقية للإسلام، وهى: الذكر الحكيم أوّلًا، والسنّة النبويّة ثانياً، وخطب الإمام علىّ وكلمات العترة الطاهرة الصادرة من النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياة أئمّتهم الطاهرين.

وهذا لا يعنى أنّ الشيعة تتعبّد بالنصوص فى أُصولها المذكورة من دون تحليل وتفكير، بل إنّ أُصول العقائد الواردة فى المصادر المذكورة أخذها علماؤهم منها وحرّروها بأوضح الوجوه، ودعموها بالبراهين الواضحة، كما أنّهم لا يعتدّون فى بناء معتقداتهم ومتبنّياتهم برواية الآحاد بل يشترطون فيها أن تكون متواترة، أو محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم واليقين؛ إذ ليس المطلوب فى باب الاعتقاد مجرّد العمل، بل المطلوب هو الإذعان والإيمان، وهذا لا يحصل برواية الآحاد.

إلّا أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسى لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام عليّاً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وأنّه وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم. وهذا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۹

هو العنصر المقوّم للتشيّع، وأمّا سائر الأُصول فإنّها عقائد إسلامية لا تختصّ بالشيعة الإمامية وحدها.

وسنحاول أن نستعرض فى الصفحات اللاحقة بعضاً من جوانب عقائد الشيعة الإمامية، الواردة فى أحاديث أئمّتهم تارة، وكلمات علمائهم الأقدمين ثانياً، حتّى يقف القارئ على جذور تلك العقائد وتتوضّح له الصورة الحقيقية عن ركائز هذه المعتقدات، والتى تستمدّ كيانها من الأخبار والروايات الواردة من أئمّتهم الطاهرين والتى تكوّن كلمات الإمام علىّ عليه السلام وخطبه البعد الأكبر فيها، أو من الآراء الكلامية لعلمائهم، والتى تتفق كثيراً مع جمهور المسلمين فى أبعادها المختلفة.

۱- ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون عن محض الإسلام

۱- ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون عن محض الإسلام

روى الصدوق بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سأل المأمون علىّ بن موسى الرضا أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب عليه السلام له:

«إنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، أحداً، فرداً، صمداً، قيوماً، سميعاً، بصيراً، قديراً، قديماً، قائماً، باقياً، عالماً لايجهل، قادراً لا يعجز، غنيّاً لا يحتاج، عدلًا لا يجور، وأنّه خالق كلّ شىء، ليس كمثله شىء، لا شبه له، ولا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا كفو له، وأنّه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة.

وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأمينه وصفيّه وصفوته من خلقه، وسيّد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبىّ بعده ولا تبديل لملّته ولا تغيير لشريعته، وأنّ جميع ما جاء به محمّد بن عبد اللَّه هو الحقّ المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل اللَّه، وأنبيائه، وحججه، والتصديق بكتابه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۰

الصادق العزيز الذى: لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد «۱»

وأنّه المهيمن على الكتب كلّها، وأنّه حقّ من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتى بمثله.

وأنّ الدليل بعده والحجّة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه: أخوه وخليفته ووصيّه ووليّه، والذى كان منه بمنزلة هارون من موسى: علىّ بن أبى طالب عليه السلام أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأفضل الوصيّين، ووارث علم النبيّين، والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ علىّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد

بن علىّ باقر علم النبيّين، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق وارث علم الوصيّين، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ علىّ بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ علىّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن علىّ، ثمّ الحجّة القائم المنتظر- صلوات اللّه عليهم أجمعين-.

أشهد لهم بالوصية والإمامة، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة للّه تعالى على خلقه فى كلّ عصر وأوان، وأنّهم العروة الوثقى، وأئمّة الهدى، والحجّة على أهل الدنيا، إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، وأنّ كل من خالفهم ضالّ مضلّ باطل، تارك للحقّ والهدى، وأنّهم المعبّرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول صلى الله عليه و آله بالبيان، ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وأنّ من دينهم الورع والفقه والصدق والصلاة والاستقامة والاجتهاد، وأداء الأمانة إلى البرّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۱

والفاجر، وطول السجود، وصيام النهار وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء وكرم الصحبة «۱».

ثمّ ذكر الإمام فروعاً شتّى من مختلف أبواب الفقه وأشار إلى بعض الفوارق بين مذهب أهل البيت وغيرهم لا يهمّنا فى المقام ذكرها ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى المصدر.

۲- عرض السيّد عبد العظيم الحسنى عقائده على الإمام الهادى عليه السلام

۲- عرض السيّد عبد العظيم الحسنى عقائده على الإمام الهادى عليه السلام

روى الصدوق عن عبد العظيم الحسنى «۲» قال: دخلت على سيّدى علىّ بن محمّد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام فلمّا بَصُرَ بى، قال لى: «مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّا» قال:

فقلت له: يابن رسول اللّه إنّى أُريد أن أعرض عليك دينى، فإن كان مرضيّاً أثبت عليه حتّى ألقى اللّه عزّوجلّ. فقال: «هاتها أبا القاسم».

فقلت: إنّى أقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شىء، خارج من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۲

الحدّين؛ حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربُّ كلّ شىء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمّداً عبده ورسوله، خاتم النبيّين فلا نبىّ بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الإمام والخليفة وولىّ الأمر بعده أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علىّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علىّ بن موسى، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ أنت يا مولاى.

فقال عليه السلام: «ومن بعدى الحسن ابنى، فكيف للناس بالخلف من بعده؟» قال:

فقلت: وكيف ذاك يا مولاى؟ قال: «لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً».

قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم ولىّ اللّه، وعدوّهم عدوّ اللّه، وطاعتهم طاعة اللّه ومعصيتهم معصية اللّه، وأقول: إنّ المعراج حقّ والمساءلة فى القبر حقّ، وإنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها وإنّ اللّه يبعث من فى القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصلاة والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فقال علىّ بن محمّد عليه السلام: «يا أبا القاسم، هذا واللّهِ دين اللّه الذى ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبتك اللّه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» «۱».

وقد اكتفينا بهذين النصّين من الإمامين الطاهرين، أحدهما قولى، والآخر إمضائى، وقد أخذوا عقائدهم عن آبائهم الطاهرين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۳

۳- رسالة الصدوق فى عقائد الإمامية

۳- رسالة الصدوق فى عقائد الإمامية

إنّ لمشايخنا الإمامية مؤلّفات شهيرة فى بيان عقائد الشيعة ومعارفهم، نختار فى المقام رسائل موجزة من المتقدّمين منهم:

صنّف الشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) رسالة موجزة فى عقائد الإمامية، قال: اعلم أنّ اعتقادنا فى التوحيد: أنّ اللَّه تعالى واحد أحد، ليس كمثله شىء، قديم، لم يزل، ولا يزال سميعاً بصيراً، عليماً، حكيماً، حيّاً، قيّوماً، عزيزاً، قدّوساً، عالماً، قادراً، غنيّاً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض- إلى أن قال:- وأنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنّه تعالى شىء لا كالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولا ندّ ولا ضدّ، ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير، ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا الأوهام، وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو اللطيف الخبير، خالق كلّ شىء لا إله إلّا هو، له الخلق والأمر تبارك اللَّه ربّ العالمين.

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف فى التوحيد فهو كاذب، وكلّ خبر يخالف ما ذكرت فى التوحيد فهو موضوع مخترع، وكلّ حديث لا يوافق كتاب اللَّه فهو باطل، وإن وجد فى كتب علمائنا فهو مدلّس... ثمّ إنّه قدّس اللَّه سرّه ذكر الصفات الخبرية فى الكتاب العزيز وفسّرها، وبيّن حدّاً خاصّاً لصفات الذات وصفات الأفعال، وما هو معتقد الإماميّة فى أفعال العباد، وأنّه بين الجبر والتفويض، كما ذكر عقائدهم فى القضاء والقدر، والفطرة، والاستطاعة، إلى غير ذلك من المباحث المهمّة التى تشكّل العمود الفقرى للمعارف

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۴

الإلهية، إلى أن قال:

اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزله اللَّه تعالى على نبيّه محمّد هو ما بين الدفّتين، وهو ما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس (۱۱۴) سورة، وعندنا أنّ الضحى والانشراح سورة واحدة، كما أنّ الإيلاف والفيل سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب... إلى آخر الرسالة «۱».

ثمّ إنّ الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) قد شرح تلك الرسالة بكتاب أسماه شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد، ناقش فيها أُستاذه الصدوق فى بعض المواضع التى استند فيها الصدوق على روايات غير جامعة للشرائط فى باب العقائد «۲».

۴- أمالى الصدوق رحمه الله

۴- أمالى الصدوق رحمه الله

وهو ما أملاه الصدوق أيضاً على جماعة فى المجلس الثالث والتسعين، وجاء فيه: واجتمع فى هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملى عليهم وصف دين الإماميّة على الإيجاز والاختصار، فقال: دين الإماميّة هو الإقرار بتوحيد اللَّه تعالى ذكره، ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عمّا لا يليق، والإقرار بأنبياء اللَّه ورسله وحججه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۵

وملائكته وكتبه، والإقرار بأنّ محمّداً هو سيّد الأنبياء والمرسلين، وأنّه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقرّبين، وأنّه خاتم النبيّين؛ فلا نبىّ بعده... إلى آخر ما ذكر «۱».

۵- جمل العلم والعمل للسيّد الشريف المرتضى

اشارة

۵- جمل العلم والعمل للسيّد الشريف المرتضى

ألّف السيّد الشريف المرتضى رسالة موجزة فى العقائد أسماها جمل العلم والعمل. أورد فيها- رحمه اللّه- عقائد الشيعة على وجه الإيجاز، نذكر منها ما يرتبط بالتوحيد، وندعو القارئ الكريم إلى مطالعة الرسالة لما فيها من العرض الدقيق لهذه الجوانب:

بيان ما يجب اعتقاده فى أبواب التوحيد:

بيان ما يجب اعتقاده فى أبواب التوحيد:

الأجسام محدثَة لأنّها لم تسبق الحوادث، فلها حكمها فى الحدوث، ولابدّ لها من محدِث؛ لحاجة كلّ محدَث فى حدوثه إلى محدِث كالصناعة والكتابة.

ولابدّ من كونه (تعالى) قادراً لتعذّر الفعل على من لم يكن قادراً، وتيسّره على من كان كذلك.

ولابدّ من كون محدِثها عالماً؛ لأنّ الإحكام ظاهر فى كثير من العالم، والمحكَم لا يقع إلّامن عالم.

ولابدّ من كونه موجوداً؛ لأنّ له تعلّقاً من حيث كان قادراً عالماً، وهذا الضرب من التعلّق لا يصحّ إلّامع الوجود.

ويجب كونه قديماً؛ لانتهاء الحوادث إليه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۶

ويجب كونه حيّاً، وإلّا لم يصحّ كونه قادراً، عالماً، فضلًا عن وجوبه.

ويجب أن يكون مدركاً إذا وجدت المدركات، لاقتضاء كونه حيّاً.

ووجب كونه سميعاً بصيراً؛ لأنّه ممّن يجب أن يدرك المدركات إذا وجدت، وهذه فائدة قولنا: سميع بصير.

ومن صفاته- وإن كانتا عن علّة- كونه تعالى مريداً وكارهاً؛ لأنّه تعالى قد أمر وأخبر ونهى، ولايكون الأمر والخبر أمراً ولا خبراً إلّابالإرادة. والنهى لا يكون نهياً إلّابالكراهة.

ولا يجوز أن يستحقّ هاتين الصفتين لنفسه؛ لوجوب كونه مريداً كارهاً للشىء الواحد، على الوجه الواحد.

ولا لعلّة قديمة، لما سنبطل به الصفات القديمة.

لا لعلّة محدثة فى غير حىّ لافتقار الإرادة إلى تنبيه. ولا لعلّة موجودة فى حىّ؛ لوجوب رجوع حكمها إلى ذلك الحىّ. فلم يبق إلّاأن توجد لا فى محلّ.

ولا يجوز أن يكون له فى نفسه صفة زائدة على ما ذكرناه؛ لأنّه لا حكم لها معقول.

وإثبات ما لا حكم له معقول من الصفات، يفضى إلى الجهالات.

ويجب أن يكون قادراً فيما لم يزل؛ لأنّه لو تجدّد له ذلك لم يكن إلّالقدرة محدثة، ولا يمكن إسناد إحداثها إلّاإليه، فيؤدّى إلى تعلّق كونه قادراً بكونه محدثاً، وكونه محدثاً بكونه قادراً. وثبوت كونه قادراً فيما لم يزل يقتضى أن يكون فيما لم يزل حيّاً موجوداً.

ويجب أن يكون عالماً فيما لم يزل؛ لأنّ تجدّد كونه عالماً يقتضى أن يكون بحدوث علم، والعلم لا يقع إلّاممّن هو عالم.

ووجوب هذه الصفات لم تدلّ على أنّها نفسيّة، وادّعاء وجوبها لمعان قديمة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۷

تبطل صفات النفس، ولأنّ الاشتراك فى القدم يوجب التماثل والمشاركة فى سائر الصفات ولا يجوز خروجه تعالى عن هذه الصفات لاسنادها إلى النفس.

ويجب كونه تعالى غنيّاً غير محتاج؛ لأنّ الحاجة تقتضى أن يكون ممّن ينتفع ويستضرّ، وتؤدّى إلى كونه جسماً.

لايجوز كونه تعالى متّصفاً بصفة الجواهر والأجسام والأعراض لقدمه وحدوث هذه أجمع، ولأنّه فاعل الأجسام، والجسم يتعذّر عليه فعل الجسم.

ولا يجوز عليه تعالى الرؤية؛ لأنّه كان يجب مع ارتفاع الموانع وصحّة أبصارنا أن نراه.

ولمثل ذلك يعلم أنّه لا يُدرك بسائر الحواس.

ويجب أن يكون تعالى واحداً لا ـ ثانى له فى القدم؛ لأنّ إثبات ثان يؤدّى إلى إثبات ذاتين لا حكم لهما يزيد على حكم الذات الواحدة، ويؤدّى أيضاً إلى تعذّر الفعل على القادر من غير جهة منع معقول، وإذا بطل قديم ثان بطل قول الثنوية والنصارى والمجوس... إلى آخرها «۱».

۶- البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان للكراجكى

اشارة

۶- البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان للكراجكى

كتب الإمام الشيخ أبو الفتح محمّد بن علىّ الكراجكى الطرابلسى رسالة موجزة فى عقائد الإمامية وسمّاها: «البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان» وممّا جاء فيها:

قال: سألت يا أخى- أسعدك اللّه بألطافه، وأيّدك بإحسانه وإسعافه- أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۸

أُثبت لك جملًا من اعتقادات الشيعة المؤمنين، وفصولًا فى المذهب يكون عليها بناء المسترشدين، لتذاكر نفسك بها، وتجعلها عدّة لطالبها، وأنا أختصر لك القول وأُجمله، وأُقرّب الذكر وأُسهّله وأورده على سنن الفتيا فى المقالة، من غير حجّة ولا دلالة، وما توفيقى إلّاباللّه:

فى توحيده سبحانه:

فى توحيده سبحانه:

اعلم أنّ الواجب على المكلّف: أن يعتقد حدوث العالم بأسره، وأنّه لم يكن شيئاً قبل وجوده، ويعتقد أنّ اللّه تعالى هو محدِث جميعه، من أجسامه، وأعراضه، إلّا أفعال العباد الواقعة منهم؛ فإنّهم محدثوها دونه سبحانه.

ويعتقد أنّ اللّه قديم وحده، لا قديم سواه، وأنّه موجود لم يزل، وباق لا يزال، وأنّه شىء لا كالأشياء. لا شبيه الموجودات، ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، وأنّ له صفات يستحقّها لنفسه لا لمعان غيره، وهى كونه حيّاً، عالماً، قديماً، باقياً، لا يجوز خروجه عن هذه الصفات إلى ضدّها، يعلم الكائنات قبل كونها، ولا يخفى عليه شىء منها.

فى عدله سبحانه:

فى عدله سبحانه:

وأنّ له صفات أفعال، لا ـ يصحّ إضافتها إليه فى الحقيقة إلّابعد فعله، وهى ما وصف به نفسه من أنّه خالق، ورازق، ومعط، وراحم،

ومالك، ومتكلّم، ونحو ذلك.

وأنّ له صفات مجازات وهى ما وصف به نفسه، من أنّه يريد ويكره، ويرضى ويغضب.

فإرادته لفعل هى الفعل المراد بعينه، وإرادته لفعل غيره هى الأمر بذلك الفعل، وليس تسميتها بالإرادة حقيقة، وإنّما هو على مجاز اللغة، وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه، وأنّه لا يفتقر إلى مكان، ولا يدرك بشيء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۹

من الحواسّ.

وأنّه منزّه من القبائح، لا يظلم الناس وإن كان قادراً على الظلم؛ لأنّه عالم بقبحه، غنىّ عن فعله، قوله صدق، ووعده حقّ، لا يكلّف خلقه على ما لا يستطاع، ولا يحرمهم صلاحاً لهم فيه الانتفاع، ولا يأمر بما لا يريد، ولا ينهى عمّا يريد. وأنّه خلق الخلق لمصلحتهم، وكلّفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح فى التكليف عللهم، وفعل أصلح الأشياء بهم. وأنّه أقدرهم قبل التكليف، وأوجد لهم العقل والتمييز.

وأنّ القدرة تصلح أن يفعل بها وضدّه بدلًا منه. وأنّ الحق الذى تجب معرفته، يدرك بشيئين، وهما العقل والسمع، وأنّ التكليف العقلى لا ينفكّ عن التكليف السمعى. وأنّ اللَّه تعالى قد أوجد (للناس) فى كلّ زمان مسمعاً (لهم) من أنبيائه وحججه بينه وبين الخلق، ينبّههم على طريق الاستدلال فى العقليات، ويفقّههم على ما لا يعلمونه إلّابه من السمعيات. وأنّ جميع حجج اللَّه تعالى محيطون علماً بجميع ما يفتقر إليهم فيه العباد. وإنّهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختيار.

وأنّ اللَّه فضّلهم على خلقه، وجعلهم خلفاءه القائمين بحقّه. وأنّه أظهر على أيديهم المعجزات، تصديقاً لهم فيما ادّعوه من الأنباء والأخبار. وأنّهم- مع ذلك- بأجمعهم عباد مخلوقون، بشر مكلّفون يأكلون ويشربون، ويتناسلون، ويحيون بإحيائه، ويموتون بإماتته، تجوز عليهم الآلام المعترضات، فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا يقدرون على خلق، ولا رزق، ولا يعلمون الغيب إلّاما أعلمهم إله الخلق. وأنّ أقوالهم صدق، وجميع ما أتوا به حق.

فى النبوّة العامّة والخاصّة:

فى النبوّة العامّة والخاصّة:

وأنّ أفضل الأنبياء أُولو العزم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۰

وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه و آله وعليهم، وأنّ محمّد بن عبد اللَّه صلى الله عليه و آله أفضل الأنبياء أجمعين، وخير الأوّلين والآخرين. وأنّه خاتم النبيين، وأنّ آباءه من آدم عليه السلام إلى عبد اللَّه بن عبد المطّلب- رضوان اللَّه عليهم- كانوا جميعاً مؤمنين، وموحّدين للَّه تعالى عارفين، وكذلك أبوطالب- رضوان اللَّه عليه-.

ويعتقد أنّ اللَّه سبحانه شرّف نبيّنا صلى الله عليه و آله بباهر الآيات، وقاهر المعجزات، فسبّح فى كفّه الحصى، ونبع من بين أصابعه الماء، وغير ذلك ممّا قد تضمّنته الأنباء، وأجمع على صحّته العلماء، وأتى بالقرآن المبين، الذى بهر به السامعين! وعجز من الإتيان بمثله سائر الملحدين.

وأنّ القرآن كلام ربّ العالمين، وأنّه محدَث ليس بقديم. ويجب أن يعتقد أنّ جميع ما فيه من الآيات الذى يتضمّن ظاهرها تشبيه اللَّه تعالى بخلقه، وأنّه يجبرهم على طاعته أو معصيته، أو يضلّ بعضهم عن طريق هدايته، فإنّ ذلك كلّه لا يجوز حمله على ظاهرها، وأنّ له تأويلًا يلائم ما تشهد به العقول ممّا قدّمنا ذكره فى صفات اللَّه تعالى، وصفات أنبيائه.

فإن عرف المكلّف تأويل هذه الآيات فحسن، وإلّا أجزأ أن يعتقد فى الجملة أنّها متشابهات، وأنّ لها تأويلًا ملائماً، يشهد بما تشهد به

العقول والآيات المحكمات، وفى القرآن المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعامّ.

ويجب عليه أن يقرّ بملائكة اللَّه أجمعين، وأنّ منهم جبرئيل وميكائيل، وأنّهما من الملائكة الكرام، كالأنبياء بين الأنام، وأنّ جبرئيل هو الروح الأمين الذى نزل بالقرآن على قلب محمّد خاتم النبيّين، وهو الذى كان يأتيه بالوحى من ربّ العالمين.

ويجب الإقرار بأنّ شريعة الإسلام التى أتى بها محمّد صلى الله عليه و آله ناسخة لما خالفها من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۱

شرائع الأنبياء المتقدّمين.

وإنّه يجب التمسّك بها والعمل بما تضمّنته من فرائضها، وأنّ ذلك دين اللَّه الثابت الباقى إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، لا حلال إلّاما أحلّت ولا حرام إلّاما حرّمت، ولا فرض إلّاما فرضت، ولا عبادة إلّاما أوجبت.

وإنّ من انصرف عن الإسلام، وتمسّك بغيره، كافر ضالّ، مخلّد فى النار، ولو بذل من الاجتهاد فى العبادة غاية المستطاع.

وإنّ من أظهر الإقرار بالشهادتين كان مسلماً، ومن صدّق بقلبه ولم يشكّ فى فرض أتى به محمّد صلى الله عليه و آله كان مؤمناً.

ومن الشرائط الواجبة للإيمان، العمل بالفرائض اللازمة، فكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمناً.

وقوله تعالى: إنّ الدّينَ عِنْدَ اللَّه الإسْلام «۱»

إنّما أراد به الإسلام الصحيح التام، الذى يكون المسلم فيه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات، طائعاً.

فى الإمامة والخلافة:

فى الإمامة والخلافة:

ويجب أن يعتقد أنّ حجج اللَّه تعالى بعد رسوله الذين هم خلفاؤه، وحفظة شرعه، وأئمّة أُمّته، اثناعشر أهل بيته، أوّلهم أخوه وابن عمّه، وصهره، بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصيّه على أُمّته، علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين، ثمّ الحسن بن علىّ الزكى، ثمّ الحسين بن علىّ الشهيد، ثمّ علىّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد بن علىّ باقر العلوم، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ علىّ بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن علىّ التقى، ثمّ علىّ بن محمّد المنتجب، ثمّ الحسن بن علىّ الهادى، ثمّ الخلف الصالح بن الحسن المهدى- صلوات اللَّه عليهم أجمعين-.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۲

لا إمامة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّالهم عليهم السلام ولا يجوز الاقتداء فى الدين إلّابهم، ولا أخذ معالم الدين إلّاعنهم.

وأنّهم فى كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء عليهم السلام.

وأنّهم أفضل الخلق بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

وأنّ إمامتهم منصوص عليها من قبل اللَّه على اليقين والبيان.

وأنّه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات، والأُمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلّاما قارن وجهاً يعلمه من اللطف والصلاح.

وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكلّ ما علمه اللَّه تعالى.

والآيات التى تظهر على أيديهم هى فعل اللَّه دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها.

وأنّهم بشر محدَثون، وعباد مصنوعون، لا- يخلُقون، ولا- يرزُقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتنالهم الآلام والأعلال، ويستضامون، ويَخافون فيتّقون، وأنّ منهم من قتل، ومنهم من قبض.

وأنّ إمام هذا الزمان هو المهدى ابن الحسن الهادى، وأنّه الحجّة على العالمين، وخاتم الأئمّة الطاهرين، لا إمامة لأحد بعد إمامته، ولا

دولة بعد دولته، وأنّه غائب عن رعيته، غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال، وللمعلوم عند اللّه تعالى فى ذلك الصلاح.

ويجوز أن يعرّف نفسه فى زمن الغيبة لبعض الناس، وأنّ اللّه عزّ وجلّ سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهّد الدين به، ويطهّر الأرض

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۳

على يديه، ويهلك أهل الضلال، ويقيم عمود الإسلام، ويصير الدين كلّه للّه.

وأنّ اللّه عزّ وجلّ يظهر على يديه عند ظهوره الأعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيى له بعض الأموات، فإذا قام فى الناس المدّة المعلومة عند اللّه سبحانه قبضه إليه، ثمّ لا يمتدّ بعده الزمان، ولا تتّصل الأيام حتّى تكون شرائط الساعة، وإماتة من بقى من الناس، ثمّ يكون المعاد بعد ذلك.

ويعتقد أنّ أفضل الأئمّة عليهم السلام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، وأنّه لا يجوز أن يسمّى بأمير المؤمنين أحد سواه.

وأنّ بقيّة الأئمّة- صلوات اللّه عليهم- يقال لهم: الأئمّة، والخلفاء، والأوصياء، والحجج، وإن كانوا فى الحقيقة أُمراء المؤمنين؛ فإنّهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه، لأنّه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنّما منعوا من لفظه حشمة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأنّ أفضل الأئمّة بعد أمير المؤمنين، ولده الحسن، ثمّ الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين، إمام الزمان المهدى- صلوات اللّه عليه- ثمّ بقيّة الأئمّة بعده على ما جاء به الأثر وثبت فى النظر.

وأنّ المهدى عليه السلام هو الذى قال فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«لو لم يبق من الدنيا إلّايوم واحد، لطوّل اللّه تعالى ذلك اليوم حتّى يظهر فيه رجل من ولدى يواطئ اسمه اسمى، يملأها عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۴

فاسمه يواطئ اسم رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكنيته تواطئ كنيته، غير أنّ النهى قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز فى القول أنّه المهدى، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجّة اللّه على الخلق.

ويجب أن يعتقد أنّ اللّه فرض معرفة الأئمّة عليهم السلام بأجمعهم، وطاعتهم، وموالاتهم، والاقتداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالميهم... وأنّه لا يتم الإيمان إلّا بموالاة أولياء اللّه، ومعاداة أعدائه.

فى التوبة والحشر والنشر:

فى التوبة والحشر والنشر:

ويعتقد أنّ اللّه يزيد وينقص إذا شاء فى الأرزاق والآجال.

وأنّه لم يرزق العبد إلّاما كان حلالًا طيّباً.

ويعتقد أنّ باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهى الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إلى مثلها.

وأنّ التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التى تاب العبد منها.

وتجوز التوبة من زلّة إذا كان التائب منها مقيماً على زلّة غيرها لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلّة.

وأنّ اللّه يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلك لوجوب قبولها فى العقل قبل الوعد، وإنّما علم بالسمع دون غيره.

ويجب أن يعتقد أنّ اللّه سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد.

وأنّ المحاسبة حقّ والقصاص، وكذلك الجنّة والنار والعقاب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۵

وأنّ مرتكبى المعاصى من العارفين باللَّه ورسوله، والأئمّة الطاهرين، المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوّفين التوبة منها، عصاة فسّاق، وأنّ ذلك لا يسلبهم اسم الإيمان كما لم يسلبهم اسم الإسلام «۱».

وأنّهم يستحقّون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم باللَّه تعالى، ورسوله، والأئمّة من بعده صلى الله عليه و آله، وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته، وإن عاقبهم فبعدله وحكمته، قال اللَّه سبحانه: وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللَّه إمّا يُعَذِّبَهُمْ وَإمّا يَتُوب عَلَيْهِمْ «۲»

وأنّ عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها اللَّه تعالى لا تكون مؤبّدة، ولها آخر، يكون بعده دخولهم الجنّة، وليس من جملة من توجّه إليهم الوعيد بالتخليد، والعفو من اللَّه تعالى يرجى للعصاة المؤمنين.

وقد غلطت المعتزلة فسمّت من يرجو العفو مرجئاً، وانّما يجب أن يسمّى راجياً، ولا طريق إلى القطع على العفو، وإنّما هو الرجاء فقط.

ويعتقد أنّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله والأئمّة من بعده عليهم السلام شفاعة مقبولة يوم القيامة، ترجى للمؤمنين من مرتكبى الآثام.

ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنّه مشفوع فيه على كلّ حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال، وإنّما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۶

ويعتقد أنّ المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجنّة بغير حساب.

وأنّ جميع الكفّار والمشركين، ومن لم تصحّ له الأُصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب، وإنّما يحاسب من خلط عملًا صالحاً وآخر سيّئاً، وهم العارفون العصاة.

وأنّ أنبياء اللَّه تعالى وحججه عليهم السلام هم فى القيامة المسؤولون للحساب بإذن اللَّه تعالى، وأنّ حجّة أهل كلّ زمان يتولّى أمر رعيّته الذين كانوا فى وقته.

وأنّ سيّدنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والأئمّة الاثنى عشر من بعده عليهم السلام هم أصحاب الأعراف الذين هم لا يدخل الجنّة إلّامن عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّامن أنكرهم وأنكروه.

وأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده.

وأنّ المهدى عليه السلام هو المواقِف لأهل زمانه، والمسائل للذين فى وقته.

وأنّ الموازين (التى) توضع فى القيامة، هى إقامة العدل فى الحساب، والإنصاف فى الحكم والمجازاة، وليست فى الحقيقة موازين بكفّات وخيوط كما يظنّ العوامّ.

وأنّ الصراط المستقيم فى الدنيا دين محمّد وآل محمّد- عليه وعليهم السّلام- وهو فى الآخرة طريق الجنان.

وأنّ الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضّل عليهم فى القيامة بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان.

وأنّ نعيم أهل الجنّة متّصل أبداً بغير نفاد، وأنّ عذاب المشركين والكفّار متّصل فى النار بغير نفاد.

ويجب أن تؤخذ معالم الدين فى الغَيبة من أدلّة العقل، وكتاب اللَّه عزّ وجلّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۷

والأخبار المتواترة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعن الأئمّة عليهم السلام «۱» وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية، وإجماعها حجّة.

فأمّا عند ظهور الإمام عليه السلام فإنّه المفزع عند المشكلات، وهو المنبّه على العقليات، والمعرّف بالسمعيات، كما كان النبىّ صلى الله عليه و آله.

ولا يجوز استخراج الأحكام فى السمعيات بقياس ولا اجتهاد «۲».

أمّا العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كلّه ألّا يقنع بالتقليد فى الاعتقاد، وأن يسلك طريق التأمّل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه فى دينه أقلّ من نظره لنفسه فى دنياه؛ فإنّه فى أُمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكّر ويتأمّل، ويعتبر بذهنه، ويستدلّ بعقله، فيجب أن يكون فى أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر فى أمر الدين أعظم من الغرر فى أمر الدنيا.

فيجب أن لا يعتقد فى العقليات إلّاما صحّ عنده حقّه، ولا يسلّم فى السمعيات إلّا لمن ثبت له صدقه.

نسأل اللَّه حسن التوفيق برحمته، وألّا يحرمنا ثواب المجتهدين فى طاعته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۸

قد أثبتُّ لك يا أخى- أيّدك اللَّه- ما سألت، اقتصرت وما أطلت.

والذى ذكرت أصل لما تركت، والحمد للَّه وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسلّم «۱».

۷- العقائد الجعفريّة للشيخ الطوسى رحمه الله

۷- العقائد الجعفريّة للشيخ الطوسى رحمه الله

الشيخ الطوسى رحمه الله غنىّ عن التعريف، فهو شيخ الطائفة على الإطلاق وكان قد أخذ على يد المفيد والمرتضى، وقد ورد بغداد عام (۴۰۸ ه) وحضر فى أندية دروس أُستاذه المفيد، فلمّا لبّى الأُستاذ دعوة ربّه حضر لدى المرتضى إلى أن اشتغل بالتدريس والإفتاء فى عصره وبعده، وله رسائل وكتب كلامية قيّمة مفعمة بالتحقيق، ونحن نورد هنا جانباً مختصراً عمّا دوّنه فى عقائد الشيعة فى المسائل الآتية:

«المسألة ۱» معرفة اللَّه واجبة على كلّ مكلّف، بدليل أنّه منعم فيجب معرفته.

«المسألة ۲» اللَّه تعالى موجود، بدليل أنّه صنع العالم، وأعطاه الوجود، وكلّ من كان كذلك فهو موجود.

«المسألة ۳» اللَّه تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى أنّه لا يفتقر فى وجوده إلى غيره، ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنّه لو كان ممكناً لافتقر إلى صانع، كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود.

«المسألة ۴» اللَّه تعالى قديم أزلى، بمعنى أنّ وجوده لم يسبقه العدم. باقٍ أبدىّ، بمعنى أنّ وجوده لن يلحقه العدم.

«المسألة ۵» اللَّه تعالى قادر مختار، بمعنى أنّه إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۹

يترك ترك، بدليل أنّه صنع العالم فى وقت دون آخر.

«المسألة ۶» اللَّه تعالى قادر على كلّ مقدور، وعالم بكلّ معلوم، بدليل أنّ نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزّهة على السويّة، فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجّح، وهو محال.

«المسألة ۷» اللَّه تعالى عالم، بمعنى أنّ الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنّه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكلّ من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة.

«المسألة ۸» اللَّه تعالى يدرك لا بجارحة، بل بمعنى أنّه يعلم ما يُدرَك بالحواسّ، لأنّه منزّه عن الجسم ولوازمه، بدليل قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِك الأبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبيرُ «۱»

فمعنى قوله تعالى: إنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ «۲»

أنّه عالم بالمسموعات لا بإذن، وبالمبصرات لا بعين.

«المسألة ۹» اللَّه تعالى حىّ، بمعنى أنّه يصحّ منه أن يقدر ويعلم، بدليل أنّه ثبتت له القدرة والعلم وكلّ من ثبتت له ذلك فهو حىّ بالضرورة.

«المسألة ۱۰» اللَّه تعالى متكلّم لا بجارحة، بل بمعنى أنّه أوجد الكلام فى جرم من الأجرام، أو جسم من الأجسام، لإيصال عظمته إلى الخلق، بدليل قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللَّه مُوسى تَكْلِيماً «۳»

ولأنّه قادر، فالكلام ممكن.

«المسألة ۱۱» اللَّه تعالى صادق، بمعنى أنّه لا يقول إلّاالحقّ الواقع، بدليل أنّ كلّ كذب قبيح، واللَّه تعالى منزّه عن القبيح.

«المسألة ۱۲» اللَّه تعالى مريد، بمعنى أنّه رجح الفعل إذا علم المصلحة (يعنى أنّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۰

غير مضطر وأنّ إرادته غير واقعة تحت إرادة أُخرى، بل هى الإرادة العليا التى إن رأى صلاحاً فعل، وإن رأى فساداً لم يفعل، باختيار منه تعالى) بدليل أنّه ترك إيجاد بعض الموجودات فى وقت دون وقت، مع علمه وقدرته- على كلّ حال- بالسويّة. ولأنّه نهى، وهو يدلّ على الكراهة.

«المسألة ۱۳» أنّه تعالى واحد، بمعنى أنّه لا شريك له فى الأُلوهية، بدليل قوله:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «۱»

ولأنّه لو كان له شريك لوقع التمانع، ففسد النظام، كما قال: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلّااللَّه لَفَسَدَتَا «۲»

.

«المسألة ۱۴» اللَّه تعالى غير مركّب من شىء، بدليل أنّه لو كان مركّباً لكان مفتقراً إلى الأجزاء، والمفتقر ممكن.

«المسألة ۱۵» اللَّه تعالى ليس بجسم، ولا- عرض، ولا جوهر، بدليل أنّه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع، وهو محال.

«المسألة ۱۶» اللَّه تعالى ليس بمرئى بحاسّة البصر فى الدنيا والآخرة، بدليل أنّه تعالى مجرّد، ولأنّ كلّ مرئى لابدّ أن يكون له الجسم والجهة، واللَّه تعالى منزّه عنهما ولأنّه تعالى قال: لَنْ تَرَانِى «۳»

وقال: لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ «۴»

.

«المسألة ۱۷» اللَّه تعالى ليس محلّاً للحوادث، وإلّا لكان حادثاً، وحدوثه محال.

«المسألة ۱۸» اللَّه تعالى لا يتّصف بالحلول، بدليل أنّه يلزم قيام الواجب بالممكن، وذلك محال.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۱

«المسألة ۱۹» اللَّه تعالى لا- يتّحد بغيره؛ لأنّ الاتّحاد صيرورة الشىء واحداً من غير زيادة ونقصان، وذلك محال، واللَّه لا يتّصف بالمحال.

«المسألة ۲۰» اللَّه تعالى منفىّ عنه المعانى والصفات الزائدة، بمعنى أنّه ليس عالماً بالعلم، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كلّه، وقدرة كلّها)، بدليل أنّه لو كان كذلك لزم كونه محلّاً للحوادث لو كانت حادثة، وتعدّد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب إلى صفاته المغايرة له، فيصير ممكناً، وهو ممتنع.

«المسألة ۲۱» اللَّه تعالى غنىّ، بمعنى أنّه غير محتاج إلى ما عداه، والدليل عليه أنّه واجب الوجود لذاته، فلا يكون مفتقراً.

«المسألة ۲۲» اللَّه تعالى ليس فى جهة، ولا- مكان، بدليل أنّ كلّ ما فى الجهة والمكان مفتقر إليهما، وأيضاً قد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فلا يكون فى المكان والجهة.

«المسألة ۲۳» اللَّه تعالى ليس له ولد ولا صاحبة، بدليل أنّه قد ثبت عدم افتقاره إلى غيره، ولأنّ كلّ ما سواه تعالى ممكن، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات، ولقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ «۱»

و: مَثَلَ عِيسى عِندَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ «۲»

.

«المسألة ۲۴» اللَّه تعالى عدل حكيم، بمعنى أنّه لا يفعل قبيحاً، ولا يخلّ بالواجب بدليل أنّ فعل القبيح، والإخلال بالواجب نقص عليه، فاللَّه تعالى منزّه عن كلّ قبيح وإخلال بالواجب.

«المسألة ۲۵» الرضا بالقضاء والقدر واجب، وكلّ ما كان أو يكون فهو بالقضاء والقدر ولا يلزم بهما الجبر والظلم؛ لأنّ القدر والقضاء هاهنا بمعنى العلم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۲

والبيان، والمعنى أنّه تعالى يعلم كلّ ما هو (كائن أو يكون) «۱».

«المسألة ۲۶» كلّ ما فعله اللَّه تعالى فهو أصلح، وإلّا لزم العبث، وليس تعالى بعابث؛ لقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً «۲»

.

«المسألة ۲۷» اللّطف على اللَّه واجب؛ لأنّه خَلَق الخلق، وجَعَل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، (واللَّه لا يفعل القبيح) فاللطف هو نصب الأدلّة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل فى زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام؛ لئلّا ينقطع خيط غرضه.

«المسألة ۲۸» نبيّنا محمّد بن عبد اللَّه بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حقّاً صدقاً، بدليل أنّه ادّعى النبوّة وأظهر المعجزات على يده، فثبت أنّه رسول حقّاً، وأكبر المعجزات القرآن الحميد والفرقان المجيد، الفارق بين الحقّ والباطل، باق إلى يوم القيامة، حجّة على كافّة النسمة.

ووجه كونه معجزاً: فرط فصاحته وبلاغته، بحيث ما تمكّن أحد من أهل الفصاحة والبلاغة حيث تُحُدّوا به، أن يأتوا ولو بسورة مصغّرة، أو آية تامّة مثله.

«المسألة ۲۹» كان نبياً على نفسه قبل البعثة، وبعده رسولًا إلى كافة النسمة لأنّه قال: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» وإلّا لزم تفضيل المفضول، وهو قبيح.

«المسألة ۳۰» جميع الأنبياء كانوا معصومين، مطهّرين عن العيوب والذنوب كلّها، وعن السهو والنسيان فى الأفعال والأقوال، من أوّل الأعمار إلى اللحد، بدليل أنّهم لو فعلوا المعصية أو يطرأ عليهم السهو لسقط محلُّهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائدة النبوّة، فما ورد فى الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التأويل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۳

«المسألة ۳۱» يجب أن يكون الأنبياء أعلم وأفضل أهل زمانهم؛ لأنّ تفضيل المفضول قبيح.

«المسألة ۳۲» نبيّنا خاتم النبيين والمرسلين، بمعنى أنّه لا نبىّ بعده إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ما كَانَ مُحَمَّداً أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيّينَ «۱»

.

«المسألة ۳۳» نبيّنا أشرف الأنبياء والمرسلين؛ لأنّه ثبتت نبوّته، وأخبر بأفضليته فهو أفضل، لمّا قال لفاطمة عليها السلام: «أبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصياء، وأنت سيدة نساء العالمين، وولدك الحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما» «۲».

«المسألة ۳۴» معراج الرسول بالجسم العنصرى علانية، غير منام، حقّ، والأخبار عليه بالتواتر ناطقة، صريحة، فمنكره خارج عن الإسلام، وأنّه مرّ بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والالتيام، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالّها.

«المسألة ۳۵» دين نبيّنا ناسخ للأديان السابقة؛ لأنّ المصالح تتبدّل حسب الزمان والأشخاص كما تتبدّل المعالجات لمريض بحسب

تبدّل المزاج والمرض.

«المسألة ۳۶» الإمام بعد نبيّنا علىٌ بن أبى طالب عليه السلام بدليل قوله صلى الله عليه و آله: «يا على أنت أخى ووارث علمى وأنت الخليفة من بعدى، وأنت قاضى دينى، وأنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه لا نبىّ بعدى» «۳»، وقوله: «سلّموا على علىّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۴

بإمرة المؤمنين، واسمعوا له وأطيعوا له، وتَعَلّموا منه ولا تُعَلّموه» «۱»، وقوله:

«من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» «۲».

«المسألة ۳۷» الأئمّة بعد علىّ عليه السلام أحد عشر من ذرّيته: الأوّل منهم ولده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علىّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علىّ بن موسى، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ علىّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن علىّ، ثمّ الخلف الحجّة القائم المهدى الهادى ابن الحسن صاحب الزمان، فكلّهم أئمّة الناس واحد بعد واحد، حقّاً، بدليل أنّ كل إمام منهم نصّ على من بعده نصّاً متواتراً بالخلافة، وقوله: «الحسين إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو الأئمّة التسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً».

«المسألة ۳۸» يجب أن يكون الأئمّة معصومين مطهّرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة عمداً وسهواً، ومن السهو فى الأفعال والأقوال، بدليل أنّه لو فعلوا المعصية لسقط محلّهم من القلوب، وارتفع الوثوق، وكيف يهدون بالضالّين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمّة الاثنى عشر إجماعاً، فثبت إمامتهم.

«المسألة ۳۹» يجب أن يكون الأئمّة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول، أو الترجيح بلا مرجّح، ولا يحصل الانقياد به، وذلك قبيح عقلًا ونقلًا، وفضل أئمّتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس.

«المسألة ۴۰» يجب أن نعتقد أنّ آباء نبيّنا وأئمّتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالأخبار عند أهل البيت على إسلام أبى طالب مقطوعة، وسيرته

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۵

تدل عليه، ومثله مثل مؤمن آل فرعون.

«المسألة ۴۱» الإمام المهدى المنتظر محمّد بن الحسن قد تولّد فى زمان أبيه، وهو غائب حىّ باق إلى بقاء الدنيا؛ لأنّ كلّ زمان لابدّ فيه من إمام معصوم لما انعقد عليه إجماع الأُمّة على أنّه لا يخلو زمان من حجّة ظاهرة مشهورة أو خافية مستورة، ولأنّ اللطف فى كلّ زمان واجب، والإمام لطف، فوجوده واجب.

«المسألة ۴۲» لا استبعاد فى طول عمره؛ لأنّ غيره من الأُمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعداً، كشعيب ونوح ولقمان وخضر وعيسى عليهم السلام وإبليس والدجّال، ولأنّ الأمر ممكن، واللّه قادر على جميع الممكنات.

«المسألة ۴۳» غيبة المهدى لا تكون من قبل نفسه؛ لأنّه معصوم، فلا يخلّ بواجب، ولا من قبل اللّه تعالى، لأنّه عدل حكيم، فلا يفعل القبيح؛ لأنّ الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد عن الإفادات قبيحان. فغيبته لكثرة العدوّ والكافر، ولقلّة الناصر.

«المسألة ۴۴» لابدّ من ظهور المهدى، بدليل قول النبى صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدنيا إلّاساعة واحدة لطوّل اللّه تلك الساعة حتّى يخرج رجل من ذرّيتى، اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً» «۱».

ويجب على كلّ مخلوق متابعته.

«المسألة ۴۵» فى غيبة الإمام فائدة، كما تنير الشمس تحت السحاب، والمشكاة من وراء الحجاب.

«المسألة ۴۶» إنّ اللّه يعيد الأجسام الفانية كما هى فى الدنيا، ليوصل كلّ حق إلى المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيّما القرآن المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالاعتقاد بالمعاد الجسمانى واجب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۶

«المسألة ۴۷» كلّ ما أخبر به النبيّ أو الإمام فاعتقاده واجب، كإخبارهم عن نبوّة الأنبياء السابقين، والكتب المنزلة، ووجود الملائكة، وأحوال القبر وعذابه وثوابه، وسؤال منكر ونكير، والإحياء فيه، وأحوال القيامة وأهوالها، والنشور، والحساب والميزان، والصراط، وإنطاق الجوارح، ووجود الجنّة والنار، والحوض الذى يسقى منه أمير المؤمنين العطاشى يوم القيامة، وشفاعة النبى والأئمّة لأهل الكبائر من محبّيه، إلى غير ذلك، بدليل أنّه أخبر بذلك المعصومون.

«المسألة ۴۸» التوبة- وهى الندم على القبيح فى الماضى، والترك فى الحال، والعزم على عدم المعاودة إليه فى الاستقبال- واجبة، لدلالة السمع على وجوبها، ولأنّ دفع الضرر واجب عقلًا.

«المسألة ۴۹» الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واجبان، بشرط تجويز التأثير والأمن من الضرر «۱».

ما هو الهدف من نقل هذه الرسائل؟

ما هو الهدف من نقل هذه الرسائل؟

۱- إنّ هذه الرسائل تدلّ بوضوح لا يقبل الشكّ أنّ جلّ عقائد الشيعة تمتد جذورها الحقيقية فى كتاب اللَّه المنزل وسنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وما جاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأنّ صورة هذه العقائد كانت تبدو واضحة المعالم ومستوعبة لجميع الجوانب المرتبطة بالمعارف الإلهية.

۲- تنبثّ فى ثنايا هذه الرسائل آراء خاصّة لمؤلّفيها، ربّما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهم من علماء الشيعة، فليس كلّ ما جاء فيها عقيدة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۷

لجميع علماء الشيعة ومؤلّفيهم، إلّاأنّ ما يهمّنا من الإشارة إليه هو أنّ هذه الرسائل تمثّل عقائد الشيعة فى مجال صفات اللَّه سبحانه وأفعاله، وما يرجع إلى النبوّة والإمامة، والحياة الأُخروية، خصوصاً فيما يرجع إلى الاعتقاد بمقامات الأئمّة وصفاتهم. فمن يريد أن يتعرّف بوضوح على عقائد الشيعة فليرجع إليها.

۳- إنّ الإمعان فى الأُصول التى جاءت فى هذه الكتب والرسائل يعرب عن اتّفاق الشيعة فى أكثر مسائلهم العقائدية مع عموم عقائد المسلمين. وإن كانوا يختلفون عنهم فى أُصول تختصّ بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول.

وسنحاول فى الصفحات اللاحقة أن نستعرض أهمّ الفوارق الجوهرية بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، والتى لا يمكن أن تكون حدّاً فاصلًا دون التقارب بين هذه المذاهب ونبذ الاختلاف بينها، والذى لن يفيد إلّاأعداء هذا الدين والمتربّصين به، وسنشرع فى أوّل بحثنا المقتضب هذا فى تحديد الاختلافات التى أشرنا إليها بين الشيعة والمعتزلة، وبين الشيعة والأشاعرة، وذلك لما كانت تؤلّفه هاتان الفرقتان من جبهة واسعة من جمهور المسلمين إبّان تلك العصور السالفة.

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

إنّ المتأمّل فى مجمل عقائد هاتين الفرقتين يمكنه أن يتبيّن بوضوح جوانب الاتفاق والاختلاف فيما بينهما، وهو ما سنحاول أن نشير إليه اختصاراً فى نقاط محدّدة واضحة، وإذا كان البعض قد اعتقد جهلًا بأنّ الشيعة قد أخذت عقائدها عن المعتزلة فإنّه يردّ بأكثر من دليل، نحن فى غنى عن إيرادها الآن، إلّاأنّه لا ينفى أنّ بين هاتين الطائفتين أُصول مشتركة نذكرها فى حينها، وهو ما قد يتّفق مع غير

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۸

ذلك من فرق المسلمين المختلفة:

۱- الشفاعة: أجمع المسلمون كافّة على ثبوت أصل الشفاعة وأنّها تقبل من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، إلّاأنّهم اختلفوا فى تعيين المشفَّع، فقالت الإمامية والأشاعرة:

إنّ النبىّ يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم أو بإخراجهم من النار، وقالت المعتزلة: لا يشفع إلّاللمطيعين، المستحقّين للثواب، وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة.

۲- مرتكب الكبيرة: هو عند الإمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلته بين المنزلتين؛ أى بين الكفر والإيمان.

۳- الجنّة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة يذهب إلى أنّهما غير موجودتين.

۴- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: اتّفق المسلمون على وجوبهما، فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سمعاً، ولولا النص لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: بوجوبهما عقلًا.

۵- الإحباط: اتّفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، وقالوا: لكلّ عمل حسابه الخاصّ، ولا ترتبط الطاعات بالمعاصى ولا المعاصى بالطاعات، والإحباط يختصّ بذنوب خاصة كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا:

إنّ المعصية المتأخّرة تسقط الثواب المتقدم، فمن عَبَدَ اللَّه طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم يعبد اللَّه أبداً.

۶- الشرع والعقل: تشدّدت المعتزلة فى تمسّكهم بالعقل، وتشدّد أهل الظاهر فى تمسكهم بظاهر النصّ، وخالفهما الإمامية والأشاعرة، فأعطوا للعقل سهماً فيما له مجال القضاء، نعم أعطت الإمامية للعقل مجالًا أوسع ممّا أعطته الأشاعرة.

وسيوافيك تفصيله عند ذكر اختلاف الإمامية مع الأشاعرة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۹

۷- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبة بفضل من اللَّه ولا يجب عقلًا إسقاطها للعقاب، وقالت المعتزلة: إنّ التوبة مسقطة للعقاب على وجه الوجوب.

۸- اتفقت الإمامية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

۹- اتفقت الإمامية على أنّ الانسان غير مسيّر ولا مفوّض إليه، بل هو فى ذلك المجال بين أمرين، بين الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزلة على التفويض.

۱۰- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّه لابدّ فى أوّل التكليف وابتدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أنّ العقول تعمل بمجردها عن السمع.

هذه هى الأُصول التى خالفت الإمامية فيها المعتزلة ووافقت فيها الأشاعرة، وهناك أُصول أُخرى تجد فيها موافقة الإمامية للمعتزلة ومخالفتها للأشاعرة، وإليك بعضها:

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

هناك أُصول خالفت الإمامية فيها الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمّتهم، ونذكر المهم منها:

۱- اتّحاد الصفات الذاتية مع الذات: إنّ للَّه سبحانه صفاتٍ ذاتية كالعلم والقدرة، فهى عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائدة عليها، وهى عند الإمامية والمعتزلة متّحدة مع الذات.

۲- الصفات الخبرية الواردة فى الكتاب والسنّة، كالوجه والأيدى والاستواء وأمثالها، فالشيعة الإمامية يؤوّلونها تأويلًا مقبولًا لا تأويلًا

مرفوضاً؛ أى أنّها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۰

تأخذ بالمفهوم التصديقى للجملة لا بالمفهوم التصوّرى للمفردات، فيقولون: إنّ معنى: بَل يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء «۱» معناه: أنّه برىء من البخل، بل هو باذل وسخىّ، وقادر على البذل. وأمّا الأشاعرة فهم يفسّرونها بالمفهوم التصوّرى ويقولون: إنّ للّه سبحانه يدين، إلّاأنّهم يتهرّبون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف.

۳- أفعال العباد عند الإمامية صادرة من نفس العباد، صدوراً حقيقياً بلا مجاز أو توسّع، فالإنسان هو الضارب، هو الآكل، هو القاتل، هو المصلّى، هو القارئ وهكذا، وقد قلنا: إنّ استعمال كلمة «الخلق» فى أفعال الإنسان استعمال غير صحيح، فلا يقال: خلقت الأكل والضرب والصوم والصلاة، وإنّما يقال: فعلتها، فالصحيح أن يقال: إنّ الإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مكتسبة من اللّه، وإنّ قدرته المكتسبة هى المؤثّرة بإذن من اللّه سبحانه.

وأمّا الأشاعرة فذهبوا إلى أنّ أفعال العباد مخلوقة للّه سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور، وليس لقدرته أىّ تأثير فى تحقّق الفعل، وأقصى ما عندهم أنّ إرادة الإنسان للعقل تقارن إيجاد اللّه سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود.

إلّا أنّهم وتحاشياً من الذهاب إلى الجبر فى تلك الأفعال وبالتالى إقصاء الإنسان عن أفعاله، ومن ثمّ براءته من مسؤوليتها عمدوا إلى ابتداع نظرية الكسب المعقدة فقالوا: إنّ اللّه هو الخالق والإنسان هو الكاسب، إلّاأنّها نظرية غريبة غير مفهومة، ومليئة بالألغاز التى عجز عن فهمها وإيضاحها حتّى مبتدعوها أنفسهم.

۴- إنّ الاستطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقدّم عليه أُخرى؛ فلو أُريد من القدرة العلّة التامّة فهى مقارنة، ولو أُريد العلّة الناقصة فهى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۱

متقدّمة، خلافاً للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقاً.

۵- رؤية اللّه بالأبصار فى الآخرة: فهى مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الأشاعرة.

۶- كلامه سبحانه عند الإمامية هو فعله، فهو حادث لا قديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

۷- التحسين والتقبيح العقليان: ذهبت الإمامية إلى أنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أى فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو ممكناً، يتّصف بأحدهما، فيرى مقابلة الإحسان بالإحسان أمراً حسناً، ومقابلته بالإساءة أمراً قبيحاً، ويتلقّاه حكماً مطلقاً سائداً على مرّ الحقب، والأزمان، لا يغيّره شىء، وهذا خلافاً للأشاعرة؛ فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح، وبذلك خالفوا الإمامية والمعتزلة فى الفروع المترتّبة عليه.

هذه هى الأُصول التى تخالف فيها الإمامية الأشاعرة، وربّما توافقهم المعتزلة فى جميعها أو أكثرها، كلّ ذلك يثبت أنّ للشيعة الإمامية منهجاً كلامياً خاصّاً نابعاً من الكتاب والسنّة، وكلمات العترة الطاهرة والعقل فيما له مجال القضاء، وليست الشيعة متطفّلة فى منهجها الكلامى على أيّة من الطائفتين. وأنت إذا وقفت على الكتب الكلامية المؤلّفة فى العصور المتقدّمة من عصر فضل بن شاذان (ت ۲۶۰ ه) إلى عصر شيخنا الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) ومن بعده بقليل، تجد منهجاً كلامياً مبرهناً متّزناً واضحاً لا تعقيد فيه ولا غموض، وعلى تلك الأُصول وذلك المنهج درج علماؤهم المتأخّرون فى الأجيال التالية، فألّف الشيخ الحلبى (۳۷۴- ۴۴۷ ه) «تقريب المعارف» والشيخ سديد الدين الحمصى (ت ۶۰۰ ه) كتابه «المنقذ من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۲

التقليد»، وتوالى بعدهم التأليف على يد الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسى (۵۹۷- ۶۷۲ ه) وابن ميثم البحرانى (ت ۵۸۹ ه) فى

«تقريب المعارف»، وتلميذه العلّامة الحلّى (۶۴۸- ۷۲۶ ه) فى جملة من المؤلّفات القيّمة. وهكذا... فإنّ كلّ ذلك يكشف عن أنّ الأئمّة طرحوا أُصول العقائد، وغذّوا أصحابهم وتلاميذهم بمعارف سامية، اعتبر الحجر الأساس للمنهج الكلامى الشيعى، وتكامل المنهج من خلال الجدل الكلامى والنقاش العلمى فى الظروف المتأخّرة فوصل إلى الذروة والقمّة.

فالناظر فى الكتب الكلامية للسيّد الشريف المرتضى ك «الشافى» «۱» و «الذخيرة» «۲» يجد منبعاً غنيّاً بالبحوث الكلامية، كما أنّ الناظر فى كتب العلّامة الحلّى المختلفة ك «كشف المراد» «۳» و «نهاية المرام» «۴» وغيرهما يقف على أفكار سامية أنضجها البحث والنقاش عبر القرون، فبلغت غايتها القصوى.

وقد توالى التأليف فى عقائد الشيعة وأُصولهم من العصور الأُولى إلى يومنا هذا، بشكل واسع لا يحصيه إلّامحصى قطرات المطر وحبّات الرمال.

هذا وإنّ الشيعة وإن خالفوا فى هذه الأُصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف أُخرى، ولكن هناك أُصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، وهو ظاهر لمن قرأ ما أثبتناه من الرسائل والكتيبات.

أفما آن للمسلمين أن يتّحدوا فى ظلّ هذه الأُصول المؤلّفة لقلوبهم، ويستظلّوا بظلالها، ويتمسّكوا بالعروة الوثقى، ويكون شعارهم: إنّما المؤمنون إخوة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۳

فَأَصلِحوا بينَ أخويكم ولا يصغوا إلى النعرات المفرّقة، المفترية على الشيعة وأئمّتهم، وليكن شعارنا فى التأليف: التحقيق والتأكّد من عقائد الآخرين، ثمّ التدوين.

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين، فهلمّ معى إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التى صيّرتهم إلى فرقتين متمايزتين، وأكثرها يرجع إلى مسألة القيادة والخلافة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۴

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

تتّفق جميع الفرق الإسلامية على وجوب نصب الإمام، سوى العجاردة من الخوارج، ومنهم حاتم الأصمّ أحد شيوخ المعتزلة (ت ۲۳۷) «۱» قد شذّوا عن ذلك، واعتقاد المسلمين بذلك يفترق إلى مذهبين اثنين فى ماهيّة هذا الوجوب، فالشيعة يذهبون إلى وجوبه على اللَّه تعالى، وباقى الفرق على الأُمّة؛ فوجوب نصب الإمام لا خلاف فيه بين المسلمين، وإنّما الكلام فى تعيين من يجب عليه ذلك.

وليس المراد من وجوبه على اللَّه سبحانه، هو إصدار الحكم من العباد على اللَّه سبحانه، حتّى يقال: إِنِ الحُكْمُ إِلّااللَّه «۲»

بل المراد كما ذكرنا غير مرّة: أنّ العقل- حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث- يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب أو عدمه، وإلّا فالعباد أقصر من أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۵

يكونوا حاكمين على اللَّه سبحانه.

ثمّ إنّ اختلاف المسلمين فى كون النصب فرضاً على اللَّه أو على الأُمّـة ينجم عن اختلافهم فى حقيقـة الخلافة والإمامة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. فمن ينظر إلى الإمام بوصـفه رئيس دولـة ليس له وظيفة إلّاتأمين الطرق والسـبل، وتوفير الأرزاق، وإجراء الحدود، والجهاد فى سبيل اللَّه، إلى غير ذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول بأشـكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأُمّة؛ إذ لا يشترط فيه من المواصفات إلّاالكفاءة والمقدرة على تدبير الأُمور، وهذا ما يمكن أن تقوم به الأُمّة الإسلامية.

وأمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة (لا لنفس الرسالة فإنّ الرسالة والنبوّة مختومتان بالتحاق النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بـالرفيق الأـعلى) فمن المتّفق عليه أنّ تعهّـد هـذا الأمر يتوقّف على توفّر صـلاحيات عاليـة لا ينالها الفرد إلّاإذا حظى بعنايـة إلهية خاصّـة، فيخلف النبىّ فى علمه بالأُصول والفروع، وفى سدّ جميع الفراغات الحاصـلة بموته، ومن المعلوم أنّ هـذا الأمر لا تتعرّف عليه الأُمّة إلّاعن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلّابتربية غيبيَّة وعناية سماوية خاصّة.

وهكـذا فلاـ يخفى أنّ كون القيـادة الإسـلامية بعـد النبىّ صـلى الله عليه و آله بيـد اللَّه أو بيـد الأُمّـة، أو أنّ التعيين هـل هو واجب عليه سبحانه أو عليهم، ينجم عن الاختلاف فى تفسير ماهية الخلافة.

فمن جعلها سياسة زمنيـة وقتية يشـغلها فرد من الأُمّة بأحد الطرق، قال فى حقّه: «لا ينخلع الإمام بفسـقه وظلمه بغصب الأموال وضـرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمـة، وتضـييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه، وترك طاعته فى شىء ممّا يدعو إليه من معاصى اللَّه» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۶

ومن قـال: بأنّ الإمام بعـد الرسول أشـبه برئيس الدولـة أو أحـد الحكام، وتنتخبه الأُمّـة الإسـلامية، قال فى حقّه: «ولا نرى الخروج على أئمتنـا وولاة أُمورنا وإن جاروا، ولا نـدعو عليهم، ولا ننزع يـداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعـة اللَّه فريضـة ما لم يأمروا بمعصـية، ونـدعو لهم بالصـلاح والمعافـاة. والحـجّ والجهاد ماضـيان مع أُولى الأمر من المسـلمين، برّهم وفاجرهم، إلى قيام الساعـة، ولا يبطلهما شىء، ولا ينقضهما» «۱».

وقد درج على هذه الفكرة متكلّمو السنّة ومحدّثوهم، حتّى قال التفتازانى:

«ولاـ ينعزل الإمام بالفسق، أو بالخروج عن طاعـة اللَّه تعالى، والجور (الظلم على عباد اللَّه) لأنّه قـد ظهر الفسق وانتشـر الجور من الأئمّة والأُمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، ونقل عن كتب الشافعيـة: أنّ القاضـى ينعزل بالفسق بخلاف الإمام، والفرق أنّ فى انعزاله ووجوب نصب غيره إثارة الفتنـة؛ لما له من الشوكة؛ بخلاف القاضى» «۲».

أمّا من فسّر الإمامة بأنّها عبارة عن إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوّة كلّها سوى تحمّل الوحى الإلهى، فلا مناص له عن القول بوجوب نصبه على اللَّه سبحانه.

وقد اسـتدلّت الإمامية على وجوب نصب الإمام على اللَّه سبحانه: بأنّ وجود الإمام الذى اختاره اللَّه سبحانه، مقرّب من الطاعات، ومبعد عن المعاصى، وقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۷

أوضـحوه فى كتبهم الكلاميـة. والمراد من اللطف المقرّب هنـا ما عرفت من أنّ رحلـة النبى الأكرم تترك فراغات هائلـة بين الأُمّـة فى مجالى العقيـدة والشـريعة، كما تترك جدالًا ونزاعاً عنيفاً بين الأُمّة فى تعيين الإمام. فالواجب على اللَّه سبحانه من باب اللطف هو سـدّ هـذه الفراغـات بنصب من هو صـنو النـبىّ الأـكرم صـلى الله عليه و آله فى علمه بالعقيـدة والشـريعة، وفى العدالـة والعصـمة، والتـدبير والحنكة، وحسم مادة النزاع المشتعل برحلة الرسول صلى الله عليه و آله، ولمّ شعث الأُمّة، وجمعهم على خطّ واحد.

والغريب أنّ المعتزلة الذين يذهبون إلى وجوب اللطف والأصلح على اللّه سبحانه، يشذّون فى هذا المقام عن معتقدهم هذا، مع العلم بأنّ هذا المورد من جزئياته، والذى منعهم عن الالتزام بالقاعدة فى المقام بأنّهم لو قالوا بها فى هذه المسألة لزمهم أن يقولوا بعدم صحّة خلافة الخلفاء المتقدّمين على علىّ؛ لأنّ قاعدة اللطف تقتضى أن يكون الخليفة منصوصاً عليه من اللّه سبحانه.

ثمّ إنّك قد تعرّفت على أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله- و بوحى من اللّه سبحانه- قام بتطبيق القاعدة، ونصب إماماً للأُمّة؛ ليقود أمرهم ويسدّ جميع الفراغات الحاصلة بلحوقه بالرفيق الأعلى، وبذلك حسم مادة النزاع، وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنّه- وللأسف- تناست الأُمّة وصيّة الرسول صلى الله عليه و آله وأمره، فانقسموا إلى طوائف وأحزاب، وقامت بينهم المعارك والحروب التى أُريقت فيها الدماء، واستبيحت بسببها الأعراض، وتبدّلت نتيجة لذلك المفاهيم، واختلفت القيم، واستثمر أعداء الدين هذه الاختلافات بين المسلمين فعمدوا إلى زيادة الهوّة بينهم وكرّسوا لذلك أقصى جهودهم حتّى أصبح التقريب فضلًا عن الوحدة أمراً متعسّراً على المفكّرين، نسأل اللّه سبحانه أن يسدّ تلك الفجوة العميقة بإيقاظ شعور علماء الأُمّة ومصلحيهم فى المستقبل القريب إن شاء اللّه تعالى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۸

المسألة الثانية: عصمة الإمام

المسألة الثانية: عصمة الإمام

اشارة

المسألة الثانية: عصمة الإمام

تفرّدت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذنب والخطأ، مع اتّفاق غيرهم على عدمها.

قال الشيخ المفيد: إنّ الأئمّة معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلّاما قدّم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، ولا يدخل فى مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصى، ولا كون المعصوم مضطرّاً إلى فعل الطاعات؛ فإنّ ذلك يستدعى بطلان الثواب والعقاب.

هذه هى عقيدة الإمامية فى الإمامة، و قد استدلّوا عليها بوجوه من العقل والسمع.

أمّا العقل فقالوا: إنّ الإمام منفّذ لما جاء به الرسول، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرّسول كلّها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب، لا يحصل الغرض من إمامته.

حقيقة العصمة

حقيقة العصمة

العصمة قوّة تمنع صاحبها من الوقوع فى المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرّماً، مع قدرته على الترك والفعل، وإلّا لم يستحقّ مدحاً ولا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۹

ثواباً، وإن شئت قلت: إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم فى الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

وليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنّما دلّهم عليها فى حقّ العترة الطاهرة كتاب اللّه وسنّة رسوله، قال سبحانه: إنَّما يُرِيدُ اللّه

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱»

وليس المراد من الرجس إلّاالرجس المعنوى، وأظهره هو الفسق.

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «على مع الحقّ والحقّ مع علىّ يدور معه كيفما دار» «۲»

ومن دار معه الحقّ كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ، وقوله صلى الله عليه و آله فى حقّ العترة:

«إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً» «۳»

فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام اللَّه تعالى، فمن المنطقى أن تكون معصومة كالكتاب، لا يخالف أحدهما الآخر.

وإذا توضّحت الصورة الحقيقية لتبلور عقيدة العصمة عند الشيعة، وإنّ منشأها هو الكتاب والسنّة، فإنّ هذا الوضوح لم يتحسّسه البعض، بل ولم يكلّف نفسه عناء التثبّت من حقيقة مدّعياته وتصوّراته، حيث يقول:

«إنّ عقيدة العصمة تسرّبت إلى الشيعة من الفرس الذين نشأوا على تقديس الحاكم، لهذا أطلق عليها العرب النزعة الكسروية، ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك فى حدود اطّلاعى، ولعلّ غالبية الشيعة كانت ترمى من وراء هذه الفكرة إلى تنزيه علىّ من الخطأ حتّى يتضح للملأ عدوان بنى أُمية فى اغتصاب الخلافة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۰

هذا وفى اليهودية كثير من المذاهب التى تسرَّبت إلى الشيعة» «۱».

هكذا ودون أىّ دليل وبيّنة متناسياً أنّ جميع المسلمين يذهبون إلى عصمة النبىّ صلى الله عليه و آله ولا يختلف فى ذلك أحد، فهل إنّ هذه الفكرة تسرّبت إلى أهل السنّة من اليهود؟! أو أنّ المسلمين أرادوا بذلك إيضاح عداوة قريش للنبىّ صلى الله عليه و آله؟ أو غير ذلك من التخرصات الباطلة؟!!

لا واللَّه إنّها عقيدة إسلامية واقتبسها القوم من الكتاب والسنّة من دون أخذ من اليهود والفرس، فما ذكره الكاتب تخرُّص بالغيب، بل فرية واضحة.

إنّ الاختلاف فى لزوم توصيف الإمام وعدمه، ينشأ من الاختلاف فى تفسير الإمامة بعد الرسول وماهيتها وحقيقتها كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فمن تلقّى الإمامة- بعد الرسول- بأنّها مقام عرفى لتأمين السبل، وتعمير البلاد، وإجراء الحدود، فشأنه شأن سائر الحكّام العرفيّين. وأمّا من رأى الإمامة بأنّها استمرار لتحقيق وظيفة الرسالة، وأنّ الإمام ليس نبيّاً ولا يوحى إليه، لكنّه مكلّف بملء الفراغات الحاصلة برحلة النبىّ صلى الله عليه و آله، فلا محيص له عن الالتزام بها؛ لأنّ الغاية المنشودة لا تحصل بلا تسديد إلهى كما سيوافيك، نعم إنّ أهل السنّة يتحرَّجون من توصيف الإمام بالعصمة، ويتصوّرون أنّ ذلك يلازم النبوّة، وما هذا إلّاأنّهم لا يفرّقون بين الإمامتين، وأنّ لكلٍّ معطياته. والتفصيل موكول إلى محلّه.

الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله

الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله

يمكن الاستدلال على لزوم العصمة فى الإمام بوجوه متعدّدة نورد أهمها:

الأوّل: إنّ الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوّة والرسالة، وكان الإمام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۱

يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأنّ تجويز المعصية يتنافى مع الغاية التى لأجلها نصبه اللَّه سبحانه إماماً للأُمّة؛ فإنّ الغاية هى هداية الأُمّة إلى الطريق المهيع، ولا يحصل ذلك إلّا بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت

ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الذى استدلّ به المتكلّمون على عصمة الأنبياء، والإمام وإن لم يكن رسولًا ولا نبيّاً ولكنّه قائم بوظائفهما.

نعم لو كانت وظيفة الإمام مقتصرة على تأمين السبل وغزو العدو والانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلًا عادلًا قائماً بالوظائف الدينية، وأمّا إذا كانت وظيفته أوسع من ذلك- كما هو الحال فى مورد النبىّ صلى الله عليه و آله- فكون الإمام عادلًا قائماً بالوظائف الدينية، غير كاف فى تحقيق الهدف المنشود من نصب الإمام.

فقد كان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يفسّر القرآن الكريم ويشرح مقاصده وأهدافه ويبيّن أسراره، كما كان يجيب على الأسئلة فى مجال الموضوعات المستحدثة، وكان يردّ على الشبهات والتشكيكات التى كان يلقيها أعداء الإسلام، وكان يصون الدين من محاولات التحريف والتغيير، وكان يربّى المسلمين ويهذّبهم ويدفعهم نحو التكامل.

فالفراغات الحاصلة من رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا تسدّ إلّابوجود إنسان مثالى يقوم بتلك الواجبات، وهو فرع كونه معصوماً عن الخطأ والعصيان «۱».

الثانى: قوله سبحانه: أَطِيعُوا اللَّه وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ» «۲».

والاستدلال مبنى على دعامتين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۲

۱- إنّ اللَّه سبحانه أمر بطاعة أُولى الأمر على وجه الإطلاق؛ أى فى جميع الأزمنة والأمكنة، وفى جميع الحالات والخصوصيات، ولم يقيّد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشىء كما هو مقتضى الآية.

۲- إنّ من الأمر البديهى كونه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان: ولا يَرْضى لِعِبادِهِ الكُفْر «۱»

من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخّل أمر آمر أو نهى ناهٍ، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهى من أُولى الأمر.

فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين (وجوب إطاعة أُولى الأمر على وجه الإطلاق، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتّصف أُولو الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الإطلاق، بخصوصية ذاتية وعناية إلهية ربّانية، تصدّهم عن الأمر بالمعصية والنهى عن الطاعة. وليس هذا إلّاعبارة أُخرى عن كونهم معصومين، وإلّا فلو كانوا غير واقعين تحت تلك العناية، لما صحّ الأمر بإطاعتهم على وجه الإطلاق بدون قيد أو شرط. فنستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة.

وممّن صرّح بدلالة الآية على العصمة الإمام الرازى فى تفسيره، ويطيب لى أن أذكر نصّه حتّى يمعن فيه أبناء جلدته وأتباع طريقته، قال:

إنّ اللَّه تعالى أمر بطاعة أُولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر اللَّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللَّه بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهىّ عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ اللَّه تعالى أمر بطاعة أُولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر اللَّه بطاعته على سبيل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۳

الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولى الأمر المذكور فى هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً «۱».

بيد أنّ الرازى، وبعد أن قادته استدلالاته المنطقية إلى هذه الفكرة الثابتة المؤكّدة لوجوب العصمة بدأ يتهرّب من تبعة هذا الأمر، ولم يستثمر نتائج أفكاره، لا لسبب إلّالأنّها لا توافق مذهبه فى تحديد الإمامة، فأخذ يؤوّل الآية ويحملها على غير ما ابتدأه وعمد إلى إثباته، حيث استدرك قائلًا بأنّا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليه، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه، فإذا كان الأمر كذلك، فالمراد ليس بعضاً من أبعاض الأُمّة، بل المراد هو أهل الحلّ والعقد من الأُمّة.

إلّا أنّ ادّعاءه هـذا لا يصـمد أمام الحقيقـة القويّة التى لا خفاء عليها، وفى دفعه ذلك الأمر مغالطة لا يمكن أن يرتضـيها هو نفسه، فإنّه إذا دلّت الآيـة على عصـمة أُولى الأمر فيجب علينا التعرّف عليهم، وادّعاء العجز هروب من الحقيقـة، فهل العجز يختص بزمانه أو كان يشـمل زمـان نزول الآيـة؟ لاـ أظنّ أن يقول الرازى بالثـانى. فعليه أن يتعرّف على المعصوم فى زمان النبىّ صـلى الله عليه و آله وعصـر نزول الآيـة، وبالتعرّف عليه يعرف معصوم زمانه، حلقة بعد أُخرى، ولا يعقل أن يأمر الوحى الإلهى بإطاعة المعصوم ثمّ لا يقوم بتعريفه حين النزول، فلو آمن الرازى بدلالـة الآية على عصـمة أُولى الأمر فإنّه من المنطقى والمعقول له أن يؤمن بقيام الوحى الإلهى بتعريفهم بواسطة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؛ إذ لا معنى أن يأمر اللّه سبحانه بإطاعة المعصوم، ولا يقوم بتعريفه.

ثمّ إنّ تفسير أُولى الأمر بأهل الحلّ والعقد، تفسير للغامض- حسب نظر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۴

الرازى- بما هو أشد غموضاً؛ إذ هو ليس بأوضح من الأوّل، فهل المراد منهم:

العساكر والضبّاط، أو العلماء والمحدّثون، أو الحكام والسياسيون، أو الكلّ؟ وهل اتّفق إجماعهم على شـىء، ولم يخالفهم لفيف من المسلمين؟

إذا كانت العصـمة ثابتة للأُمّة عند الرازى كما علمت، فهناك من يرى العصـمة لجماعة من الأُمّة كالقرّاء والفقهاء والمحدّثين، هذا هو ابن تيميـة يقـول فى ردّه على الشيعة عنـد قولهم: إنّ وجود الإمـام المعصوم لاـ بـدّ منه بعـد موت النـبىّ يكون حافظاً للشـريعة ومـبيّناً أحكامها خصوصاً أحكام الموضوعات المتجدّدة، حيث يقول:

إنّ أهل السـنّة لا يسـلّمون أن يكون الإمام حافظاً للشـرع بعد انقطاع الوحى، وذلك لأنّه حاصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كـان ذلـك خيراً من نقـل الواحـد، فـالقرّاء معصومون فى حفـظ القرآن وتبليغه، والمحـدّثون معصومون فى حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون فى الكلام والاستدلال «۱».

وهذا الرأى أغرب من سابقه وأضـعف حجّة! فكيف يدّعى العصمة لهذه الطوائف مع أنّهم غارقون فى الاختلاف فى القراءة والتفسير، والحـديث والأـثر، والحكم والفتوى، والعقيـدة والنظر؟ ولو أغمضـنا عن ذلك، فما الـدليل على عصـمة تلكم الطوائف، خصوصاً على قول البعض بأنّ القول بالعصمة تسرّب من اليهود إلى الأوساط الإسلامية؟

الثالث: قوله سـبحانه: وَإِذِ ابْتَلى إِبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنّى جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ» «۲».

والاستدلال بالآية على عصمة الإمام يتوقّف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة فى الآية وأنّ المقصود منها غير النبوّة وغير الرسالة، فأمّا الأوّل فهو عبارة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۵

عن منصب تحمّل الوحى، وأمّا الثانى فهو عبارة عن منصب إبلاغه إلى الناس.

والإمامـة المعطاة للخليل فى أُخريات عمره غير هذه وتلك؛ لأنّه كان نبيّاً ورسولًا وقائماً بوظائفهما طيلة سـنين حتّى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة فى المقام هو منصب القيادة، وتنفيذ الشريعة فى المجتمع بقوّة وقدرة، ويعرب عن كون المراد من الإمامة فى المقام هو المعنى الثالث قوله سـبحانه: أَمْ يَحسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللّه مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الكِتابَ و الحِكْمَةَ و آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظيماً «۱».

فالإمامة التى أنعم بها اللّه سبحانه على الخليل وبعض ذرّيته هى الملك العظيم الوارد فى هذه الآية. وعلينا الفحص عن المراد بالملك العظيم؛ إذ عند ذلك يتّضح أنّ مقام الإمامة يلى النبوّة والرسالة، وإنّما هو قيادة حكيمة، وحكومة إلهيّة، يبلغ المجتمع بها إلى السـعادة، واللّه سبحانه يوضّح حقيقة هذا الملك فى الآيات التالية:

۱- يقول سبحانه- حاكياً قول يوسف عليه السلام-: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأويلِ الأحاديثِ «۲»

ومن المعلوم أنّ الملك الذى منّ به سبحانه على عبده يوسف ليس هو النبوّة، بل الحاكمية؛ حيث صار أميناً مكيناً فى الأرض؛ لقوله: «وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأويلِ الأحاديثِ» إشارة إلى نبوّته، والملك إشارة إلى سلطته وقدرته.

۲- ويقول سبحانه فى داود عليه السلام: وَ آتاهُ اللَّه المُلْكَ وَ الحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ «۳»

ويقول سبحانه: وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الخِطَابِ «۴»

.

۳- ويحكى اللَّه تعالى عن سليمان عليه السلام أنّه قال: وَهَبْ لِى مُلْكَاً لا يَنْبَغِى لِأحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۶

والتأمّل فى هذه الآيات الكريمة يفسّر لنا حقيقة الإمامة باعتبار الملاحظات التالية:

أ- إنّ إبراهيم طلب الإمامة لذرّيته وقد أجاب سبحانه دعوته فى بعضهم.

ب- إنّ مجموعة من ذرّيته، كيوسف وداود وسليمان، نالوا- وراء النبوّة والرسالة- منصب الحكومة والقيادة.

ج- إنّه سبحانه أعطى آل إبراهيم الكتاب، والحكمة، والملك العظيم.

فمن ضمّ هذه الأُمور بعضها إلى بعض، يخرج بهذه النتيجة: أنّ ملاك الإمامة فى ذرّية إبراهيم هو قيادتهم وحكمهم فى المجتمع، وهذه هى حقيقة الإمامة، غير أنّها ربّما تجتمع مع المقامين الآخرين، كما فى الخليل، ويوسف، وداود، وسليمان، وغيرهم، وربّما تنفصل عنهما كما فى قوله سبحانه: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللَّه قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أنّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحَقُ بِالمُلكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قَالَ إنَّ اللَّه اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسَطَةً فِى العِلْمِ والجسم وَاللَّه يُؤْتى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّه واسِعٌ عَليمٌ «۱».

والإمامة التى يتبنّاها المسلمون بعد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تتّحد واقعيتها مع هذه الإمامة.

ما هو المراد من الظالم؟

ما هو المراد من الظالم؟

قد تعرّفت على المقصود من جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس، وأنّ المراد هو القيادة الإلهية وسوق الناس إلى السعادة بقوّة وقدرة ومنعة. بقى الكلام فى تفسير الظالم الذى ليس له من الإمامة سهم، فنقول:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۷

لمّا خلع سبحانه ثوب الإمامة على خليله، ونصبه إماماً للناس، ودعا إبراهيمُ أن يجعل من ذرّيته إماماً، أُجيب بأنّ الإمامة منصب إلهىّ لا يناله الظالمون؛ لأنّ الإمام هو المطاع بين الناس، المتصرّف فى الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوىّ والظالم المتجاوز عن الحدّ لا يصلح لهذا المنصب.

كما أنّ الظالم الناكث لعهد اللَّه، والناقض لقوانينه وحدوده، على شفا جرف هارٍ، لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة؛ لأنّه على مقربة من الخيانة والتعدّى، وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين، فكيف يصحّ فى منطق العقل أن يكون إماماً مطاعاً، نافذ القول، مشروع التصرّف، وعلى ذلك؛ فكلّ من ارتكب ظلماً، وتجاوز حدّاً فى يوم من أيّام عمره، أو عبد صنماً، أو لاذ إلى وثن- وبالجملة ارتكب ما هو حرام فضلًا عمّا هو شرك وكفر- ينادى من فوق العرش فى حقّه: لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ من غير فرق بين صلاح حالهم بعد تلك الفترة، أو البقاء على ما كانوا عليه.

نعم اعترض «الجصّاص» على هذا الاستدلال وقال: «إنّ الآية إنّما تشمل من كان مقيماً على الظلم وأمّا التائب منه فلا يتعلّق به الحكم؛

لأنّ الحكم إذا كان معلّقاً على صفة، وزالت تلك الصفة، زال الحكم. ألا ترى أنّ قوله: وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا «۱»

إنّما ينهى عن الركون إليهم ما أقاموا على الظلم، فقوله تعالى: لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ لم ينف به العهد عمّن تاب عن ظلمه؛ لأنّه فى هذه الحالة لا يسمّى ظالماً، كما لا يسمّى من تاب من الكفر كافراً «۲».

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ قوله: «الحكم يدور مدار وجود الموضوع» ليس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۸

ضابطاً كلّياً، بل الأحكام على قسمين: قسم كذلك، وآخر يكفى فيه اتّصاف الموضوع بالوصف والعنوان آناً ما، ولحظة خاصّة، وإن انتفى بعد الاتّصاف، فقوله: «الخمر حرام»، أو «فى سائمة الغنم زكاة» من قبيل القسم الأوّل، وأمّا قوله: «الزانى يحدّ»، و «السارق يقطع» فالمراد منه أنّ الانسان المتلبّس بالزنا أو السرقة يكون محكوماً بهما وإن زال العنوان وتاب السارق والزانى، ومثله:

«المستطيع يجب عليه الحجّ» فالحكم ثابت، وإن زالت عنه الاستطاعة عن تقصير لا عن قصور.

وعلى ذلك فالمدّعى أنّ: «الظّالمين» فى الآية المباركة كالسارق والسارقة والزانى والزانية وغيرها من الموارد المشابهة لها.

نعم المهمّ فى المقام إثبات أنّ الموضوع فى الآية من قبيل الثانى، وأنّ التلبّس بالظلم- ولو آناً مّا- يسلب عن الإنسان صلاحية الإمامة، وإن تاب من ذنبه، فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة:

۱- من كان طيلة عمره ظالماً.

۲- من كان طاهراً ونقياً فى جميع فترات عمره.

۳- من كان ظالماً فى بداية عمره، وتائباً فى آخره.

۴- من كان طاهراً فى بداية عمره، وظالماً فى آخره.

عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم عليه السلام، الذى سأل الإمامة لبعض ذرّيته، أىَّ قسم منها أراد؟

إنّ من غير المعقول والبديهى أن يسأل خليل اللَّه تعالى الإمامة لأصحاب القسمين الأوّل والرابع من ذرّيته، لوضوح أنّ الغارق فى الظلم من بداية عمره إلى آخره، أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة، لا يصلح لأن يؤتمن عليها.

ولمّا كان اللَّه تعالى قد نفى امتلاك الإمامة من قبل الظالم وهو ما سبق أن وقع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۹

فى تسميته أصحاب القسم الثالث، فى حين يقابله فى القسم الثانى من هو برىء عن الظلم مطلقاً طيلة عمره، وتتمثّل فيه جميع الصفات المطلوبة والمحدّدة فى الآية الكريمة، فلا مناص من الجزم بتعلّقها بالقسم الثانى وحده دون باقى الأقسام.

العصمة فى القول والرأى

العصمة فى القول والرأى

إنّ الأئمّة معصومون عن العصيان والمخالفة أوّلًا، وعن الخطأ والزلّة فى القول ثانياً، وما ذلك إلّالأنّ كل إمام من الأوّل إلى الثانى عشر، قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكلّ ما فى هذين الأصلين، بحيث لا يشذّ عن علمهم معنى آية من آى الذكر الحكيم تنزيلًا وتأويلًا، ولا شىء من سنّة رسول اللَّه قولًا وفعلًا وتقريراً، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنّة فضلًا وعلماً، ومن هنا كانوا قدوة الناس جميعاً بعد جدّهم الرسول صلى الله عليه و آله باتّفاق الجميع المطلق دليلًا واضحاً على أنّهم هم الأئمّة المعصومون وقادة المسلمين بعد غياب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحتّى قيام يوم الدين.

وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب والسنّة وفهموها عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تماماً «۱» كما أخذها ووعاها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن جبرئيل، وكما وعاها جبرئيل عن اللَّه، ولا فرق أبداً فى شىء إلّابالواسطة.

نعم أخـذ عليّ عن النبيّ صـلى الله عليه و آله، وأخـذ الحسن عن أبيه، وهكـذا كلّ إمام يأخذ عن أبيه، علم يتناقل ضـمن هذه السلسـلة الطاهرة المعروفة، لم يأخذ أحد منهم عليهم السلام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۰

عن صـحابى ولاـ تابعى أبـداً، بل أخـذ الجميع عنهم، ومنهم انتقلت العلوم إلى الآخرين كما تلقّاها رسول اللّه صـلى الله عليه و آله من لدن حكيم خبير.

قال الإمام الباقر عليه السـلام: «لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا، ولكن نحدّثهم بأحاديث نكنزها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۱

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

إنّ الاعتقاد بالإمام المهدى المنتظر عقيدة مشتركة بين جميع المسـلمين، إلّامن أصـمّه اللّه، فكل من كان له إلمام بالحديث يقف على تواتر البشارة عن النبى وآله وأصـحابه، بظهور المهـدى فى آخر الزمان لإزالـة الجهل والظلم، ونشـر أعلام العلم والعدل، وإعلاء كلمة الحقّ، وإظهار الدين كلّه، ولو كره المشـركون، وهو بإذن اللّه ينجى العالم من ذُلِّ العبودية لغير اللّه، ويبطل القوانين الكافرة التى سنّتها الأهواء، ويقطع أواصـر التعصّبات القوميـة والعنصـرية، ويميت أسـباب العـداء والبغضاء التى صارت سـبباً لاختلاف الأُمّـة واضـطراب الكلمة، ومصدراً خطيراً لإيقاد نيران الفتن والمنازعات، ويحقق اللّه بظهوره وعده الذى وعد به المؤمنين بقوله:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلئِكَ هُمُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۲

الفَاسِقُونَ» «۱».

قال سبحانه: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبادِىَ الصَّالِحُونَ» «۲».

هذا ما اتّفق عليه المسـلمون فى الصدر الأوّل والأزمنة اللاحقة، وقد تضافر مضمون قول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى، فيملأها عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

بلى إنّ جميع المسـلمين يتفقون أساساً على فكرة قيام المهـدى وما سـيعم الأرض فى عهده من العدل والأمن والخير العميم، وإن كان هناك من اختلاف يـذكر فى مضـمون هـذا الأمر العظيم، والحلم المنشود، فإنّه قد لا يتجاوز فى أهم نقاطه الحدود الأساسـية المرتكز عليها، والتى تتمحور أهمها فى تحديد ولادته عليه السـلام، فانّ الأكثرية من أهل السـنّة يقولون بأنّه سيولد فى آخر الزمان، وأمّا الشيعة ولاستنادهم على جملة واسعة من الروايات والأدلّة الصحيحة يذهبون إلى أنّه عليه السلام ولد فى «سرّ من رأى» عام ۲۵۵ ه، وغاب بأمر اللّه سبحانه سنة وفاة والده الإمام الحسن بن على العسكرى عليه السلام، عام ۲۶۰ ه، وهو يحيا حياة طبيعية كسائر الناس، غير أنّ الناس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره اللّه سبحانه ليحقّق عدله.

هـذا المقـدار من الاختلاف لا يجعل العقيدة بالمهدى عقيدة خلافية، ومن أراد أن يقف على عقيدة السـنّة والشـيعة فى مسألة المهدى فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية لمحقّقى السنّة ومحدّثيهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۳

- «صفة المهدى» للحافظ أبى نعيم الإصفهانى.

- «البيان فى أخبار صاحب الزمان» للكنجى الشافعى.

- «البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان» لملّا على المتقى.

- «العرف الوردى فى أخبار المهدى» للحافظ السيوطى.

- «القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر» لابن حجر.

- «عقد الدرر فى أخبار الإمام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقى.

من أراد التفصيل فليرجع إلى «منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر» للعلّامة الصافى- دام ظلّه-، وإلى كتاب «المهدى عند أهل السنّة» صدر فى مجلّدين وطبع فى بيروت.

لعلّ الروايات والأخبار المستفيضة المؤكدة على قضية الإمام المهدى من الوفرة وقوّة الحجية بحيث لا يرقى إليها الشك والنقاش سواء فى متونها أو فى أسانيدها، وعلى ذلك دأب الماضون وتبعهم اللاحقون، إلّاما أورده ابن خلدون فى مقدمته من تضعيفه لهذه الأخبار والتشكيك فى صحّتها، وفى مدى حجيتها، وقد فنّد مقالته محمّد صديق برسالة أسماها «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون».

قد كتب أخيراً الدكتور عبد الباقى كتاباً قيّماً فى الموضوع أسماه «بين يدى الساعة» يشير فيه إلى تضافر الأخبار الواردة فى حق المهدى بقوله:

«إنّ المشكلة ليست فى حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والأخبار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح.

لماذا نردّ كل هذه الكمّية؟ أكلّها فاسدة؟ لو صحّ هذا الحكم لانهار الدين- والعياذ باللّه- نتيجة تطرّق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

ثمّ إنّى لا أجد خلافاً حول ظهور المهدى، أو حول حاجة العالم إليه، وإنّما

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۴

الخلاف حول من هو، حسنى أو حسينى؟ سيكون فى آخر الزمان، أو موجود الآن؟

خفى وسيظهر؟ ظهر أو سيظهر؟ ولا عبرة بالمدّعين الكاذبين، فليس لهم اعتبار.

ثمّ إنّى لا أجد مناقشة موضوعية فى متن الأحاديث، والذى أجده إنّما هو مناقشة وخلاف حول السند، واتّصاله وعدم اتّصاله، ودرجة رواته، ومن خرّجوه، ومن قالوا فيه.

إذا نظرنا إلى ظهور المهدى نظرة مجرّدة فإنّنا لا نجد حرجاً من قبولها وتصديقها، أو على الأقل عدم رفضها. فإذا ما تؤيّد ذلك بالأدلّة الكثيرة، والأحاديث المتعددة، ورواتها مسلمون مؤتمنون، والكتب التى نقلتها إلينا كتب قيمة، والترمذى من رجال التخريج والحكم، بالإضافة إلى أنّ أحاديث المهدى لها ما يصح أن يكون سنداً لها فى البخارى ومسلم، كحديث جابر فى مسلم الذى فيه:

«فيقول أميرهم (أى لعيسى): تعال صلّ بنا» «۱»، وحديث أبى هريرة فى البخارى، وفيه: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح بن مريم وإمامكم منكم» «۲»، فلا مانع من أن يكون هذا الأمير، وهذا الإمام هو المهدى.

يضاف إلى هذا انّ كثيراً من السلف- رضى اللّه عنهم- لم يعارضوا هذا القول، بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لإثبات هذه العقيدة عند المسلمين» «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۵

المسألة الرابعة: التقية

المسألة الرابعة: التقية

اشارة

المسألة الرابعة: التقية

(مفهومها، غايتها، دليلها، حدّها فى ضوء الكتاب والسنّة)

التقيـة من المفـاهيم القرآنيـة التى وردت فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وفى تلـك الآيات إشارات واضـحة إلى الموارد التى يلجأ فيهـا المؤمن إلى اسـتخدام هـذا المسـلك الشـرعى خلالـ حياته أثناء الظروف العصـيبة، ليصون بها نفسه أو من يمتّ إليه بصـلة وعرضه وماله، كما اسـتعملها مؤمن آل فرعون لصيانة الكليم عن القتل والتنكيل «۱» ولاذ بها عمّار عندما أُخذ وأُسِرَ و هُدِّد بالقتل «۲» إلى غير ذلـك من الموارد الواردة فى الكتـاب والسـنّة، فمن المحتّم علينـا أن نتعرّف عليهـا، مفهومـاً وغايـةً ودليلًا وحـدّاً، حتّى نتجنَّب الإفراط والتفريط فى مقام القضاء والتطبيق.

إنّ التقية، اسم ل «اتّقى يتّقى» «۳» والتاء بدل من الواو، وأصله من الوقاية،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۶

ومن ذلك إطلاق التقوى على إطاعـة اللَّه؛ لأنّ المطيع يتّخذها وقايـة من النار والعذاب. والمراد هو التحفّظ عن ضـرر الغير بموافقته فى قول أو فعل مخالف للحقّ.

مفهومها

مفهومها

إذا كانت التقيّة هى اتّخاذ الوقايـة من الشـرّ، فمفهومها فى الكتاب والسـنّة هو: إظهار الكفر وإبطان الإيمان، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحقّ. وإذا كـان هـذا مفهومهـا، فهى تُقابـل النفـاق، تَقابُـل الإيمـان والكفر، فـإنّ النفاق ضـدّها وخلافها، فهو عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر، والتظاهر بالحقّ وإخفاء الباطل، ومع وجود هذا التباين بينهما فلا يصحّ عدّها من فروع النفاق. نعم من فسر النفاق بمطلق مخالفـة الظاهر للباطن، وبه صوَّر التقيـة- الواردة فى الكتاب والسـنّة- من فروعه، فقد فسّره بمفهوم أوسع ممّا هو عليه فى القرآن؛ فإنّه يُعرِّف المنـافقين المتظاهرين بالإيمان والمبطنين للكفر بقوله تعالى: إِذَا جَاءَكَ المنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْـهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه وَاللَّه يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّه يَشْهَدُ إِنَّ آلمنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ «۱»

فـإذا كـان هـذا حـدُّ المنـافق فكيف يعمُّ من يسـتعمل التقيـة تجـاه الكفّـار والعصاة؛ فيخفى إيمانه ويظهر الموافقـة لغايـة صـيانة النفس والنفيس، والعرض والمال من التعرّض؟!

ويظهر صـدق ذلـك إذا وقفنا على ورودها فى التشـريع الإسـلامى، ولو كانت من قسم النفاق، لكان ذلك أمراً بالقبح ويسـتحيل على الحكيم أن يأمر به: قُلْ إِنَّ اللَّه لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لَا تَعْلَمُونَ «۲» . الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۷

غايتها

غايتها

الغايـة من التقيّة: هى صـيانة النفس والعرض والمال، وذلك فى ظروف قاهرة لا يسـتطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحقّ صـريحاً خوفاً من أن يترتّب على ذلك مضارّ وتهلكة من قوى ظالمة غاشمة كلجوء الحكومات الظالمة إلى الإرهاب، والتشريد والنفى، والقتل والتنكيل، ومصادرة الأموال، وسـلب الحقوق الحقّة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذى يرى نفسه محقّاً محيص عن إبطانها، والتظاهر بما يوافق هوى الحاكم وتوجّهاته حتّى يسلم من الاضطهاد والتنكيل والقتل، إلى أن يُحدِث اللَّه أمراً.

إنّ التقيّة سلاح الضعيف فى مقابل القوىّ الغاشم، سلاح من يبتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشىء إلّالأنّه لا يتّفق معه فى بعض المبادئ والأفكار.

إنّما يمارس التقية من يعيش فى بيئة صودرت فيها الحرية فى القول والعمل، والرأى والعقيدة فلا ينجو المخالف إلّابالصمت والسكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطة وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلة لابدّ منها من أجل إغاثة الملهوف المضطهد والمستضعف الذى لا حول له ولا قوّة، فيتظاهر بالعمل إلى جانب الحكومة الظالمة وصولًا إلى ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذى حكاه سبحانه فى الذكر الحكيم.

إنّ أكثر من يَعيبُ التقيّة على مستعملها، يتصوّر أو يصوّر أنّ الغاية منها هو تأليف جماعات سرية هدفها الهدم والتخريب، كما هو المعروف من الباطنيين والأحزاب الإلحادية السرّية، وهو تصوّر خاطئ ذهب إليه أُولئك جهلًا أو عمداً دون أن يرتكزوا فى رأيهم هذا على دليل مّا أو حجة مقنعة، فأين ما ذكرناه من هذا الذى يذكره؟ ولو لم تُلجئ الظروف القاهرة والأحكام المتعسّفة هذه الجموع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۸

المستضعفة من المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقية، ولما تحمّلوا عبء إخفاء معتقداتهم ولدعوا الناس إليها علناً ودون تردّد، إلّاأنّ السيف والنطع سلاح لا تتردّد كلّ الحكومات الفاسدة من التلويح به أمام من يخالفها فى معتقداتها وعقائدها.

أين العمل الدفاعى من الأعمال البدائية التى يرتكبها أصحاب الجماعات السرّية للإطاحة بالسلطة وامتطاء ناصية الحكم، فأعمالهم كلّها تخطيطات مدبّرة لغايات ساقطة.

وهؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرّر الوسائل» فكلّ قبيح عقلى أو ممنوع شرعى يستباح عندهم لغاية الوصول إلى المقاصد المشؤومة.

إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء وبين من يتّخذ التقية غطاءً، وسلاحاً دفاعياً ليسلم من شرّ الغير، حتّى لا يُقْتَل ولا يُستأصل، ولا تُنهب داره وماله، إلى أن يُحدث اللّه أمراً، من قبيل عطف المباين على مثله.

إنّ المسلمين القاطنين فى الاتّحاد السوفيتى السابق قد لاقوا من المصائب والمحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها ولا أن تتصوّرها؛ فإنّ الشيوعيّين وطيلة تسلّطهم على المناطق الإسلامية قلبوا لهم ظهر المِجَنّ، فصادروا أموالهم وأراضيهم، ومساكنهم، ومساجدهم، ومدارسهم، وأحرقوا مكتباتهم، وقتلوا كثيراً منهم قتلًا ذريعاً ووحشياً، فلم ينج منهم إلّامن اتّقاهم بشىء من التظاهر بالمرونة، وإخفاء المراسم الدينية، والعمل على إقامة الصلاة فى البيوت إلى أن نجّاهم اللّه سبحانه بانحلال تلك القوّة الكافرة، فبرز المسلمون إلى الساحة من جديد، فملكوا أرضهم وديارهم، وأخذوا يستعيدون مجدهم وكرامتهم شيئاً فشيئاً، وما هذا إلّا ثمرة من ثمار التقية المشروعة التى أباحها اللّه تعالى لعباده بفضله وكرمه سبحانه على المستضعفين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۹

فإذا كان هذا معنى التقية ومفهومها، وكانت هذه غايتها وهدفها، فهو أمر فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كلّ شىء عقلُه ولبُّه، وتدعوه إليه فطرته، ولأجل ذلك يستعملها كلّ من ابتُلى بالملوك والساسة الذين لا يحترمون شيئاً سوى رأيهم وفكرتهم ومطامعهم وسلطتهم ولا يتردّدون عن التنكيل بكلّ من يعارضهم فى ذلك، من غير فرق بين المسلم- شيعياً كان أم سنّياً- وغيره، ومن هنا تظهر جدوى التقية وعمق فائدتها.

ولأجل دعم هذا الأصل الحيوىّ ندرس دليله من القرآن والسنّة.

دليلها فى القرآن والسنّة

اشارة

دليلها فى القرآن والسنّة

شرّعت التقية بنصّ القرآن الكريم حيث وردت جملة من الآيات الكريمة «۱» سنحاول استعراضها فى الصفحات التالية:

الآية الأُولى:

الآية الأُولى:

قال سبحانه: مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «۲» ترى أنّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، وصرّح بذلك لفيف من المفسّرين القدامى والجدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ولمن يبتغى المزيد فعليه بمراجعة كتب التفسير المختلفة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۰

۱- قال الطبرسى: قد نزلت الآية فى جماعة أُكرهوا على الكفر، وهم عمّار وأبوه ياسر وأُمّه سميّة، وقُتلَ الأبوان لأنّهما لم يظهرا الكفر ولم ينالا من النبىّ، وأعطاهم عمّار ما أرادوا منه، فأطلقوه، ثمّ أخبر عمّار بذلك رسول اللَّه، وانتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمّار، فقال الرسول: «كلّا إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

وفى ذلك نزلت الآية السابقة، وكان عمّار يبكى، فجعل رسول اللَّه يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» «۱».

۲- وقال الزمخشرى: روى أنّ أُناساً من أهل مكة فُتِنُوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أُكره وأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمّار بن ياسر وأبواه: ياسر وسميّة، وصهيب وبلال وخباب.

أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً... «۲».

۳- وقال الحافظ ابن ماجة: «والإيتاء: معناه الإعطاء أن وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيّة، والتقيّة فى مثل هذه الحال جائزة؛ لقوله تعالى: إلّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ» «۳»

.

۴- وقال القرطبى: قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة- ثمّ قال:- أجمع أهل العلم على أنّ من أُكره على الكفر حتّى خشى على نفسه القتل إنّه لا- إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا- تبين منه زوجته ولا- يحكم عليه بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعى «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۱

۵- قال الخازن: «التقية لا- تكون إلّامع خوف القتل مع سلامة النيّة، قال اللَّه تعالى: إلّامن أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثمّ هذه التقية رخصة» «۱».

۶- قال الخطيب الشربينى: إلّامن أُكره أى على التلفّظ به «وقلبه مطمئن بالإيمان» فلا شىء عليه لأنّ محل الإيمان هو القلب» «۲».

- وقال إسماعيل حقّى: إلّامن أُكره أُجبر على ذلك اللفظ بأمر يخاف على نفسه أو عضو من أعضائه... لأنّ الكفر اعتقاد، والإكراه على القول دون الاعتقاد، والمعنى: ولكن المكره على الكفر باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان لا تتغيّر عقيدته، وفيه دليل على أنّ الإيمان المنجى المعتبر عند اللَّه، هو التصديق بالقلب» «۳».

الآية الثانية:

الآية الثانية:

قال سبحانه: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ «۴»

.

وكلمات المفسّرين حول الآية تغنينا عن أيّ توضيح:

۱- قال الطبرى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة: قال أبو العالية: التقيّة باللسان، وليس بالعمل، حُدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد قال:

سمعت الضحّاك يقول فى قوله تعالى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة قال: التقيّة باللسان من حُمِلَ على أمر يتكلّم به وهو للّه معصية فتكلّم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۲

بالإيمان فلا إثم عليه، إنّما التقية باللسان «۱».

۲- وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة: رخّص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشرة ظاهرة، والقلب مطمئنّ بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع «۲».

۳- قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة: المسألة الرابعة: اعلم: أنّ للتقية أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

أ: إنّ التقية إنّما تكون إذا كان الرجل فى قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه، وماله، فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبّة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه وأن يعرض فى كلّ ما يقول؛ فإنّ للتقيّة تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلوب.

ب: التقية جائزة لصون النفس، وهل هى جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه و آله: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله صلى الله عليه و آله: «من قتل دون ماله فهو شهيد» «۳».

۴- وقال النسفى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة إلّاأن تخافوا جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، أى ألّايكون للكافر عليك سلطان، فتخافه على نفسك ومالك، فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة «۴».

۵- وقال الآلوسى: وفى الآية دليل على مشروعية التقية؛ وعرَّفوها بمحافظة النفس أو العرض أو المال من شرّ الأعداء. والعدوّ قسمان:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۳

الأوّل: من كانت عداوته مبنيّة على اختلاف الدين، كالكافر والمسلم.

الثانى: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية، كالمال والمتاع والملك والإمارة «۱».

۶- وقال جمال الدين القاسمى: ومن هذه الآية: إلّاأن تتقوا منهم تقاة استنبط الأئمّة مشروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحقّ على الخلق» «۲».

۷- وفسر المراغى قوله تعالى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة بقوله: أى تركك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم فى كل حال إلّافى حال الخوف من شىء تتّقونه منهم، فلكم حينئذ أن تتّقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشىء؛ إذ القاعدة الشرعية «إنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح».

وإذا جازت موالاتهم لاتقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأُولى إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن تواليها فى شىء يضرّ المسلمين، ولا تختصّ هذه الموالاة بحال الضعف، بل هى جائزة فى كلّ وقت.

وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحقّ، لأجل التوقّى من ضرر يعود من الأعداء إلى النفس، أو العرض، أو المال.

فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقاية لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئنّ بالإيمان، لا يكون كافراً بل يُعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئنّ بالإيمان وفيه نزلت الآية:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۴

مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان «۱»

.

هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالًا إلّاأن يحكم بشرعية التقية بالمعنى الذى عرفته، بل قد لا يجد أحد مفسّراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها يتردّد فى الحكم بجوازها، كما أنّك أخى القارئ لا تجد إنساناً واعياً لا يستعملها فى ظروف عصيبة، ما لم تترتّب عليها مفسدة عظيمة، كما سيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها.

وإنّماالمعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنّما يفسّرها بالتقيّة الرائجة بين أصحاب التنظيمات السرّية والمذاهب الهدّامة كالنصيرية والدروز، والباطنية كلّهم، إلّاأنّ المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقيّة الهدامة لكلّ فضيلة رابية.

الآية الثالثة:

الآية الثالثة:

قال تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ ءَال فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّه وَقَدْ جَآءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ «۲».

وكانت عاقبة أمره أن: «وَقَاهُ اللَّه سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ» «۳».

وما كان ذلك إلّالأنّه بتقيّته استطاع أن يُنجى نبىّ اللَّه من الموت: «قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْملأ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» «۴».

وهذه الآيات تدلّ على جواز التقيّة لإنقاذ المؤمن من شرّ عدوّه الكافر.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۵

اتّقاء المسلم من المسلم فى ظروف خاصّة

اتّقاء المسلم من المسلم فى ظروف خاصّة

إنّ مورد الآيات وإن كان هو اتّقاء المسلم من الكافر، ولكن المورد ليس بمخصّص لحكم الآية فقط، إذ ليس الغرض من تشريع التقيّة عند الابتلاء بالكفّار إلّا صيانة النفس والنفيس من الشرّ، فإذ ابتُلى المسلم بأخيه المسلم الذى يخالفه فى بعض الفروع ولا يتردّد الطرف القوى عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكّل به أو ينهب أمواله أو يقتله، ففى تلك الظروف الحرجة يحكم العقل السليم بصيانة النفس والنفيس عن طريق كتمان العقيدة واستعمال التقية، ولو كان هناك وزر إنّما يتوجّه على من يُتّقى منه لا- على المتّقى، فلو سادت الحرّية جميع الفرق الإسلامية، وتحمّلت كلّ فرقة آراء الفرقة الأُخرى بصدر رحب، وفهمت بأنّ ذلك هو قدر اجتهادها، لم يضطرّ أحد من المسلمين إلى استخدام التقيّة، ولساد الوئام مكان النزاع.

وقد فهم ذلك لفيف من العلماء وصرّحوا به، وإليك نصوص بعضهم:

۱- يقول الإمام الرازى فى تفسير قوله سبحانه: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة ظاهر الآية على أنّ التقية إنّما تحلّ مع الكفّار الغالبين، إلّاأنّ

مذهب الشافعي- رضى اللّه عنه-: أنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلّت التقيّة محاماة عن النفس.

وقال: التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هى جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه و آله: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» وقوله صلى الله عليه و آله: «من قتل دون ماله فهو شهيد» «۱».

۲- ينقل جمال الدين القاسمى عن الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحقّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۶

على الخلق» ما هذا نصه: «وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران: أحدهما: خوف العارفين- مع قلّتهم- من علماء السوء وسلاطين الجور وشياطين الخلق مع جواز التقيّة عند ذلك بنصّ القرآن، وإجماع أهل الإسلام، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحقّ، ولا برح المحقّ عدوّاً لأكثر الخلق، وقد صحّ عن أبى هريرة- رضى اللّه عنه- أنّه قال فى ذلك العصر الأوّل: «حفظت من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعاءين، أمّا أحدهما فبثثته فى الناس، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم» «۱».

۳- وقال المراغى فى تفسير قوله سبحانه: مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَان: ويدخل فى التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسّم فى وجوههم، وبذل المال لهم؛ لكفّ أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعدّ هذا من الموالاة المنهىّ عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانى قوله صلى الله عليه و آله: «ما وَقَى المؤمن به عرضَه فهو صدقة» «۲».

إنّ الشيعة تتّقى الكفار فى ظروف خاصة لنفس الغاية التى لأجلها يتّقيهم السنّىّ، غير أنّ الشيعى ولأسباب لا تخفى، يلجأ إلى اتّقاء أخيه المسلم لا قصور فى الشيعى، بل فى أخيه الذى دفعه إلى ذلك؛ لأنّه يدرك أنّ الفتك والقتل مصيره إذا صرّح بمعتقده الذى هو موافق لأُصول الشرع الإسلامى وعقائده، نعم كان الشيعى وإلى وقت قريب يتحاشى أن يقول: إنّ اللّه ليس له جهة، أو إنّه تعالى لا يُرى يوم القيامة، وإنّ المرجعية العلمية والسياسية لأهل البيت بعد رحيل النبىّ الأكرم، أو إنّ حكم المتعة غير منسوخ؛ فإنّ الشيعى إذا صرّح بهذه الحقائق- التى استنبطت من الكتاب والسنّة- سوف يُعرّض نفسه ونفيسه للمهالك والمخاطر.

وقد مرّ عليك كلام الرازى وجمال الدين القاسمى والمراغى الصريح فى جواز هذا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۷

النوع من التقية، فتخصيص التقية بالتقية من الكافر فحسب جمود على ظاهر الآية وسدّ لباب الفهم، ورفض للملاك الذى شُرّعت لأجله التقية، وإعدام لحكم العقل القاضى بحفظ الأهمّ إذا عارض المهمّ.

والتاريخ بين أيدينا يحدّثنا بوضوح عن لجوء جملة معروفة من كبار المسلمين إلى التقية فى ظروف عصيبة أوشكت أن تودى بحياتهم وبما يملكون، وخير مثال على ذلك ما أورده الطبرى فى تاريخه (۷: ۱۹۵- ۲۰۶) عن محاولة المأمون دفع وجوه القضاة والمحدّثين فى زمانه إلى الإقرار بخلق القرآن قسراً حتّى وإن استلزم ذلك قتل الجميع دون رحمة، ولمّا أبصر أُولئك المحدِّثون حد السيف مشهراً عمدوا إلى مصانعة المأمون فى دعواه وأسرّوا معتقدهم فى صدورهم، ولمّا عوتبوا على ما ذهبوا إليه من موافقة المأمون، برّروا عملهم بعمل عمّار بن ياسر حين أُكره على الشرك وقلبه مطمئنّ بالإيمان، والقصّة شهيرة وصريحة فى جواز اللجوء إلى التقية التى دأب البعض على التشنيع فيها على الشيعة؛ وكأنّهم هم الذين ابتدعوها من بنات أفكارهم دون أن تكون لها قواعد وأُصول إسلامية ثابتة ومعلومة.

الظروف العصيبة التى مرّت بها الشيعة

الظروف العصيبة التى مرّت بها الشيعة

الذى دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة، فلو لم يكن هناك فى غابر القرون- من عصر الأمويين ثمّ العباسيين والعثمانيين- أىّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضّبة بدمائهم- والتاريخ خير شاهد

على ذلك- كان من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية، وأن تحذفها من ديوان حياتها، ولكن ياللأسف!! فإنّ كثيراً من إخوانهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۸

كانوا أداة طيّعة بيد الأُمويين والعباسيين الذين كانوا يرون فى مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلِّبون العامّة من أهل السنّة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكّلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة لم يكن للشيعة، بل لكلّ من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلّاالىلجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسة التى هى أغلى عنده من نفسه وماله.

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدّ، إلّاأنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبى سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا.الظروف العصيبة التى مرّت بها الشيعة

الذى دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة، فلو لم يكن هناك فى غابر القرون- من عصر الأُمويين ثمّ العباسيين والعثمانيين- أىّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضّبة بدمائهم- والتاريخ خير شاهد على ذلك- كان من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية، وأن تحذفها من ديوان حياتها، ولكن ياللأسف!! فإنّ كثيراً من إخوانهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۸

كانوا أداة طيّعة بيد الأُمويين والعباسيين الذين كانوا يرون فى مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلِّبون العامّة من أهل السنّة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكّلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة لم يكن للشيعة، بل لكلّ من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلّاالىلجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسة التى هى أغلى عنده من نفسه وماله.

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدّ، إلّاأنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبى سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا.

كتاب معاوية إلى عماله

كتاب معاوية إلى عماله

قد مرّ ذكر كتاب معاوية إلى عمّاله فى بحث الشيعة فى موكب التاريخ فراجع.

ونتيجة لذلك شهدت أوساط الشيعة مجازر بشعة على يد السلطات الغاشمة، فقتل الآلاف منهم، وأمّا من بقى منهم على قيد الحياة فقد تعرّض إلى شتّى صنوف التنكيل والإرهاب والتخويف، والحق يقال إنّ من الأُمور العجيبة أن يبقى لهذه الطائفة باقية رغم كلّ ذلك الظلم الكبير والقتل الذريع، بل العجب العجاب أن تجد هذه الطائفة قد ازدادت قوّة وعدّة، وأقامت دولًا وشيدت حضارات وبرز منها الكثير من العلماء والمفكرين.

فلو كان الأخ السنّى يرى التقية أمراً محرّماً فليعمل على رفع الضغط عن أخيه الشيعى، وأن لا يضيق عليه فى الحرّية التى سمح بها الإسلام لأبنائه، وليعذره فى عقيدته وعمله كما عذر أُناساً كثيراً خالفوا الكتاب والسنّة وأراقوا الدماء ونهبوا الدور، فكيف بطائفة تدين بدينه وتتّفق معه فى كثير من معتقداته؟ وإذا كان معاوية وأبناء بيته والعباسيون كلّهم عنده مجتهدين فى بطشهم وإراقة دماء مخالفيهم، فماذا يمنعه عن إعذار الشيعة باعتبارهم مجتهدين؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۹

وإذا كانوا يقولون- وذاك هو العجيب- إنّ الخروج على الإمام علىّ عليه السلام غير مضرّ بعدالة الخارجين والثائرين عليه، وفى مقدّمتهم طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة، وإنّ إثارة الفتن فى صفّين- التى انتهت إلى قتل كثير من الصحابة والتابعين، وإراقة دماء الآلاف من العراقيين والشاميين- لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين، وهم بعد ذلك مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهد وأخطأ، فلم لا يتعامل مع الشيعة ضمن هذا الفهم، ويذهب إلى أنّهم معذورون ومثابون!!

نعم كانت التقية بين الشيعة تزداد تارة وتتضاءل أخرى، حسب قوّة الضغط وضآلته، فشتّان ما بين عصر المأمون الذى يجيز مادحى أهل البيت، ويكرم العلويين، وبين عصر المتوكّل الذى يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة.

فهذا ابن السكّيت أحد أعلام الأدب فى زمن المتوكّل، وقد اختاره معلّماً لولديه فسأله يوماً: أيّهما أحبُّ إليك ابناى هذان أم الحسن والحسين؟ قال ابن السكّيت: واللّه إنّ قنبر خادم علىّ عليه السلام خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات. وذلك فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل ثلاث وأربعين، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة. ولمّا مات سيَّر المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال: هذه دية والدك!! «۱».

وهذا ابن الرومى الشاعر العبقرى يقول فى قصيدته التى يرثى بها يحيى بن عمر ابن الحسين بن زيد بن على:

أكلّ أوانٍ للنبىّ محمّد قتيل زكىّ بالدماء مضرّجُ بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عمّا قليل مفرِّجُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۰

أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم تضىء مصابيح السماء فتسرجُ «۱» فإذا كان هذا هو حال أبناء الرسول، فما هو حال شيعتهم ومقتفى آثارهم؟!

قال العلّامة الشهرستانى: إنّ التقية شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية. إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها؛ لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أية أُمّة أُخرى، فكانت مسلوبة الحريّة فى عهد الدولة الأُموية كلّه، وفى عهد العباسيين على طوله، وفى أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أىّ قوم، ولمّا كانت الشيعة تختلف عن الطوائف المخالفة لها فى قسم مهمّ من الاعتقادات فى أُصول الدين، وفى كثير من الأحكام الفقهيّة، والمخالفة تستجلب بالطبع رقابة، وتصدّقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة فى أكثر الأحيان إلى كتمان ما تختصّ به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك، تبتغى بهذا الكتمان صيانة النفس والنفيس، والمحافظة على الوداد والأُخوّة مع سائر إخوانهم المسلمين، لئلا تنشق عصا الطاعة، ولكى لا يحسّ الكفار بوجود اختلاف ما فى المجتمع الإسلامى، فيوسع الخلاف بين الأُمّة المحمّدية.

لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقيّة وتحافظ على وفاقها فى الظواهر مع الطوائف الأُخرى، متّبعة فى ذلك سيرة الأئمة من آل محمّد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية دينى ودين آبائى»، إذ أنّ دين اللّه يمشى على سنّة التقية لمسلوبى الحرية، دلّت على ذلك آيات من القرآن العظيم «۲».

روى عن صادق آل البيت عليهم السلام فى الأثر الصحيح: «التقية دينى ودين آبائى»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۱

و «من لا تقية له لا دين له» وكذلك هى.

لقد كانت التقية شعاراً لآل البيت عليهم السلام دفعاً للضرر عنهم، وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاً لشعثهم، وما زالت سمة تُعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأُمم. وكلّ إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أو التظاهر به لابدّ أن يتكتّم ويتّقى مواضع الخطر. وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول.

ومن المعلوم أنّ الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن، وصنوف الضيق على حرّياتهم فى جميع العهود ما لم تلاقه أيّة طائفة، أو أُمّة أُخرى، فاضطرّوا فى أكثر عهودهم إلى استعمال التقية فى تعاملهم مع المخالفين لهم، وترك مظاهرتهم، وستر عقائدهم، وأعمالهم المختصّة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر فى الدنيا.

ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم.

وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها، بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة فى أبوابها فى كتب العلماء الفقهيّة «۱».

حدّ التقيّة

حدّ التقيّة

قد تعرّفت على مفهوم التقية وغايتها، ودليلها، وبقى الكلام فى تبيين حدودها، فنقول:

عرفت الشيعة بالتقية وأنّهم يتّقون فى أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض السطحيين والمغالطين، فقالوا: بما أنّ التقية من مبادئ التشيّع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۲

فلا يصحّ الاعتماد على كلّ ما يقولون ويكتبون وينشرون؛ إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعاياتٍ والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرّره الكاتب الباكستانى «إحسان إلهى ظهير» فى كتبه السقيمة التى يتحامل بها على الشيعة.

ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقية إنّما هو فى حدود القضايا الشخصية الجزئية عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ فى إظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مذهب أهل البيت- يحتمل أن يدفع بالمؤمن إلى الضرر يصبح هذا المورد من مواردها، ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتّقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأُمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التقيّة، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخلة فى هذا النوع الأخير؛ إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، حيث لم يكن هناك لزوم للكتابة أصلًا فى هذه الحال، فله أن يسكت ولا يكتب شيئاً.

فما يدّعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناشئ عن عدم معرفتهم بحقيقة التقيّة عند الشيعة.

والحاصل: أنّ الشيعة إنّما كانت تتّقى فى عصر لم تكن لهم دولة تحميهم، ولا قدرة ولا منعة تدفع عنهم الأخطار. وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرر للتقيّة إلّا فى موارد خاصة.

إنّ الشيعة- وكما ذكرنا- لم تلجأ إلى التقية إلّابعد أن اضطرّت إلى ذلك، وهو حقّ لا أعتقد أن يخالفها فيه أحد ينظر إلى الأُمور بلبّه لا- بعواطفه، إلّاأنّ من الثوابت الصحيحة بقاء هذه التقيّة- إلّافى حدود ضيّقة- تنحصر فى مستوى الفتاوى، ولم تترجم إلّاقليلًا على المستوى العملى، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كلّ باحث أن يرجع إلى مواقف رجال الشيعة مع معاوية وغيره

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۳

من الحكام الأُمويين، والحكّام العباسيين، أمثال حجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجرى، وكميل بن زياد، ومئات غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوراتهم المتتالية.

التقية المحرّمة

التقية المحرّمة

إنّ التقية تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية، وتسلّط الأعداء على شؤون المسلمين وحرماتهم ومقدّساتهم، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقيّة فى بعض الأحيان وقدّموا أنفسهم وأرواحهم أضاحى من أجل الدين، فللتقيّة مواضع معيّنة، كما أنّ للقسم المحرّم منها مواضع خاصّة أيضاً.

إنّ التقية فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتّى يزول الخطر، فهى أفضل السبل للخلاص من البطش، ولكن ذلك لا يعنى أنّ الشيعى جبان خائر العزيمة، خائف متردّد الخطوات يملأ حناياه الذلّ، كلّا!! إنّ للتقية حدوداً لا تتعدّاها، فكما هى واجبة فى حين، هى حرام فى حين آخر، فالتقيّة أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاوية مثلًا محرّمة؛ إذ فيها الذلّ والهوان ونسيان المثل والرجوع إلى الوراء، فليست التقيّة فى جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحدّدها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين.

إنّ للإمام الخمينى- قدّس اللّه سرّه- كلاماً فى المقام ننقله بنصّه حتّى يقف القارئ على أنّ للتقية أحكاماً خاصة وربّما تحرم لمصالح عالية. قال قدس سره:

تحرم التقية فى بعض المحرّمات والواجبات التى تمثّل فى نظر الشارع والمتشرّعة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۴

مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والمشاهد المشرّفة، والردّ على الإسلام والقرآن والتفسير بما يضرّ المذهب ويطابق الإلحاد وغيرها من عظائم المحرمات، ولا تعمّها أدلّة التقية ولا الاضطرار ولا الإكراه.

وتدلّ على ذلك معتبرة مسعدة بن صدقة وفيها: «فكلّ شىء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدى إلى الفساد فى الدين فإنّه جائز» «۱».

ومن هذا الباب ما إذا كان المتّقى ممّن له شأن وأهمية فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرّمات تقيّة أو تركه لبعض الواجبات كذلك مما يعدّ موهناً للمذهب وهاتكاً لحرمه، كما لو أُكره على شرب المسكر والزنا مثلًا؛ فإنّ جواز التقية فى مثله متمسكاً بحكومة دليل الرفع «۲» وأدلّة التقية مشكل، بل ممنوع، وأولى من ذلك كلّه فى عدم جواز التقية، وفيه ما لو كان أصل من أُصول الإسلام أو المذهب أو ضرورى من ضروريات الدين فى معرض الزوال والهدم والتغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الأرث والطلاق والصلاة والحجّ وغيرها من أُصول الأحكام فضلًا عن أُصول الدين أو المذهب، فإنّ التقية فى مثلها غير جائزة، ضرورة أنّ تشريعها لبقاء المذهب وحفظ الأُصول وجمع شتات المسلمين لإقامة الدين وأُصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقية، وهو مع وضوحه يظهر من الموثقة المتقدّمة «۳».

وهكذا فقد بيّنا للجميع الأبعاد الحقيقية والواقعية للتقية، وخرجنا بالنتائج التالية:

۱- إنّ التقية أصل قرآنى مدعم بالسنّة النبوية، وقد استعملها فى عصر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۵

الرسالة من ابتلى بها من الصحابة لصيانة نفسه، فلم يعارضه الرسول، بل أيّده بالنصّ القرآنى، كما فى قضية عمّار بن ياسر؛ حيث أمره صلى الله عليه و آله بالعودة إذا عادوا.

۲- إنّ التقية بمعنى تأليف جماعات سرّية لغاية التخريب والهدم، مرفوضة عند المسلمين عامّة والشيعة خاصّة، وهو لا يمتّ للتقية المتبنّاة من قبل الشيعة بصلة.

۳- إنّ المفسرين فى كتبهم التفسيرية عندما تعرّضوا لتفسير الآيات الواردة فى التقية اتفقوا على ما ذهبت إليه الشيعة من إباحتها للتقية.

۴- إنّ التقية لا تختصّ بالاتقاء من الكافر، بل تعمّ الاتّقاء من المسلم المخالف، الذى يريد السوء والبطش بأخيه.

۵- إنّ التقية تنقسم حسب انقسام الأحكام إلى أقسام خمسة، فبينما هى واجبة فى موضع، فهى محرمة فى موضع آخر.

۶- إنّ مجال التقية لا- يتجاوز القضايا الشخصية، وهى فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط، فلا موضع للتقية لغاية الصيانة.

وفى الختام نقول:

نفترض أنّ التقية جريمة يرتكبها المتّقى لصيانة دمه وعرضه وماله، ولكنّها فى الحقيقة ترجع إلى السبب الذى يفرض التقيّة على الشيعى المسلم ويدفعه إلى أن يتظاهر بشىء من القول والفعل الذى لا يعتقد به، فعلى من يعيب التقية للمسلم المضطهد، أن يفسح له الحرية فى مجال الحياة ويتركه بحاله، وأقصى ما يصحّ فى منطق العقل، أن يسأله عن دليل عقيدته ومصدر عمله؛ فإن كان على حجّة بيّنة يتبعه، وإن كان على خلافها يعذره فى اجتهاده وجهاده العلمى والفكرى.

نحن ندعو المسلمين للتأمّل فى الدواعى التى دفعت بالشيعة إلى التقية، وأن يعملوا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين؛

فإنّ لكلّ فقيه مسلم رأيه ونظره، وجهده وطاقته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۶

إنّ الشيعة يقتفون أثر أئمة أهل البيت فى العقيدة والشريعة، ويرون رأيهم؛ لأنّهم هم الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأحد الثقلين اللّذين أمر الرسول صلى الله عليه و آله بالتمسك بهما فى مجال العقيدة والشريعة، وهذه عقائدهم لا تخفى على أحد، وهى حجّة على الجميع.

نسأل اللّه سبحانه: أن يصون دماء المسلمين وأعراضهم عن تعرّض أىّ متعرّض، ويوحّد صفوفهم، ويؤلّف بين قلوبهم، ويجمع شملهم، ويجعلهم صفّاً واحداً فى وجه الأعداء، إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۷

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

اشارة

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

إنّ من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم أنّ النسخ والبداء صنوان، غير أنّ الأوّل فى التشريع، والثانى فى التكوين، وقد اشتهرت بالقول به كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء. وصار القول بهذه الأُمور الثلاثة من خصائصهم وقد أنكرت عليهم السنّة أشد الإنكار خصوصاً فى مسألة البداء، ولكنّهم لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تجويز البداء على اللّه لتوقّفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق، وأقول عن جدّ: لو أُتيحت الفرصة لعلماء الفريقين للبحث عن النقاط الخلافية بعيداً عن التعصّب والتشنّج لتجلّى الحقّ بأجلى مظاهره، ولأقرّوا بصحّة مقالة الشيعة، غير أنّ تلك أُمنية لا تتحقّق إلّا فى فترات خاصة، وقد سألنى أحد علماء أهل السنّة عن حقيقة البداء فأجبته بإجمال ما أُفصّله فى هذا المقام، فتعجّب عن إتقان معناه، غير أنّه زعم أنّ ما ذكرته نظرية شخصية لا صلة بها بنظرية الإمامية فى البداء، فطلب منّى كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه أوائل المقالات، وشرح عقائد الصدوق لشيخ الأُمّة محمّد بن النعمان المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) فقرأهما بدقة، وجاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۸

بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الذى يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنّة ولا يخالفون الشيعة فى هذا المبدأ أبداً.

ولتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدمات:

الأُولى: اتّفقت الشيعة على أنّه سبحانه عالم بالحوادث كلّها غابرها وحاضرها، ومستقبلها، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، بل الأشياء دقيقها وجليلها، حاضرة لديه، ويدلّ عليه الكتاب والسنّة المروية عن طريق أئمّة أهل البيت- مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقرّرة فى محلّها-.

أمّا من الكتاب:

فقوله سبحانه: إِنَّ اللّه لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلا فِى السَّماءِ «۱».

وقوله تعالى: وَمَا يَخْفَى عَلى اللّه مِنْ شَىْءٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى السَّماءِ «۲».

وقوله سبحانه: إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّه كَانَ بِكُلِّ شَىءٍ عَليماً «۳»

كيف وهو محيط بالعالم صغيره وكبيره، مادّيه ومجرّده، والأشياء كلّها قائمة به قياماً قيّومياً كقيام المعنى الحرفى بالاسمى والرابطى بالطرفين، ويكفى فى توضيح ذلك قوله سبحانه: مَا أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فى الأَرْضِ وَلا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلّافِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسيرٌ «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۹

وقوله سبحانه: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلّاعَلَى اللَّه رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبين «۱».

وأمّا الأخبار فنكتفى بالقليل منها:

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «لم يزل اللَّه عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء» «۲».

وقال الإمام علىّ عليه السلام: «كلّ سرّ عندك علانية، وكلّ غيب عندك شهادة» «۳».

قال عليه السلام: «لا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافى الريح فى الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ فى الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفىّ طرف الأحداق» «۴».

وقال الصادق عليه السلام فى تفسير قوله: يمحوا اللَّه ما يشاءُ ويثبتُ وعندَهُ أُمُّ الكتاب «۵»

: «فكل أمر يريده اللَّه، فهو فى علمه قبل أن يصنعه، ليس شىء يبدو له إلّاوقد كان فى علمه، إنّ اللَّه لا يبدو له من جهل» «۶».

وقال عليه السلام: «من زعم أنّ اللَّه عزّ وجلّ يبدو له من شىء لم يعلمه أمس؛ فابرأوا منه» «۷».

إلى غير ذلك من الروايات التى تدلّ على إحاطة علمه بكلّ شىء قبل خلقه وحينه وبعده، وأنّه لا يخفى عليه شىء أبداً «۸».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۰

وأمّا العقل فقد دلّ على تنزّهه من وصمة الحدوث والتغيير، وأنّه تقدّست أسماؤه أعلى من أن يقع معرضاً للحوادث والتغييرات، ولأجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء عليه- بمعنى الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل- لاستلزامه كون ذاته محلّاً للتغيّر والتبدّل، المستلزم للتركيب والحدوث، إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه.

فالآيات وكذلك الأحاديث المروية عن أئمّة الشيعة عليهم السلام تشهد على علمه الذى لا يشوبه جهل، وعلى سعته لكلّ شىء قبل الخلق وبعده، وأنّه يستحيل عليه الظهور بعد الخفاء، والعلم بعد الجهل.

وعليه فمن نسب إلى الشيعة الإمامية ما يستشمّ منه خلاف ما دلّت عليه الآيات والأحاديث فقد افترى كذباً ينشأ من الجهل بعقائد الشيعة، أو التزلّف إلى حكّام العصر الحاقدين عليهم أو التعصّب المقيت.

وبذلك يعلم بطلان ما قاله الرازى فى تفسيره عند البحث عن آية المحو والإثبات، حيث يقول: قالت الرافضة: البداء جائز على اللَّه تعالى، وهو أن يعتقد شيئاً ثمّ يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله: يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت، ثمّ قال: إنّ هذا باطل؛ لأنّ علم اللَّه من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغيّر والتبدّل فيه باطلًا «۱».

وما حكاه الرازى عن «الرافضة» كاشف عن جهله بعقيدة الشيعة، وإنّما سمعه عن بعض الكذّابين الأفّاكين الذين يفتعلون الكذب لغايات فاسدة، وقد قبله من دون إمعان ودقّة، مع أنّ موطنه ومسقط رأسه بلدة (رى) التى كانت آنذاك مزدحم الشيعة ومركزهم، وكان الشيخ محمود بن علىّ بن الحسن سديد الدين الحمصى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۱

الرازى- علّامة زمانه فى الأُصولين- معاصراً ومواطناً للرازى وهو مؤلّف كتاب «المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد» «۱»، ولو كان الفخر الرازى رجلًا منصفاً لرجع إليه فى تبيين عقائد الشيعة، ولما هجم عليهم بسباب مقذع، وربّما ينقل عنه بعض الكلمات فى تفسيره. وليس الرازى فريداً فى التقوّل فى هذا المجال، بل سبقه البلخى (۳۱۹ ه) فى هذه النسبة «۲»، ونقله الشيخ الأشعرى (۲۶۰- ۳۲۴ ه) «۳» ونقله أبو الحسن النوبختى فى فرق الشيعة عن بعض فرق الزيدية «۴».

الثانيـة: كما دلّت الآيات والأحاديث «۵» على أنّه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والإيجاد، والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر، بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقة والإحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين، والاستغفار والتوبة وشكر النعمة وأداء حقّها، إلى غير ذلك من الأُمور التى تغيّر المصير وتبدّل القضاء، وتفرّج الهموم والغموم، وتزيد فى الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، كما أنّ لمحرَّم الأعمال وسيّئها من قبيل البخل والتقصير، وسوء الخلق، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والطيش، وعدم الإنابة، وكفران النعمة، وما شابهها تأثيراً فى تغيير مصيرهم بعكس ذلك من إكثار الهموم، والقلق، ونقصان الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، وما شاكلها.

فليس للإنسان مصير واحد، ومقدّر فارد؛ يصيبه على وجه القطع والبتّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۲

وينـاله، شاء أو لم يشأ، بل المصير أو المقدر يتغيّر ويتبدّل بالأعمال الصالحة والطالحة وشكر النعمة وكفرانها، وبالإيمان والتقوى، والكفر والفسوق. وهذا ممّا لا يمكن- لمن له أدنى علاقة بالكتاب والسنّة- إنكاره أو ادّعاء جهله.

ونحن نأتى فى المقام بقليل من كثير ممّا يدل على ذلك من الآيات والروايات.

البداء فى القرآن الكريم

البداء فى القرآن الكريم

منها: قوله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً «۱».

ترى أنّه عليه السلام يجعل الاستغفار علّة مؤثّرة فى نزول المطر، وكثرة الأموال والبنين، وجريان الأنهار إلى غير ذلك، وأمّا بيان كيفيّة تأثير عمل العبد فى الكائنات الطبيعية، فيطلب فى محلّه.

وقوله سبحانه: إِنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ «۲».

وقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّه لَم يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلَى قَوْمٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «۳».

وقوله سبحانه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «۴».

وقوله سبحانه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّه يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۳

لايَحْتَسِبْ «۱».

وقوله تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ «۲»

.

وقوله سبحانه: وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيم «۳».

وقال تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ «۴».

وقال سبحانه: وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ «۵».

وقال تعالى: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* وَأَنبَتْنَا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ «۶».

وقال تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ «۷».

وقال سبحانه: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّاقَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ «۸».

وهذه الآيات بالإضافة إلى كثير من الأحاديث- التى سيوافيك بيان نزر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۴

منها- تعرب عن أنّ الأعمال الصالحة مؤثّرة فى مصير الإنسان، وأنّ الإنسان بعمله يؤثّر فى تحديد قدره وتبديل القضاء، وليس هناك مقدّر محتوم فيما يرجع إلى أفعاله الاختيارية حتّى يكون العبد فى مقابله مكتوف الأيدى والأرجل.

البداء فى الروايات

اشارة

البداء فى الروايات

وأمّا الأحاديث التى تدلّ على هذا المطلب فكثيرة جدّاً مبعثرة فى كتب الحديث تحت مواضيع مختلفة مثل الصدقة والاستغفار والدعاء وصلة الرحم، وما أشبه ذلك، وسنذكر فيما يلى نماذج مختلفة من الأحاديث الدالّة على هذه المطالب:

ألف- الصدقة وأثرها فى دفع البلاء:

ألف- الصدقة وأثرها فى دفع البلاء:

روى الصدوق فى الخصال عن أنس قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أكثر من صدقة السرِّ؛ فإنّها تُطفئ غضب الربِّ جلّ جلاله».

وروى فى عيون الأخبار عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«باكروا بالصدقة، فمن باكر بها لم يتخطّاها البلاء».

وروى الشيخ الطوسى فى أماليه عن الباقر عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

أفضل ما توسّل به المتوسّلون الإيمان باللَّه، وصدقة السرِّ؛ فإنّها تذهب الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنائعُ المعروف؛ فإنّها تدفع ميتة السوء، وتقى مصارع الهوان».

وروى الصدوق فى ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام: قال: «الصدقة باليد تدفع ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء».

إلى غير ذلك من الروايات المتعدّدة والتى يضيق المجال بذكرها، وللمستزيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۵

الرجوع إلى كتاب بحار الأنوار للعلّامة المجلسى ضمن أبواب الزكاة والصدقة وغيرها «۱».

ب- أثر الاستغفار فى الرزق:

ب- أثر الاستغفار فى الرزق:

روى الصدوق فى الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الاستغفار يزيد فى الرزق».

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أكثروا الاستغفار؛ تجلبوا الرزق» «۲».

ج- الدعاء وآثاره:

ج- الدعاء وآثاره:

روى الحميرى فى قرب الإسناد عن الصادق عليه السلام: «إنّ الدعاء يردّ القضاء، وإنّ المؤمن ليأتى الذنب فيحرم به الرزق» «۳».

وروى أيضاً عنه عليه السلام: قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدعاء».

وروى الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء» «۴».

قد عقد الكلينى فى الكافى باباً أسماه «إنّ الدعاء يردّ البلاء والقضاء» ومن جملة أحاديث هذا الباب: روى عن حمّاد بن عثمان قال: سمعته يقول: «إنّ الدعاء يردّ القضاء؛ ينقضه كما ينقض السلك وقد أُبرم إبراماً» «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۶

وروى عن أبى الحسن موسى عليه السلام: «عليكم بالدعاء؛ فإنّ الدعاء للَّه والطلب إلى اللَّه يردّ البلاء وقد قدّر وقضى ولم يبق إلّاإمضاؤه، فإذا دعى اللَّه عزّ وجلّ وسئل، صرف البلاء صرفة» «۱».

وأمّا من طرق العامّة فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس- رضى اللَّه عنه- قال:

«لا ينفع الحذر عن القدر، ولكن اللَّه يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر».

قال: وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنّف، وابن أبى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود- رضى اللَّه عنه- قال: ما دعا عبد بهذه الدعوات إلّاوسّع اللَّه له فى معيشته:

«ياذا المنّ ولا يمنّ عليه، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول، لا إله إلّاأنت ظهر اللّاجين وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتنى عندك فى أُمّ الكتاب شقياً فامح عنّى اسم الشقاء وأثبتنى عندك سعيداً، وإن كنت كتبتنى عندك فى أُمّ الكتاب محروماً، مقتّراً على رزقى، فامح حرمانى، ويسّر رزقى، وأثبتنى عندك سعيداً موفّقاً للخير، فإنّك تقول فى كتابك الذى أنزلت: يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب «۲».

وروى أيضاً فى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى: يسأَلُهُ من فى السموات ما يقرب من هذا، فلاحظ «۳».

د- أثر صلة الرحم:

د- أثر صلة الرحم:

روى الكلينى عن أبى الحسن الرضا قال: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين، فيصيّرها اللَّه ثلاثين سنة، ويفعل اللَّه ما يشاء» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۷

وروى أيضاً عن أبى جعفر قال: «صلة الأرحام تزكّى الأعمال، وتنمى الأموال وتدفع البلوى، وتيسّر الحساب، وتنسئ فى الآجال» «۱».

ومن طرق العامّة وردت روايات متعدّدة فى هذا المنحى، نكتفى منها بما رواه السيوطى فى الدر المنثور عن علىّ رضى الله عنه: أنّه سأل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن هذه الآية:

يَمْحُوا اللَّه فقال له: «لأقرّن عينيك بتفسيرها، ولأقرّنّ عين أُمّتى بعدى بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، ويقى مصارع السوء».

وكما أنّ للأعمال الصالحة أثراً فى المصير وحسن العاقبة، وشمول الرحمة وزيادة العمر وسعة الرزق، كذلك الأعمال الطالحة والسيّئات لها من التأثير المعاكس الذى لا يخفى على أحد فى مسيرة حياة الإنسان.

ويدلّ على ذلك من الآيات قوله سبحانه:

وضَرَبَ اللَّه مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرتْ بِأَنْعُمِ اللَّه فَأَذَاقَها اللَّه لِباسَ الجُوعِ والخَوفِ بِمَا كانُوا

يَصْنَعُونَ «۲».

وقال سبحانه: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّه لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ «۳».

وقال سبحانه: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ «۴».

أمّا الروايات فى ذلك فحدّث عنها ولاحرج منها ما روى عن أمير المؤمنين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۸

علىّ عليه السلام عندما قال فى خطبة له: «أعوذ باللَّه من الذنوب التى تعجّل الفناء» فقام إليه عبد اللَّه بن الكوّاء اليشكرى، فقال: يا أمير المؤمنين أوَ تكون ذنوب تعجّل الفناء؟

فقال: «نعم ويلك! قطيعة الرحم». وقال أيضاً: «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار» «۱».

وقد وردت فى الآثار الوضعية للأعمال روايات يطول الكلام بنقلها. فلاحظ ما ورد فى الزنا من أنّ فيه ستّ خصال ثلاث منها فى الدنيا وثلاث منها فى الآخرة، أمّا التى فى الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجّل الفناء ويقطع الرزق «۲».

وأيضاً ما ورد فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مثل ما روى عن أبى الحسن الرضا عليه السلام من أنّه قال: «لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو لتستعملنّ عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» «۳».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّهم لمّا تمادوا فى المعاصى ولم ينههم الربّانيون والأحبار نزلت بهم العقوبات» «۴».

ورد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لا تزال أُمّتى بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر فى الأرض ولا فى السماء» «۵» إلى غير ذلك من درر الكلمات التى نقلت عن معادنها.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا:

أوّلًا: أنّ علمه سبحانه يعمّ كلّ الأشياء؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۹

وثانياً: أنّه سبحانه كلّ يوم هو فى شأن.

وثالثاً: أنّ لأفعال العباد تأثيراً فى حسن العاقبة وسوئها، ونزول الرحمة والبركة، أو العقاب والنقمة.

إذا وقفت على هذه المقدّمات الثلاث فاعلم: أنّه يقع الكلام فى البداء فى مقامين:

۱- البداء فى مقام الثبوت: أى تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة.

۲- البداء فى مقام الإثبات: أى الإخبار عن تحقّق الشىء علماً بالمقتضى مع خفاء المانع.

البداء فى مقام الثبوت

اشارة

البداء فى مقام الثبوت

إنّ حقيقة البداء أنّه سبحانه- على خلاف ما اعتقده اليهود والنصارى فى حقّه من فراغه عن أمر الخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، والتوسيع والتقدير فى الرزق، والتعمير والتنقيص، إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى الكون والإنسان- هو القائم دائماً بالأمر والتدبير، وهو القيّوم على كلّ شىء، وكلّ يوم فى شأن، وليست يداه مغلولتين، بل يداه مبسوطتان (فى كلّ شىء) يمحو ويثبت حسب مشيئته الحكيمة وإرادته النافذة، فهو المتجلّى فى كلّ زمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، كالخالقية والرازقية، والإحياء والإماتة، إلى غير

ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

ومن شعب هذا الأمر، هو أنّه سبحانه: يزيد فى الرزق والعمر وينقص منهما، وينزل الرحمة والبركة، كما ينزل البلاء والنقمة، حسب مشيئته الحكيمة، النافذة، ولا تصدر عنه الأُمور جزافاً واعتباطاً، بل حسب ما تقتضيها حال العباد من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۰

حسن الأفعال وقبحها، وصالح الأعمال وطالحها. فربّما يكون الإنسان مكتوباً فى الأشقياء، ثمّ يمحى فيكتب من السعداء، أو على العكس بسبب ما يقوم به من أعمال.

وبالجملة: فالبداء فى عالم الثبوت مخالف لزعم اليهود والنصارى المشار إليه فى قوله سبحانه: وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً «۱»

، وقد ردَّ سبحانه تلك العقيدة اليهودية الباطلة فى هذه الآية كما هو واضح.

ولأجل أنّ يديه سبحانه مبسوطتان، يزيد فى الخلق ما يشاء- وفى العمر- وينقص منه، حسب مشيئته الحكيمة قال سبحانه: الحَمْدُ للَّه فَاطِرِ السَّمواتِ والأَرْضِ... يَزِيدُ فِى الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ «۲».

قال سبحانه: وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلاتَضَعُ إِلَّابِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلّافِى كِتابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ «۳».

وبناء على ذلك فالبداء بهذا المعنى ممّا يشترك فيه كلّ المسلمين، على مذاهبهم المختلفة، من دون اختصاص بالشيعة، فليس أحد من المسلمين ينكر أنّه سبحانه كلّ يوم هو فى شأن، وأنّه جلّ وعلا يبدئ ويعيد، ويحيى ويميت، كما أنّه سبحانه يزيد فى الرزق والعمر وينقص، إلى غير ذلك حسب المشيئة الحكيمة والمصالح الكامنة فى أفعاله.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۱

بحث فى قوله تعالى: يمحوا اللَّه مايشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب:

بحث فى قوله تعالى: يمحوا اللَّه مايشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب:

هذا الأصل- الذى يعدّ من المعارف العليا تجاه ما عرف من اليهود، من سيادة القدر على كلّ شىء حتى إرادته سبحانه- يستفاد بوضوح من قوله سبحانه:

يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب «۱»

وهذه الآية هى الأصل فى البداء فى مقام الثبوت ويكفى فى إيضاح دلالتها، نقل كلمات المحقّقين من المفسّرين، حتّى يقف القارئ على أنّ القول بالبداء بالمعنى الصحيح، ممّا اصفقت عليه الأُمّة.

۱- روى الطبرى (ت ۳۱۰ ه) فى تفسير الآية عن جمع من الصحابة والتابعين أنّهم كانوا يدعون اللَّه سبحانه بتغيير المصير وإخراجهم من الشقاء- إن كتب عليهم- إلى السعادة، مثلًا كان عمر بن الخطاب- رضى اللَّه عنه- يقول وهو يطوف بالكعبة: اللّهم إن كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها، وإن كنت كتبتنى على الذنبِ [الشقاوة] فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة؛ فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أُمّ الكتاب.

وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسعود، وابن عبّاس، وشقيق وأبى وائل «۲».

روى عن ابن زيد أنّه قال فى قوله سبحانه: يمحوا اللَّه ما يشاء بما يُنزِّلُ على الأنبياء، ويُثبت ما يشاء ممّا ينزله إلى الأنبياء وقال: وعنده أُمّ الكتاب لايُغيّر ولايُبدَّل» «۳».

۲- قال الزمخشرى (ت ۵۲۸ ه): يمحوا اللَّه ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة فى إثباته أو ينزله غير منسوخ «۴».

۳- ذكر الطبرسى (۴۷۱- ۵۴۸ ه): لتفسير الآية وجوهاً متقاربة وقال:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۲

«الرابع أنّه عامٌّ فى كلّ شىء، فيمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما. (روى ذلك) عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبى وائل، وقتادة. وأُمّ الكتاب أصل الكتاب الذى أُثبتت فيه الحادثات والكائنات.

وروى أبو قلابَة عن ابن مسعود أنّه كان يقول: اللّهمّ إن كنت كتبتنى فى الأشقياء فامحنى من الأشقياء...» «۱».

۴- قال الرازى (ت ۶۰۸ ه): إنّ فى هذه الآية قولين:

القول الأوّل: إنّها عامة فى كلّ شىء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إنّ اللّه يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول فى الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر و ابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرّعون إلى اللّه تعالى فى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

والقول الثانى: إنّ هذه الآية خاصّة فى بعض الأشقياء دون البعض.

ثمّ قال: فإن قال قائل: ألستم تزعمون أنّ المقادير سابقة قد جفَّ بها القلم وليس الأمر بأنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى، المحو والإثبات؟

قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضاً مما جفّ به القلم، فلأنّه لايمحو إلّاما سبق فى علمه وقضائه محوه «۲».

۵- قال القرطبى (ت ۶۷۱ ه)- بعد نقل القولين وأنّ المحو والإثبات هل يعمّان جميع الأشياء أو يختصّان ببعضها-: مثل هذا لايدرك بالرأى والاجتهاد، وإنّما يؤخذ توقيفاً، فإن صحَّ فالقول به يجب أن يوقف عنده، وإلّا فتكون الآية عامّة فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۳

جميع الأشياء، وهو الأظهر- ثم نقل دعاء عمر بن الخطاب فى حال الطواف ودعاء عبداللّه بن مسعود ثم قال: روى فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «مَن سرَّه أن يبسط له فى رزقهِ ويُنسَأ له فى أثره (أجله) فليصل رحمه» «۱».

۶- قال ابن كثير (ت ۷۷۴ ه) بعد نقل قسم من الروايات: ومعنى هذه الروايات أنّ الأقدار ينسخ اللّه ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «إن الرجل لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبه ولايردّ القَدَرُ إلّابالدعاء، ولايزيد فى العمر إلّالبر» ثم نقل عن ابن عبّاس: «الكتاب كتابان؛ فكتاب يمحو اللّه منه ما يشاء ويثبت عنده ما يشاء، وعنده أُمّ الكتاب» «۲».

۷- روى السيوطى (ت ۹۱۱ ه) عن ابن عبّاس فى تفسير الآية: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة اللّه، ثم يعود لمعصية اللّه فيموت على ضلالة، فهو الذى يمحو، والذى يثبت: الرجل يعمل بمعصية اللّه تعالى وقد سبق له خير حتّى يموت وهو فى طاعة اللّه سبحانه وتعالى.

ثمّ نقل ما نقلناه من الدعاء عن جماعة من الصحابة والتابعين «۳».

۸- ذكر الآلوسى (ت ۱۲۷۰ ه) عند تفسير الآية قسماً من الآثار الواردة حولها وقال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ- كرم اللّه وجهه- أنّه سأل رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: يمحوا اللّه ما يشاء... الآية فقال له عليه الصلاة والسلام: «لأقرّنّ عينك بتفسيرها، ولأقرّنّ عين أُمّتى بعدى بتفسيرها: الصدقة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۴

على وجهها، وبرّ الوالدين واصطناع المعروف، محوِّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، ويقى مصارع السوء» ثم قال: دفع الإشكال عن استلزام ذلك، بتغيّر علم اللّه سبحانه، ومن شاء فليراجع «۱».

۹- قال صديق حسن خان (ت ۱۳۰۷ ه) فى تفسير الآية: وظاهر النظم القرآنى العموم فى كلّ شىء ممّا فى الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوةٍ أو سعادةٍ أو رزقٍ أو عمرٍ أو خيرٍ أو شرّ ويبدّل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا. لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وإلى هذا ذهب عمر بن الخطّاب وابن مسعود وابن عبّاس وأبو وائل وقتادة والضحّاك وابن جريج وغيرهم... «۲».

۱۰- قال القاسمى (ت ۱۳۳۲ ه): تمسّك جماعة بظاهر قوله تعالى: يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت فقالوا: إنّها عامَّة فى كلّ شىء كما- يقتضيه ظاهر اللفظ- قالوا يمحو اللَّه من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول فى الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر «۳».

۱۱- قال المراغى (ت ۱۳۷۱ ه) فى تفسير الآية: وقد أُثر عن أئمة السلف أقوال لاتناقض بل هى داخلة فيما سلف ثم نقل الأقوال بإجمال «۴».

وهذه الجمل والكلم الدرّية المضيئة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمفسّرين؛ تعرب عن الرأى العام بين المسلمين فى مجال إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة، ومنها الدعاء والسؤال، وأنّه ليس كلّ تقدير حتمياً لايغيّر ولايبدّل، وأنّ للَّه سبحانه لوحين: لوح المحو والإثبات ولوح «أُمّ الكتاب»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۵

والذى لايتطرّق التغيير إليه هو الثانى دون الأوّل، وأنّ القول بسيادة القدر على اختيار الإنسان فى مجال الطاعة والمعصية؛ قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب. ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل وإنزال الكتب ذلكَ ظَنُّ الَّذينَ كَفروا فَويلٌ لِلَّذينَ كَفروا مِنَ النّار «۱»

.

وكما أنّه سبحانه يداه مبسوطتان، كذلك العبد مختار فى أفعاله لا مسيّر، وحرٌّ فى تصرّفاته «۲» لا مجبور، له أن يغيّر مصيره ومقدَّره بحسن فعله وجودة عمله، ويخرج اسمه من الأشقياء، ويدخله فى السعداء، كما أنّ له أن يخرج اسمه من السعداء ويدخله فى الأشقياء بسوء عمله.

فاللَّه سبحانه كما يمحو ويثبت فى التكوين، فيحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد ويغيّره حسب ما يغيّر العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه: إنَّ اللَّه لا يُغَيّرُ مَا بِقَوْم حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «۳»

، كل ذلك لأجل أنّ يديه مبسوطتان، وأنّ العبد حرٌّ مختار، قادر على تغيير القضاء، وتبديل القدر، بحسن فعله أو سوئه، كما دلّت عليه الآيات والروايات.

وليس فى ذلك أىّ محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنّة، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه، هو أيضاً من قدره وقضائه وسننه التى لا تبديل لها ولا تغيير، فاللَّه سبحانه إذا قدّر لعبده شيئاً وقضى له بأمر، فلم يقدّره ولم يقضِ به على وجه القطع والبتّ، بحيث لا يتغيّر ولا يتبدّل، بل قضى به على وجه خاصّ، وهو أنّ القضاء والقدر يجرى عليه، ما لم يغيّر العبد حاله، فإذا غيّر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۶

حاله بحسن فعله أو سوئه، يتغيّر القضاء ويتبدّل القدر، ويخلف قضاء وقدر آخر مكانهما الأوّل، وكلّ هذه أيضاً قضاء وقدر منه، كما لا يخفى.

وهذا (البداء فى الثبوت) أولى من التسمية بالمحو والإثبات، والتغيير والتبديل فى الكون وفى مصير الإنسان، غير أنّ المحو والإثبات فى الكون بيد اللَّه سبحانه، يتصرّف فيه حسب مشيئته، ولا دخل لإرادة الإنسان وفى صلاح فعله وفساده، وأمّا التغيير فى مصير الإنسان فيتوقّف تعلّق المشيئة عليه؛ على كيفية حال العبد وكيفية عمله من حسن أو قبح.

الأثر التربوى للاعتقاد فى البداء:

الأثر التربوى للاعتقاد فى البداء:

الاعتقاد بالمحو والإثبات، وأنّ العبد قادر على تغيير مصيره بأفعاله وأعماله، لابدّ من أن يبعث الرجاء فى قلب من يريد أن يتطهّر،

وينمى نواة الخير الكامنة فى نفسه. فتشريع البداء، مثل تشريع قبول التوبة، والشفاعة، وتكفير الصغائر بالاجتناب عن الكبائر، كلّها لأجل بعث الرجاء وإيقاد نوره فى قلوب العصاة والعتاة، حتّى لا ييأسوا من روح اللَّه، ولا يتولّوا بتصور أنّهم من الأشقياء وأهل النار قدراً، وأنّه لافائدة من السعى والعمل، فلعلم الإنسان أنّه سبحانه لم يجفّ قلمه فى لوح المحو والإثبات، وله أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، يسعد من يشاء، ويشقى من يشاء «وليست مشيئته جزافية غير تابعة لضابطة عقلية» لأنّ العبد لو تاب، وعمل بالفرائض، وتمسّك بالعروة الوثقى، فإنّه يخرج من سلك الأشقياء، ويدخل فى صنف السعداء، وبالعكس. وهكذا فإنّ كلّ ما قدّر فى حقّه من الموت والمرض والفقر والشقاء يمكن تغييره بالدعاء، والصدقة، وصلة الرحم، وإكرام الوالدين، وغير ذلك، فجميع هذا من باب الرحمة الإلهية لأجل بثّ الأمل فى قلب الإنسان، وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصريح آياته

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۷

وأخبار الهداة.

وبهذا يظهر أنّ البداء من المعارف العليا التى اتّفقت عليه كلمة المسلمين، وإن غفل عن معناه الجمهور (ولو عرفوه لأذعنوا له).

وأمّا اليهود- خذلهم اللَّه- فقالوا باستحالة تعلّق المشيئة بغير ما جرى عليه القلم، ولأجل ذلك قالوا: يد اللَّه مغلولة عن القبض والبسط، والأخذ والإعطاء، وبعبارة أُخرى: فإنّهم يذهبون إلى أنّ للإنسان مصيراً واحداً لايمكن تغييره ولا تبديله، وأنّه ينال ما قدّر له من الخير والشر.

ولو صحّ ذلك لبطل الدعاء والتضرّع، ولبطل القول بأنّ للأعمال الصالحة وغير الصالحة ممّا عددناها تأثيراً فى تغيير مصير الإنسان.

على ضوء هذا البيان نتمكّن من فهم ما جاء فى فضيلة البداء وأهميته فى الروايات مثل ما روى زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق عليهما السلام): «ما عُبد اللَّه عزّ وجلّ بشىء مثل البداء» «۱».

وما روى عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللَّه عليه السلام: «ما عُظِّم اللَّه عزّ وجلّ بمثل البداء» «۲».

إذ لولا الإقرار بالبداء بهذا المعنى ما عُرف اللَّه حقّ المعرفة، بل ويبدو سبحانه فى نظر العبد (بناء على عقيدة بطلان البداء) أنّه مكتوف الأيدى، لا يقدر على تغيير ما قدّره، ولا محو ما أثبته.

ومن الروايات فى هذه المعنى ما روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لو يعلم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه» «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۸

وذلك لأنّ الاعتقاد بالبداء نظير الاعتقاد بتأثير التوبة والشفاعة يوجب رجوع العبد عن التمادى فى الغىّ والضلالة، والإنابة إلى الصلاح والهداية.

البداء فى مقام الإثبات

اشارة

البداء فى مقام الإثبات

إذا عرفت ما ذكرنا فاعلم: أنّ المراد من البداء فى مقام الإثبات هو وقوع التغير فى بعض مظاهر علمه سبحانه؛ فإنّ لعلمه سبحانه مظاهر، منها: ما لا يقبل التغيير، ومنها ما يقبل ذلك.

أمّا الأوّل: فهو المعبّر عنه ب «اللوح المحفوظ» تارة وب «أُمّ الكتاب» أُخرى، قال سبحانه: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱» . وقوله تعالى: وَإِنَّهُ فى أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ «۲».

وقال سبحانه: مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّافِي كِتابٍ مِن قَبْلِ أن نَبْرَأهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ «۳».

فاللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب يمكن التعبير عنه بأنّه ذلك الكتاب الذى كتب فيه ما يصيب الإنسان طيلة حياته من بلايا وفتن ونعيم وسرور بشكل لا يمكن أن يتطرّق إليها المحو والإثبات قدر شعرة، ولأجل ذلك لو تمكّن الإنسان أن يتّصل به، لوقف على الحوادث على ما هى عليه بلا خطأ ولا تخلّف.

أمّا الثانى: فهو لوح المحو والإثبات الذى أشار إليه سبحانه بقوله: يَمْحُوا اللَّه مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ «۴»

فالأحكام الثابتة فيه أحكام معلّقة على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۹

وجود شرطها أو عدم مانعها، فالتغيّر فيها لأجل إعواز شرطها أو تحقّق مانعها، فمثلًا يمكن أن يكتب فيه الموت نظراً إلى مقتضياته فى الوقت المعين المتّصل بالمقتضيات، إلّاأنّه ربّما يمحى ويؤجل ويكتب بدله توفر الصحّة؛ لفقدان شرط التقدير الأوّل أو طروّ مانع من تأثير المقتضى.

فالتقدير الأوّل يفرض لأجل قياس الحادث إلى مقتضيه، كما أنّ التقدير الثانى يتصوّر بالنسبة إلى جميع أجزاء علّته، فإنّ الشىء إذا قيس إلى مقتضيه- الذى يحتاج الصدور منه إلى وجود شرائط وعدم موانع- يمكن تقدير وجوده، بالنظر إلى مجموع أجزاء علّته التى منها الشرائط وعدم الموانع، ويقدّر عدمه لفرض عدم وجود شرائطه، وتحقّق موانعه.

إذا علمت ذلك فاعلم: أنّه ربّما يتّصل النبىّ أو الولىّ بلوح المحو والإثبات، فيقف على المقتضى من دون أن يقف على شرطه أو مانعه، فيخبر عن وقوع شىء ما، ولكنّه ربّما لا يتحقّق لأجل عدم تحقّق شرطه أو عدم تحقّق وجود مانعه، وذلك هو البداء فى عالم الإثبات.

وإن شئت قلت: إنّ موارد وقوع البداء حسب الإثبات من ثمرات البداء فى عالم الثبوت، ولم يرد فى الأخبار من هذا القسم من البداء إلّاموارد لا تتجاوز عدد الأصابع «۱»، نشير إليه بعد الفراغ عمّا ورد فى الذكر الحكيم.

تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:

تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:

- قال سبحانه: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلام حَلِيم* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ فَانظر مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّه مِنَ الصَّابِرِينَ «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۰

أخبر إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام بأنّه رأى فى المنام أنّه يذبحه، ورؤيا الأنبياء (كما ورد فى الحديث) من أقسام الوحى، فكانت رؤياه صادقة حاكية عن حقيقة ثابتة، وهى أمر اللَّه إبراهيم بذبح ولده، وقد تحقّق ذلك الأمر، أى أمر اللَّه سبحانه به.

ولكن قوله: إِنِّى أَرى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ يكشف عن أمرين:

أوّلًا: الأمر بذبح الولد أمر تشريعى كما عرفت وقد تحقّق.

ثانياً: الحكاية عن تحقّق ذلك فى الواقع الخارجى وأنّ إبراهيم سيمتثل ذلك، والحال أنّه لم يتحقّق لفقدان شرطه وهو عدم النسخ، ويحكى عن كلا الأمرين قوله: وفَدَينَاهُ بِذَبْحٍ عظيم.

و عندئذ يطرح هذا السؤال نفسه: بأنّه كيف أخبر خليل الرحمن بشىء من الملاحم والمغيبات، ثمّ لم يتحقّق؟ والجواب عن هذا السؤال يكمن فى الأمر الذى أشرنا إليه سابقاً وهو أنّ إبراهيم عليه السلام وقف على المقتضى فأخبر بالمقتضى، ولكنّه لم يقف على ما هو العلّة التامّة، وليس لعلمه هذا مصدر سوى اتّصاله بلوح المحو والإثبات.

۲- وأمّا يونس عليه السلام فإنّه أنذر قومه بأنّهم إن لم يؤمنوا فسوف يصيبهم العذاب إلى ثلاثة أيام «۱» وما كان قوله تخرّص أو تخويف، بل كان يخبر عن حقيقة يعلم بها، إلّا أنّ هذا الأمر لم يقع كما هو معروف، وفى هذا إشارة واضحة إلى أنّه عليه السلام وقف على المقتضى ولم يقف على المانع، وهو أنّ القوم سيتوبون عند رؤية العذاب توبة صادقة يعلمها اللّه تعالى ترفع عنهم العذاب الذى وعدوا به، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه:

فَلَوْلا كَانَت قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّاقَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِى الحَياةِ الدُّنيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِين «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۱

۳- أخبر موسى قومه بأنّه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، كما روى عن ابن عبّاس حيث قال: إنّ موسى قال لقومه: إنّ ربّى وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلف هارون فيكم، فلمّا فصل موسى إلى ربّه زاده اللّه عشراً، فكانت فتنتهم فى العشر التى زاده اللّه «۱».

وإلى هذا الأمر يشير قوله سبحانه: وَوَاعدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسى لأخيهِ هَارونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبيلَ المفسِدِينَ «۲».

فلا شكّ أنّ موسى أُطلع على الخبر الأوّل ولم يطلع على نسخه، وأنّ التوقيت سيزيد، ولا مصدر لعلمه إلّاالاتّصال بلوح المحو والإثبات.

هذه جملة الأخبار التى تحدَّث بها الذكر الحكيم عن أحداث ووقائع كان النبيّون عليهم السلام قد أخبروا بحتمية وقوعها على حدّ علمهم، إلّاأنّها لم تتحقّق، وعندها لا مناص من تفسيرها بوقوف أنبياء اللّه تعالى على المقتضى دون العلّة التامّة.

فعندما يظهر عدم التحقّق يطلق عليه البداء، والمراد به أنّه بدا من اللّه لنبيّه وللناس ما خفى عليهم، على غرار قوله سبحانه: وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللّه مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ «۳»

فالبداء إذا نسب إلى اللّه سبحانه فهو بداء منه، وإذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم.

وبعبارة أُخرى: البداء من اللّه هو إظهار ما خفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفى لهم، وهذا هو الحقّ الصراح الذى لا يرتاب فيه أحد.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۲

تلميحات للبداء فى الروايات الشريفة

تلميحات للبداء فى الروايات الشريفة

وأمّا ما ورد فى الروايات، فهو بين خمسة أو أزيد بقليل:

۱- إنّ المسيح عليه السلام مرّ بقوم مجلبين «۱»، فقال: «ما لهؤلاء»؟ قيل يا روح اللّه فلانة بنت فلانة تهدى إلى فلان فى ليلته هذه، فقال: «يجلبون اليوم ويبكون غداً»، فقال قائل منهم: ولم يا رسول اللّه؟ قال: «لأنّ صاحبتهم ميّتة فى ليلتها هذه»... فلمّا أصبحوا وجدوها على حالها، ليس بها شىء، فقالوا: يا روح اللّه إنّ التى أخبرتنا أمس أنّها ميّتة لم تمُت. فدخل المسيح دارها فقال: «ما صنعت ليلتك هذه»؟ قالت:

لم أصنع شيئاً إلّاوكنت أصنعه فيما مضى، إنّه كان يعترينا سائل فى كلّ ليلة جمعة فَنُنيله ما يقوته إلى مثلها. فقال المسيح: «تنحّ عن مجلسك» فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة، عاضّ على ذنبه، فقال عليه السلام: «بما صنعتِ، صُرِفَ عنكِ هذا» «۲».

۲- روى الكلينى عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «مرّ يهودى بالنبىّ صلى الله عليه و آله فقال:

السام عليك، فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: عليك. فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت فقال: الموت عليك. فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: وكذلك رددت. ثمّ قال النبىّ صلى الله عليه و آله: إنّ هذا اليهودى يعضّه أسود فى قفاه فيقتله.

قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ضعه، فوضع الحطب فإذا أسود فى جوف الحطب عاضّ على عود، فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملًا إلّا حطبى هذا حملته فجئت به وكان معى كعكتان، فأكلت واحدة وتصدّقت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۳

بواحدة على مسكين، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: بها دفع اللّه عنه، قال: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان» «۱».

ولا يمكن لأحدٍ تفسير مضامين الآيات الماضية وهذين الحديثين إلّاعن طريق البداء بالمعنى الذى تعرّفت عليه، وهو اتّصال النبىّ بلوح المحو والإثبات، والوقوف على المقتضى، والإخبار بمقتضاه دون الوقوف على العلّة التامّة.

۳- روى الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ اللّه تعالى عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، فمرّ بآدم اسم داود النبىّ عليه السلام فإذا عمره فى العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا ربِّ ما أقل عمر داود وما أكثر عمرى، يا ربّ إن أنا زدت داود من عمرى ثلاثين سنة، أتثبت ذلك له؟ قال اللّه: نعم يا آدم، فقال آدم: فإنّى قد زدته من عمرى ثلاثين سنة» قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «فأثبت اللّه عزّوجلّ لداود فى عمره ثلاثين سنة» «۲».

ترى أنّه سبحانه أثبت شيئاً، ثمّ محاه بدعاء نبيّه، وهذا هو المراد من قوله سبحانه: يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب فلو أخبر نبىّ اللّه عن عمر داود بأربعين سنة لم يكن كاذباً فى إخباره؛ لأنّه وقف على الإثبات الأوّل، ولم يقف على محوه.

۴- أوحى اللّه تعالى إلى نبىّ من أنبيائه أن يخبر أحد ملوك عصره بأنّه تعالى متوفّيه يوم كذا، فما كان من ذلك الملك إلّاأن رفع يديه بالدعاء إلى اللّه تعالى قائلًا:

ربّ أخّرنى حتّى يشبَّ طفلى وأقضى أمرى، فأوحى اللّه عزّوجلّ إلى ذلك النبىّ:

أن ائت فلاناً الملك وأخبره أنّى قد زدت فى عمره خمس عشرة سنة «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۴

۵- روى عمرو بن الحمق، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضرب على قرنه، فقال لى: «يا عمرو إنّى مفارقكم، ثمّ قال: سنة سبعين فيها بلاء»- قالها ثلاثاً- فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبنى وأُغمى عليه، فبكت أُمّ كلثوم فأفاق... فقلت: بأبى أنت وأُمّى قلتَ: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟

قال: «نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاء و يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب» «۱»

.

هذه جملة ما ورد فى البداء فى مقام الإثبات، وإن شئت قلت فى ثمرات البداء فى الثبوت، ولا تجد فى الأحاديث الشيعية بداء غير ما ذكرنا، ولو عثر المتتبّع على مورد، فهو نظير ما سبق من الموارد، والتحليل فى الجميع واحد.

إذا وقفت على ذلك تدرك بوضوح ضعف مقالة الرازى التى يقول فيها: إنّ أئمّة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم، لا يظهر معهما أحد عليهم:

الأوّل: القول بالبداء، فإذا قال: إنّهم سيكون لهم قوّة وشوكة، ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروا، قالوا: بدا للّه فيه «۲».

إنّ الذى نقله أئمّة الشيعة هو ما تعرّفت عليه من الروايات، وليس فيها شىء مما نسبه الرازى إليهم، فقد نقلوا قصّة رسول اللّه مع اليهودى، وقصة المسيح مع العروس، كما نقلوا قصّة عمر داود وعمر الملك، فهل يجد القارئ المنصف شيئاً مما ذكره الرازى؟!

وأمّا ما رواه عمرو بن الحمق فإنّما هو خبر واحد ذيّل كلامه بالآية قائلًا: بأنّ هذا ليس خبراً قطعياً وأنّه فى مظانّ المحو والإثبات.

أفيصحّ لأجل مثله رمى أئمّة الشيعة «بأنّهم وضعوا قاعدتين، وأنّهم كلّما

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۵

يقولون سيكون لهم قوّة ثمّ لا يكون، قالوا بدا للّه تعالى فيه»؟!

وقد سبق الرازى فى هذا الزعم أبو القاسم البلخى المعتزلى على ما حكاه شيخنا الطوسى فى تبيانه «۱».

تتمّة البحث

اشارة

تتمّة البحث

ثمّ إنّ إكمال البحث يتوقّف على ذكر أُمور:

الأمر الأوّل:

الأمر الأوّل:

إنّ البداء بالمعنى المذكور يجب أن يكون على وجه لا يستلزم تكذيب الأنبياء ووحيهم، وذلك بأن تدلّ قرائن على صحّة الإخبار الأوّل كما صحّ الخبر الثانى، وهو ما نراه واضحاً فى قصّة يونس وإبراهيم الخليل، فإنّ القوم قد شاهدوا طلائع العذاب فأذعنوا بصحّة خبر يونس، كما أنّ التفدية بذبح عظيم دلّت على صحّة إخبار الخليل، وهكذا وجود الأفعى تحت الثياب أو فى جوف حطب اليهودى يدلّان على صحّة إخبار النبىّ الأعظم.

كلّ ذلك يشهد على أنّ الخبر الأوّل كان صحيحاً ومقدّراً، غير أنّ الإنسان يمكن له أن يغيّر مصيره بعمله الصالح أو الطالح كما فى غير تلك المقامات.

وبالجملة: يجب أن يكون وقوع البداء مقروناً بما يدلّ على صحة إخبار النبىّ عليه السلام ولا يكون البداء على وجه يعدّ دليلًا على كذبه، ففى هذه الموارد دلّت القرائن على أنّ المخبر كان صادقاً فى خبره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۶

الأمر الثانى:

الأمر الثانى:

إنّ البداء لا يتحقّق فيما يتعلّق بنظام النبوّة والولاية والخاتمية والملاحم الغيبية التى تعدّ شعاراً للشريعة، فإذا أخبر المسيح بمجىء نبىّ اسمه أحمد، أو أخبر النبىّ بكونه خاتماً للرسل، أو أنّ الخلافة بعده لوصيّه، أو أنّه يخرج من ولده من يملأ الأرض قسطاً وعدلًا، ونظير ذلك، فلا يتحقّق فيه البداء قطعاً؛ لأنّ احتمال البداء فيه ناقض للحكمة، وموجب لضلال العباد، ولو كان احتمال هذا الباب مفتوحاً فى تلك المسائل الأُصولية لما وجب لأحد أن يقتفى النبىّ المبشَّر به، ولا يوالى الوصى المنصوص عليه، ولا يتلقّى دين الإسلام خاتماً، ولا ظهور المهدى أمراً مقضيّاً، بحجّة أنّه يمكن أن يقع فيه البداء. ففتح هذا الباب فى المعارف والعقائد والأُصول والسنن الإسلامية مخالف للحكمة وموجب لضلالة الناس، وهذا ما يستحيل على اللّه سبحانه، وإنّما مصبّ البداء هو القضايا الجزئية أو الشخصيّة، كما هو الحال فى الأخبار الماضية.

الأمر الثالث:

الأمر الثالث:

أنّ إطلاق البـداء فی هـذه الموارد، إنّما هو بالمعنی الذی عرفت، وأنّ حقیقته بداء من اللّه للناس وإظهار منه، ولو قیل بدا للّه، فإنّما هو من باب المشاکلة والمجاز، والقرآن ملیء به، فقد نسب الذکر الحکیم إلیه سبحانه المکر وقال: وَمَکَرُوا وَمَکَرَ اللّه واللّه خَیْرُ الماکِرِینَ «۱»

ولیست المناقشة فی التعبیر من دأب المحقّقین، فلو کـان أهـل السـنّة لا یروقهم التعبیر عن هـذا الأصل بلفظ البـداء للّه، فلیغیّروا التعبیر ویعبّروا عن هذه الحقیقة الناصعة بتعبیر یرضیهم.

ولکن الشیعة تبعت النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی هذا المصطلح، وهو أوّل من استعمل

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۵۷

تلک اللفظة فی حقّه سبحانه، وما یؤکّد ذلک هو ما رواه البخاری فی کتاب النبوّة «قصّة بدء الخلیقة» وفیها هذه اللفظة التی یستهجنها البعض ویتّهم الشیعة بابتداعها واختلاقها، فقد روی أبو هریرة:

أنّه سمع من رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «أنّ ثلاثة فی بنی إسرائیل أبرص وأقرع وأعمی بدا للّه أن یبتلیهم، فبعث إلیهم ملکاً فأتی الأبرص فقال: أی شیء أحبّ إلیک؟

قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرنی الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأُعطی لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أیّ المال أحبّ إلیک؟ قال: الإبل أو قال:

البقر- هو شکّ فی ذلک أنّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر:

البقر- فأُعطی ناقة عشراء، فقال: یبارک اللّه لک فیها.

وأتی الأقرع فقال: أیّ شیء أحبّ إلیک؟ قال: شعر حسن ویذهب عنّی هذا، قد قذرنی الناس. قال: فمسحه، فذهب، وأُعطی شعراً حسناً، قال: فأیّ المال أحب إلیک؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال: یبارک لک فیها.

وأتی الأعمی فقال: أیّ شیء أحبّ إلیک؟ قال: یردّ اللّه إلیّ بصری، فأُبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ اللّه إلیه بصره. قال: فأیّ المال أحب إلیک؟ قال:

الغنم، فأعطاه شاة والداً، فأنتج هذان وولّد هذا، فکان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم.

ثمّ إنّه أتی الأبرص فی صورته وهیئته فقال: رجل مسکین تقطّعت بی الحبال فی سفری فلا بلاغ الیوم إلّاباللّه ثمّ بک. أسألک بالذی أعطاک اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعیراً أتبلّغ علیه فی سفری، فقال له: إنّ الحقوق کثیرة. فقال له: کأنّی أعرفک ألم تکن أبرص یقذرک الناس، فقیراً فأعطاک اللّه؟

فأجابه: لقد ورثت لکابر عن کابر! فقال: إن کنت کاذباً فصیّرک اللّه إلی ما کنت.

وأتی الأقرع فی صورته وهیئته فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ علیه مثلما ردّ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۵۸

علیه هذا، فقال: إن کنت کاذباً فصیّرک اللّه إلی ما کنت.

وأتی الأعمی فی صورته فقال: رجل مسکین وابن سبیل وتقطّعت بی الحبال فی سفری فلا بلاغ الیوم إلّاباللّه، ثمّ بک. أسألک بالذی ردّ علیک بصرک شاة أتبلّغ بها فی سفری، فقال: قد کنت أعمی فردّ اللّه بصری، وفقیراً فقد أغنانی، فخذ ما شئت، فو اللّه لا أجحدک الیوم بشیء أخذته للّه، فقال: أمسک مالک فإنّما ابتلیتم فقد رضی اللّه عنک وسخط علی صاحبیک» «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۵۹

المسألة السادسة: الرجعة فی الکتاب والسنّة

المسألة السادسة: الرجعة فى الكتاب والسنّة

اشارة

المسألة السادسة: الرجعة فى الكتاب والسنّة

إنّ فكرة الرجعة التى تحدّثت عنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث المرويّة عن أهل بيت الرسالة ممّا يشنّع بها على الشيعة، فكأنَّ من قال بها رأى رأياً يوجب الخروج عن الدين، غير أنّ هؤلاء نسوا أو تناسوا أنّ أوّل من أبدى نظرية الرجعة هو الخليفة عمر بن الخطّاب، فقد أعلن عندما شاعت رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بأنّه ما مات وليعودنّ فيقطعنّ أيدى وأرجل أقوام...

عن أبى هريرة قال: لمّا توفّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قام عمر بن الخطّاب، فقال: إنّ رجالًا من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله توفّى، وإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله واللَّه ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، واللَّه ليرجعنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كما رجع موسى، فليقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مات «۱»!!

ولا يخفى أنّ كلام الخليفة لو كان كلاماً حقيقياً لابدّ أن يُحمل على أنّ النبىّ ما مات موتاً لا رجوع فيه وإنّما يرجع فيقوم بما أخبر عنه الخليفة، ولو أراد من نفى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۰

موته أنّه ما زال حيّاً فهو خلاف رأى جميع الصحابة الذين اتّفقوا على موته صلى الله عليه و آله، ولم يكن موت النبىّ صلى الله عليه و آله أمراً يدركه جميع الناس ولا يدركه الخليفة.

إنّ الرجعة بمعنى عود جماعة قليلة إلى الحياة الدنيوية قبل يوم القيامة ثمّ موتهم وحشرهم مجدّداً يوم القيامة ليس شيئاً يضادّ أُصول الإسلام، وليس فيه إنكار لأىّ حكم ضرورى، وليس القول برجعتهم إلى الدنيا يلغى بعثهم يوم القيامة، وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلى الحياة الدنيوية، نظير:

۱- إحياء جماعة من بنى إسرائيل «۱».

۲- إحياء قتيل بنى إسرائيل «۲».

۳- موت أُلوف من الناس وبعثهم من جديد «۳».

۴- بعث عزير بعد مائة عام من موته «۴».

۵- إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام «۵».

فلو كان الاعتقاد برجوع بعض الناس إلى الدنيا قبل القيامة أمراً محالًا، فما معنى هذه الآيات الصريحة فى رجوع جماعة إليها؟

ولو كان الرجوع إلى الدنيا على وجه الإطلاق تناسخاً فكيف تفسّر هذه الآيات؟

إنّ الاعتقاد بالذكر الحكيم يجرّنا إلى القول بأنّه ليس كلّ رجوع إلى الدنيا تناسخاً، وإنّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان إلى الدنيا عن طريق

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۱

النطفة والمرور بمراحل التكوّن البشرى من جديد ليصير إنساناً مرّة أُخرى، وأين هذا من الرجعة وعود الروح إلى البدن الكامل من جميع الجهات من دون أن يكون فيها رجوع من القوّة إلى الفعلية، أو دخول روح فى بدن آخر، إنساناً كان أو حيواناً؟!

اتّفقت الشيعة على بطلان التناسخ وامتناعه، وقد كتبوا فيه مقالات ورسائل يقف عليها من كان له إلمام بكتبهم وعقائدهم، وقد ذكروا أنّ للتناسخ أنواعاً وأقساماً، غير أنّ الرجوع إلى الدنيا من خلال دخول الروح إلى البدن الذى فارقه عند الموت لا يعدّ تناسخاً، وإنّما

هو إحياء للموتى، الذى كان معجزة من معاجز المسيح.

كلّ ذلك يدلّ على أنّه ليس أمام القول بالرجعة عراقيل وموانع، وإنّما هو أمر ممكن لو دلّ عليه الدليل القطعى نأخذ به وإلّا فنتركه فى سنبله، والحال أنّ بعض الآيات والروايات تدلّ على أنّه سيتحقّق الرجوع إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة لبعض الناس على وجه الإجمال، وأمّا من هم؟ وفى أىّ وقت يرجعون؟ ولأىّ غرض يعودون إلى الدنيا؟ فليس هنا مقام بيانها، إنّما نكتفى ببيان بعض الآيات الدالّة على وقوعه قبل البعث، وإليك الآيات.

قال سبحانه: وَإذا وَقَعَ القَولُ عَلَيهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النّاسَ كَانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنونَ* وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجَاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ «۱».

لايشكّ من أمعن النظر فى سياق الآيات وما ذكره المفسّرون حولها، فى أنّ الآية الأُولى تتعلّق بالحوادث التى تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۲

مكمّلة لها، وتدلّ على حشر فوج من كلّ جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنّ الحشر فى يوم القيامة يتعلّق بالجميع لا بالبعض، يقول سبحانه: وَيَومَ نُسَيّرُ الجِبالَ وَتَرى الأرضَ بارِزةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أحداً «۱».

أفبعد هذا التصريح يمكن تفسير الآية السابقة بيوم البعث والقيامة؟

وهذه الآية تعرب عن الرجعة التى تعتقد بها الشيعة فى حقّ جماعة خاصّة، وأمّا خصوصياتها فلم يحدّث عنها القرآن الكريم، وجاء التفصيل فى السنّة.

وقد سأل المأمون العباسى الإمام الرضا عليه السلام عن الرجعة، فأجابه بقوله: «إنّها حقّ قد كانت فى الأُمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يكون فى هذه الأُمّة كلّ ما كان فى الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة» «۲».

وأمّا من هم الراجعون؟ وما هو الهدف من إحيائهم؟ فيرجع فيه إلى الكتب المؤلّفة فى هذا الموضوع، وإجمال الجواب عن الأوّل: أنّ الراجعين لفيف من المؤمنين ولفيف من الظالمين.

وقال المفيد ناقلًا عن أئمّة أهل البيت: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم مَن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب «۳».

وقال أيضاً فى المسائل السرويّة: والرجعة عندنا تختصّ بمن محض الإيمان، ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين «۴».

وإجمال الجواب عن الثانى ما ذكره السيّد المرتضى، قال: إنّ اللّه تعالى يعيد عند

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۳

ظهور المهدى- عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف- قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم.

ملاحظات جديرة بالانتباه

ملاحظات جديرة بالانتباه

۱- إنّ الرجعة وإن كانت من مسلّمات عقائد الشيعة، ولكن التشيّع ليس منوطاً بالاعتقاد بها، فمن أنكرها فقد أنكر عقيدة مسلّمة بين أكثر الشيعة، ولكن لم يكن ركناً من أركان التشيّع، ولأجل ذلك نرى أنّ جماعة من الشيعة أوّلوا الأخبار الواردة فى الرجعة إلى رجوع الدولة إلى شيعتهم وأخذهم بمجارى الأُمور دون رجوع أعيان الأشخاص، والباعث لهم على هذا التأويل هو عجزهم عن تصحيح القول بها نظراً واستدلالًا، ولكن المحقّقين من الإمامية، أخذوا بظواهرها وبيّنوا عدم لزوم استحالة عقلية على القول بها لعموم

قدرة اللّه على كلّ مقدور، وأجابوا عن الشبه الواردة عليها، وإلى هذا الاختلاف يشير الشيخ المفيد بقوله: واتّفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم فى معنى الرجعة اختلاف.

ويشير إلى الاختلاف تلميذه الجليل الشريف المرتضى فى المسائل التى وردت عليه من الرىّ ومنها حول حقيقة الرجعة، فأجاب: بأنّ الذى تذهب إليه الشيعة الإمامية أنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور المهدى قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه، وأنّ قوماً من الشيعة تأوّلوا الرجعة على أنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهى إلى شيعتهم، من دون رجوع الأشخاص، وإحياء الأموات «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۴

۲- كيف يجتمع إعادة الظالمين مع قوله سبحانه: وحَرامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ «۱»

فإنّ هذه الآية تنفى رجوعهم بتاتاً، وحشر لفيف من الظالمين يخالفها.

والإجابة عن السؤال واضحة؛ فإنّ الآية مختصّة بالظالمين الذين أُهلكوا فى هذه الدنيا ورأوا جزاء عملهم فيها، فالآية تحكم بأنّهم لا يرجعون، وأمّا الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذة فترجع طائفة منهم ليروا جزاء عملهم فيها ثمّ يردّون إلى أشدّ العذاب فى الآخرة، فالآية تنفى رجوع طائفة من الظالمين الذين ماتوا حتف الأنف.

۳- إنّ الظاهر من قوله تعالى: حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلّى أعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلّا إنّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلها ومِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَومِ يُبْعَثُونَ «۲»

هو نفى الرجوع إلى الدنيا بعد مجيء الموت لأىّ أحد.

والإجابة عنها واضحة؛ فإنّ الآية كسائر السنن الإلهية الواردة فى حقّ الإنسان؛ فهى تفيد أنّ الموت بطبعه ليس بعده رجوع، وهذا لا ينافى رجوع البعض استثناءً ولمصالح عليا، كما مرّت الآيات الواردة فى هذا المضمار.

أضف إلى ذلك أنّ عود بعض الظالمين إلى الدنيا- على القول بالرجعة- إنّما هو لأجل عقابهم والانتقام منهم، وأين هذا من طلب هؤلاء الكفّار الرجوع لأجل تصحيح عملهم والقيام بما تركوه من الصالحات، وردّ هذا الفرع من الرجوع لا يكون دليلًا على نفى النوع الأوّل منه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۵

المسألة السابعة: زواج المتعة

المسألة السابعة: زواج المتعة

اشارة

المسألة السابعة: زواج المتعة

وممّا يشنع به على الشيعة: قولهم بجواز نكاح المتعة، ويعدّون القول بتشريعه أو بعدم نسخه مخالفاً للكتاب والسنّة. ورغم أنّ المسألة فرعية فقهية لا يناسب البحث عنها فى كتب تاريخ العقائد، إلّاأنّه لما كانت من شعائر فقه الشيعة، آثرنا أن نبحث عنها فى إطار الكتاب والسنّة، على وجه الإجمال، حتّى يقف القارئ على أنّ القول بأصل تشريعها وعدم نسخها ممّا يثبته الكتاب والسنّة، وأنّ القول بعدم تشريعها بتاتاً أو ادّعاء نسخها يضادّهما. وسيوافيك أنّ لفيفاً من الصحابة والتابعين كانوا يفتون بجوازها وعدم نسخها، وإنّما منع عنها عمر بن الخطاب لحافز نفسى أو اجتهاد شخصى لا دليل عليه وليس حجّة على الآخرين. وقد أبدى بنظيره فى متعة الحجّ فى زمن رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

فأمّا زواج المتعة: فهو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع- من نسب أو سبب أو رضاع أو

إحصان أو عـدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعية- بمهر مسـمّى إلى أجل مسـمّى بالرضا والاتّفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق. ويجب عليه مع الدخول بها- إذا لم تكن يائسة- أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۶

تعتد عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً «۱».

وولـد المتعـة- ذكراً كان أو أُنثى- يلحق بالأب ولا يدعى إلّابه، وله من الإرث ما أوصانا اللّه سبحانه به فى كتابه العزيز. كما يرث من الأُمّ، وتشمله جميع العمومات الواردة فى الآباء والأبناء والأُمّهات، وكذا العمومات الواردة فى الأُخوة والأخوات والأعمام والعمّات.

وبالجملـة: المتمتّع بها زوجـة حقيقـة، وولـدها ولـد حقيقة. ولا فرق بين الزواجين: الدائم والمنقطع إلّاأنّه لا توارث هنا ما بين الزوجين، ولاـ قسـمة ولاـ نفقـة لها. كما أنّ له العزل عنها. وهـذه الفوارق الجزئيـة فوارق فى الأحكام لا فى الماهيـة؛ لأنّ الماهيـة واحـدة غير أنّ أحدهما مؤقّت والآخر دائم، وأنّ الأوّل ينتهى بانتهاء الوقت والآخر ينتهى بالطلاق أو الفسخ.

وقـد أجمع أهل القبلة على أنّه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسـلام، ولا يشكّ أحد فى أصل مشـروعيّته، وانّما وقع الكلام فى نسخه أو بقاء مشروعيته.

النكاح المنقطع فى القرآن الكريم

اشارة

النكاح المنقطع فى القرآن الكريم

والأصل فى مشروعيته قوله سبحانه: وحلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ وأنْ تَجْمَعُوا بينَ الاختَينِ إلَّاما قَدْ سَلَفَ إنَّ اللَّه كانَ غَفُوراً رَحيماً* والْمُحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلّاما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّه عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنينَ غَيرَ مُسافِحينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَريضَةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَةِ إنَّ اللَّه كانَ عَليماً حَكيماً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۷

الآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه:

۱- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

۱- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

إنّ هـذه السورة؛ أى سورة النساء، تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح فى أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: وإنْ خِفْتُمْ ألَّا تُقْسِطُوا فى اليَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ ورُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألَّا تَعدِلُوا فَواحِدَةً... «۱».

وأمّا أحكام المهر فقد جاءت فى الآية التالية: وآتُوا النّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنيئاً مَريئاً «۲».

وأمّا نكـاح الإمـاء فقـد جاء فى قوله سـبحانه: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِن مّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ واللَّه أَعْلَمُ بِإيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ... «۳».

فقوله سبحانه: مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ إشارة إلى نكـاح السيّد لأمته، الـذى جاء فى قوله سبحانه أيضاً: إلّاعلَى أَزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ

أيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ... «۴».

وقوله سبحانه: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ إشارة إلى الزواج من أمة الغير.

فإلى هنا تمّ بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلّانكاح المتعة، وهو الذى جاء فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۸

الآيـة السابقـة، وحمـل قوله سـبحانه: فمـا اسـتمتعتم على الزواج الـدائم، وحمل قوله: فآتوهنّ أُجورهُنّ على المهور والصـدقات يوجب التكرار بلاـ وجه، فالنـاظر فى السورة يرى أنّ آياتهـا تكفّلت ببيـان أقسام الزواج على نظام خاصّ ولا يتحقّق ذلك إلّابحمل الآيـة على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً.

۲- تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع:

۲- تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع:

إنّ تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع فى قوله سبحانه: فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ يناسب نكاح المتعة الذى هو زواج مؤقّت لاـ النكـاح الـدائم، فـإنّ المهر هنـا يجب بمجرّد العقـد ولاـ يتنجّز وجوب دفع الكلّ إلّابالمسّ، وأمّا المتعارف فيختلف حسب اختلاف العادات العرفية، فربّما يؤخذ قبل العقد وأُخرى يترك إلى أن يرث أحدهما الآخر.

۳- تصريح جماعة من الصحابة بشأن نزولها:

۳- تصريح جماعة من الصحابة بشأن نزولها:

ذكرت أُمّـة كبيرة من أهل الحـديث نزولها فيها، وينتهى نقل هؤلاء إلى أمثال ابن عبّاس، وأُبى بن كعب، وعبد اللَّه بن مسـعود، وجابر بن عبـد اللَّه الأنصـارى، وحبيب بن أبى ثـابت، وسـعيد بن جبير، إلى غير ذلـك من رجال الحـديث الـذين لا يمكن اتهامهم بالوضع والجعل.

وقد ذكر نزولها من المفسّرين والمحدّثين:

إمام الحنابلة أحمد بن حنبل فى مسنده «۱».

وأبو جعفر الطبرى فى تفسيره «۲».

وأبو بكر الجصّاص الحنفى فى أحكام القرآن «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۹

وأبو بكر البيهقى فى السنن الكبرى «۱».

ومحمود بن عمر الزمخشرى فى الكشاف «۲».

وأبو بكر بن سعدون القرطبى فى تفسير جامع أحكام القرآن «۳».

وفخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب «۴».

إلى غير ذلك من المحدّثين والمفسّرين الذين جاءوا بعد ذلك إلى عصرنا هذا، ولا نطيل الكلام بذكرهم.

وليس لأحد أن يتّهم هؤلاء الأعلام بذكر ما لا يتّقون به. وبملاحظة هذه القرائن لا يكاد يشكّ فى ورودها فى نكاح المتعة.

ونزيد الوضوح بياناً بقوله سبحانه: وأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَراءَ ذلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحين.

أنّ قوله سـبحانه: أن تبتغوا مفعول له لفعـل مقـدّر، أى بيّن لكم مـا يحـلّ ممّـا يحرم لأجـل أن تبتغوا بأموالكم، وأمّا مفعول قوله: تبتغوا

فيعلم من القرينة وهو النساء؛ أى طلبكم النساء؛ أى بيّن الحلال والحرام لغاية ابتغائكم النساء من طريق الحلال لا الحرام.

وقوله سبحانه: محصنين وهو من الإحصان بمعنى العفّة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام، وقوله سبحانه: غير مسافحين هو جمع مسافح بمعنى الزانى مأخوذ من السفح بمعنى صبّ الماء، والمراد هنا هو الزانى بشهادة قوله سبحانه فى الآية المتأخّرة فى نكاح الإماء: وآتوهُنَّ أُجُورهنَّ بالمعروف

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۰

محصنات غير مسافحات أى عفائف غير زانيات.

ومعنى الآية: أنّ اللّه تبارك وتعالى شرّع لكم نكاح ما وراء المحرّمات لأجل أن تبتغوا بأموالكم ما يحصنكم ويصون عفّتكم ويصدّكم عن الزنا، وهذا المناط موجود فى جميع الأقسام، النكاح الدائم، والمؤقّت، والزواج بأمة الغير المذكورة فى هذه السورة من أوّلها إلى الآية ۲۵.

هذا هو الذى يفهمه كلّ انسان من ظواهر الآيات غير أنّ من لا يروقه الأخذ بظاهر الآية: فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ لرواسب نفسية أو بيئية حاول أن يطبق معنى الآية على العقد الدائم، وذكر فى المورد شبهات ضعيفة لا تصمد أمام النقاش نجملها بما يلى:

شبهات ضعيفة حول دلالة الآية

الشبهة الأُولى:

الشبهة الأُولى:

أنّ الهدف من تشريع النكاح هو تكوين الأُسرة وإيجاد النسل، وهو يختصّ بالنكاح الدائم دون المنقطع الذى لا يترتّب عليه إلّاإرضاء القوّة الشهوية وصبّ الماء وسفحه.

ويجاب عنها: بأنّه خلط بين الموضوع والفائدة المترتّبة عليه، وما ذكر إنّما هو من قبيل الحكمة، وليس الحكم دائراً مدارها، لضرورة أنّ النكاح صحيح وإن لم يكن هناك ذلك الغرض، كزواج العقيم واليائسة والصغيرة. بل أغلب المتزوّجين فى سن الشباب بالزواج الدائم لا يقصدون إلّاقضاء الوطر واستيفاء الشهوة من طريقها المشروع، ولا يخطر ببالهم طلب النسل أصلًا وإن حصل لهم قهراً، ولا يقدح ذلك فى صحّة زواجهم.

ومن العجب حصر فائدة المتعة فى قضاء الوطر، مع أنّها كالدائم قد يقصد منها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۱

النسل والخدمة وتدبير المنزل وتربية الأولاد والإرضاع والحضانة.

ونسأل المانعين الذين يتلقّون نكاح المتعة، مخالفاً للحكمة، التى من أجلها شرّع النكاح، نسألهم عن الزوجين اللّذين يتزوّجان نكاح دوام، ولكن ينويان الفراق بالطلاق بعد شهرين، فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظن أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك إلّاإذا أفتى بغير دليل ولا برهان، وبهذا الشكل يتعيّن الجزم بصحّة هذا النكاح، فأىّ فرق يكون حينئذ بين المتعة وهذا النكاح الدائم سوى أنّ المدّة مذكورة فى الأوّل دون الثانى؟

يقول صاحب المنار: إنّ تشديد علماء السلف والخلف فى منع المتعة بتيّة الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون إنّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه فى صيغة العقد، ولكن كتمانه إيّاه يعدّ خداعاً وغشّاً وهو أجدر بالبطلان من العقد الذى يشترط فيه التوقيت «۱».

أقول: نحن نفترض أنّ الزوجين رضيا بالتوقيت لبّاً، حتّى لا يكون هناك خداع وغشّ، فهو صحيح بلا إشكال.

الشبهة الثانية:

الشبهة الثانية:

إنّ تسويغ النكاح المؤقّت ينافى ما تقرّر فى القرآن كقوله عزّ وجلّ فى صفة المؤمنين: والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ* إلّاعَلَى أزواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومينَ* فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُون «۲».

والمراد من الآية: أنّ من ابتغى وراء ذلك، هم المتجاوزون ما أحلّه اللّه لهم إلى ما حرّمه عليهم. والمرأة المتمتّع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذى عليها بالمعروف.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۲

إلّا أ نّه يرد عليها: أنّها دعوة بلا دليل. فإنّها زوجة ولها أحكام، وعدم وجود النفقة والقسمة لا يخرجانها عن الزوجيّة، فإنّ الناشزة زوجة ليست لها النفقة وحقّ القسمة، ومثلها الصغيرة. والعجب أن يستدلّ بعدم وجود الأحكام على نفى الماهية، فإنّ الزوجيّة رابطة بين الزوجين تترتّب عليها جملة من الأحكام وربّما تختص بعض الأحكام ببعض الأقسام.

الشبهة الثالثة:

الشبهة الثالثة:

إنّ المتمتّع فى النكاح المؤقّت لا يقصد الإحصان دون المسافحة، بل يكون قصده مسافحة، فإن كان هناك نوع مّا من إحصان نفسه ومنعها من التنقّل فى دِمنِ الزنا، فإنّه لا يكون فيه شىء مّا من إحصان المرأة التى تؤجر نفسها كلّ طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل:

كرة حُذِفْت بصوالجة فتلقّفها رجل رجل «۱» ويرد على هذه الشبهة: أنّه من أين وقف على أنّ الإحصان فى النكاح المؤقّت يختصّ بالرجل دون المرأة، فإنّا إذا افترضنا كون العقد شرعياً، فكلّ واحد من الطرفين يُحصن نفسه من هذا الطريق، وإلّا فلا محيص عن التنقّل فى دمن الزنا.

والذى يصون الفتاة عن البغى أحد الأُمور الثلاثة:

۱- النكاح الدائم.

۲- النكاح المؤقّت بالشروط الماضية.

۳- كبت الشهوة الجنسية.

فالأوّل ربّما يكون غير ميسور خصوصاً للطالب والطالبة اللّذين يعيشان بمنح ورواتب مختصرة يجريها عليهما الوالدان أو الحكومة، وكبت الشهوة الجنسية أمر شاقّ لا يتحمّله إلّاالأمثل فالأمثل من الشباب والمثلى من النساء؛ وهم قليلون،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۳

فلم يبق إلّاالطريق الثانى، فيحصنان نفسهما عن التنقّل فى بيوت الدعارة.

إنّ الدين الإسلامى هو الدين الخاتم، ونبيّه خاتم الأنبياء، وكتابه خاتم الكتب، وشريعته خاتمة الشرائع، فلابدّ أن يضع لكلّ مشكلة اجتماعية حلولًا شرعية، يصون بها كرامة المؤمن والمؤمنة، وما المشكلة الجنسية عند الرجل والمرأة إلّاإحدى هذه النواحى التى لا يمكن للدين الإسلامى أن يهملها، وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه:

ماذا يفعل هؤلاء الطلبة والطالبات الذين لا يستطيعون القيام بالنكاح الدائم، وتمنعهم كرامتهم ودينهم عن التنقّل فى بيوت الدعارة والفساد، والحياة الماديّة بجمالها تؤجّج نار الشهوة فى نفوسهم؟ فمن المستحيل عادة أن يصون نفسه أحد إلّا من عصمه اللَّه، فلم يبق طريق إلّازواج المتعة، الذى يشكّل الحلّ الأنجع لتلافى الوقوع فى الزنا، وتبقى كلمة الإمام على بن أبى طالب ترنّ فى الآذان محذّرة من تفاقم هذا الأمر عند إهمال العلاج الذى وصفه المشرّع الحكيم له، حيث قال عليه السلام:

«لولا نهى عمر عن المتعة لما زنى إلّاشقىّ أو شقيّة».

وأمّا تشبيه المتعة بما جاء فى الشعر فهو يعرب عن جهل الرجل بحقيقة نكاح المتعة وحدودها، فإنّ ما جاء فيه هى المتعة الدورية التى ينسبها الرجل «۱» وغيره إلى الشيعة، وهم براء من هذا الإفك؛ إذ يجب على المتمتّع بها بعد انتهاء المدّة الاعتداد على ما ذكرنا، فكيف يمكن أن تؤجّر نفسها كلّ طائفة من الزمن لرجل؟! سبحان اللَّه! ما أجرأهم على الكذب على الشيعة والفرية عليهم، وما مضمون الشعر إلّاجسارة على الوحى والتشريع الإلهى، وقد اتّفقت كلمة المحدّثين والمفسّرين على التشريع، وأنّه لو كان هناك نهى أو نسخ فإنّما هو بعد التشريع والعمل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۴

الشبهة الرابعة: إنّ الآية منسوخة بالسنّة، واختلفوا فى زمن نسخها إلى أقوال شتّى:

۱- أُبيحت ثمّ نهى عنها عام خيبر.

۲- ما أُحلّت إلّافى عمرة القضاء.

۳- كانت مباحة ونهى عنها فى عام الفتح.

۴- أُبيحت عام أوطاس ثمّ نهى عنها «۱».

وهذه الأقوال تنفى الثقة بوقوع النسخ، كما أنّ نسخ القرآن بأخبار الآحاد ممنوع جدّاً، وقد صحّ عن عمران بن الحصين انّه قال: «إنّ اللَّه أنزل المتعة وما نسخها بآية أُخرى، وأمرنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالمتعة وما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه»، يريد به عمر بن الخطّاب.

إنّ الخليفة الثانى لم يدّع النسخ وإنّما أسند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من اللَّه عزّ وجلّ أو من رسوله، لأسند التحريم إليهما، وقد استفاض قول عمر وهو على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء.

بل نقل متكلّم الأشاعرة فى شرحه على شرح التجريد أنّه قال: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأنا أنهى عنهنّ، وأُحرمهنّ، وأُعاقب عليهنّ:

متعة النساء، ومتعة الحج، وحىّ على خير العمل «۲».

وقد روى عن ابن عبّاس- وهو من المصرّحين بحلّية المتعة وإباحتها- فى ردّه على من حاجّه بنهى أبى بكر وعمر لها، حيث قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۵

من السماء، أقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

حتّى أنّ ابن عمر لمّا سئل عنها، أفتى بالإباحة، فعارضوه بقول أبيه، فقال لهم:

أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحقّ أن يتّبع أم أمر عمر؟

كلّ ذلك يعرب عن أنّه لم يكن هناك نسخ ولا نهى نبوى، وإنّما كان تحريماً من جانب الخليفة، وهو فى حدّ ذاته يعتبر اجتهاداً قبالة النصّ الواضح، وهو ما انفكّ يعلن جملة من الصحابة رفضهم له وعدم إذعانهم لأمره، وإذا كان الخليفة قد اجتهد لأسباب رآها وأفتى

على أساسها، فكان الأولى بمن لحقوه أن يتنبّهوا لهذا الأمر لا أن يسرفوا فى تسويغه دون حجّة ولا دليل.

المنكرون للتحريم

المنكرون للتحريم

ذكرنا أنّ مجموعاً من وجوه الصحابة والتابعين أنكروا هذا التحريم ولم يقرّوا به، ومنهم:

١- علىّ أمير المؤمنين، فيما أخرجه الطبرى بالإسناد إليه أنّه قال: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّاشقىّ» «١».

٢- عبد اللَّه بن عمر، أخرج الإمام أحمد من حديث عبد اللَّه بن عمر، قال- وقد سئل عن متعة النساء-: واللَّه ما كنّا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله زانين ولا مسافحين، ثمّ قال: واللَّه لقد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «ليكوننّ قبل يوم القيامة المسيح الدجّال وكذّابون ثلاثون وأكثر» «٢».

٣- عبد اللَّه بن مسعود، روى البخارى عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: كنّا نغزو

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۶

مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وليس لنا شىء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثمّ رخّص لنا أن تنكح المرأة بالثوب إلى أجل معيّن، ثمّ قرأ علينا: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّه لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّه لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» «١». «٢» ۴- عمران بن حصين، أخرج البخارى فى صحيحه عنه، قال: نزلت آية المتعة فى كتاب اللَّه، ففعلناها مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولم ينزل قرآن يحرّمها، ولم ينه عنها حتّى مات. قال رجل برأيه ما شاء «٣».

أخرج أحمد فى مسنده عن أبى رجاء عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة فى كتاب اللَّه وعملنا بها مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلم تنزل آية تمنعها، ولم ينه عنها النبىّ صلى الله عليه و آله حتّى مات «۴».

۵- كما أنّ الخليفة العباسى المأمون أوشك أن ينادى فى أيام حكمه، بتحليل المتعة إلّاأنّه توقّف خوفاً من الفتنة وتفرّق المسلمين. قال ابن خلّكان، نقلًا عن محمّد بن منصور: قال: كنّا مع المأمون فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعة، فقال يحيى بن أكثم لى ولأبى العيناء: بكّرا غداً إليه فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلّا فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلى عهد أبى بكر- رضى اللَّه عنه- وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأبو بكر- رضى اللَّه عنه-؟! فأومأ أبو العيناء إلى محمّد بن منصور وقال: رجل يقول: من عمر بن الخطاب، نكلّمه نحن؟ فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا، فقال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۷

المأمون ليحيى: ما لى أراك متغيّراً؟ فقال: هو غمّ يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وحديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قال اللَّه تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إلى قوله: والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُون* إِلَّاعَلَى أَزْواجِهِمْ أو ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ ملومين* فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذَلِكَ فَأُوْلئِكَ هُمُ العادُونَ «١»

يا أمير المؤمنين زوج المتعة ملك يمين؟

قال: لا، قال: فهى الزوجة التى عند اللَّه ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟

قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين «٢».

أقول: هل عزب عن ابن أكثم- وقد كان ممّن يكنّ العداء لآل البيت- أنّ المتعة داخلة فى قوله سبحانه: إلّاعلى أزواجهم وانّ عدم الوراثة تخصيص فى الحكم، وهو لا ينافى ثبوتها، وكم لها من نظير، فالكافرة لا ترث الزوج المسلم، وبالعكس، كما أنّ القاتلة لا ترث

وهكذا العكس، وأمّا الولد فيلحق قطعاً، ونفى اللحوق ناشئ إمّا من الجهل بحكمها أو التجاهل به.

وما أقبح كلامه حيث فسّر المتعة بالزنا وقد أصفقت الأُمّة على تحليلها فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله والخليفة الأوّل، أفيحسب ابن أكثم أنّ الرسول صلى الله عليه و آله حلّل الزنا ولو مدَّة قصيرة؟!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

وهناك روايات مأثورة عن الخليفة نفسه، تعرب عن أنّ التحريم كان من صميم رأيه، من دون استناد إلى آية أو رواية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۸

فقد روى مسلم فى صحيحه: عن ابن أبى نضرة قال: كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال: على يدى دار الحديث: تمتّعنا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلمّا قام عمر قال: إنّ اللَّه كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتمّوا الحجّ والعمرة وأبتّوا نكاح هذه النساء، فلئِن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلّارجمته بالحجارة «۱».

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى نضرة قال: قلت لجابر: إنّ ابن الزبير ينهى عن المتعة، وانّ ابن عبّاس يأمر بها، فقال لى: على يدى جرى الحديث: تمتّعنا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومع أبى بكر، فلمّا ولّى عمر خطب الناس فقال: إنّ القرآن هو القرآن، وإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو الرسول، وإنّهما متعتان كانتا عَلى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إحداهما متعة الحج والأُخرى متعة النساء «۲».

وهذه المأثورات تعرب جملة من الملاحظات نجملها بملاحظتين اثنتين:

أوّلًا: أنّ المتعة كانت باقية على الحلّ إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وبقيت لوقت فى أيامه حتى نهى عنها ومنع.

وثانياً: أنّه باجتهاده قام بتحريم ما أحلّه الكتاب والسنّة، ومن المعلوم أنّ اجتهاده- لو صحّت تسميته بالاجتهاد- حجّة على نفسه لا على غيره.

وفى الختام نقول:

إنّ الجهل بفقه الشيعة أدّى بكثير من الكتّاب إلى التقوّل على الشيعة، وخصوصاً فى مسألة المتعة التى نحن فى صدد الحديث عنها، بجملة منكرة من الآراء والأحكام تدلّ على جهل مطبق أو خبث سريرة لا يدمغ، ومن هذه الأقوال: إنّ من أحكام المتعة عند الشيعة أنّه لا نصيب للولد من ميراث أبيه، وأنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۹

المتمتَّع بها لا عدّة لها، وانّها تستطيع أن تنتقل من رجل إلى رجل إن شاءت. ومن أجل هذا استقبحوا المتعة واستنكروها وشنَّعوا على من أباحها.

وقد خفى الواقع على هؤلاء، وانّ المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلّا بالعقد الدالّ على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوارث، والإنفاق وسائر الحقوق الماديّة، وانّ عليها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهى فى عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار «۱».

على أنّ الأمر الذى ينبغى الالتفات إليه وإدراكه بوضوح، أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة وعدم تحريمه- وهو ما يعلنون عنه صراحة ودون تردد- إلّاأنّهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلّافى حدود ضيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية فى مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۰

المسألة الثامنة: متعة الحج

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

إنّ الكاتب المصرى أحمد أمين، يصف الخليفة عمر بن الخطاب بأنّه كان ممّن يأخذ بروح القانون لا بلفظه «۱». وهو يريد بذلك تفسير ما شوهدت منه فى بعض الموارد المخالفة للنصوص، ولو صحّ ما ذكره فى بعضها؛ فإنّ البعض الآخر غير صحيح. ونحن نرى أنّه كان ممّن يجتهد تجاه النصّ، ويأخذ بالرأى، مكان الأخذ بالدليل.

إنّ العاطفة الدينية هى الّتى دفعت الكاتب المصرى إلى ذلك التفسير، ولو أنّه تأمّل فيما سبق من تنفيذ طلاق الثلاث، وما يأتى منه فى هذه المسألة من تحريم حجّ التمتّع، وحصره فى القِران والإفراد، يقف على أنّه كان ممّن يقدّم المصلحة المزعومة على الذكر الحكيم وتنصيص النبىّ الأكرم، وإنّه ما نهى عن متعة الحجّ وما هدّد بفاعلها إلّاأنّه كان يكره أن يغتسل الحاجّ تحت الأراك ثمّ يفيض منه إلى الحجّ ورأسه يقطر ماءً؛ لأنّ التحلّل من محظورات الإحرام بين العمرة والحجّ، من لوازم ذاك النوع من الحجّ، وهو ممّا كان لا يروقه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۱

وإن كنت فى شكّ فاقرأ ما نتلوه عليك:

اتّفق الفقهاء على أنّ أنواع الحجّ ثلاثة: تمتّع، وقران، وإفراد.

والمقصود من الأوّل، هو إحرام الشخص بالحجّ فى أشهره (شوال وذى القعدة وذى الحجّة). والإتيان بأعمالها، والتحلّل من محظورات الإحرام بالفراغ منها، ثمّ الإحرام بالحجّ من مكّة والإتيان بأعماله من الوقوف بعرفات والإفاضة إلى المشعر و...

ويصحّ هذا النوع من الحجّ ممّن كان آفاقياً، أى من لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ويبتعد بيته عن مكّة بمقدار يجوز فيه تقصير الصلاة. وعند الإماميّة من نأى عن مكّة (۴۸) ميلًا من كلّ جانب وهو لا يتجاوز عن (۱۶) فرسخاً.

وأمّا القسمان الآخران، فالقِران عند أهل السنّة هو الإحرام بالحجّ والعمرة معاً ويقول: لبّيك اللّهمّ بحجّ وعمرة، فيأتى بأعمال الحجّ أولًا ثمّ العمرة بإحرام واحد؛ وهو القِران الحقيقى.

وهناك قسم يسمّى بالقِران الحكمى؛ وهو أن يدخل إحرام الحجّ فى إحرام العمرة، ثمّ يجمع بين أعمالها. وذلك بأن يحرم بالعمرة أولًا، وقبل أن يطوف لها؛ إمّا أربعة أشواط، أو قبل أن يشرع فيه يحرم للحجّ، على اختلاف بين الحنفية والشافعية، وهل يكتفى بطواف وسعى واحد، أو لكلٍّ طوافه وسعيه؟ فيه اختلاف.

وأمّا الإفراد، فهو أن يُحرم بالحجّ من ميقاتِ بلده، وبعد الفراغ من أعماله، يُحرِم بالعمرة. والقِران والإفراد، يشترك فيهما جميع الناس ولا يختصّ بغير الآفاقى.

هذا لدى أهل السنّة، وأمّا الإماميّة، فالقران والإفراد واجب على من لم يكن بين مكّة وبيته (۴۸) ميلًا، وأمّا النائى عن هذا الحد، فواجبه هو حجّ التمتع.

والقِران والإفراد، ليسا أمرين متغايرين عندهم، بل يتمتّع كلّ منهما بإحرام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۲

للحجّ وإحرام للعمرة، غير أنّ الإحرام فى الأوّل يقترن بسوق الهدى دون الثانى، وعلى ذلك لا يجوز عندهم الإتيان بالحجّ والعمرة بإحرام واحد، ولا إدخال إحرام الحجّ فى إحرام العمرة، كما فى القران الحكمى «۱».

والأصل حجّ التمتع، كما فى قوله سبحانه: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ الَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ «۲»

.

وتفسير الآية: أنّ من تمتّع بسبب الإتيان بالعمرة بما يحرم على المحرم، كالطيب والمخيط والنساء ومتوجّهاً إلى الحجّ ف عليه ما استيسر من الهدى من البدنة أو البقرة أو الشاة. ثمّ بيّن كيفية الصيام وقال: ثلاثة أيّام فى الحجّ متواليات و سبعة إذا رجعتم إلى أوطانكم تلك عشرة كاملة وذلك أى التمتّع بالعمرة إلى الحجّ فرض على من لم يكن أهله باعتبار موطنه ومسكنه حاضرى المسجد الحرام أى لم يكن من أهل مكّة وقراها واتّقوا اللَّهَ فيما أُمرتم به ونهيتم عنه فى أمر الحجّ واعلموا أنّ اللَّه شديد العقاب.

والآية صريحة فى جواز التمتّع بمحظورات الإحرام بعد الإتيان بأعمال العمرة، وقبل التوجّه إلى الحجّ، ولم يدّع أحد كونها منسوخة بآية، أو قول أو فعل، بل أكّد النبىّ الأكرم تشريعه بعمله.

روى أهل السير والتاريخ: أنّ رسول اللَّه خرج فى العام العاشر من الهجرة إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة، وقالت عائشة: لا يُذكَر ولا يَذكُر النّاسُ إلّا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۳

الحجّ حتّى إذا كان بسرف وقد ساق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله معه الهدى، وأشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن يحلّوا بعمرة إلّامن ساق الهدى- إلى أن قالت:- ودخل رسول اللَّه مكة فحلّ كلّ من كان لا هدى معه، وحلّت نساؤه بعمرة- إلى أن قال:- لمّا أمر رسول اللَّه نساءه أن يحللن بعمرة قلن: فما يمنعك يا رسول اللَّه أن تحلّ معنا؟ فقال: إنّى أهديتُ ولبّوت فلا أُحلّ حتّى أنحَرَ هديى.

إنّ رسول اللَّه كان بعث علياً رضى الله عنه إلى نجران فلقيه بمكّة وقد أحرم فدخل على فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فوجدها قد حلَّتْ وتهيّأت فقال: ما لك يا بنت رسول اللَّه؟ قالت: أمرنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن نحلّ بعمرة فحللنا، ثمّ أتى رسول اللَّه، فلمّا فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: انطلق فطف بالبيت وحلّ كما حلّ أصحابك، قال: يا رسول اللَّه إنّى أهللتُ كما أهللتَ فقال: ارجع فاحلل كما حلّ أصحابُك، قال: يا رسول اللَّه إنّى قلت حين أحرمت: اللّهمّ إنّى أُهلُّ بما أهلَّ به نبيُّك وعبدُك ورسولُك صلى الله عليه و آله قال: فهل معك من هدى؟! قال: لا. فأشركه رسول اللَّه فى هديه وثبتَ على إحرامه مع رسول اللَّه حتّى فرغا من الحجّ، ونحر رسول اللَّه الهدى عنهما «۱».

هذا هو الذكر الحكيم المدعم بالسنّة وإجماع الأُمّة، ومع ذلك نرى أنّ بعض الصحابة لا يروقه متعة الحجّ لا فى عصر الرسالة ولا بعده بل يفتى بتحريمها! وإليك البيان:

۱- روى أبو داود أنّ النبىّ أمر أصحابه أن يجعلوها عمرة، يطوفوا ثمّ يُقصّروا ويُحلّوا إلّامن كان معه الهدى فقالوا: أننطلق إلى منى وذكورنا تقطر؟ فبلغ ذلك رسول اللَّه فقال: «لو أنّى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، ولولا أنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۴

معى الهدى لأحللت» «۱»

.

۲- روى مالك، عن محمد بن عبد اللَّه أنّه سمع سعد بن أبى وقاص والضحّاك ابن قيس عام حجّ معاوية بن أبى سفيان وممّا يذكران أن التّمتّع بالعمرة إلى الحجّ.

فقال الضحّاك بن قيس: لا يفعل ذلك إلّامن جهل أمر اللَّه عزّوجلّ. فقال سعد:

بئس ما قلت يا ابن أخى، فقال الضحّاك: إنّ عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول اللَّه وصنعناها معه «۲».

۳- وروى عن عبد اللَّه بن عمر أنّه قال: واللَّه لئن أعتمر قبل الحجّ وأهدى أحبّ إلىّ من أن أعتمر بعد الحجّ فى ذى الحجّة «۳».

۴- روى الترمذى عن سالم بن عبد اللَّه أنّه سمع رجلًا من أهل الشام وهو يسأل عبد اللَّه بن عمر عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ. فقال عبد اللَّه بن عمر: هى حلال، فقال الشامىّ: إنّ أباك قد نهى عنها! فقال عبد اللَّه بن عمر: أرأيت إن كان أبى نهى عنها وصنعها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أأمرُ أبى نتّبع أم أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فقال الرجل: بل أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: لقد صنعها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۴».

۵- روى مسلم عن أبى نضرة قال: كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد اللَّه فقال: على يدىّ دار الحديث وتمتّعنا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلمّا قام عمر قال: إنّ اللَّه كان يُحلّ لرسوله ما شاء، بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازلهُ، فأتمّوا الحجّ والعمرة للَّه كما أمركم اللَّه- إلى أن قال فى الحديث:- فافصلوا حجّكم من عمرتكم، فإنّه أتمّ لحجّكم وأتمّ لعمرتكم «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۵

ومن العجب أنّ الزرقانى يقوم بتصويب فتوى الخليفة ويعلّق على الرواية ويقول: الإتمام فى قوله سبحانه: فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للَّهِ يقتضى استمرارَ الإحرام إلى فراغ الحجّ ومنع التحلّل، والمتمتّع متحلّل ويستمتع بما كان محظوراً عليه «۱».

يلاحظ عليه أولًا: لو صحّ ما ذكره من التفسير تلزم المعارضة بين صدر الآية، أعنى قوله: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للَّهِ وبين ذيلها الدّالّ على جواز التمتّع بين الإحرامين بقوله: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةَ الَى الْحَجِّ وهو كما ترى.

وثانياً: أنّ الإتمام يهدف إلى فعل كلّ من الحجّ والعمرة تماماً، بمعنى: إذا شرعتم فى فعلِ كلّ فأتمّوه، مثل قوله: وَاذ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ «۲»

وقوله سبحانه: ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ الَى اللَّيْلِ «۳»

، لا إلى الاستمرار.

وثالثاً: إذا كان التفسير تبريراً لنهى الخليفة؛ فهو فى الوقت نفسه تخطئة للنبىّ الأكرم؛ حيث أمر أصحابه وأهل بيته بالتحلّل، وإنّما هو لم يتحلّل لسوقه الهدى.

نعم أراد الخليفة من قوله: «فافصلوا حجّكم من عمرتكم»، هو الإتيان بالعمرة فى غير أشهر الحجّ. روى الجصّاص عن ابن عمر أنّ عمر قال: أن تُفرّقوا بين الحجّ والعمرة؛ فتجعلوا العمرة فى غير أشهر الحج، أتمّ لحجّ أحدكم «۴».

۶- روى الإمام أحمد عن أبى نضرة عن جابر قال: متعتان كانتا على عهد النبىّ، فنهانا عنها عمر رضى الله عنه فانتهينا «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۶

۷- روى ابن حزم فى المحلّى بسنده قال: قال عمر بن الخطاب: متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم وأنا أنهى عنهما وأضرب عليهما- ثمّ قال:- هذا لفظ أيوب، وفى رواية خالد: أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحجّ «۱».

۸- لم يكن نهى الخليفة عن متعة الحجّ مستنداً إلى دليل شرعى وانّما نهى عنه لما كرهه أن يظلّوا معرّسين بهنّ فى الأراك، ثمّ يروحون بالحجّ تقطر رؤوسهم «۲».

وهذا هو الّذى نوّهنا عنه فى صدر البحث: أنّ الخليفة ومن لفّ لفّه، كانوا يقدّمون المصالح المزعومة على النصوص الشرعية مهما تضافرت وتواترت.

ثمّ إنّ المتأخّرين أرادوا حفظ كرامة الخليفة، فحرّفوا الكلم عن مواضعه وأوّلوا نهى الخليفة بوجهين:

۱- قالوا: إنّ ما حرّمه وأوعد عليه، غير هذا، وإنّما هو أن يحرم الرجل بالحجّ حتّى إذا دخل مكّة فسخ الحجّ إلى العمرة، ثمّ حَلّ وأقام حلالًا حتّى يهلّ بالحجّ يوم التروية «۳».

وهذا- كما ترى- لا يوافق ما مرّ من النصوص، خصوصاً ما نقلناه من المناظرة بين سعد والضحّاك بن قيس من صحيح مسلم. ومن

يقف على النصوص الكثيرة، والمناظرة الدائرة بين النبيّ وأصحابه، وبين الصحابة أنفسهم يطمئنّ إنّما نهى عن حجّ التمتع.

وقد روى البخارى عن مروان بن الحكم قال: شهدتُ عثمانَ وعليّاً- رضى اللّه عنهما- وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى عليٌّ (النهى) أهلّ بهما:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۷

لبّيك بعمرة وحجّة قال: ما كنت لأدع سنّة النبيّ صلى الله عليه و آله لقول أحد «۱».

۲- إنّ نهى الخليفة عن متعة الحجّ لاختصاص إباحة المتعة بالصحابة فى عمرتهم مع رسول اللّه فحسب.

ويكفينا فى الردّ عليه قول ابن قيّم الجوزية: «إنّ تلكم الآثار الدالّة على الاختصاص بالصحابة بين باطل لا يصحّ، عمّن نُسب إليه البتّة، وبين صحيح عن قائل غير معصوم لا يعارض به نصوص المشرِّع المعصوم، ففى صحيحة الشيخين وغيرهما عن سراقة بن مالك قال: مُتعتُنا هذه يا رسول اللّه ألعامنا هذا أم للأبد؟

قال: «لا بل للأبد» «۲»

.

قال العينى فى قوله سبحانه: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ اَلَى الْحَجِّ: أجمع المسلمون على إباحة التمتّع فى جميع الأعصار، وأمّا السنّة فحديث سراقة: المتعة لنا خاصّة أم هى للأبد؟ قال: «بل للأبد»، وحديث جابر المذكور فى صحيح مسلم فى صفة الحجّ نحو هذا. ومعناه أنّ أهل الجاهلية كانوا لا يجيزون التمتّع، ولا يرون العمرة فى أشهر الحجّ، فبيّن النبيّ صلى الله عليه و سلم أنّ اللّه قد شرّع العمرة فى أشهر الحج وجوّز المتعة إلى يوم القيامة «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۸

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

اشارة

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

اختلف المسلمون فى غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمّة الأربعة إلى أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الإمامية: إنّه المسح، وقال داود بن على والناصر للحقّ من الزيدية: يجب الجمع بينهما، وهو صريح الطبرى فى تفسيره:

ونقل عن الحسن البصرى: أنّه مخيّر بينهما «۱».

وممّا يثير العجب اختلاف المسلمين فى هذه المسألة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول اللّه صلى الله عليه و آله كلّ يوم وليلة فى موطنه ومهجره، وفى حضره وسفره، ومع ذلك اختلفوا فى أشدّ المسائل ابتلاءً، وهذا يعرب عن أنّ الاجتهاد لعب فى هذه المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها.

إنّ الذكر الحكيم تكفّل ببيان المسألة وما أبقى فيها إبهاماً وإعضالًا، ومثل ذلك بيّنه رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ومن هنا فلابدّ من الجزم بأنّ المسلمين كانوا قد اتّفقوا على فعل واحد، وإلّا فما كان هذا الأمر بخفى، وكان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقوم بتوضيحه، إذن فلا محيص من القول بأنّ الحاضرين فى عصر النزول فهموا من الآية معنىً واحداً:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۹

إمّا المسح أو الغسل، ولم يتردّدوا فى حكم الرجلين أبداً. ولو خفى حكم هذه المسألة بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله على

الأجيال الآتية فلا غرو فى أنّ يخفى على المسلمين حكم أكثر المسائل.

وقفة مع آية الوضوء

وقفة مع آية الوضوء

وليس فيها شيء أوثق من كتاب اللَّه فعلينا دراسة ما جاء فيه، قال سبحانه:

يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلى المَرافِقِ وامْسَحُوا بِرؤوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلى الكَعْبَيْن «۱»

وقد اختلف القرّاء فى قراءة: وأرجلكم إلى الكعبين فمنهم من قرأ بالفتح، ومنهم من قرأ بالكسر إلّا أنّه من البعيد أن تكون كلّ من القراءتين موصولة إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فإنّ تجويزهما يضفى على الآية إبهاماً وإعضالًا، ويجعل الآية لغزاً، والقرآن كتاب الهداية والإرشاد، وتلك الغاية تطلب لنفسها الوضوح وجلاء البيان، خصوصاً فيما يتعلّق بالأعمال والأحكام التى يبتلى بها عامّة المسلمين، ولا تقاس بالمعارف والعقائد التى يختصّ الإمعان فيها بالأمثل فالأمثل.

وعلى كلّ تقدير فممّن حقّق مفاد الآية وبيّنها الإمام الرازى فى تفسيره، ننقل كلامه بتلخيص:

قال: حجّة من قال بوجوب المسح مبنى على القراءتين المشهورتين فى قوله:

وأرجلكم وهما:

الأوّل: قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم- فى رواية أبى بكر عنه- بالجرّ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۰

الثانى: قرأ نافع وابن عامر وعاصم- فى رواية حفص عنه- بالنصب.

أمّا القراءة بالجرّ فهى تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرؤوس فكما وجب المسح فى الرأس، فكذلك فى الأرجل.

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون الجرّ على الجوار؟ كما فى قوله: «جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» وقوله: «كَبِيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمّلٍ».

قيل: هذا باطل من وجوه:

۱- إنّ الكسر على الجوار معدود من اللحن الذى قد يتحمّل لأجل الضرورة فى الشعر، وكلام اللَّه يجب تنزيهه عنه.

۲- إنّ الكسر على الجوار انّما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما فى قوله: «جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» فإنّ «الخَرِب» لا يكون نعتاً للضبّ بل للجحر، وفى هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.

۳- إنّ الكسر بالجوار إنّما يكون بدون حرف العطف وأمّا مع حرف العطف فلم تتكلّم به العرب.

وأمّا القراءة بالنصب فهى أيضاً توجب المسح، وذلك لأنّ «برؤوسكم» فى قوله: «فامسحوا برؤوسكم» فى محل النصب «۱» بامسحوا لأنّه المفعول به، ولكنّها مجرورة لفظاً بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز فى الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، وجاز الجرّ عطفاً على الظاهر.

نزيد بياناً انّه على قراءة النصب يتعيّن العطف على محلّ برؤوسكم، ولا يجوز العطف على ظاهر أيديكم لاستلزامه الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بجملة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۱

أجنبية وهو غير جائز فى المفرد، فضلًا عن الجملة.

هذا هو الذى يعرفه المتدبّر فى الذكر الحكيم، ولا يسوغ لمسلم أن يعدل عن القرآن إلى غيره، فإذا كان هو المهيمن على جميع الكتب السماوية، فأولى أن يكون مهيمناً على ما فى أيدى الناس من الحقّ والباطل، والمأثورات التى الحديث فيها ذو شجون. مع كونها متضاربة فى المقام، فلو ورد فيها الأمر بالغسل، فقد جاء فيها الأمر بالمسح، رواه الطبرى عن الصحابة والتابعين نشير إليه على

وجه الإجمال.

۱- ابن عباس، قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

۲- كان أنس إذا مسح قدميه بلّهما، ولمّا خطب الحجّاج وقال: ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه فى قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، قال أنس: صدق اللَّه وكذب الحجّاج، قال اللَّه: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما.

۳- عكرمة، قال: ليس على الرجلين غسل، وإنّما نزل فيهما المسح.

۴- الشعبى قال: نزل جبرئيل بالمسح وقال: ألا ترى أنّ التيمّم أن يمسح ما كان غسلًا ويلغى ما كان مسحاً.

۵- عامر: أُمر أن يمسح فى التيمّم ما أُمر أن يغسل بالوضوء، وأُبطل ما أُمر أن يمسح فى الوضوء؛ الرأس والرجلان. وقيل له: إنّ أُناساً يقولون: إنّ جبرئيل نزل بغسل الرجلين فقال: نزل جبرئيل بالمسح.

۶- قتادة فى تفسير الآية: افترض اللَّه غسلتين ومسحتين.

۷- الأعمش: قرأ «وأرجلكم» مخفوضة اللام.

۸- علقمة: قرأ «أرجلكم» مخفوضة اللام.

۹- الضحاك: قرأ «وأرجلكم» بالكسر.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۲

۱۰- مجاهد: مثل ما تقدّم «۱».

وهؤلاء من أعلام التابعين وفيهم الصحابيان: ابن عبّاس وأنس وقد أصفقوا على المسح وقراءة الجرّ الصريحة فى تقديم المسح على الغسل، وجمهور أهل السنّة يحتجّون بأقوالهم فى مجالات مختلفة، فلماذا أُعرض عنهم فى هذا المجال المهمّ والحسّاس فى عبادة المسلم.

إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم يسندون المسح إلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ويحكون وضوءه به، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ألا أحكى لكم وضوء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله»؟ ثمّ أخذ كفّاً من الماء فصبّها على وجهه... إلى أن قال: ثمّ مسح رأسه وقدميه.

وفى رواية أُخرى: ثمّ مسح ببقيّة ما بقى فى يديه رأسه ورجليه ولم يعدهما فى الإناء «۲».

وفى ضوء هذه الروايات والمأثورات اتّفقت الشيعة الإمامية على أنّ الوضوء غسلتان ومسحتان، وإلى ذلك يشير السيّد بحر العلوم فى منظومته الموسومة بالدرة النجفيّة:

إن الوضوء غسلتان عندنا ومسحتان والكتاب معنا

فالغسل للوجه ولليدينِ والمسح للرأس وللرجلينِ وبعد وضوح دلالة الآية، وإجماع أئمّة أهل البيت على المسح، واستناداً إلى جملة الأدلّة الواضحة التى ذكرنا بعضاً منها، فانّ القول بما يخالفها يبدو ضعيفاً ولا يصمد أمام النقاش، إلّاأنّا سنحاول أن نورد الوجوه التى استدلّ بها القائلون بالغسل ليتبين للقارئ الكريم مدى ضعف حجّيتها:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۳

أدلة القائلين بالغسل ونقضها

أدلة القائلين بالغسل ونقضها

۱- إنّ الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب

المصير إليه، ويكون غسل الأرجل يقوم مقام مسحها «۱».

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ أخبار الغسل معارضة بأخبار المسح، وليس شيء أوثق من كتاب اللّه، فلو دلّ على لزوم المسح لا يبقى مجال لترجيحه على روايات المسح. والقرآن هو المهيمن على الكتب والمأثورات، والمعارض منها للكتاب لا يقام له وزن.

وأعجب من ذلك قوله: إنّ الغسل مشتمل على المسح، مع أنّهما حقيقتان مختلفتان، فالغسل إمرار الماء على المغسول، والمسح إمرار اليد على الممسوح «۲» وهما حقيقتان مختلفتان لغة وعرفاً وشرعاً، ولو حاول الاحتياط لوجب الجمع بين المسح والغسل، لا الاكتفاء بالغسل.

۲- ما روى عن على عليه السلام من أنّه كان يقضى بين الناس فقال: «وأرجلكم هذا من المقدّم والمؤخّر فى الكلام فكأنّه سبحانه قال: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واغسلوا أرجلكم وامسحوا برؤوسكم» «۳».

لكنّه يرد بأنّ أئمّة أهل البيت كالباقر والصادق عليهما السلام أدرى بما فى البيت، وهما اتّفقا على المسح، وهل يمكن الاتّفاق على المسح مع اعتقاد كبيرهم بالغسل؟! إنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۴

المؤكّد هو أنّ هذه الرواية موضوعة عن لسان الإمام ليثيروا الشكّ بين أتباعه وشيعته. ولا نعلّق على احتمال التقديم والتأخير شيئاً، سوى أنّه يجعل معنى الآية شيئاً مبهماً فى المورد الذى يطلب فيه الوضوح؛ إذ هى المرجع للقروى والبدوى، وللحاضر عصر النزول، والغائب عنه، فيجب أن يكون على نسق ينتقل منه إلى المراد، ثمّ إنّه أىّ ضرورة اقتضت هذا التقدّيم والتأخير، مع إنّه كان من الممكن ذكر الأرجل بعد الأيدى من دون تأخير؟ ولو كان الدافع إلى التأخير هو بيان الترتيب، وإنّ غسل الأرجل بعد مسح الرأس، فكان من الممكن أن يُذكر فعله ويقال:

فامسَحُوا بِرُؤُوسِكُم واغْسلوا أرجلكم إلى الكعبين. كلّ ذلك يعرب عن أنّ هذه محاولات فاشلة لتصحيح الاجتهاد تجاه النصّ، وما عليه أئمّة أهل البيت من الاتّفاق على المسح.

۳- ما روى عن ابن عمر فى الصحيحين قال: تخلّف عنّا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، وجعلنا نتوضّأ ونمسح على أرجلنا، قال:

فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار»- مرتين أو ثلاثاً- «۱».

ويردّ هذا الاستدلال: أنّ هذه الرواية على تعيّن المسح أدلّ من دلالتها على غسل الرجلين؛ فإنّها صريحة فى أنّ الصحابة يمسحون، وهذا دليل على أنّ المعروف عندهم هو المسح، وما ذكره البخارى من أنّ الإنكار عليهم كان بسبب المسح لا بسبب الاقتصار على بعض الرجل، اجتهاد منه، وهو حجّة عليه لا على غيره، فكيف يمكن أن يخفى على ابن عمر حكم الرجلين حتّى يمسح رجليه عدّة سنين إلى أن ينكر عليه النبىّ المسح؟!

على أنّ للرواية معنى آخر تؤيّده بعض المأثورات، فقد روى: أنّ قوماً من أجلاف العرب، كانوا يبولون وهم قيام، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۵

فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لذلك الوعيد «۱» ويؤيّد ذلك ما يوصف به بعض الأعراب بقولهم: بوّال على عقبيه، وعلى فرض كون المراد ما ذكره البخارى، فلا تقاوم الرواية نصّ الكتاب.

۴- روى ابن ماجة القزوينى عن أبى إسحاق عن أبى حيّة، قال: رأيت عليّاً توضّأ فغسل قدميه إلى الكعبين ثمّ قال: «أردت أن أُريكم طهور نبيّكم» «۲».

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ أبا حيّة مجهول لا يعرف، ونقله عنه أبو إسحاق الذى شاخ ونسى واختلط وترك الناس روايته «۳» أضف إليه

أنّه يعارض ما رواه عنه أهل بيته، وأئمّة أهل بيته، خصوصاً من لازمه فى حياته وهو ابن عبّاس كما مرّ.

۵- قال صاحب المنار: وأقوى الحجج اللفظيـة على الإماميـة جعل الكعبين غايـة طهارة الرجلين، وهذا لا يحصل إلّا باستيعابهما بالماء؛ لأنّ الكعبين هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل.

وهذا القول يلاحظ عليه: أنّا نفترض أنّ المراد من الكعبين هو ما ذكره، لكنّا نسأله: لماذا لا تحصل تلك الغاية إلّا باستيعابها بالماء؟ مع أنّه يمكن تحصـيل تلك الغاية بمسـحهما بالنداوة المتبقية فى اليد، والاختبار سـهل، فها نحن من الذين يمسحون الأرجل إلى العظمين الناتئين بنداوة اليد، ولا نرى فى العمل إعضالًا وعسراً.

۶- وقال: إنّ الإمامية يمسـحون ظاهر القدم إلى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم، ويقولون هو الكعب، ففى الرجل كعب واحد على رأيهم، فلو صحّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۶

هذا لقال: إلى الكعاب كما قال فى اليدين: «إلى المرافق» «۱».

أقول: إنّ المشهور بين الإمامية هو تفسير الكعب بقبّة القدم التى هى معقد الشراك، وهناك من يذهب إلى أنّ المراد هو المفصل بين السـاق والقـدم، وذهب قليل منهم إلى أنّ المراد هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل. وعلى كلّ تقـدير، يصـحّ إطلاق الكعبين، وإن كان حدّ المسح هو معقد الشراك أو المفصل، فيكون المعنى: فامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين منكم إذ لا شك أنّ كلّ مكلّف يملك كعبين فى رجليه.

أضف إلى ذلـك: أنّه لو صـحّ التفسير بما ذكره فإنّه يجب أن يوسّع الممسوح ويحـدّد بالعظمين الناتئين لا أن يبـدّل المسـح بالغسل، وكأنّه تخيّل أنّ المسح بالنداوة المتبقّية فى اليد لا يتحقّق بها، وأنّ اليد تجفّ قبل الوصول إليهما.

ولعمرى أنّ هذه اجتهادات واهية، وتخرّصات لا قيمة لها فى مقابل الذكر الحكيم.

۷- آخر مـا عنـد صـاحب المنـار فى توجيه غسل الأرجل هو التمسّك بالمصالـح، حيث قال: لا يعقل لإيجاب مسـح ظاهر القـدم باليد المبلّلـة بالماء حكمة، بل هو خلاف حكمة الوضوء؛ لأنّ طروء الرطوبة القليلة على العضو الذى عليه غبار أو وسخ يزيده وساخة، وينال اليد الماسحة حظّ من هذه الوساخة.

وهذا القول يردّه: أنّ ما ذكره اسـتحسان لا يُعرَّج عليه مع وجود النصّ، فلا شكّ أنّ الأحكام الشـرعية تابعة للمصالح الواقعية ولا يجب علينا أن نقف عليها، فأىّ مصلحة فى المسح على الرأس ولو بمقدار إصبع أو إصبعين حتّى قال الشافعى:

إذا مسح الرجل بإصبع واحدة أو بعض إصبع أو باطن كفه، أو أمر مَن يمسح له أجزأه ذلك؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۷

وهناك كلمة قيّمة للإمام شرف الدين الموسوى نأتى بنصّها، قال- رحمه اللَّه-:

نحن نؤمن بـأنّ الشـارع المقـدّس لاحـظ عباده فى كلّ ما كلّفهم به من أحكامه الشـرعية، فلم يأمرهم إلّابما فيه مصـلحتهم، ولم ينههم إلّاعمّا فيه مفسـدة لهم، لكنّه مع ذلك لم يجعل شـيئاً من مـدارك تلك الأحكام منوطاً من حيث المصالـح والمفاسـد بآراء العباد، بل تعبّـدهم بأدلّـة قويّـة عيّنها لهم، فلم يجعل لهم مندوحـة عنها إلى ما سواها. وأوّل تلك الأدلّـة الحكيمة كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وقد حكم بمسـح الرؤوس والأرجل فى الوضوء، فلا مندوحـة عن البخوع لحكمه، أمّا نقاء الأرجل من الـدنس فلابدّ من إحرازه قبل المسح عليها عملًا بأدلّة خاصّة دلّت على اشتراط الطهارة فى أعضاء الوضوء قبل الشـروع فيه «۱». ولعلّ غسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رجليه- المـدّعى فى أخبـار الغسـل- إنّمـا كـان من هـذا الباب، ولعلّه كان من باب التبرّد، أو كان من باب المبالغـة فى النظافـة بعـد الفراغ من الوضوء. واللَّه أعلم «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۸

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

اشارة

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبودية والانقياد والتذلّل من قبل المخلوق لخالقه، هو السجود، وبه يؤكّد المؤمن عبوديته المؤكّدة للّه تعالى، ومن هنا فانّ البارئ عزّ اسمه يقدّر لعبده هذا التصاغر وهذه الطاعة؛ فيضفى على الساجد فيض لطفه وعظيم إحسانه، لذا روى فى بعض المأثورات: «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده».

ولمّا كانت الصلاة من بين العبادات معراجاً يتميّز بها المؤمن عن الكافر، وكان السجود ركناً من أركانها، فليس هناك أوضح فى إعلان التذلّل للّه تعالى من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلّل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبوارى، فضلًا عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الوثيرة والذهب والفضّة، وإن كان الكلّ سجوداً، إلّاأنّ العبودية تتجلّى فى الأوّل بما لا تتجلّى فى غيره.

والإمامية ملتزمة بالسجدة على الأرض فى حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّاإلى ما أُنبت منها من الحصر والبوارى بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس، ولا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۹

يرون السجود على غيرهما صحيحاً فى حال الصلاة أخذاً بالسنّة المتواترة عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته وصحبه. وسيظهر- فى ثنايا البحث- أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت، كانت هى السنّة بين الصحابة، وأنّ العدول عنها حدث فى الأزمنة المتأخّرة، ولأجل توضيح المقام نقدّم أُموراً:

۱- اختلاف الفقهاء فى شرائط المسجود عليه

۱- اختلاف الفقهاء فى شرائط المسجود عليه

اتّفق المسلمون على وجوب السجود فى الصلاة فى كلّ ركعة مرّتين، ولم يختلفوا فى المسجود له؛ فإنّه هو اللّه سبحانه الذى له يسجد من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً «۱» وشعار كلّ مسلم قوله سبحانه: لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا للقَمَرِ واسجُدُوا للّه الَّذى خَلَقَهُنَّ «۲»

وإنّما اختلفوا فى شروط المسجود عليه- أعنى: ما يضع الساجد جبهته عليه- فالشيعة الإمامية تشترط على أن يكون المسجود عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا ملبوس كالحصر والبوارى، وما أشبه ذلك. وخالفهم فى ذلك غيرهم من المذاهب، وإليك نقل الآراء:

قال الشيخ الطوسى وهو يبيّن آراء الفقهاء: لا يجوز السجود إلّاعلى الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتّان مع الاختيار. وخالف جميع الفقهاء فى ذلك وأجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك- إلى أن قال-: لا يجوز السجود على شىء هو حامل له ككور العمامة، وطرف الرداء، وكمّ القميص، وبه قال الشافعى، وروى ذلك عن علىّ- عليه الصلاة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۰

والسلام- وابن عمر، وعبادة بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التى عليه أجزأه.

وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفترش يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه، وروى ذلك عن الحسن البصرى «۱».

وقال العلّامة الحلّى- وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه-: لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع، وأطبق الجمهور على الجواز.

وقد اقتفت الشيعة فى ذلك أئمتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه فى حديث الثقلين، ونحن نكتفى هنا بإيراد جانب ممّا روى فى هذا الجانب:

روى الصدوق بإسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبى عبد اللّه عليه السلام: أخبرنى عمّا يجوز السجود عليه، وعمّا لا يجوز قال: «السجود لا يجوز إلّاعلى الأرض، أو على ما أنبتت الأرض إلّاما أُكل أو لبس». فقال له: جعلت فداك ما العلّة فى ذلك؟

قال: «لأنّ السجود خضوع للّه عزّ وجلّ فلا ينبغى أن يكون على ما يؤكل ويلبس؛ لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد فى سجوده فى عبادة اللّه عزّ وجلّ، فلا ينبغى أن يضع جبهته فى سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا بغرورها» «۲».

فلا عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته؛ إذا لم يكن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۱

مأكولًا ولا- ملبوساً اقتداءً بأئمّتهم، على أنّ ما رواه أهل السنّة فى المقام، يدعم نظريّة الشيعة، وسيظهر لك فيما سيأتى من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح أنّ السنّة كانت هى السجود على الأرض، ثمّ جاءت الرخصة فى الحصر والبوارى فقط، ولم يثبت الترخيص الآخر بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك.

۲- الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

۲- الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين المسجود له، والمسجود عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربة الموضوعة أمام المصلّى وثناً يعبده المصلّى بوضع الجبهة عليه.

ولكن لا عتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرّق بين الأمرين، وزعم المسجود عليه مسجوداً له، وقاس أمر الموحّد بأمر المشرك بحجّة المشاركة فى الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر، مع أنّ الملاك هو الأخذ بالبواطن والضمائر، فالوثن عند الوثنى معبود ومسجود له يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحّد الذى يريد أن يصلّى فى إظهار العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع للّه سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلًا: أين التراب وربّ الأرباب.

نعم؛ الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهّم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان، وسيؤدّى إلى إرباك كلّ المصلين والحكم بإشراكهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أن يكون عابداً لها على هذا المنوال، فيا للعجب العجاب!!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۲

۳- السنّة فى السجود فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله وبعده

اشارة

۳- السنّة فی السجود فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله وبعده

إنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وصحبه کانوا ملتزمین بالسجود علی الأرض مدّة لا یستهان بها، متحمّلین شدّة الرمضاء، وغبار التراب، ورطوبة الطین، طیلة أعوام. ولم یسجد أحد یوم ذاک علی الثوب وکور العمامة، بل ولا علی الحصر والبواری والخمر، وأقصی ما کان عندهم لرفع الأذی عن الجبهة، هو تبرید الحصی بأکفّهم ثمّ السجود علیها، وقد شکا بعضهم رسول اللّه صلی الله علیه و آله من شدّة الحرّ، فلم یجبه؛ إذ لم یکن له أن یبدل الأمر الإلهی من تلقاء نفسه، إلی أن وردت الرخصة بالسجود علی الخمر والحصر، فوسع الأمر للمسلمین لکن فی إطار محدود، وعلی ضوء هذا فقد مرّت فی ذلک الوقت علی المسلمین مرحلتان لا غیر:

۱- ما کان الواجب فیها علی المسلمین السجود علی الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصی والطین، ولم تکن هناک أیّة رخصة.

۲- المرحلة التی ورد فیها الرخصة بالسجود علی نبات الأرض من الحصی والبواری والخمر، تسهیلًا للأمر، ورفعاً للحرج والمشقّة، ولم تکن هناک أیّة مرحلة أُخری توسع الأمر للمسلمین أکثر من ذلک کما یدّعیه البعض، وإلیک البیان:

المرحلة الاولی: السجود علی الأرض:

المرحلة الاولی: السجود علی الأرض:

۱- روی الفریقان عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «وجُعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً» «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۰۳

والمتبادر من الحدیث أنّ کلّ جزء من الأرض مسجد وطهور یُسجد علیه ویُقصد للتیمّم، وعلی ذلک فالأرض تقصد للجهتین: للسجود تارةً، وللتیمّم أُخری.

وأمّا تفسیر الروایة بأنّ العبادة والسجود للّه سبحانه لا یختصّ بمکان دون مکان، بل الأرض کلّها مسجد للمسلمین بخلاف غیرهم؛ حیث خصّوا العبادة بالبِیَع والکنائس، فهذا المعنی لیس مغایراً لما ذکرناه؛ فإنّه إذا کانت الأرض علی وجه الإطلاق مسجداً للمصلّی فیکون لازمه کون الأرض کلّها صالحة للعبادة، فما ذکر معنی التزامی لما ذکرناه، ویعرب عن کونه المراد ذکر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولین ل «جُعلت» والنتیجة هو توصیف الأرض بوصفین: کونها مسجداً، وکونها طهوراً، وهذا هو الذی فهمه الجصّاص وقال: إنّ ماجعله من الأرض مسجداً هو الذی جعله طهوراً «۱».

ومثله غیره من شرّاح الحدیث.

تبرید الحصی للسجود علیها:

۲- عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری، قال: کنت أُصلّی مع النبیّ صلی الله علیه و آله الظهر، فآخذ قبضة من الحصی، فأجعلها فی کفّی ثمّ أُحوّلها إلی الکفّ الأُخری حتّی تبرد ثمّ أضعها لجبینی، حتّی أسجد علیها من شدّة الحرّ «۲».

وعلّق علیه البیهقی بقوله: قال الشیخ: ولو جاز السجود علی ثوب متّصل به لکان ذلک أسهل من تبرید الحصی بالکفّ ووضعها للسجود «۳».

ونقول: ولوکان السجود علی مطلق الثیاب سواء کان متصلًا أم منفصلًا جائزاً

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۰۴

لکان أسهل من تبرید الحصی، ولأمکن حمل مندیل أو ما شابه للسجود علیه.

۳- روی أنس قال: کنّا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی شدّة الحرّ فیأخذ أحدنا الحصباء فی یده، فإذا برد وضعه وسجد علیه «۱».

۴- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله شدّة الرمضاء فى جباهنا وأكفّنا، فلم يشكّنا «۲».

قال ابن الأثير فى معنى الحديث: إنّهم لمّا شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم «۳».

هذه المأثورات تعرب عن أنّ السنّة فى الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتّى أنّ الرسول صلى الله عليه و آله لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصلة أو المنفصلة، وهو صلى الله عليه و آله مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض، وإن آذتهم شدّة الحرّ.

والذى يعرب عن التزام المسلمين بالسجود على الأرض، وعن إصرار النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بوضع الجبهة عليها لا على الثياب المتّصلة ككور العمامة أو المنفصلة كالمناديل والسجاجيد، ما روى من حديث الأمر بالتتريب فى غير واحد من الروايات.

الأمر بالتتريب:

۵- عن خالد الجهنى: قال: رأى النبىّ صلى الله عليه و آله صهيباً يسجد كأنّه يتّقى التراب فقال له: «ترّب وجهك يا صهيب» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۵

۶- والظاهر أنّ صهيباً كان يتّقى عن التتريب بالسجود على الثوب المتّصل والمنفصل، ولا أقلّ بالسجود على الحصر والبوارى والأحجار الصافية، وعلى كلّ تقدير؛ فالحديث شاهد على أفضليّة السجود على التراب فى مقابل السجود على الحصى؛ لما دلّ من جواز السجدة على الحصى فى مقابل السجود على غير الأرض.

۷- روت أُمّ سلمة- رضى اللّه عنها-: رأى النبى صلى الله عليه و آله غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال: «يا أفلح ترّب» «۱».

۸- وفى رواية: «يا رباح ترّب وجهك» «۲».

۹- روى أبو صالح قال: دخلت على أُمّ سلمة، فدخل عليها ابن أخ لها فصلّى فى بيتها ركعتين، فلمّا سجد نفخ التراب، فقالت أُمّ سلمة: ابن أخى لا تنفخ؛ فإنّى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لغلام له يقال له يسار- ونفخ-: «ترّب وجهك للّه» «۳».

الأمر بحسر العمامة عن الجبهة:

۱۰- روى: أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته «۴».

۱۱- روى عن علىّ أمير المؤمنين أنّه قال: «إذا كان أحدكم يصلّى فليحسر العمامة عن وجهه»، يعنى حتّى لا يسجد على كور العمامة «۵».

۱۲- روى عن صالح بن حيوان السبائى: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله رأى رجلًا يسجد بجنبه وقد اعتمّ على جبهته فحسر رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن جبهته «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۶

۱۳- عن عياض بن عبد اللّه القرشى: رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله رجلًا يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: «ارفع عمامتك» وأومأ إلى جبهته «۱».

هذه الروايات تكشف عن أنّه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلّاالسجود على الأرض، ولم يكن هناك أىّ رخصة سوى تبريد الحصى، ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبىّ صلى الله عليه و آله بالتتريب، وحسر العمامة عن الجبهة.

المرحلة الثانية: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر:

المرحلة الثانية: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر:

هذه الأحاديث والمأثورات المبثوثة فى الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبى صلى الله عليه و آله وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنّهم كانوا لا يعدلون عنه، وإن صعب الأمر واشتدّ الحرّ، لكن هناك نصوصاً تعرب عن ترخيص النبى

صلى الله عليه و آله- بإيحاء من اللَّه سبحانه إليه- السجود على ما أنبتت الأرض، فسهّل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الإصر والمشقّة فى الحرّ والبرد، وفيما إذا كانت الأرض مبتلّة، وإليك تلك النصوص:

۱- عن أنس بن مالك قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة «۲».

۲- عن ابن عباس: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة، وفى لفظ: وكان النبىّ صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة «۳».

۳- عن عائشة: كان النبىّ صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة «۴».

۴- عن أُمّ سلمة: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۷

۵- عن ميمونة: ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة فيسجد «۱».

۶- عن أُمّ سليم قالت: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمرة «۲».

۷- عن عبد اللَّه بن عمر: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الخمر «۳».

المرحلة الثالثة: السجود على الثياب لعذر:

المرحلة الثالثة: السجود على الثياب لعذر:

قد عرفت المرحلتين الماضيتين، ولو كان هناك مرحلة ثالثة فإنّما مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أنّ هذا الترخيص جاء متأخّراً عن المرحلتين لما عرفت أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله لم يُجب شكوى الأصحاب من شدّة الحرّ والرمضاء، وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحرّ والأذى، ولكنّ البارى عزّ اسمه رخّص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة، وإليك ما ورد فى هذا المقام.

۱- عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبىّ صلى الله عليه و آله فلم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثمّ سجد عليه.

۲- وفى صحيح البخارى: كنّا نصلّى مع النبىّ صلى الله عليه و آله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحرّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه.

۳- وفى لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبىّ صلى الله عليه و آله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحرّ مكان السجود «۴».

وهذه الرواية التى نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف حقيقة بعض ما روى فى ذلك المجال الظاهر فى جواز السجود على الثياب فى حالة الاختيار أيضاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۸

وذلك لأنّ رواية أنس نصّ فى اختصاص الجواز على حالة الضرورة، فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات، وإليك بعض ما روى فى هذا المجال:

۱- عبداللَّه بن محرز عن أبى هريرة: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّى على كور عمامته «۱».

إنّ هذه الرواية مع أنّها معارضة لما مرّ من نهى النبىّ صلى الله عليه و آله عن السجود عليه، محمولة على العذر والضرورة، وقد صرّح بذلك الشيخ البيهقى فى سننه، حيث قال:

قال الشيخ: «وأمّا ما روى فى ذلك عن النبىّ صلى الله عليه و آله من السجود على كور العمامة فلا يثبت شىء من ذلك، وأصحّ ما روى فى ذلك قول الحسن البصرى حكاية عن أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله «۲».

وقد روى عن ابن راشد قال: «رأيت مكحولًا يسجد على عمامته فقلت: لما تسجد عليها؟ قال أتّقى البرد على أسنانى» «۳».

۲- ما روى عن أنس: «كنّا نصلّى مع النبىّ صلى الله عليه و آله فيسجد أحدنا على ثوبه» «۴».

والرواية محمولة على صورة العذر بقرينة ما رويناه عنه، وبما رواه عنه البخارى: «كنّا نصلّى مع النبىّ صلى الله عليه و آله فى شدّة الحرّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه» «۵».

ويؤيّده ما رواه النسائى أيضاً: «كنّا إذا صلّينا خلف النبىّ صلى الله عليه و آله بالظهائر سجدنا على ثيابنا اتّقاء الحرّ» «۶».

وهناك روايات قاصرة الدلالة حيث لا تدلّ إلّاعلى أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله صلّى على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۹

الفرو. وأمّا أنّه سجد عليه فلا دلالة لها عليه.

۳- عن المغيرة بن شعبة: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّى على الحصير والفرو المدبوغة «۱».

والرواية مع كونها ضعيفة بيونس بن الحرث، ليست ظاهرة فى السجود عليه.

ولا ملازمة بين الصلاة على الفرو والسجدة عليه، ولعلّه صلى الله عليه و آله وضع جبهته على الأرض أو ما ينبت منها. وعلى فرض الملازمة لا تقاوم هى وما فى معناها ما سردناه من الروايات فى المرحلتين الماضيتين.

حصيلة البحث

اشارة

حصيلة البحث

إنّ المتأمّل فى الروايات يجد وبدون لبس أنّ قضيّة السجود فى الصلاة مرّت بمرحلتين أو ثلاث مراحل؛ ففى المرحلة الأُولى كان الفرض السجود على الأرض ولم يرخّص للمسلمين السجود على غيرها، وفى الثانية جاء الترخيص فيما تنبته الأرض، وليست وراء هاتين المرحلتين مرحلة أُخرى إلّاجواز السجود على الثياب لعذر وضرورة، فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود على الفرو وأمثاله مطلقاً فمحمولة على الضرورة، أو لا دلالة لها على السجود عليها، بل غايتها الصلاة عليها.

ومن هنا فإنّ ما يظهر بوضوح أنّ ما التزمت به الشيعة هو عين ما جاءت به السنّة النبويّة، ولم تنحرف عنه قيد أُنملة، ولعلّ الفقهاء هم أدرى بذلك من غيرهم، لأنّهم الأُمناء على الرسالة والأدلّاء فى طريق الشريعة، ونحن ندعو إلى برهة من التأمّل لإحقاق الحقّ وتجاوز البدع.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۰

ما هو السرّ فى اتّخاذ تربة طاهرة؟

ما هو السرّ فى اتّخاذ تربة طاهرة؟

بقى هنا سؤال يطرحه كثيراً إخواننا أهل السنّة حول سبب اتّخاذ الشيعة تربة طاهرة فى السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها. وربّما يتخيّل البسطاء- كما ذكرنا سابقاً- أنّ الشيعة يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربة، وذلك لأنّ هؤلاء المساكين لا يفرّقون بين السجود على التربة، والسجود لها.

وعلى أىّ تقدير فالإجابة عنها واضحة، فإنّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربة طاهرة طيّبة ليتيقن من طهارتها، من أىّ أرض أخذت، ومن أىّ صقع من أرجاء العالم كانت، وهى كلّها فى ذلك سواء.

وليس هذا الالتزام إلّامثل التزام المصلّى بطهارة جسده وملبسه ومصلّاه، وأمّا سرّ الالتزام فى اتّخاذ التربة هو أنّ الثقة بطهارة كلّ أرض يحلّ بها، ويتّخذها مسجداً، لا- تتأتّى له فى كلّ موضع من المواضع التى يرتادها المسلم فى حلّه وترحاله، بل وأنّى له ذلك وهذه الأماكن ترتادها أصناف مختلفة من البشر، مسلمين كانوا أم غيرهم، ملتزمين بأُصول الطهارة أم غير ذلك، وفى ذلك محنة كبيرة تواجه المسلم فى صلاته لا يجد مناصاً من أن يتّخذ لنفسه تربة طاهرة يطمئنّ بها وبطهارتها يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجدة على الرجاسة والنجاسة، والأوساخ التى لا يتقرّب بها إلى اللَّه قطّ ولا تجوّز السنّة السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ فى طهارة أعضاء المصلّى ولباسه والنهى عن الصلاة فى مواطن منها:

١- المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمّام، ومعاطن الإبل، بل والأمر بتطهير المساجد وتطييبها «١».

وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها، فقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۱

روى: أنّ التابعى الفقيه مسروق بن الأجدع (ت ۶۲ ه) كان يصحب فى أسفاره لبنة من المدينة يسجد عليها. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى كتابه المصنّف، باب من كان حمل فى السفينة شيئاً يسجد عليه. فأخرج بإسنادين أنّ مسروقاً كان إذا سافر حمل معه فى السفينة لبنة يسجد عليها «١».

إلى هنا تبيّن أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّاتسهيل الأمر للمصلّى فى سفره وحضره خوفاً من أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

وأمّا السرّ فى التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينية، فإنّ من الأغراض العالية والمقاصد السامية منها، أن يتذكّر المصلّى حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه فى سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده» فيناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية، أُولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفة، وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما فى الخبر، فيكون حينئذ فى السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب «٢».

وقال العلّامة الأمينى: نحن نتّخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنة من تربة المدينة المنوّرة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلّم السنّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۲

بها، وحاشاه من البدعة. فليس فى ذلك أىّ حزازة وتعسّف أو شىء يضادّ نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة اللَّه وسنّة رسوله صلى الله عليه و آله أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

وليس اتّخاذ تربة كربلاء مسجداً لدى الشيعة من الفرض المحتّم، ولا من واجب الشرع والدين، ولا ممّا ألزمه المذهب، ولا يفرق أىّ أحد منهم منذ أوّل يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض فى جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإن هو عندهم إلّااستحسان عقلى ليس إلّا، واختياراً لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت، وكثير من رجال المذهب يتّخذون معهم فى أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمرة مثله ويسجدون عليه فى صلواتهم «١».

هـذا إلمام إجمالى بهـذه المسألـة الفقهيـة والتفصـيل موكول إلى محلّه، وقد أغنانا عن ذلك ما سطّره أعلام العصـر وأكابره، وأخص بالذكر منهم.

١- المصلح الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٥- ١٣٧٣ ه) فى كتابه «الأرض والتربة الحسينية».

٢- العلّامة الكبير الشـيخ عبد الحسين الأمينى مؤلّف الغدير (١٣٢٠- ١٣٩٠ ه) فقـد دوّن رسالة فى هذا الموضوع طبعت فى آخر كتابه «سيرتنا وسنّتنا».

٣- السجود على الأرض للعلّامة الشيخ علىّ الأحمدى- دام عزّه- فقد أجاد فى التتبع والتحقيق.

وما ذكرنا فى هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم اللَّه الماضين من علمائنا وحفظ اللَّه الباقين منهم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۳

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

اشارة

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

صحابة النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله هم المسـلمون الأوائل الذين رأوا النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله وتشرّفوا بكرامة الصحبة، وتحمّلـوا جانبـاً مهمّـاً فى عمليـة نشـر الـدعوة الإسـلامية، وبـذل جمع منهم النفس والنفيس فى نشـر الإسـلام، حـتّى امتـدّ إلى أقاصـى المعمـورة فأقـاموا أُسسه، وشـادوا بنيـانه، ورفعوا قواعـده بجهـادهم المتواصـل، وبلغوا ذروة المجـد باستسـهال المصـاعب، فلولا- بريق سيوفهم، وقوّة سواعدهم، وخوضهم عباب المنايا، لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ له عود.

ولمّا كان الكتاب والسـنّة هما المصدرين الرئيسيين عند المسلمين جميعاً، والشيعة منهم، وبهدى نورهما يسترشد فى استشراف الحقائق الثابتة التى لا غبار عليها، فإنّ التأمل فى هذين المصدرين الغدقين يبيّن مدى فضل أُولئك ومنزلتهم فى الإسلام.

ولعـلّ المتأمـل فى الكتـاب والسـنّة يجـد مـدى مـا يحفى به الصـحابة الصـادقون من ثناء وتكريم، ومن تلا آيات الـذكر الحكيم حول المهاجرين والذين اتّبعوهم بإحسان، لا يملك نفسه إلّاأن يغبط منزلتهم وعلوّ شأنهم، بل ويتمنّى من صميم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۴

قلبه أن يكون أحـدهم ويـدرك شأنهم، ومن اسـتمع للآيات النازلـة فى الـذين بايعوا رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله تحت الشـجرة أو أصـحاب سورة الفتح «١» فلا- بـد أن تفيض عينـاه دمعـاً ويرتعش قلبه شوقاً نحو تلك الثلّـة المؤمنـة التى صـدقت ما عاهـدت اللَّه عليه ورسوله صلى الله عليه و آله.

فإذا كان هـذا حال الصـحابة فى الـذكر الحكيم فكيف يتجرّأ مسـلم على تكفير الصـحابة ورميهم بالردّة والزندقة أو تفسـيقهم جميعاً؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكيف يسـتطيع أن يصوّر دعوة النبىّ صـلى الله عليه و آله ضـئيلة الفائـدة أو يتّهمه بعـدم النجـاح فى هدايـة قومه وإرشاد أُمّته، وأنّه لم يؤمن به إلّاشـرذمة قليلـة لا- يتجـاوزون عـدد الأصـابع، وأنّ ما سواهم كانوا بين منافق ستر كفره بالتظاهر بالإيمان، أو مرتـدّ على عقبيه القهقرى بعد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

كيف يجوز لمسـلم أن يصف دعوته ويقول: إنّه لم يهتـد ولم يثبت على الإسـلام بعـد مرور (٢٣) عاماً من الدعوة إلّاثلاثة أو سـبعة أو عشرة. إنّ هذا ليس إلّاهراء وكذب رخيص لا تقبله العقول.

والأنكى من ذلك كلّه أن يُرمى الشيعة بهذا التقوّل الممجوج، وأن تجد من يصدّق ذلك ويرتّب على أساسه مواقف وآراء، وإنّا نسأل أُولئك عن هذا فنقول لهم: أىّ شيعى واع ادّعى ذلك؟ ومتى قال؟ وأين ذكره؟ إنّ الشيعة بريئة من هذه التخرّصات، وما هذه الحكايات السقيمة إلّاجزءاً من الدعايات الفارغة ضدّ الشيعة والتى أثارها الأمويّون فى أعصارهم، ليسقطوا الشيعة من عيون المسلمين، وتلقّفتها أقلام المستأجرين لتمزيق الوحدة الإسلامية، وفصم عرى الأُخوّة.

وترى تلك الفرية فى هذه الأيام فى كتيّب نشره الكاتب أبو الحسن الندوى أسماه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۵

ب «صورتان متعارضتان». وهو يجترّ ذلك مرّة بعد أُخرى، وما يريد من ذلك إلّا زيادة الأُمّة فرقة وتمزيقاً.

نعم وردت روايات فى ذلك، ولكنّها لا تكون مصدراً للعقيدة، ولا تتّخذ مقياساً لها؛ لأنّها روايات آحاد لا تفيد علماً فى مجال العقائد، وستوافيك دراسة متونها وأسانيدها.

إنّا لو أحصينا المهتدين فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله من بنى هاشم لتجاوز عددهم العشرات، بدءاً من عمّه أبى طالب ومروراً بصفيّة عمّته، وفاطمة بنت أسد، وبحمزة والعبّاس وجعفر وعقيل وطالب وعبيدة بن الحارث «شهيد بدر» وأبى سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وجعدة بن أبى هبيرة وأولادهم وزوجاتهم، وانتهاءً بعلىّ عليه السلام وأولاده وبناته وزوجته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

أمّا الذين استشهدوا فى عهد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فهم يتجاوزون المئات، ولا يشكّ أىّ مسلم فى أنّهم كانوا مثال المؤمنين الصادقين الذين حوّلهم الإسلام وأثّر فيهم، فضربوا فى حياتهم أروع الأمثلة فى الإيمان والتوحيد والتضحية بالغالى والنفيس، خدمة للمبدأ و العقيدة. ولعلّ الاستعراض المتعجّل لمجموع تلك الأسماء لا يملك إلّا أن يجزم بصحّة ما ذهبنا إليه من القول بمكانة أُولئك الصحابة ابتداءً بآل ياسر الذين كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لهم وهو يسمع أنينهم تحت سياط التعذيب: «صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة» «۱»، و مروراً بمن توفّى فى مهجر الحبشة وشهداء بدر وأُحد، وقد استشهد فى معركة أُحد سبعون صحابياً كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يزورهم ويسلّم عليهم، ثمّ شهداء سائر المعارك والغزوات، حتّى قال النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى حقّ سعد بن معاذ شهيد غزوة الخندق: «اهتزّ العرش لموته»، وشهداء بئر معونة والتى يتراوح عدد الشهداء فيها بين (۴۰) حسب رواية أنس بن مالك و (۷۰)

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۶

حسب رواية غيره، إلى غير ذلك من الأصحاب الصادقين الأجلّاء الذين:

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبديلًا «۱»

، الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكيلُ «۲»

، لِلفُقَراءِ المُهاجِرينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ... والَّذِينَ تَبَوَّءوا الدّارَ والإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيهِمْ ولا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ «۳»

.

أو ليست هذه الآيات تثبت نجاح النبىّ صلى الله عليه و آله فى دعوته، وأنّه اجتمع حوله رجال صالحون ومخلصون، فكيف يمكن رمى مسلم يتلو الذكر الحكيم ليل نهار باعتقاده بخيبة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى دعوته وتهالكه فى هداية أُمّته. إنّ الموقف الصحيح من الصحابة هو ما جاء فى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التّيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم

الـذين تعاقـدوا على المتيّـة وأبرد برؤوسـهم إلى الفجرة؟ أوّه على إخوانى الـذين تلوا القرآن فأحكموه وتـدبّروا الفرض فأقاموه. أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه» «۴».

وليس ما جاء فى هذه الخطبة فريداً فى كلامه، فقد وصف أصحاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۷

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم صفّين، يوم فرض عليه الصلح بقوله:

«ولقد كنّا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّاإيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضـض الألم، وجدّاً فى جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسـهما أيّهما يسـقى صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عـدوّنا، ومرّة لعـدوّنا منّا. فلمّا رأى اللَّه صـدقنا أنزل بعـدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصـر، حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود» «۱».

هذه كلمة الإمام على بن أبى طالب عليه السـلام قائد الشيعة وإمامهم، أفهل يجوز لمن يؤمن بإمامته أن يكفّر جميع صحابة النبىّ صلى الله عليه و آله أو يفسّقهم أو ينسبهم إلى الزندقة والإلحاد أو الارتداد، من دون أن يقسّمهم إلى أقسام، ويصنّفهم أصنافاً ويذكر تقاسيم القرآن والسنّة فى حقّهم!! كلّا وألف كلّا.

وهذا هو الإمام علىّ بن الحسين يذكر فى بعض أدعيته صحابة النبىّ صلى الله عليه و آله ويقول: «اللّهمّ وأصحاب محمّد صلى الله عليه و آله خاصّة الذين أحسـنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسـمعهم حجّة رسالاـته، وفـارقوا الأـزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوّته، وانتصـروا به، ومن كانوا منطوين على محبّته، يرجون تجارة لن تبور فى مودّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى ظلّ قرابته، فلا تنس لهم اللّهمّ ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۸

وكـانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشـكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سـعة المعاش إلى ضـيقه، ومن كثرت فى إعزاز دينك من مظلومهم.

اللّهمّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا...» «۱».

فإذا كان الحال كذلك، واتّفق الشيعى والسـنّى على إطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم، فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعدّ ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟

إنّ موضع الخلاف ليس إلّافى نقطة واحدة، وهى أنّ أهل السنّة يقولون بأنّ كلّ من رأى النبىّ صلى الله عليه و آله وعاشره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالـة منـذ اللقاء إلى يوم أُدرج فى كفنه، ولو صـدر منه قتل أو نهب أو زنا أو غير ذلك، محتجّين بما نسب إلى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: «أصـحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم» وفى ذلك خلل كبير أعاذ اللَّه المسلمين منه، فالتاريخ بين أيدينا، وصفحاته خير شاهد على ما نقول، ونحن لا نقول كما قال الحسن البصرى: «طهّر اللَّه سيوفنا عن دمائهم، فلنطهّر ألسنتنا»، لأنّا لا نظنّ أنّ الحسن البصـرى يعتقـد بما قال بل إنّه تـدرّع بهـذه الكلمـة وصان بها نفسه عن هجمات الأمويين الـذين كانوا يروّجون عـدالة الصـحابة فى جميع الأزمنة، بل يلبسونهم ثوب العصمة، إلى حدّ كان القدح بالصحابى أشدّ من القدح برسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنفى العصمة عن النبىّ صلى الله عليه و آله واتّهامه بالذنب قبل بعثه وبعده كان أمراً سهلًا يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل به، وأمّا من نسب صغيرة أو كبيرة إلى صحابى فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلّا فالقتل...

فإذا كان هذا هو محلّ النزاع- أى عدالة الكل بلا استثناء أو تصنيفهم إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۹

مؤمن أو فاسق، ومثالى أو عادى، إلى زاهد أو متوغّل فى حبّ الدنيا، إلى عالم بالشريعة وعامل بها أو جاهل لا يعرف منها إلّاشيئاً طفيفاً- فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنّة، مجرّدين عن كلّ رأى مسبق، لا يقودنا فى ذلك إلّا الدليل الصحيح والحجّة الثابتة، ولأجل إماطة الستر عن وجه الحقيقة نذكر أُموراً:

الصحابة فى القرآن الكريم

الصحابة فى القرآن الكريم

۱- إنّ القرآن الكريم يصنّف الصحابة إلى أصناف مختلفة؛ فهو يتكلّم عن السابقين الأوّلين، والمبايعين تحت الشجرة، والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم، وأصحاب الفتح، إلى غير ذلك من الأصناف المثالية، الذين يثنى عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفى مقابل ذلك يذكر أصنافاً أُخر يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلك الأصناف هى التالية:

۱- المنافقون المعروفون «۱».

۲- المنافقون المتستّرون الذين لا يعرفهم النبىّ صلى الله عليه و آله «۲».

۳- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب «۳».

۴- السمّاعون لأهل الفتنة «۴».

۵- المسلمون الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۰

۶- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر «۱».

۷- الفاسق أو الفسّاق الذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم «۲».

۸- المسلمون الذين لم يدخل الإيمان فى قلوبهم «۳».

۹- المؤلّفة قلوبهم الذين يظهرون الإسلام ويتآلفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم «۴».

۱۰- المولّون أمام الكفّار «۵».

هذه الأصناف إذا انضمّت إلى الأصناف المتقدّمة، فإنّها تعرب عن أنّ صحابة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لم يكونوا على نمط واحد، بل كانوا مختلفين من حيث قوّة الإيمان وضعفه، والقيام بالوظائف والتخلّى عنها، فيجب إخضاعهم لميزان العدالة الذى توزن به أفعال جميع الناس، وعندئذ يتحقّق أنّ الصحبة لا تعطى لصاحبها منقبة إلّا إذا كان أهلًا لها، وتوضّح بجلاء أنّ محاولة المساواة فى الفضل بين جميع الصحابة أمر فيه مجافاة صريحة للحقّ وكلمة الصدق، وهذا ما ذهبت إليه الشيعة، وهو نفس النتيجة التى يخرج بها الإنسان المتدبّر للقرآن الكريم.

۲- إنّ الآيات التى تناولت المهاجرين والأنصار وغيرهم بالمدح والثناء، لا تدلّ على أكثر من أنّهم كانوا حين نزول القرآن مُثلًا للفضل والفضيلة، ولكن الأُمور إنّما تعتبر بخواتيمها، فيحكم عليهم- بعد نزول الآيات- بالصلاح والفلاح إذا بقوا على ما كانوا عليه من الصفات، وأمّا لو ثبت عن طريق السنّة أو التاريخ الصحيح أنّه صدر عن بعضهم ما لا تحمد عاقبته، فحينئذ لا مندوحة لنا إلّاالحكم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۱

بذلك، ولا يعد مثل ذلك معارضاً للقرآن الكريم؛ لأنّه ناظر إلى أحوالهم فى ظروف خاصّة، لا فى جميع فصول حياتهم، فليس علينا رفع اليد عن السنّة والتاريخ الصحيح بحجّة أنّ القرآن الكريم مدحهم، وأنّ اللّه تعالى كان فى وقت مّا راضياً عنهم، لما عرفت من أنّ المقياس القاطع للقضاء هو دراسة جميع أحوالهم وإخضاعها للقرآن والسنّة، فكم من مؤمن زلّت قدمه فى الحياة، فعاد منافقاً، أو مرتدّاً، وكم من ضالّ شملته العناية الإلهية، فبصر الطريق وصار رجلًا إلهياً.

وبالجملة: فمن ثبت عن طريق الدليل الصحيح انحرافه وزيغه عن الصراط المستقيم وشوب إيمانه بالظلم والعيث والفساد، فيؤخذ بما هو الثابت فى ذينك المصدرين، وأمّا من لم يثبت زيغه فلا نتكلّم فى حقّه بشىء سوى ما أمر اللّه به سبحانه من طلب الرحمة لهم حيث قال: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإيمانِ «۱».

۳- ومن سوء الحظ أنّ شرذمة قليلة من الصحابة زلّت أقدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمس دراسة أحوال هؤلاء القليلين، وتبيين مواقفهم، وانحرافهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقين، ولعلّ عدد المنحرفين (غير المنافقين) لا يتجاوز العشرة إلّابقليل.

أفيسوغ فى ميزان العدل رمى الشيعة بأنّهم يكفّرون الصحابة ويفسّقونهم بحجّة أنّهم يدرسون حياة عدّة قليلة منهم ويذكرون مساوئ أعمالهم، وما يؤاخذ عليهم على ضوء الكتاب والسنّة والتاريخ الصحيح.

وما نسب إلى الحسن البصرى فهو أولى بالإعراض عنه، إذ لو كانت النجاة فى ترك ذكرهم، فلماذا اهتمّ ببيان أفعالهم وصفاتهم التاريخ المؤلّف بيد السلف الصالح

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۲

الذين كانوا يحترمون الصحابة مثلما يحترمهم الخلف؟ فلو كان الحقّ ترك التكلّم فيهم وإعذارهم بالاجتهاد، فلماذا وصف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بعضهم بالارتداد، كما رواه البخارى وغيره؟ «۱».

وإذا دار الأمر بين كون القرآن أو النبىّ صلى الله عليه و آله أُسوة، أو الكلمة المأثورة عن الحسن البصرى، فالأوّل هو المتعيّن، ويضرب بالثانى عرض الجدار.

الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

بقيت هنا كلمة وهى: إذا كان موقف الشيعة وأئمّتهم من الصحابة ما ذكر آنفاً، فما معنى ما رواه أبو عمرو الكشّى من أنّه ارتدّ الناس بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلّاثلاثة؟ إذ لو صحّ ما ذكر، وجب الالتزام بأنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لم ينجح فى دعوته، ولم يتخرّج من مدرسته إلّاقلائل لا يعتدّ بهم فى مقابل ما ضحّى به من النفس والنفيس.

والإجابة على هذا السؤال واضحة لمن تفحّص عنها سنداً ومتناً؛ فإنّ ما رواه لا يتجاوز السبع روايات؛ وهى بين ضعيف لا يعوّل عليه، وموثّق- حسب اصطلاح علماء الإمامية فى تصنيف الأحاديث- وصحيح قابلين للتأويل، ولا يدلّان على الارتداد عن الدين، والخروج عن الإسلام بل يرميان إلى أمر آخر.

أمّا الضعيف فهو ما رواه الكشّى عن حمدويه وإبراهيم ابنى نصير قال: حدّثنا محمّد بن عثمان، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبى جعفر عليه السلام قال: «كان الناس أهل الردّة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله إلّاثلاثة...» «۲».

وكفى فى ضعفها وجود محمّد بن عثمان فى سندها؛ وهو من المجاهيل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۳

ما رواه أيضاً عن علىّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ارتدّ الناس إلّاثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد» «۱».

وكفى فى ضعفها أنّ الكشّى من أعلام القرن الرابع الهجرى القمرى، فلا يصحّ أن يروى عن علىّ بن الحكم، سواء أكان المراد منه الأنبارى الراوى عن ابن عميرة المتوفّى عام (۲۱۷ ه) أو كان المراد الزبيرى الذى عدّه الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام المتوفّى عام ۲۰۳ ه.

وما نقله أيضاً عن حمدويه بن نصير قال: حدّثنى محمّد بن عيسى ومحمّد بن مسعود قال: حدّثنا جبرئيل بن أحمد قال: حدثنا محمّد

بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن محمّد بن البشير، عمّن حدثه قال: «ما بقى أحد إلّاوقد جال جولة إلّا المقداد بن الأسود؛ فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد» «۲».

والرواية ضعيفة بجبرئيل بن أحمد؛ فإنّه مجهول كما أنّها مرسلة فى آخرها.

وأمّا الروايات الباقية فالموثّق عبارة عمّا ورد فى سنده علىّ بن الحسن الفضال، والثلاثة الباقية صحيحة، ومن أراد الوقوف على أسنادها ومتونها فليرجع إلى رجال الكشّى «۳».

ومع ذلك كلّه فإنّ هذه الروايات لا يحتجّ بها أبداً لجهات عديدة نشير إلى بعض منها:

۱- كيف يمكن أن يقال إنّه ارتدّ الناس بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله ولم يبق إلّاثلاثة تمسّكوا بولاية علىّ ولم يعدلوا عنها، مع أنّ ابن قتيبة والطبرى رويا أنّ جماعة من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۴

بنى هاشم وغيرهم تحضّنوا فى بيت على معترضين على ما آل إليه أمر السقيفة، ولم يتركوا بيت الإمام إلّابعد التهديد والوعيد وإضرام النار أمام البيت. وهذا يدلّ على أنّه كان هناك جماعة مخلصون بقوا أوفياء لما تعهّدوا به فى حياة النبىّ صلى الله عليه و آله، وإليك نصّ التاريخ: قال ابن قتيبة:

إنّ بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علىّ بن أبى طالب، ومعهم الزبير ابن العوّام- رضى اللّه عنه- «۱».

وقال فى موضع آخر: إنّ أبا بكر- رضى اللّه عنه- تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علىّ- كرّم اللّه وجهه- فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار علىّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن... «۲».

روى الطبرى: قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علىّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: واللّه لأُحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه «۳».

وقال ابن واضح الأخبارى: وتخلّف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علىّ بن أبى طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوّام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبى بن كعب. فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأى؟ قالوا: الرأى أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۵

هذا الأمر نصيباً... «۱».

كلّ ذلك يشهد على أنّه كان هناك أُمّة بقوا على ما كانوا عليه، فى عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، ولم يغترّوا بانثيال الأكثرية إلى غير من كان الحقّ يدور مداره. وكيف يمكن ادّعاء الردّة لعامة الصحابة إلّاالقليل.

۲- كيف يمكن أن يقال: ارتدّ الناس إلّاثلاثة مع أنّ الصدوق- رضى اللّه عنه- ذكر عدّة من المنكرين للخلافة فى أوائل الأمر وقد بلغ عددهم اثنا عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار وهم: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأُبى ابن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبوذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وعبد اللّه بن مسعود، وبريدة الأسلمى، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصارى، وأبو هيثم بن التيهان وغيرهم.

ثمّ ذكر اعتراضاتهم على مسألة الخلافة واحداً بعد واحد «۲».

۳- إنّ وجود الاضطراب والاختلاف فى عدد من استثناهم الإمام يورث الشكّ فى صحّتها، ففى بعضها «إلّا ثلاثة» وفى البعض الآخر «إلّا سبعة» وفى ثالث «إلّا ستة» فإنّ التعارض وإن كان يمكن رفعه بالحمل على اختلافهم فى درجات الإيمان غير أنّه على كلّ تقدير

يوهن الرواية.

۴- كيف يمكن إنكار إيمان أعلام من الصحابة مع اتّفاق كلمة الشيعة والسنّة على علوّ شأنهم، أمثال: بلال الحبشى، وحجر بن عدى، وأُويس القرنى، ومالك ابن نويرة المقتول ظلماً على يد خالد بن الوليد، والعبّاس بن عبد المطلب وابنه حبر الأُمّة وعشرات من أمثالهم، وقد عرفت أسماء المتخلّفين عن بيعة أبى بكر فى كلام اليعقوبى، أضف إلى ذلك أنّ رجال البيت الهاشمى كانوا على خطّ الإمام ولم يتخلّفوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۶

عنه، وإنّما غمدوا سيوفهم اقتداءً بالإمام لمصلحة عالية ذكرها فى بعض كلماته «۱».

وأقصى ما يمكن أن يقال فى حقّ هذه الروايات هو أنّه ليس المراد من الارتداد الكفر والضلال والرجوع إلى الجاهلية، وإنّما المراد عدم الوفاء بالعهد الذى أُخذ منهم فى غير واحد من المواقف وأهمّها غدير خم. ويؤيّد ذلك:

ما رواه وهب بن حفص، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام: «جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك «۲» إلى علىّ عليه السلام فقالوا له: أنت واللَّه أمير المؤمنين وأنت واللَّه أحقّ الناس وأولاهم بالنبىّ صلى الله عليه و آله هلمّ يدك نبايعك فواللَّه لنموتنّ قدامك.

فقال علىّ عليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غداً علىّ محلّقين. فحلق أمير المؤمنين وحلق سلمان وحلق المقداد وحلق أبو ذر ولم يحلق غيرهم «۳».

وهذه الرواية قرينة واضحة على أنّ المراد هو نصرة الإمام عليه السلام لأخذ الحق المغتصب، فيكون المراد من الردّة هو عدم القتال معه.

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً الرواية التى جاء فيها أنّ قلب المقداد بن الأسود كزبر الحديد، فهى وإن كانت ضعيفة السند لكنّ فيها إشعاراً على ذلك؛ لأنّ وصف قلب المقداد إشارة إلى إرادته القويّة وثباته فى سبيل استرداد الخلافة.

و ظنّى أنّ هذه الروايات صدرت من الغلاة و الحشوية دعماً لأمر الولاية وتغابناً فى الإخلاص، غافلين عن أنّها تضادّ القرآن الكريم، وما روى عن أمير المؤمنين وحفيده سيّد الساجدين، من الثناء والمدح لعدّة من الصحابة. وهناك كلام قيّم للعلّامة السيد محسن الأمين العاملى نذكر نصّه وهو يمثّل عقيدة الشيعة فقال:

وقالت الشيعة: حكم الصحابة فى العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم بها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۷

بمجرّد الصحبة؛ وهى لقاء النبى صلى الله عليه و آله مؤمناً به ومات على الإسلام. وإنّ ذلك ليس كافياً فى ثبوت العدالة بعد الاتّفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فى سبيل اللَّه ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وبسر بن أرطاة وبعض بنى أُميّة وأعوانهم، ومن جهلنا حاله فى العدالة توقّفنا فى قبول روايته.

وممّا يمكن أن يذكر فى المقام أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله توفّى ومن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف إنسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر فى الإصابة عن أبى زرعة الرازى: «وقيل مات صلى الله عليه و آله عن مائة وأربعة عشر ألف صحابى» ومن الممتنع عادة أن يكون هذا العدد فى كثرته وتفرّق أهوائه وكون النفوس البشرية مطبوعة على حبّ الشهوات كلّهم قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعة عن صدور الكبائر، والإصرار على الصغائر بمجرّد رؤية النبىّ صلى الله عليه و آله والإيمان به، ونحن نعلم أنّ منهم من أسلم طوعاً ورغبة فى الإسلام، ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلّفة قلوبهم، وما كانت هذه الأُمّة إلّاكغيرها من الأُمم التى جبلت على حبّ الشهوات وخلقت فيها الطبائع القائدة إلى ذلك إن لم يردع رادع والكل من بنى آدم، وقد صحّ عنه صلى الله عليه و

آله أنّه قال: «لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتّى لو دخل أحدهم جحر ضب لدخلتموه». ولو منعت رؤية النبيّ صلى الله عليه و آله من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الذى حصل من جماعة منهم كعبد اللَّه بن جحش، وعبيد اللَّه بن خطل، وربيعة بن أُميّة بن خلف، والأشعث بن قيس «۱» وغيرهم. هذا مع ما شوهد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۸

من صدور أُمور من بعضهم لاتتّفق مع العدالة، كالخروج على أئمّة العدل، وشقّ عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسبّ والشتم وحرب المسلمين وغشهم، وإلقاح الفتن، والرغبة فى الدنيا، والتزاحم على الإمارة والرئاسة وغير ذلك ممّا تكفّلت به كتب الآثار والتواريخ وملأ الخافقين.

وأعمال مروان بن الحكم فى خلافة عثمان معلومة مشهورة، وكذلك بسر بن أرطاة والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة، وكلّهم من الصحابة «۱».

وحصيلة البحث: أنّ موضع الاختلاف، ومصبّ النزاع ليس إلّاكون عدالة الصحابة قضية كلّية أو جزئيّة؟ فالسنّة على الأُولى، والشيعة على الثانية، وأمّا ما سواها من سبّ الصحابة ولعنهم، أو ارتدادهم عن الدين بعد رحلة الرسول، أو عدم حجّية رواياتهم على وجه الإطلاق، فإنّها تُهمٌ أُموية ناصبية، اتُّهم بها شيعة آل محمّد صلى الله عليه و آله وهم براء منها. ونعم الحكم اللَّه. فالشيعة يعطون لكلّ ذى حقّ حقّه، فيأخذون معالم دينهم عن ثقات الصحابة، ولا يتكلّمون فى حقّ من لم يتعرّفوا على حاله، ويحكمون على القسم الثالث على ضوء الكتاب والسنّة.

إنّ هناك رجالًا من السلف لا يسوغ لمنصف يمتلك مقياساً شرعياً سليماً أن يذهب إلى جواز حبّهم أو الترحّم عليهم؛ لأنّ فى ذلك خروجاً صارخاً عن أبسط المقاييس والموازين الشرعية، ومن هؤلاء:

۱- معاوية بن أبى سفيان- ويكفى فى حقّه إيراد ما ذكره الجاحظ فى رسالته فى بنى أُمية والآثام التى اقترفوها-: استوى معاوية على الملك، واستبدَّ على بقيّة أهل الشورى، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار فى العام الذى سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۹

تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، ثمّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكيناه، وعلى منازل ما رتّبناه، حتّى ردّ قضية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً «۱»، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار.

أو ليس قتل حجر بن عدى، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفىء، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء جحد الكتاب، وردّ السنّة إذا كانت فى شهرة الكتاب وظهوره، إلّا أنّ أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشدّ «۲».

وقد أربت نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت: لا تسبّوه؛ فإنّ له صحبة، وسبّ معاوية بدعة، ومن بغضه فقد خالف السنّة، فزعمت أنّ من السنّة ترك البراءة ممّن جحد السنّة «۳».

۲- عمرو بن العاص، الذى ألَّب على عثمان وسرّ بقتله، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه علىّ بن أبى طالب عليه السلام الذى كان من أشدّ المدافعين عنه، وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء عنه وتعجيل قتله. كلّ ذلك كان من ابن العاص حبّاً بخراج مصر، لا بعثمان ولا بمعاوية أيضاً، والعجب أنّ الرسول صلى الله عليه و آله تنبّأ بذلك وصرّح بأنّهما لا يجتمعان إلّاعلى غدر «۴».

۳- يزيد الخليع المستهتر خليفة معاوية الذى ولّى ثلاث سنين بعده، فقتل فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۰

الأُولى الإمام الحسين عليه السلام، وفى الثانية أغار على المدينة وقتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى وأباح أعراضهم، وفى الثالثة

رمى الكعبة «۱»، وكفى فى كفره وإلحاده جهره بقول ابن الزبعرى:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزلْ ۴- مروان بن الحكم، الذى كان من أشدّ الناس بغضاً لأهل البيت. قال ابن حجر: ومن أشدّ الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم.

روى الحاكم: أنّ عبد الرحمن بن عوف- رضى اللّه عنه- قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلّاأُتى به النبىّ صلى الله عليه و آله، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون» «۲».

۵- الوليد بن عقبة شارب الخمر، والزائد فى الفريضة «۳».

۶- وعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح الذى أهدر النبىّ دمه «۴».

۷- الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذى يخاطب كتاب اللّه العزيز بعد أن ألقاه ورماه بالسهام بقوله:

تهدّدنى بجبار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ مزّقنى الوليد «۵» ويقول السيوطى: إنّ الوليد هذا كان فاسقاً خميراً لوّاطاً، راود أخاه سليمان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۱

عن نفسه، ونكح زوجات أبيه «۱».

هؤلاء وأضرابهم هم الذين تتبرّأ الشيعة منهم وتحكم عليهم بما حكم اللّه به عليهم. أفيصحّ تكفير الشيعة وتفسيقهم لأجل سبّ هؤلاء والتبرّى منهم؟! إنّ أعمال هؤلاء ينددى لها جبين الإنسانية ولا يمكن أن تغضى عنها، فياللّه!! أمن الإنصاف أن تتّهم الشيعة بالانحراف والخروج عن الدين لأنّها تدين هؤلاء وتلعنهم، واللّه تعالى لعن أقواماً كثيرين فى كتابه الحكيم وكذلك رسوله صلى الله عليه و آله؟ ولعلّ أعمال أُولئك لو وزنت بأعمال هؤلاء لما رجحت عليها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۲

المسألة الثانية عشرة: فى عالمية رسالة النبى صلى الله عليه و آله وخاتميّتها

المسألة الثانية عشرة: فى عالمية رسالة النبى صلى الله عليه و آله وخاتميّتها

تمهيد: ملامح الشريعة الإسلاميّة

تمهيد: ملامح الشريعة الإسلاميّة

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيستين:

الأُولى: عالميّتها وشموليّتها.

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

أمّا الأُولى: فمعناها أنّ دعوتَها عالمية لا تنحصر بإقليم معيّن، وهى من أبرز الملامح التى يستهدفها القرآن فى دعوته ورسالته.

يقول سبحانه: تباركَ الَّذى نزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِه ليكونَ للعالمينَ نَذيراً «۱».

ويقول أيضاً: وما أرسلناك إلّاكافّةً للنّاسِ بَشيراً ونَذيراً ولكنَّ أكثر النّاسِ لا يَعلَمون «۲»

.

وقال سبحانه: قُلْ يا أيُّها النّاسُ إنِّى رَسولُ اللّهِ إلَيكُمْ جَميعاً... «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۳

لقد بعثَ الرسولُ الأعظم صلى الله عليه و آله سفراءَه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها وبيد كلّ واحد منهم كتاب يعبِّر عن عالميّة دعوته، فقد بعثَ إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، وعظيم القبط، وملك الحبشة، والحارث بن أبى شمر الغسّانى ملك تخوم الشام، وحوزة بن عليّ الحنفى ملك اليمامة، وغيرهم من ملوك العرب وشيوخ القبائل والأساقفة، والمرازبة، والعمّال، وهذه المواثيق أوضح دليل على أنّ رسالته عالمية لا تحدُّ بحدّ، بل تجعل الأرض كلها ساحة لإشاعة دينه وتطبيق شريعته.

هذا والبراهين على عالمية دعوته كثيرة لا مجال لذكرها.

نعم ربما قد تظهر بعض المغالطات من النصارى القدامى فى هذه النقطة؛ حيث حاولوا تحجيم أمر الرسالة وتخصيصها بمكان وعنصر خاصَّين، وليست شبهاتهم قابلة للذكر.

كيف وبيانات القرآن وخطاباته للبشر كافة ومواثيق الرسول ودعواته المتجاوزة حدود الجزيرة العربية، واجتياح جيوش المسلمين ورجالهم أرض غير العرب، واستقرار الأُمّة الإسلامية فى أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أبطلت هذه المغالطات وجعلتها فى مدحرة البطلان، ولذلك نعود إلى الملمح الثانى من ملامح الشريعة الإسلامية، فى بحثنا وهو خاتميتها؛ وهى تعنى:

أنّها آخر الشرائع، وأنّ المبعوث بها هو خاتم الأنبياء؛ فشريعته خاتمة الشرائع، وهذا ما نحاول دراسته فى هذه الرسالة، ونستدلّ عليه عن طريق الكتاب والسنّة ونحلّل الإشكالات المثارة حوله كل ذلك فى ضمن فصولٍ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۴

الخاتمية فى الذكر الحكيم

اشارة

الخاتمية فى الذكر الحكيم

اتّفقت الأُمّة الإسلامية- عن بكرة أبيها- على أنّ نبيّهم محمداً صلى الله عليه و آله خاتم النبيّين، وأنّ دينه خاتم الأديان، وكتابه خاتم الكتب والصحف، فهو صلى الله عليه و آله آخر السفراء الإلهيين، أُوصد به باب الرسالة والنبوة، وختمت به رسالة السماء إلى الأرض.

لقد اتّفق المسلمون كافّة على أنّ دين نبيّهم دين اللَّه الأبدى، وكتابه كتاب اللَّه الخالد ودستوره الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد أنهى اللَّه إليه كلّ تشريع وأودع فيه أُصول كلّ رقى، وأناط به كلّ سعادة ورخاء، فاكتملت بدينه وكتابه الشرائع السماوية التى هى رسالة السماء إلى الأرض.

توضيحه: أنّ الشريعة الإلهية الحقّة التى أنزلها اللَّه تعالى إلى أوّل سفرائه لا تفترق جوهراً عمّا أنزله على آخرهم، بل كانت الشريعة السماوية فى بدء أمرها نواة قابلة للنموّ والنشوء؛ فأخذت تنمو وتستكمل عبر القرون والأجيال؛ حسب تطور الزمان وتكامل الأُمم، وتسرّب الحصافة إلى عقولهم، وتسلّل الحضارة إلى حياتهم.

ويفصح عمّا ذكرنا قوله سبحانه: شرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً... «۱»

فقد وصّى نبينا محمداً بما وصّى به نوحاً، من توحيده سبحانه وتنزيهه عن الشرك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والتنديد بالجرائم الخلقية، والقضاء على أسبابها، إلى غير ذلك ممّا تجده فى صحف الأوّلين والآخرين.

وتتجلّى تلك الحقيقة الناصعة؛ أى وحدة الشرائع السماوية من مختلف الآيات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۵

فى شتّى المواضع، قال سبحانه: إنَّ الدِّين عِندَ اللَّهِ الإسلامُ ومَا اختلَفَ الَّذينَ أُتُوا الكِتابَ إلّامِنْ بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغياً بَينَهُمْ «۱»

وظاهر الآية يعطى أنّ الدين عند اللَّه- لم يزل ولن يزال- هو الإسلام فى طول القرون والأجيال، ويعاضدها قوله تعالى: ومَنْ يَبتَغِ غَيرَ

الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنهُ «۲»

. وقال سبحانه فی مورد آخر مخطّئاً مزعمة الیهود والنصاری فی رَمی بطل التوحید إبراهیم بالیهودیة والنصرانیة قال: ما كانَ إبراهیمُ یَهودیاً ولا نَصرانیاً ولكنْ كانَ حَنیفاً مُسلِماً وما كانَ منَ المُشرِكینَ «۳»

.

فحقیقة الشرائع السماویة فی جمیع الأدوار والأجیال كانت أمراً واحداً وهو التسلیم لفرائضه وعزائمه وحده جلّ وعلا.

ولأجل ذلك كتب الرسول إلی قیصر عندما دعاه إلی الإسلام، قوله سبحانه:

قُلْ یا أهلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلی كلمةٍ سَواءٍ بَیننا وبَینَكُمْ ألّا نَعبُدَ إلّااللَّهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَیئاً ولا یتَّخِذَ بَعضُنا بَعضاً أرباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فإنْ تَولَّوْا فَقولُوا اشهَدُوا بأنّا مُسلِمُون «۴»

.

وقد أمر سبحانه فی آیة أُخری رسوله بدعوة معشر الیهود أو الناس جمیعاً إلی اتّباع ملّة إبراهیم قال سبحانه: فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهیمَ حَنیفاً وما كانَ منَ المُشرِكین «۵»

.

وصرّح سبحانه بأنّ كلّ نبیّ جاء عقب نبیّ آخر، كانَ یصرِّح بأنّه مصدِّق بوجود النبیّ المتقدّم علیه وكتابه ودینه، فالمسیح مصدّق لما بین یدیه من التوراة

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۳۶

ومحمّد صلی الله علیه و آله مصدّق لما بین یدیه من الكتب وكتابه مهیمن علیه، كما قال سبحانه:

وَقفَّینا عَلی آثارِهِمْ بِعِیسَی ابنِ مَریمَ مُصدِّقاً لِما بَینَ یَدیهِ منَ التَّوراة «۱»

، وأنْزَلْنا إلیكَ الكتابَ بِالحقِّ مُصدِّقاً لِما بَینَ یَدَیهِ منَ الكتابِ ومُهَیمناً عَلیهِ «۲».

وهذه النصوص كلّها تعبّر عن وحدة أُصول الشرائع وجذورها ولبابها.

وعلی هذا فرسالة السماء إلی الأرض، رسالة واحدة فی الحقیقة مقولة بالتشكیك، متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال الأجیال وكلّهم یحملون إلی المجتمع البشری رسالة واحدة؛ لتصعد بهم إلی مدارج الكمال، وتهدیهم إلی معالم الهدایة ومكارم الأخلاق.

نعم كان البشر فی بدایات حیاتهم یعیشون فی غایة البساطة والسذاجة، فما كانت لهم دولة تسوسهم، ولا مجتمع یخدمهم، ولا ذرائع تربطهم، وكانت أواصر الوحدة ووشائج الارتباط بینهم ضعیفة جداً، فلأجل ذاك القصور فی العقل، وقلّة التقدم، وضعف الرقی، كانت تعالیم أنبیائهم، والأحكام المشروعة لهم طفیفة فی غایة البساطة، فلما أخذت الإنسانیة بالتقدّم والرقی، وكثرت المسائل یوماً فیوماً، اتّسع نطاق الشریعة واكتملت الأحكام تلو هذه الأحوال والتطوّرات.

فهذه الشرائع (مع اختلافها فی بعض الفروع والأحكام نظراً إلی الأحوال الأُممیة والشؤون الجغرافیة) لا تختلف فی أُصولها ولبابها، بل كلّها تهدف إلی أمر واحد، وتسوق المجتمع إلی هدف مفرد، والاختلاف إنّما هو فی الشریعة والمنهاج لا فی المقاصد والغایات كما قال سبحانه: لِكلٍّ جَعلْنا مِنكُم شِرعةً ومِنهاجاً ولَوْ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۳۷

شاءَ اللَّهُ لَجعلَكُمْ أُمّةً واحدةً ولكنْ لِیبلُوَكُمْ فی ما آتاكُمْ فَاستَبِقُوا الخَیراتِ «۱»

.

وقال سبحانه: ثُمَّ جَعلناكَ عَلی شَریعةٍ مِنَ الأمرِ فاتَّبِعْها ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذینَ لا یَعلَمون «۲»

.

وخلاصة القول: إنّ السنن مختلفة، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، ولكن الدين هو الأصول والعقائد والأحكام التى تساير الفطرة الإنسانية ولا تخالفها واحدة منها.

وهاتان الآيتان لا تهدفان إلى اختلاف الشرائع فى جميع موادّها، ومواردها اختلافاً كلّياً بحيث تكون النسبة بينها نسبة التباين، كيف وهو سبحانه يأمر نبيَّه بالاقتداء بهدى أنبيائه السالفين ويقول: أُولئكَ الَّذينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ «۳»

.

نعم جاءت الرسل تترى، وتواصلت حلقات النبوّة فى الأدوار الماضية إلى أن بعث اللَّه آخر سفرائه فأتمّ نعمته وأكمل به دينه، فأصبح المجتمع البشرى فى ظلّ دينه الكامل، وكتابه الجامع، غنياً عن تواصل الرسالة وتعاقب النبوّة، وأصبح البشر غير محتاجين إلى إرسال أىّ رسول بعده؛ إذ جاء الرسول بأكمل الشرائع وأتقنها وأجمعها للحقوق وبكلّ ما يحتاج إليه البشر فى أدوار حياتهم وأنواع تطوراتهم، وفى الوقت نفسه فيها مرونة تتمشى مع جميع الأزمنة والأجيال، من دون أن تمسّ جوهرَ الرسالة الأصلى بتحوير وتحريف.

وإليك أدلّة خاتميته من الكتاب أولًا، والسنّة ثانياً، أمّا الكتاب ففيه نصوص:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۸

النصّ الأول

النصّ الأول:

قوله سبحانه: ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ ولكنْ رَسولَ اللَّهِ وخاتَمَ النبيّينَ وكانَ اللَّهُ بِكلِّ شَىءٍ عَليماً «۱»

.

توضيح الآية: تبنّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله زيداً قبل عصر الرسالة، وكانت العرب يُنزِّلون الأدعياء منزلة الأبناء فى أحكام الزواج والميراث، فأراد اللَّه سبحانه أن ينْسخ تلك السنّة الجاهلية، فأمر رسوله أن يتزوّج زينب زوجة زيدٍ بعد مفارقته لها، فلمّا تزوّجها رسول اللَّه أوجد ذلك ضجّة بين المنافقين والمتوغّلين فى النزعات الجاهلية والمنساقين وراءها، فردّ اللَّه سبحانه مزاعمهم بقوله ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ من الذين لم يلدهم ومنهم زيد ولكن رَسولَ اللَّهِ وهو لايترك ما أمره اللَّه به وخاتَمَ النبيّينَ وآخرهم خُتِمت به النبوّة، فلا نبىّ بعده، ولا شريعة بعد شريعته، فنبوّته أبدية، وشريعته باقية إلى يوم الدين.

الخاتم وما يراد منه:

لقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأوّل: بفتح التاء وعليه قراءة عاصم، ويكون بمعنى الطابع الذى تختم به الرسائل والمواثيق، فكان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بالنسبة إلى باب النبوة كالطابع؛ ختم به باب النبوة، وأُوصِدَ وأُغْلِقَ فلا يفتح أبداً.

الثانى: بكسر التاء وعليه يكون اسم فاعل؛ أى الذى يختم باب النبوّة، وعلى كلتا القراءتين فالآية صريحة على أنّ باب النبوة أو بعث الأنبياء خُتم بمجىء النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

قال أبو محمد الدميرى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۹

والخاتِم الفاعلُ قُل بالكسر وما به يُختم فتحاً يجرى وأنت إذا راجعت التفاسير المؤلّفة منذ العصور الأُولى إلى يومنا هذا ترى أنّ عامّة المفسّرين يفسّرونها بما ذكرنا ويصرحون بأنّ وصفه صلّى اللَّه عليه وآله وتشبيهه بالخاتم (بالفتح) لأنّه كان الرسم الدائر بين العرب هو ختم الرسالات بخاتمهم الذى بين أصابعهم، فكانت خواتيمهم طوابعهم، فكأنَّ النبىّ الأكرم بين الأنبياء هو الخاتم ختم به باب النبوّات، ولك أن تستلهم هذا المعنى من الآيات الكثيرة التى وردت فيها مادة تلك الكلمة، فترى أنّ جميعها يفيد هذا المعنى، كالآيات التالية:

۱- قال سبحانه: يُسقَونَ مِنْ رَحيقٍ مَختُوم «۱»

أى مختوم بابه بشىء مثل الشمع وغيره دليلًا على خلوصه.

۲- وقال سبحانه: خِتامُهُ مِسكٌ وفى ذلك فَلْيتنافَسِ المُتنافِسُونَ «۲»

أى آخر شربه تفوح منه رائحة المسك.

۳- وقال سبحانه: اليومَ نَختِمُ عَلى أفواهِهِمْ وتُكلِّمنا أيدِيهِمْ «۳»

أى يطبع على أفواههم فتوصدُ، وتَتكلَّم أيديهم.

إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها مادّة تلك الكلمة، والكلّ يهدف إلى الانتهاء والانقطاع. وفى مورد الآية.. انتهاء النبوّة وانقطاعها.

النصّ الثانى

النصّ الثانى:

قوله سبحانه: تَبارَكَ الَّذى نَزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِهِ ليكونَ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۰

لِلعالَمينَ نَذيراً «۱»

.

والآية صريحة فى أنّ الغاية من تنزيل القرآن على عبده (النبىّ الأعظم صلى الله عليه و آله) كون القرآن نذيراً للعالمين من بدء نزوله إلى يوم يبعثون، من غير فرق بين تفسيرها بالإنس والجنّ أو الناس أجمعهم، وإن كان الثانى هو المتعيّن، فإنّ العالمين فى الذكر الحكيم جاء بهذا المعنى.

قال سبحانه حاكياً عن لسان لوط: قالَ إنَّ هؤلاءِ ضَيفى فلا تَفْضَحونِ* واتَّقوا اللَّهَ ولا تُخزونِ* قالوا أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمين «۲»

.

فإنّ المراد من العالمين فى كلامهم هم الناس؛ إذ لا معنى لأن ينهونه عن استضافة الجن والملائكة، ونظيره قوله سبحانه حاكياً عن لسان لوط: أتأتونَ الذُّكرانَ مِنَ العالَمين «۳»

فالمراد من العالمين فى كلتا الآيتين هم الناس.

وبذلك يعلم قوّة ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام من أنّ العالمين عنى به الناس وجعل كلّ واحد عالماً، ولا يعدل عن ذلك الظاهر إلّابقرينة، وبما أنّه لا قرينة على العدول من الظاهر فيكون معنى قوله: ليكونَ لِلعالَمينَ نَذيراً أى نذيراً للناس أجمعهم من يوم نزوله إلى يوم يبعثون.

النصّ الثالث

النصّ الثالث:

قوله سبحانه: إنَّ الَّذينَ كَفروا بالذِّكرِ لما جاءَهُمْ وإنَّهُ لَكتابٌ عزيزٌ* لا يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بينِ يَديهِ ولا مِنْ خَلفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ «۴»

.

وجه الدلالة على الخاتمية، أنّ المراد من الذكر هو القرآن بقرينة قوله سبحانه:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۱

ذلكَ نتلُوه عليكَ منَ الآياتِ والذِّكرِ الحَكيمِ «۱»

.

والضمير فى لا يأتيه يرجع إلى الذكر ومفاد الآية أنّ الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلًا من أىّ جهة من الجهات؛ فلا يأتيه الباطل بأيّة صورة متصوّرة، ودونك صوره.

۱- لا يأتيه الباطل: أى لا ينقص منه شىء ولا يزيد عليه شىء.

۲- لا يأتيه الباطل: أى لا يأتيه كتاب يبطله وينسخه وأن يجعله سُدى فهو حقّ ثابت لا يبدّل ولا يغيّر ولا يترك.

۳- لا يأتيه الباطل: لا يتطرق الباطل فى إخباره عمّا مضى ولا فى إخباره بما يجىء، فكلّها تطابق الواقع.

وحاصل الآية أنّ القرآن حقّ لا يداخله الباطل إلى يوم القيامة، فإذا كان حقّاً مطلقاً مصوناً عن تسلّل البطلان إليه ومتّبعاً للناس إلى يوم القيامة يجب عند ذلك دوام رسالته وثبات نبوّته وخاتمية شريعته.

وبتعبير آخر أنّ الشريعة الجديدة إمّا أن تكون عين الشريعة الإسلامية الحقّة أو غيرها، فعلى الأول لا حاجة إلى الثانية، وعلى الثانى: فإمّا أن تكون الثانية حقّة كالأُولى؛ فيلزم كون المتناقضين حقاً، أو أن تكون الأُولى حقّاً دون الأُخرى؛ وهذا هو المطلوب، وشريعة الرسول الأعظم جزءٌ من الكتاب الحقّ الذى لا يدانيه الباطل، وسنّته المحكمة التى لا تصدر إلّابإيحاء منه كما قال تعالى: وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى* إنْ هُوَ إلّاوَحىٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى «۲»

فالآية صريحة فى نفى أىّ تشريع بعد القرآن وأيّة شريعة بعد الإسلام، فتدلّ بالملازمة على عدم النبوّة التشريعية بعد نبوته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۲

النصّ الرابع

النصّ الرابع:

قوله سبحانه: قُلْ أىُّ شَىءٍ أكبرُ شهادةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَينى وبينَكُمْ وَأُوحىَ إلىَّ هذا القُرآنُ لأُنذرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغ... «۱»

.

وظاهر الآية: أنّ الغاية من نزول القرآن تحذير من بلغه إلى يوم القيامة وبذلك يُفسّر قوله سبحانه فى آية أُخرى: وكذلكَ أوحينا إليكَ قُرآناً عَربياً لِتُنذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَولَها... «۲»

.

فإنّ المراد ومَن حولها جميع أقطار المعمورة، وعلى فرض انصرافها عن هذا المعنى العامّ فلا مفهوم للآية بعد ورود قوله سبحانه: لأُنذركُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغ.النصّ الرابع:

قوله سبحانه: قُلْ أىُّ شَىءٍ أكبرُ شهادةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَينى وبينَكُمْ وَأُوحىَ إلىَّ هذا القُرآنُ لأُنذرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغ... «۱»

.

وظاهر الآية: أنّ الغاية من نزول القرآن تحذير من بلغه إلى يوم القيامة وبذلك يُفسّر قوله سبحانه فى آية أُخرى: وكذلكَ أوحينا إليكَ قُرآناً عَربياً لِتُنذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَولَها... «۲»

.

فإنّ المراد ومَن حولها جميع أقطار المعمورة، وعلى فرض انصرافها عن هذا المعنى العامّ فلا مفهوم للآية بعد ورود قوله سبحانه:

لأنذركُمْ بهِ ومَنْ بَلَغ.

النصّ الخامس

النصّ الخامس:

قوله سبحانه: وما أرسلناكَ إلّاكافةً للنّاسِ بَشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمون «۳»

.

والمتبادر من الآيهٔ كون كافّهٔ حالًا من الناس قُدّمتْ على ذيها وتقدير الآيهٔ وما أرسلناك إلّاللناس كافّهٔ بشيراً ونذيراً.

وإليك محصّل الآيات الخمس:

أمّا الأُولى فهو: أنّ باب الإخبار عن السماء الذى كان هو النبوّهٔ قد أُوصد، وبإيصاده تكون النبوّهٔ مختومهٔ، وبختمها تكون الشريعهٔ المحمديهٔ أبديّهٔ؛ لأنّ تجديد الشريعهٔ فرع فتح باب النبوّهٔ، فإذا كان التنبّؤ بإخبار السماء مغلقاً؛ فلا يمكن الإخبار عن السماء بوجه من الوجوه، ومنها نسخ الشريعهٔ.

وأمّا الآيات الأربع الباقيهٔ فهى صريحهٔ ببقاء الشريعهٔ الإسلاميهٔ بعموميتها،

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۵۴۳

فمجموع الآيات يركِّز على أمر واحد: غلق باب النبوهٔ وأبديهٔ الشريعهٔ الإسلاميهٔ.

هذه هى النصوص، ومع ذلك ففى القرآن إشارات إلى الخاتميهٔ بعناوين أُخرى نشير إلى بعض منها:

الأُولى: أفغيرَ اللَّهِ أبتغى حَكَماً وهوَ الَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ فَلا تكونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ* وتَمَّتْ كَلِمهُ ربِّكَ صِدْقاً وَعدْلًا لا مُبدِّلَ لِكلماتِهِ وهوَ السَّميعُ العَليمُ «۱»

.

إنّ دلالهٔ قوله سبحانه: وتمّت كلمهُ رَبِّك... على إيصاد باب الوحى إلى يوم القيامهٔ واضحهٔ بعد الوقوف على معنى الكلمهٔ؛ فإنّ المراد منها الدعوهٔ الإسلاميهٔ، أو القرآن الكريم وما فيه من شرائع وأحكام، والشاهد عليها الآيهٔ المتقدمهٔ حيث قال سبحانه: وهوَ الَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ «۲»

فالمراد من قوله أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ هو القرآن النازل على العالمين، ثمّ يقول: بأنّ الذين آتيناهم الكتاب من قبل كاليهود والنصارى إذا تخلّصوا من الهوى يعلمون أنّ القرآن وحى إلهى كالتوراهٔ والإنجيل، وأنّه منزّلٌ من اللّه سبحانه بالحقّ، فلا يصحّ لأىّ منصف أن يتردّد فى كونه نازلًا منه إلى هدايهٔ الناس.

ثمّ يقول فى الآيهٔ التاليهٔ: وتمّت كلمهُ ربِّكَ بظهور الدعوهٔ المحمديهٔ، ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب، وصارت مستقرهٔ فى محلّها بعدما كانت تسير دهراً طويلًا فى مدارج التدرّج بنبوّهٔ بعد نبوّهٔ وشريعهٔ بعد شريعهٔ «۳».

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۵۴۴

وهذه الكلمهٔ الإلهيهٔ- أعنى: الدعوهٔ الإلهيهٔ المستوحاهٔ فى القرآن الكريم- صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأحكام من الأمر والنهى، عدل لا يخالطه ظلم، ولأجل تلك التماميهٔ لاتتبدّل كلماته وأحكامه من بعد «۱».

هذه نظرهٔ إلى القرآن حول الخاتميهٔ ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع التفاسير، وكما أنّ الكتاب الحكيم اهتمّ بالخاتميهٔ، فهكذا اهتمت بها السنّهٔ النبويهٔ وروايات العترهٔ الطاهرهٔ ولو حاولنا أن نذكر ما وقفنا عليه فى ذلك المجال من المآثر لطال وقوفنا مع القرّاء، ولذلك نقتصر على اثنتى عشرهٔ روايهٔ مع أنّ المأثور يتجاوز المائهٔ.

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۵۴۵

الخاتمية فى الأحاديث النبويّة

الخاتمية فى الأحاديث النبويّة

لقد حصحص الحقّ بما أوردناه من النصوص القرآنية وانكشف الريب عن مُحيّا الواقع؛ فلم تبق لمجادلٍ شبهة فى أنّ الرسول فى الذكر الحكيم خاتم النبيين وشريعته خاتمة الشرائع وكتابَه خاتم الكتب.

وقد وردت الخاتمية على لسان النبىّ الأكرم، نذكر منها ما يأتى:

١- خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من المدينة إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال على عليه السلام: «أخرج معك؟» فقال: «لا»، فبكى علىّ فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه لا نبىّ بعدى- أو ليس بعدى نبىّ- ولا ينبغى أن أذهب إلّاوأنت خليفتى».

والحديث على لسان المحدّثين حديث المنزلة؛ لأنّ النبىّ نزّل فيه نفسه منزلة موسى ونزّل علياًمكان هارون، أخرجه البخارى فى صحيحه فى غزوة تبوك، ومسلم فى صحيحه فى باب فضائل على عليه السلام، وابن ماجة فى سننه فى باب فضائل أصحاب النبىّ، والحاكم فى مستدركه فى مناقب علىّ عليه السلام و إمام الحنابلة فى مسنده بطرق كثيرة «١».

ووضوح دلالة الحديث على الخاتمية بمكان أغنانا عن البحث حولها.

٢- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «مَثَلى ومَثل الأنبياء كمَثل رجلٍ بنى داراً فأتمّها وأكملها إلّاموضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجّبون منها ويقولون، لولا موضع هذه اللّبنة» قال رسول اللَّه: «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء».

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى «٢».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۶

٣- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لى خمسة أسماء: أنا محمّد، وأحمد، أنا الماحى يمحو اللَّه بى الكفر، وأنا الحاشر، يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى» «١»

.

۴- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيّين ولا فخر، وأنا أوّل شافع ومشفّع ولا فخر» «٢»

.

۵- قال النبىّ صلى الله عليه و آله: «يا علىّ أخصمك بالنبوّة؛ فلا نبوّة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يجاحدك فيها أحد من قريش، أنت أوّلهم إيماناً باللَّه» «٣»

.

۶- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت ولا رسولَ بعدى ولا نبىّ» قال: فشقّ ذلك على الناس فقال: «ولكن المبشّرات» فقالوا: يا رسول اللَّه وما المبشّرات؟ فقال: «رؤيا المسلم، وهى جزء من أجزاء النبوة» «۴»

.

٧- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أُرسلتُ إلى الناس كافّة وبى خُتم النبيّون» «۵»

.

٨- قال النبىّ صلى الله عليه و آله: «كنت أوّل الناس فى الخلق، وآخرهم فى البعث» «۶»

.

٩- استأذن العباس بن عبد المطّلب النبىّ فى الهجرة فقال له: «يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه؛ فإنّ اللَّه تعالى يختم بك الهجرة كما

ختم بى النبوّة» ثمّ هاجر إلى النبىّ وشهد معه فتح مكّة وانقطعت الهجرة «۷».

۱۰- قال صلى الله عليه و آله: «يكون فى أُمتى ثلاثون كذّاباً؛ كلّهم يزعم أنّه نبىّ وأنا خاتم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۷

النبيين؛ لا نبىّ بعدى» «۱»

.

۱۱- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «فُضِّلتُ بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلم، ونُصِرتُ بالرعب، وأُحلّت لى الغنائم، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيّون» «۲»

.

۱۲- روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنه قال: «قال النبىّ صلى الله عليه و آله: يا أيّها الناس إنّه لا نبىّ بعدى، ولا سنّة بعد سنّتى، فمن ادّعى ذلك فدعواه وبدعته فى النار فاقتلوه ومن تبعه؛ فإنّه فى النار» «۳»

.

الخاتميّة فى أحاديث العترة الطاهرة

الخاتميّة فى أحاديث العترة الطاهرة

قد روى عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أحاديث أُخر فى مجال كونه خاتماً إلّاأنّ ذكر الجميع غير ميسور لنا، وأُردف البحث بما روى عن عترته الطاهرة عليهم السلام فى هذا المجال، وأقتصر على القليل من الكثير؛ فإنّ المروى عنه فى ذلك المجال متوفّر جداً.

۱- قال الإمام علىّ عليه السلام: «إلى أن بَعثَ اللَّه محمداً صلى الله عليه و آله لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماتُه، كريماً ميلادُه» «۴»

.

۲- قال الإمام علىّ عليه السلام: «اجعل شريف صلواتك، ونامى بركاتك، على محمّد صلى الله عليه و آله عبدك ورسولك الخاتم لما سبق» «۵».

۳- وقال عليه السلام: «أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفا به الرسلَ وختَم به الوحى» «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۸

۴- قال عليه السلام وهو يلى غسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتجهيزه: «بأبى أنت وأُمّى لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوّة والأنباءوأخبار السماء، خصّصت حتّى صِرتَ مسلّياً عمّن سواك، وعمّمتَ حتّى صار الناس فيك سواء» «۱»

. هذا وقد روى عن غير الإمام على عليه السلام من العترة الطاهرة ونذكر منهم ما يأتى:

۵- عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «لمّا حملتُ بالحسن وولدته جاء النبىّ ثم هبط جبرئيل فقال: يا محمّد، العلىّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: علىٌّ مِنك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبىّ بعدك، سَمّ ابنك هذا باسم ابن هارون» «۲»

.

۶- وروى عن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام قال: «جاء نفر إلى رسول اللَّه فقالوا: يا محمّد إنّك الذى تزعم أنّك رسول اللَّه، وأنّك الذى يوحى إليك كما أوحى اللَّه إلى موسى بن عمران؟ فسكت النبىّ ساعة ثم قال: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيّين، وإمام المتّقين، ورسول ربّ العالمين» «۳»

.

۷- روى عن الحسين بن علىّ عليهما السلام أنّه قال لرسول اللَّه: «فأخبرنى يا رسول اللَّه هل يكون بعدك نبىّ؟ فقال: لا، أنا خاتم النبيّين، لكن يكون بعدى أئمة قوّامون بالقسط، بعدد نقباء بنى إسرائيل» «۴»

.

۸- وقال الإمام السجّاد عليه السلام فى بعض أدعيته: «صلّ على محمّد خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، وأهل بيته الطيّبين الطاهرين، وأعذْنا وأهالينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات ممّا استعذنا منه» «۵»

.

۹- وقال الإمام الباقر فى حديث: «وقد ختم اللَّه بكتابكم الكُتبَ وختم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۹

بنبيّكم الأنبياءَ» «۱»

.

۱۰- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «فكلّ نبى جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتّى جاء محمّد صلى الله عليه و آله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» «۲»

.

۱۱- وقال عليه السلام: «بعث اللَّه سبحانه أنبياءَه ورسلَه ونبيَّه محمداً، فأفضل الدين معرفة الرسل وولايتِهم، وأخبرك أنّ اللَّه أحلّ حلالًا وحرّم حراماً إلى يوم القيامة» «۳».

۱۲- روى زرارة قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الحرام والحلال فقال:

«حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة لايكون غيره ولا يجىء غيره» «۴»

.

۱۳- وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إذا وقفت على قبر رسول اللَّه فقل أشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له وأشهد أنّك خاتم النبيّين» «۵»

.

۱۴- وقال الإمام الرضا عليه السلام فى سؤال من سأله: ما بال القرآن، لا يزداد عند النشر والدراسة إلّاغضاضة؟ قال: «لأنّ اللَّه لم ينزّله لزمان دون زمان ولا لناسٍ دون ناس، فهو فى كلّ زمانٍ جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة» «۶»

.

هذه أربعة عشر حديثاً عن العترة الطاهرة، ولو أردنا أن نذكر ما وقفنا عليه لطال بنا المقام، غير أنّ المهم طرح أسئلة حول الخاتمية وتحليلها بإيجاز.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۰

أسئلة حول الخاتميّة

اشارة

أسئلة حول الخاتميّة

هناك أسئلة حول الخاتمية تثار بين آن وآخر، وهى بين سؤال قرآنى وفلسفى وفقهى، ونكتفى من الأوّل بواحد من الأسئلة.

السؤال الأوّل: تنصيص القرآن على أنّ جميع أهل الشرائع ينالون ثواب اللّه.

السؤال الأوّل: تنصيص القرآن على أنّ جميع أهل الشرائع ينالون ثواب اللّه.

إنّ القرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين باللّه وباليوم الآخر من جميع الشرائع سينالون ثواب اللّه، وأنّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومعنى ذلك أنّ جميع الشرائع السماوية تُحفَظ إلى جانب الإسلام، وأنّ أتباعها ناجون شأنُهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، وعلى ضوء هذا، فكيف تكون الشريعة الإسلامية واقعة في آخر مسلسل الشرائع السماوية؟ وكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟ وإليك ما يدل على ذلك حسب نظر السائل:

١- قال سبحانه: إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والنّصارى والصّابئينَ مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ وعَمِلَ صالحاً فَلهُمْ أجرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ ولا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ «١»

.

٢- إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والصّابئونَ والنّصارى مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالحاً فَلا خَوفٌ عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ «٢»

.

٣- إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والصّابئينَ والنّصارى والمجوسَ والَّذينَ أشرَكوا إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَينهُمْ يومَ القيامةِ إنّ اللَّه على كلِّ شَيءٍ شَهيد «٣»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۱

إنّ استنتاج بقاء شرعية الشرائع السماوية من هذه الآيات مبنيّ على غضّ النظر عمّا تهدف إليه الآيات، وذلك أنّ الآيات بصدد ردّ مزاعم ثلاثة كانت اليهود تتبناها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. وهي:

١- فكرة «الشعب المختار»!

كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين بل العالم بادّعائهم فكرة «الشعب المختار» بل إنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين: اليهود والنصارى، كانت تدّعي أنّها أرقى أنواع البشر، وكانت اليهود أكثرهم تمسّكاً بهذا الزعم وقد نقل عنهم سبحانه قولهم:

وقالَتِ اليَهودُ والنّصارى نحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ بَلْ أنتُمْ بَشَرٌ مِمَّن خَلَق... «١»

واللّه سبحانه يردّ هذا الزعم بكلّ قوة عندما يقول:

فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف حدّاً بالغاً وكأنّهم قد أخذوا على اللّه عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم، حيث قالوا: وقالُوا لَنْ تَمسَّنا النّارُ إلّاأياماً مَعدُودَةً «٢»

.

٢- الانتماء إلى اليهودية والنصرانية مفتاح الجنة!

قد كانت اليهود والنصارى تبنّان وراء فكرة: «الشعب المختار»، فكرة أُخرى، وهي: أنّ الجنة نصيب كل من ينتسب إلى بنى إسرائيل أو يُسمّى مسيحياً ليس إلّا، وكأنَّ الأسماء والانتساب مفاتيح للجنة، قال سبحانه ناقلًا عنهم: وقالُوا لَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّامَنْ كانَ هُوداً أو نَصارى «٣»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۲

ولكنّ القرآن يردّ عليهم ويقول: تِلكَ أمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ إنْ كُنتُمْ صادِقينَ* بَلى مَنْ أسلَمَ وَجهَهُ للَّهِ وهوَ مُحسنٌ فَلهُ أجرُهُ عندَ

ربِّهِ ولا خوفٌ عَلَيهم ولا هُمْ يحزَنُون «۱»

فإنّ قوله سبحانه: بَلى مَنْ أسلَمَ يعنى الإيمان الخالص وقوله: وهوَ مُحسنٌ يعنى العمل وفق ذلك الإيمان، وكلتا الجملتين تدلّان على أنّ السبيل الوحيد إلى النجاة يوم القيامة هو الإيمان والعمل لا الانتساب إلى اليهودية والنصرانية، فليست المسألة مسألة أسماء، وإنّما هى مسألة إيمان صادق وعمل صالح.

۳- الهداية فى اعتناق اليهودية والنصرانية!

وهذا الزعم غير الزعم الثانى، ففى الثانى كانوا يقتصرون فى النجاة بالانتماء إلى الأسماء، وفى الأخير يتصوّرون أنّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاعتناق باليهودية والنصرانية وقالُوا كونُوا هُوداً أو نَصارى تَهتَدوا «۲»

والقرآن الكريم يردّ هذه الفكرة كما سبق، ويقول إنّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاقتداء بملّة إبراهيم واعتناق مذهبه فى التّوحيد الخالص الذى أمر الأنبياء بإشاعته بين أُممهم، قال سبحانه: قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ مِنَ المُشركين «۳»

وفى آية أُخرى ما كانَ إبراهيمُ يَهوديّاً ولا نَصرانيّاً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلماً وما كانَ مِنَ المُشركين «۴»

.

نستخلص من كلّ هذه الآيات أنّ اليهودَ والمسيحيّين وبخاصة القدامى منهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۳

كانوا يحاولون- بهذه الأفكار الواهية- التفوّق على البشر، والتمرّد على تعاليم اللَّه، والتخلّص بصورة خاصّة من الانضواء تحت لواء الإسلام، مرة بافتعال أُكذوبة «الشعب المختار» الذى لا ينبغى أن يخضع لأىّ تكليف، ومرّة أُخرى بافتعال خرافة «الأسماء والانتساب» وادّعاء النجاة بسبب ذلك، والحصول على مغفرة اللَّه وجنّته وثوابه، ومرّة ثالثة بتخصيص «الهداية» وحصرها فى الانتساب إلى إحدى الطائفتين بينما نجد أنّه كلّما مرّ القرآن على ذكر هذه المزاعم الخرافية أعلن بكلّ صراحة وتأكيد: أنّه لافرق بين إنسان وآخر إلّابتقوى اللَّه؛ فإنّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم.

وأمّا النجاة والجنّة فمن نصيب من يؤمن باللَّه، ويعمل بأوامره دونما نقصان لاغير، وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء.

بهذا البحث حول الآيات الثلاث (المذكورة فى مطلع البحث) نكشف بطلان الرأى القائل بأن الإسلام أقرّ- فى هذه الآيات- مبدأ «الوفاق الإسلامى المسيحى واليهودى» تمهيداً لإنكار عالمية الرسالة الإسلامية وخاتميتها، بينما نجد أنّ غاية ما يتوخّاه القرآن- فى هذه الآيات- إنما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى، وليعلن مكانه بأنّ النجاة إنما هى بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

فلا استعلاء ولا تفوّق لطائفة على غيرها من البشر مطلقاً، كما أنّ هذا التشبّث الفارغ بالأسماء والدعاوى ليس إلّامن نتائج العناد والاستكبار عن الحقّ.

فليست الأسماء ولا الانتساب هى التى تنجى أحداً فى العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح فى وجه كلّ إنسان يهودياً كان أو نصرانياً، مجوسياً أو غيرهم.

ويوضّح المراد من هذه الآية قوله سبحانه: وَلو أنّ أهلَ الكِتابِ آمَنوا واتَّقَوا لَكفَّرنا عَنهمْ سَيِّئاتِهِمْ ولأدخلناهُمْ جَنّاتِ النَّعيم «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۴

فتصرّح الآية بانفتاح هذا الباب بمصراعيه فى وجه البشر كافّة من غير فرق بين جماعة دون جماعة، حتّى أنّ أهل الكتاب لو آمنوا بما آمن به المسلمون لقبلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم.

هذا هو كل ما كان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الآيات، وليس أىّ شىء آخر.

إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشرعيّة الشرائع بعد ظهوره... وإنّما تدلّ على أنّ القرآن يحاول بها إبطال بعض المزاعم.

هذا كله حول السؤال القرآنى، وهناك أسئلة أُخرى جديرة بالذكر والتحليل، وإليك بيانها:

السؤال الثانى: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟

السؤال الثانى: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟

إنّ الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة الأركان؛ فلا شريعة بعدها، ومع الاعتراف بذلك يطرح هذا السؤال:

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كان صاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة مَن قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا يبلِّغون شريعة موسى بين أقوامهم.

فهب أنّه ختم باب النبوّة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوّة التبليغية؟

والجواب عنه، غنى الأُمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوّة، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أنّ النبىّ الأكرم ترك بين الأُمّة الكتابَ والعترة وعرّفهما إليها، وقال: لن تضلّ الأُمّة مادامت متمسّكة بهما.

فإذا كانت الهداية تكمن فى التمسّك بهما فالأُمّة الإسلامية فى غنى عن المهمّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۵

التبليغية؛ إذ مهمّتها موجّدة بالتمسّك بهما فالعترة الطاهرة مشاعل الحقّ، ومنارات التوحيد، أغنت الأمة، علومُهم وتوجيهاتُهم عن بعث نبىّ يبلّغ رسالات اللّه، وهذا إجمال الكلام فى أئمة أهل البيت عليهم السلام والتفصيل موكول إلى محلّه.

الوجه الثانى: أنّ علماء الأُمّة المأمورين بالتبليغ بعد التفقّه أغنوا الأُمّة عن أىّ نبوّة تبليغية، قال سبحانه: فَلَولا نفَر مِنْ كُلِّ فِرقةٍ مِنهُمْ طائفةٌ لِيتفقَّهوا فى الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَومَهُمْ إذا رَجَعوا إلَيهم لَعلَّهم يَحذَرون «۱»

وقال سبحانه:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدعونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمَعرُوفِ وَينهَونَ عَنِ المُنكَرِ «۲»

.

السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟

السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟

الجواب: إنّ الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدات الروحية لم توصد بابها، وإنّما أُوصد باب خاصّ وهو باب النبوّة الذى يحمل الوحى التشريعى أو التبليغى.

قال سبحانه: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهِم حتّى يتبيَّنَ لَهُمْ أنّهُ الحقُّ أوَلَمْ يَكفِ بِربِّكَ أنَّهُ على كُلِّ شىءٍ شَهيد «۳»

.

فالفتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات فى الروع غير مسدودة بنصّ الكتاب العزيز قال سبحانه: يا أيُّها الذينَ آمَنوا إن تَتَّقوا اللّه يجعلْ لَكُمْ فُرقانا «۴»

أى يجعل فى قلوبكم نوراً تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۶

وتميّزون به بين الصحيح والزائف لا بالبرهنة والاستدلال، بل بالشهود والمكاشفة، قال سبحانه: يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وآمِنوا برسولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفلَينِ مِنْ رَحمتِهِ ويَجعلْ لَكُمْ نُوراً تَمشونَ بِهِ ويَغفرْ لَكُمْ واللَّهُ غَفورٌ رَحيم «۱»

.

وهناك آيات وروايات تدلّ بوضوح على انفتاح هذا الباب فى وجه الإنسان، نكتفى بما ذكرناه.

السؤال الرابع: ادّعاء النقص فى التشريع الإسلامى.

اشارة

السؤال الرابع: ادّعاء النقص فى التشريع الإسلامى.

كلّما تكاملت جوانب الحضارة وتشابكت، وتعدّدت ألوانها، واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جديدة وطرحت عليه مشاكل طارئة لا عهد للأزمنة السابقة بها، إذن فحاجة المجتمع إلى قوانين وتشريعات جديدة لا تزال تتزايد كلّ يوم تبعاً لذلك، وما جاء به الرسول لا يجاوز قوانين محدودة، فكيف تفى النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟

الجواب: إنّ خلود التشريع وبقاءه فى جميع الأجيال ومسايرته للحضارات الإنسانية، واستغناءه عن كلّ تشريع سواه، يتوقّف على وجود أمرين فيه:

الأول: أن يكون التشريع ذا مادّة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر معها علماء الأُمّة والأخصّائيون منهم على استنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع البشرى فى كلّ عصر من الأعصار.

الثانى: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق، مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال، وتساير الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامى كِلا الأمرين، أمّا الأوّل فقد أحرزه بتنفيذ أُمور:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۷

الف- الاعتراف بحجّية العقل فى مجالات خاصّة:

إنّ من سمات التشريع الإسلامى التى يمتاز بها عن سائر التشريعات هى إدخال العقل فى دائرة التشريع، والاعتراف بحجّيته فى الموارد التى يصلح له التدخّل والقضاء فيها، فالعقل أحد الحجج الشرعيّة، وفى مصافّ المصادر الأُخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامى سعةً وانطلاقاً وشمولًا لما يتجدّد من الأحداث، ولما يطرأ من الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

إنّ الملازمة بين حُكمى العقل والشرع (إنّه كلّما حكمَ بِهِ العقلُ حكمَ بِهِ الشرع) ترفع كثيراً من المشاكل التى لم يرد فيها نصّ، فللعقل دور كبير فى استنباط كثير من الأحداث التى يصلح للعقل القضاء فيها، ويقدر على إدراك حكم الشرع من حكم نفس العقل، وذلك فى الموارد التالية:

۱- القول بالملازمة بين وجوب المقدّمة وذيها.

۲- القول بالملازمة بين حرمة الشىء ومقدمته.

۳- الحكم بالبراءة عند عدم النصّ.

۴- الحكم بالامتثال القطعى عند العلم الإجمالى.

۵- الحكم بالملازمة بين الحرمة وفساد العبادة.

۶- الحكم بالملازمة بين تعلّق النهى بنفس المعاملة وفسادها.

۷- الحكم بالإجزاء عند الامتثال وفق الأمر الاضطرارى.

۸- الحكم بالإجزاء عند الامتثال وفق الأمر الظاهرى.

۹- استكشاف الأمر الشرعى بالأهم عند التزاحم.

۱۰- استكشاف بطلان الصلاة عند اجتماع الأمر والنهى بتقديمه على الآمر.

إلى غير ذلك من الأحكام التى تعدّ من ثمرات القول بالتحسين والتقبيح العقليين، فمن عزل العقل عن الحكم فى ذلك المجال، فقد قصرت فكرته عن تقديم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۸

أىّ حلّ لهذه الأحكام وما ذكرناه نماذج لما للعقل من دور، وإلّا فالأحكام المستنبطة من العقل فى مجالات مختلفة أكثر من ذلك.

ب- إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية:

إنّ من أمعن فى الكتاب والسنّة يقف على أنّ التشريع الإسلامى تابع لملاكات؛ فلا واجب إلّالمصلحة فى فعله ولا حرام إلّالمفسدة فى اقترافه، ويشهد بذلك كتاب اللّه فى موارد:

يقول سبحانه: إنّما يُريدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بَينكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ فى الخمرِ والمَيسِرِ ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكرِ اللَّهِ وعنِ الصَّلاةِ فَهلْ أنتم مُنتَهون «۱»

فالآية تعلّل حرمة الخبيثين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدّهما عن ذكر اللّه، يقول سبحانه:... وأقِمِ الصَّلاةَ إنّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ... «۲»

.

إلى غير ذلك من الآيات التى تصرّح بملاكات الأحكام.

وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على أنّ الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر علىّ بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يبح أكلًا ولا شرباً إلّالما فيه المنفعة والصلاح، ولم يحرّم إلّاما فيه الضرر والتلف والفساد» «۳»

.

وقال عليه السلام فى الدم: «إنّه يسىء الخلق، ويورث القسوة للقلب، وقلّة الرأفة والرحمة، ولايؤمن أن يقتل ولده ووالده» «۴»

.

وهذا باقر العلوم وإمامها عليه السلام يقول: «إنّ مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۹

الارتعاش، ويهدم مروّته، ويحمله إلى التجسّر على المحارم من سفك الدماء، وركوب الزنا» «۱»

.

وغيرها من النصوص المتضافرة عن أئمة الدين «۲».

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد فى الموضوع، فالغاية المتوخّاة من تشريعها إنّما هى الوصول إليها، أو التحرّز عنها، وبما أنّ المصالح والمفاسد ليست على وزان واحد، بل رُبّ واجب يسوغ فى طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلًا، ورُبّ حرام ذى مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات.

ولأجل ذلك فقد عقد الفقهاء باباً خاصاً لتزاحم الأحكام وتصادمها فى بعض الموارد، فيقدّمون الأهم على المهم والأكثر مصلحة على الأقل منها، والأعظم مفسدة على الأحقر منها، وهكذا... ويتوصلون فى تمييز الأهم عن المهم، بالطرق والأمارات التى تورث الاطمئنان،

وباب التزاحم فى علم الأصول غير التعارض فيه، ولكلٍّ أحكام.

وقد أعان فتح هذا الباب على حلّ كثير من المشاكل الاجتماعية التى ربّما يتوهّم الجاهل أنّها تعرقل خطى المسلمين فى معترك الحياة، وأنّها من المعضلات التى لاتنحلّ أبداً، ولنأتى على ذلك بمثال وهو:

إنّه قد أصبح تشريح بدن الإنسان فى المختبرات من الضروريات الحيوية التى يتوقّف عليه نظام الطبّ الحديث، فلا يتسنّى تعلّم الطبّ إلّابالتشريح والاطّلاع على خفايا الأمراض والأدوية.

غير أنّ هذه المصلحة، تصادمها مسألة احترام الإنسان حيّاً وميتاً، إلى حدّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۰

أوجب الشارع الإسراع فى تغسيله وتكفينه وتجهيزه للدفن، ولا يجوز نبش قبره إذا دفن، ولا يجوز التمثيل به وتقطيع أعضائه، بل هو من المحرّمات الكبيرة التى لم يجوّزها الشارع حتّى بالنسبة إلى الكلب العقور، غير أنّ عناية الشارع بالصحّة العامة وتقدّم العلوم جعلته يسوّغ اقتراف هذا العمل لتلك الغاية، مقدّماً بدن الكافر على المسلم والمسلم غير المعروف على المعروف منه، وهكذا...

ج- التشريع الإسلامى ذو مادة حيوية:

إنّ التشريع الإسلامى فى مختلف الأبواب مشتمل على أُصول وقواعد عامّة تفى باستنباط آلاف من الفروع التى يحتاج إليها المجتمع البشرى على امتداد القرون والأجيال.

أخرج الكلينى عن عمر بن قيس، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول:

«إنّ اللَّه تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلّاأنزله فى كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شىء حدّاً، وجعل عليه دليلًا يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً».

روى الكلينى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام أنّه قال: «ما من شىء إلّاوفيه كتاب أو سنّة» «۱»

.

وقال الإمام الطاهر موسى الكاظم عليه السلام عندما سأله عن وجود كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيه قال مجيباً: «بل كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيّه» «۲»

.

نعم تتجلّى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنّة رسول اللَّه المرويّة عن طريق أئمة أهل البيت؛ فقد حفظوا سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عندما كانت كتابة الحديث أمراً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۱

معرضاً عنه، ولذلك صارت أدلّة الفقه الإسلامى متوسّعة كافلة لاستنباط الأحكام، وبذلك أغنوا الأُمة الإسلامية عن مقاييس ظنّية كالقياس والاستقراء، وما لا دليل عليه من الكتاب والسنّة على وجه القطع واليقين.

إنّ الاكتفاء بما ورد عن النبىّ عن طريق الصحابة وعدم الرجوع إلى ما رواه أئمة أهل البيت عن جدّهم متسلسلًا كابر عن كابر لخسارة عظمى، فعلى المشغوف بتجديد حياة الإسلام وإغنائه عن أىّ تشريع غربىّ وشرقىّ وتجسيد الخاتمية فى مجال التشريع أن يجتاز الحدود التى ضربها الأُمويون ومَن لفّ لفّهم بين الناس وأئمة أهل البيت عليهم السلام فعند ذلك ستنفتح آفاق من حديث الرسول ممّا يحتار اللبّ به، ويثير الحسرة لما فات الأُمّة من التنوّر بنورهم فى القرون الماضية.

د- تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه:

وممّا أضفى على التشريع الإسلامى خلوداً وغضاضة وشمولية وإغناءً عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيما تحتاج إليه الأُمّة فى حياتها الفردية والاجتماعية، ومن أقفله فى الأدوار السابقة قطع الأُمّة الإسلامية عن مواكبة التطوّر والحضارة، ومِن ثَمَّ جعل التشريع

الإسلامى ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الامّة، وأمّا لزوم فتحه فهو أنّ الأمّة الإسلامية فى زمن تتوالى فيه الاختراعات والصناعات، وتتجدّد الأحداث التى لم يكن لها مثيل فى عصر النبىّ ولا بعده، فهم أمام أحد أُمور:

١- بذل الوسع فى استنباط أحكام الموضوعات الحديثة من الأُصول والقواعد الإسلامية.

٢- اتّباع المبادئ الغربية من غير نظر إلى مقاصد الشريعة.

٣- الوقوف من غير إعطاء حكم.

ومن المعلوم بطلان الثانى والثالث فيتعيّن الأوّل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۲

نعم، لم يزل هذا الباب مفتوحاً عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماس وأغنوا الأُمّة الإسلامية عن التطلّع إلى موائد الغربيين.

وبما أنّ الاجتهاد الحرّ، والخروج عن قيد المذاهب صار واضح اللزوم نقتصر على هذا المقدار.

ه- حقوق الحاكم الإسلامى أو ولاية الفقيه:

من الأسباب الباعثة على بقاء الدين وكونه مادّة حيوية صالحة لحلّ المشاكل والمعضلات الطارئة، كون الحاكم الإسلامى بعد النبىّ والأئمة ممثّلًا لقيادتهم الحكيمة فى أُمور الدين والدنيا، التى من شأنها أن توجّه المجتمع البشرى إلى أرقى المستويات الحضارية، فقد فتحت لمثل هذا الحاكم الصلاحيات المؤدّية إلى حقّ التصرّف فى كلّ ما يراه ذا مصلحة للأُمّة فى إطار القوانين العامّة؛ لأنّه يتمتّع بمثل ما يتمتّع به النبىّ والإمام من النفوذ المطلق إلّاما كان من خصائص النبىّ والأئمة.

وبما أنّ المحقّقين أسهبوا الكلام فى معنى ولاية الفقيه اقتصرنا على هذا المقدار.

مرونة التشريع الإسلامى:

مرونة التشريع الإسلامى:

لقد سبق الحديث عن أنّ استغناء التشريع الإسلامى عن كلّ تشريع سواه رهن أمرين:

الأول: إنّه ذو مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر على الإجابة ببيان حكم جميع الأحداث التالية والطارئة.

الثانى: النظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال، وقد مرّ الكلام فى الأمر الأوّل وإليك الكلام حول الأمر الثانى.

إنّ الذى فتح للتشريع الإسلامى خلوداً وغناءً عن سائر التشريعات هو

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۳

مرونة أحكامه التى تماشى جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بأُمور:

الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والروح

إذا غالت المسيحية فى التوجّه إلى الناحية الروحية، فدعت إلى الرهبانية والتعزّب، وغالت اليهودية فى الدعوة إلى ملاذّ الحياة والانكباب على المادّة حتّى نسيت كلّ قيمة روحية، فالإسلام دعا إلى المادّية والمعنوية على وجه يطابق الفطرة الإنسانية، وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام، وشرع للإنسان ما يسعده فى الدنيا والآخرة على ما هو مفصّل فى محله.

الثانى: النظر إلى المعانى لا إلى الظواهر

الإسلام ينظر إلى المعانى والحقائق لا الظواهر والقشور، فيأمر بالأخذ باللبّ لا بالقشر، وهذا هو السرّ فى خاتمية الدين الإسلامى

وتمشّيه مع تطوّر الحياة، ولا يتوهّم من ذلك جواز التدخّل فى التشريع بحجّة الأخذ باللبّ دون القشر؛ فإنّ الكبريات الواردة فى الكتاب والسنّة كلّها لبّ، وأمّا القشر فإنّما يرجع إلى التخطيط والتجسيد.

وسيوافيك عند الإجابة على السؤال الخامس أنّ الإسلام دعا الإنسان إلى الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ، وأمّا الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى مقتضيات العصور.

إنّ الذى يهتمّ به التشريع كون البيت مُقاماً على أرض غير مغصوبة ومن مال حلال بحيث يتمكّن المسلم من إقامة فرائضه فيه وحفظ كيانه، وقد أناط شكل البيت وهندسته إلى مقتضيات الظروف والمصالح؛ وكذا الملابس ووسائل التعليم ابتداءً من الحفر على الصخر والجدران والكتابة على الجلود والقراطيس، إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۴

ابتكار وسائل ألكترونية متطوّرة لإنجاز الغرض، فمن أراد الحفاظ على الصور، فقد عرقل الأُمّة الإسلاميّة عن التقدّم وأثار مشاكل فى تطبيق الشريعة فى الأزمنة الحاضرة.

الثالث: الأحكام التى لها دور التحديد

من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية تشريعه القوانين الخاصّة التى لها دور التحديد والرقابة بالنسبة إلى عامّة تشريعاته وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلّة الحاكمة؛ لأجل حكومتها وتقدّمها على كلّ حكم ثبت لموضوع بما هو هو، فهذه القوانين الحاكمة، تعطى لهذا الدين مرونة يماشى لبّها كلّ حضارة إنسانية، مثلًا قوله سبحانه: وما جعلَ عَليكُمْ فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... «۱»

حاكم على كلّ تشريع استلزم العمل به حرجاً، لا يتحمّل عادة للمكلّف فهو مرفوع فى الظروف الحرجة، ومثله قوله صلى الله عليه و آله: «لا ضرر ولا ضرار» فكلّ حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً، فهو مرفوع فى تلك الشرائط، وقس عليهما غيرهما من القوانين الحاكمة.

نعم تشخيص الحاكم عن المحكوم، ومايرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط، يحتاج إلى الدقّة والإمعان والتفقّه والاجتهاد، ورأْينا أنّ الموضوع يحتاج إلى التبسّط أكثر من هذا، فإلى مجال آخر أيّها القارئ الكريم.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطوّرة.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطوّرة.

إنّ مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً، ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أنّ المجتمع الإنسانى لم يزل فى تطوّرٍ وتغيّرٍ، فعند ذلك يُطْرح السؤال التالى:

كيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلّبات المجتمع المتغيّر؟ فإنّ من لوازم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۵

التغيّر والتطوّر، تغييرُ ما تسُود عليه من قوانين وتشريعات؟

هذا هو السؤال الذى يُطرح بين آن وآخر، والإجابة عنه تتوقّف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيّرها، وأنّ للثابت من جانب حياته تشريعاً ثابتاً، وللجانب المتغيّر منها تشريعاً متغيّراً فالتشريع الثابت لما هو الثابت والمتغيّر لما هو المتغيّر، وإليك البيان:

الجانب الثابت من حياة الإنسان:

۱- إنّ للحياة الإنسانية جانبين: متغيّر وثابت، فالثابت منها عبارة عن الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التى لا تتغيّر ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً ولا يتسرّب التغيّر إليها.

فالإنسان الاجتماعى بماهو موجود ذو غرائز يحتاج لحفظ حياته وبقاء نفسه إلى العيش الاجتماعى والحياة العائلية، وهذان الأمران من أُسُس حياة الإنسان لا تفتأ تقوم عليهما حياته منذ وجوده إلى يومنا هذا.

فإذا كان التشريع الموضوع منسجماً ومتطلبات الغرائز، ومعدِّلًا إيّاها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال، فذلك التشريع يكون خالداً فى ظلّ خلود الغرائز.

۲- إنّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا ـ ينكر؛ فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كلّ الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف، ولكلّ من الرجل والمرأة متطلّب وفق تركيبه، فإذا كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة، يكون خالداً حسب خلود الفطرة والتركيب.

۳- الروابط العائلية كعلاقة الأب بولده وبالعكس، علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التوارث ولزوم التكريم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۶

إنّ السؤال مبنىّ على أنّ الإنسان بفطرته وتركيبه يقع فى مهبِّ التغيّر والتطوّر؛ فلا يبقى منه شىء عبْر القرون، فكأنّ الإنسان الحالى غير الإنسان الغابر، مع أنّها فكرة باطلة، فلو كان هناك تغيّر فإنّما يعود هذا إلى غير الجانب الثابت من حياته.

۴- إنّ فى حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا ـ يتسرَّب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً، وجزاء الإحسان بالإحسان حسناً وبالسيّئ قبيحاً، والعمل بالميثاق حسناً ونقضه قبيحاً، إلى غيرها من القضايا الأخلاقية الثابتة فى حياة الإنسان. سواء قلنا بأنّها أحكام فطرية نابعة من الخلقة أو قلنا إنّ هناك عوامل عبر التاريخ رسخت هذه المفاهيم فى ذهن الإنسان؛ فإنّ الاختلاف فى جذور تلك المُثُل لا يضرّ بما نحن بصدده؛ لأنّها على كلّ تقدير ثابتة فى حياة الإنسان، والتشريع الموضوع وفقها يتمتّع بالثبات.

إنّ هناك موضوعات فى الحياة الإنسانية لم تزل ذات مصالح ومفاسد أبدية، فما دام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل عقله والميسر ينبت العداوة فى المجتمع، والإباحة الجنسية تفسد النسل والحرث مدى الدهور والأجيال، فبما أنّ هذه القضايا قضايا ثابتة فى حياته، فالتشريع على وفقها يكون ثابتاً وفق ثباتها.

فهذه نماذج من الجانب الثابت من حياة الإنسان تناولناها لإيقاف القارئ على أنّ التغيّر فى حياة الإنسان ليس أمراً كلّياً ولا يتسرَّبُ إلى أعماق حياته، وإنّما التغيّر يرجع إلى صور من حياته فالتغيّر- كما سيوافيك بيانه- إنّما يكون مثلًا فى المواصلات، وفى التكتيك الحربى، وفى طراز البناء وأشكاله، وفى معالجة الأمراض وغيرها، فأين مثل هذا التغيّر من حرمة الظلم، ووجوب العدل، ولزوم أداء الأمانات، ودفع الغرامات، ولزوم الوفاء بالعهد والأيمان، وتكريم ذوى الحقوق إلى غير ذلك من القوانين الثابتة الموضوعة على غرار الفطرة مبنياً على الجانب الثابت من حياته فهو يحتلّ مكان التشريع الدائم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۷

الجانب المتغيّر فى الحياة الإنسانية:

إنّ للإنسان جانباً آخر فى حياته لا يزال يتغيّر من حال إلى حال، فمثل هذا يتطلّب تشريعات متغيّرة حسب تغيّره وتبدّله، ومن حسن الحظّ أنّه ليس فى الإسلام الخاتم تشريعٌ ثابتٌ لهذا الجانب من الحياة مظاهر حياته وقشورها لا جوهرها، ولذلك لم يتدخّل فيه الإسلام تدخُّلًا مباشراً، بل ترك أمرها للمجتمع الإسلامى فى ظلّ إطارٍ خاص. وسوَّغ للمجتمع البشرى إدارة شؤون حياته فى مجال العمران والبناء وتطور وسائل الحياة المختلفة فى مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد فى ظلّ إطارٍ عام الذى يتجاوب مع التغيّر والتطوّر.

فترك للإنسان مجالًا متحرّكاً يختار به أىّ نوع من الألبسة والبناء والمعدّات والوسائل المختلفة ضمن شروط معلومة فى الفقه الإسلامى، ولأجل هذه المرونة فى الإنسان نرى أنّه يتجاوب مع جميع الحضارات الإنسانية، وما هذا إلّالأنّه لم يتدخّل فى الجزئيات المتغيّرة إلّابوضع إطار خاصّ لا يمنع حرّيته ولا يزاحم التغيّر، وهنا كلمة قيّمة للشيخ الرئيس ابن سينا نذكرها، قال:

«يجب أن يفوّض كثير من الأحوال خصوصاً فى المعاملات إلى الاجتهاد؛ فإنّ للأوقات أحكاماً لا يمكن أن تنضبط، وأمّا ضبط المدينة بعد ذلك بمعرفة ترتيب الحفظة ومعرفة الدخل والخرج وإعداد أهب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فينبغى أن يكون ذلك إلى السائس من حيث هو خليفة، ولا تفرض فيها أحكام جزئية؛ فإنّ فى فرضها فساداً؛ لأنّها تتغيّر مع تغيّر الأوقات، وفرض الكليّات فيها مع تمام الاحتراز غير ممكن، فيجب أن يجعل ذلك إلى أهل المشورة» «۱».

نعم إنّ عنوان مقتضى الزمان صار رمزاً لكلّ من أراد أن يتحرّر من القيم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۸

الأخلاقية، ويعيش متحلّلًا من كلّ قيد وحدّ، خالعاً كلّ عذار.

وهؤلاء حيثما رأوا الإباحة الجنسيّة، واختلاط الرجال والنساء، واتّخاذ الملاهى بأنواعها وشرب المسكر، واللعب بالميسر، واقتراف المعاصى وأخذ الربا وغير ذلك ممّا حرّمته الشريعة الإسلامية، لم يجدوا مبرّراً لاقترافها إلّابالتمسّك بمقتضيات الزمان وجبر التاريخ.

وهذا أبرز دليل على أنّ التمسّك به غطاء للتحرّر من القيود الشرعية والأخلاقية، وإلّا فلو كان المقصود من تطبيق الحياة على مقتضيات الزمان، هو ترفيع الثقافة الإنسانية، والاستفادة من أحدث الأجهزة فى المجالات كافّة؛ فهذا ممّا لا يرفضه الإسلام، وليس له فيه قانون يعرقل خطى الترقّى وحدوده بإطار عام، وهو عبارة أن لا يزاحم سعادة الإنسان، وأن لا يكون فيه ضرر على روحه وجسمه، والقيم التى بها يمتاز عن الحيوان.

نماذج من الأحكام المتغيرة حسب تغير الظروف:

وها نحن نأتى فى المقام بنماذج من الأحكام المتغيرة بتغيّر الظروف وراء ماذكرناه فى مجال الصناعة والمسكن والملبس بشرط أن لا يزاحم المثل والقيم.

فى مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية:

يجب على الدولة الإسلامية أن تراعى مصالح الإسلام والمسلمين، فهذا أصل ثابت وقاعدة عامّة، وأمّا كيفية تلك الرعاية، فتختلف باختلاف الظروف الزمانية والمكانية، فتارة تقتضى المصلحة السلام والمهادنة والصلح مع العدوّ، وأُخرى تقتضى ضدّ ذلك.

وهكذا تختلف المقرّرات والأحكام الخاصّة فى هذا المجال، باختلاف الظروف،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۹

ولكنّها لا تخرج عن نطاق القانون العام الذى هو رعاية مصالح المسلمين، كقوله سبحانه:

ولَنْ يَجعلَ اللَّهُ للكافرينَ عَلى المُؤمِنينَ سَبيلًا «۱»

، وقوله سبحانه:

لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فى الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقسِطُوا إلَيهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ المُقسِطينَ* إنَّما يَنهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ قاتَلُوكُمْ فى الدِّينِ وَ أخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وظاهَروا على إخراجِكُمْ أنْ تَوَلَّوهُمْ وَمنْ يَتولَّهُمْ فَأُولئك هُمُ الظّالِمونَ «۲»

.

فى العلاقات الدولية التجارية:

قد تقتضى المصلحة عقدَ اتفاقيات اقتصاديّة وإنشاء شركات تجارية، أو مؤسّسات صناعية، مشتركة بين المسلمين وغيرهم، وقد تقتضى المصلحة غير ذلك. ومن هذا الباب حكم الإمام المغفور له المجدِّد السيد الشيرازى بتحريم التدخين ليمنع من تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية التى عقدت فى زمانه بين إيران وإنجلترا؛ إذ كانت مُجحِفة بحقوق الشعب الإيرانى المسلم؛ لأنّها خوّلت لإنجلترا حقّ احتكار التنباك الإيرانى.

فی مجال الدفاع عن حریم الإسلام:

الدفاع عن بیضة الإسلام وحفظ استقلاله وصیانة حدوده من الأعداء، قانون ثابت لا یتغیّر، فالمقصد الأسنی لمشرِّع الإسلام، إنّما هو صیانة سیادته عن خطر أعدائه وأضرارهم، ولأجل ذلک أوجب علیهم تحصیل قوّة ضاربة ضدّ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۷۰

الأعداء، وإعداد جیش عارم جرّار تجاه الأعداء کما یقول سبحانه: وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ «۱»

فهذا هو الأصل الثابت فی الإسلام الذی یؤیّده العقل والفطرة أمّا کیفیة الدفاع وتکتیکه ونوع السلاح، أو لزوم الخدمة العسکریة وعدمه، فکلّها موکولة إلی مقتضیات الزمان، تتغیّر بتغیّره، ولکن فی إطار القوانین العامة فلیس هناک فی الإسلام أصل ثابت، حتّی مسألة لزوم التجنید العمومی، الذی أصبح من الأُمور الأصلیة فی غالب البلاد.

وما نری فی الکتب الفقهیة من تبویب باب، أو وضع کتاب خاص، لأحکام السبق والرمایة، وغیرها من أنواع الفروسیة التی کانت متعارفة فی الأزمنة الغابرة ونقل أحادیث فی ذلک الباب عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وأئمة الإسلام، فلیست أحکامها أصلیة ثابتة فی الإسلام، دعا إلیها الشارع بصورة أساسیة ثابتة، بل کانت هی نوع تطبیق لذلک الحکم، والغرض منه تحصیل القوة الکافیة، تجاهَ العدو فی تلکم العصور، وأمّا الأحکام التی ینبغی أنْ تطبّق فی العصر الحاضر فإنّه تفرضها مقتضیات العصر نفسه.

فعلی الحاکم الإسلامی تقویة جیشه وقواته المسلّحة بالطرق التی یقدر معها علی صیانة الإسلام ومعتنقیه عن الخطر، ویصدّ کلّ مؤامرة علیه من جانب الأعداء حسب إمکانیات الوقت.

والمقنِّن الذی یتوخّی ثباتَ قانونه ودوامه وسیادة نظامه الذی جاء به، لا یجب علیه التعرّض إلی تفاصیل الأُمور وجزئیّاتها، بل الذی یجب علیه هو وضع الکلیات والأُصول لیساير قانونه جمیعَ الأزمنة بأشکالها وصورها المختلفة، ولو سلک غیر هذا السبیل لصار حظّه من البقاء قلیلًا جداً.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۷۱

فی نشر العلم والمعارف والثقافة:

نشر العلم والثقافة، واستکمال المعارف التی تَضمنُ سیادةَ المجتمع مادیّاً ومعنویّاً، یعتبر من الفرائض الإسلامیة، أمّا تحقیق ذلک وتعیین نوعه ونوع وسائله فلا یتحدّد بحدّ خاص، بل یوکل إلی نظر الحاکم الإسلامی واللجان المقررة لذلک من جانبه حسب الإمکانیات الراهنة فی ضوء القوانین الثابتة.

وبالجملة: فقد ألزم الإسلام رُعاة المسلمین وولاة الأمر نشرَ العلم بین أبناء الإنسان، واجتثاث مادّة الجهل من بینهم، ومکافحة أیّ لون من الأُمیّة، وأمّا نوع العلم وخصوصیاته، فکلّ ذلک موکول إلی نظر الحاکم الإسلامی وهو أعلم بحوائج عصره.

فربّ علم لم یکن لازماً؛ لعدم الحاجة إلیه فی العصور السابقة، ولکنّه أصبح الیوم فی الرعیل الأوّل من العلوم اللازمة التی فیها صلاح المجتمع کالاقتصاد والسیاسة.

فی مجال إقامة النظام:

حفظ النظام وتأمین السبل والطرق، وتنظیم الأُمور الداخلیة ورفع مستوی الاقتصاد و... من الضرورات، فیتبع فیه وأمثاله مقتضیات الظروف، ولیس فیه للإسلام حکم خاصّ یتّبع، بل الذی یتوخّاه الإسلام هو الوصول إلی هذه الغایات، وتحقیقها بالوسائل الممکنة، دون تحدید وتعیین لنوع هذه الوسائل، وإنّما ذلک متروک إلی إمکانیات الزمان الذی یعیش فیه البشر، وکلّها فی ضوء القوانین العامّة.

فی مجال المبادلات المالیة:

قد جاء الإسلام بأصل ثابت فی مجال الأموال وهو قوله سبحانه: ولا تَأْکُلُوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۲

أموالَكُمْ بَينكُمْ بِالباطل «۱»

وقد فرّع الفقهاء على هذا الأصل شرطاً فى صحّة عقد البيع أو المعاملة فقالوا: يشترط فى صحّة المعاملة وجود فائدة مشروعة، وإلّا فلا تصحّ المعاملة ومن هنا حرّموا بيع «الدم» وشراءه.

إلّا أنّ تحريم بيع الدم أو شراءه ليس حكماً ثابتاً فى الإسلام بل الحكم الثابت هو حرمة أكل المال بالباطل، وكانت حرمة الدم فى الزمان السابق صورة إجرائية لما أفادته الآية من حرمة أكل المال بالباطل ومصداقاً لها فى ذلك الزمان، فالحكم يدور مدار وجود الفائدة (التى تخرج المعاملة عن أن تكون أكلًا للمال بالباطل) وعدم تحقّق الفائدة، فلو ترتّبت فائدة معقولة على بيع الدم أو شرائه فسوف يتبدّل حكم الحرمة إلى الحلّيّة، والحكم الثابت هنا هو قوله تعالى: ولا تَأْكُلُوا أموالَكُمْ بَينكُمْ بِالباطل.

وفى هذا المضمار ورد أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن قول الرسول صلى الله عليه و آله: «غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود؟» فقال: عليه السلام: «إنّما قال صلى الله عليه و آله ذلك والدِّينُ قَلّ، فأمّا الآن فقد اتّسع نطاقه، وضرب بِجِرانِهِ «۲» فالمرء وما اختار» «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۳

الشيعة والخاتميّة

اشارة

الشيعة والخاتميّة

اتّفقت الشيعة- قاطبة- تبعاً للكتاب والسنّة على أنّ نبىّ الإسلام، هو النبىّ الخاتم، وكتابه خاتم الكتب، ورسالته خاتمة الرسالات، وقد أُوصِد برحيله باب الوحى، وأُقفل بموته باب التشريع؛ فلا وحى ولا تشريع بعد ذهابه، وقد وقفت على كلام الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام عند تغسيل النبىّ صلى الله عليه و آله وتجهيزه فلا نعيد «۱».

غير أنّ هناك شبهات ضئيلة فى المقام تطرح من جانب أُناس لا عرفان لهم بمذهب الشيعة ولا تعرّفَ لهم عليه من كثب، وقد تلقّوها من المستشرقين أو من البعداء عن البيئات الشيعية.

وهذه الأسئلة تجمعها الأُمور التالية.

۱- كيف تقولون بالخاتمية وإيصاد باب الوحى والتشريع وأنتم تعملون بكتاب علىّ عليه السلام؟

۲- كيف تقولون بذلك، وعندكم مصحف باسم مصحف فاطمة؟ وهل كان عند بنت المصطفى صلى الله عليه و آله قرآن غير القرآن الموجود عند المسلمين؟

۳- كيف تقولون ذلك وأنتم تعتمدون على روايات مروية عن الأئمة الاثنى عشر بصورة موقوفة غير متّصلة إلى النبىّ الأكرم؟ وهل الأئمة الاثنا عشر ممّن يوحى إليهم؟

إنّ هذه الأسئلة ربّما تنطلى على الجاهل غير العارف بمعتقدات الشيعة فيرميهم بما هم براء منه، ولأجل رفع الغطاء نأخذ كلَّ واحد بالدراسة بوجه موجز.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۴

كتاب علىّ وإملاء رسول اللَّه

كتاب عليّ وإملاء رسول اللّه:

إنّ السؤال الأوّل يرجع إلى كتاب عليّ وماهيّته؟ وهل هو أحاديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله التى دوّنها الإمام دون غيره؟ وإليك التفصيل:

كانت لمدرسة أئمة أهل البيت عناية خاصة بضبط وتدوين كلّ ما أُثِر عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله من قول وفعل؛ لأنّه صلى الله عليه و آله لا يصدر فى مجال التشريع والتعليم إلّاعن الوحى قال سبحانه: ومايَنطِقُ عنِ الهَوى* إن هوَ إلّاوَحىٌ يُوحى «۱»

وكان صلى الله عليه و آله على علم قاطع بأنّه سوف ينتقل إلى بارئه، وأنّ الأُمّة الإسلامية سوف تحتاج إلى كلماته وأقواله، وأفعاله وأعماله ولا تبقى خالدة إلّابالضبط والتدوين.

إنّ الإمام عليّ بن أبى طالب عليه السلام كان وليدَ البيت النبويّ وكان مع الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول اللّه عن الدنيا، وهو عليه السلام يصف حياته فى صباه وما بعده ويقول: «ولقد كنتُ أتّبعُه (يعنى: رسول اللّه) اتِّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفعُ لى فى كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كلّ سنة بِحِراءَ فأراه ولا يراه غيرى. ولم يجتمع بيت واحد يومئذٍ فى الإسلام غير رسول اللّه صلى الله عليه و آله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة» «۲»

.

كان ربيبه عليّ عليه السلام يلازمه ليلًا ونهاراً، سفراً وحضراً، فى موطِنه ومهجَره، لم يفارقه فى غزوة إلّاغزوة تبوك، وقد أقامه رسول اللّه مقامه فى المدينة ليكون عيناً للمسلمين على المنافقين، وصاعقة على المتمرّدين إذا حاولوا المؤامرة، أو إيذاء من بقى من المسلمين من الشيوخ والأطفال، إلى أن دخل العام الحادى عشر للهجرة وقد قرب أجله وارتحاله صلى الله عليه و آله ومرض وكان عليّ هو الممرّض له، وقُبض ورأسه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۵

لَعلى صدره عليه السلام.

إنّ علياً عليه السلام يشرح ذلك الموقف ويقول: «ولقد قُبِضَ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإنّ رأسه لَعلَى صدرى- إلى أن يقول- ولقد ولّيتُ غسلَه صلى الله عليه و آله والملائكة أعوانى، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرُج وما فارقَتْ سمعى هينمة «۱» منهم، يصلّون عليه. حتّى وارياه فى ضريحه. فَمَن ذَا أحقُّ به منّى حيّاً ومَيّتاً؟» «۲»

.

كلّ ذلك يعرف عن لواذ الإمام واختصاصه بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والتجائه إليه.

وقد اختصّ الإمام بهذا المقام من بين الصحابة ولم يشاركه غيره، وبذلك صار باب علم النبيّ «۳» والحاكم الروحى على الإطلاق حتّى عصر الخلفاء ولا يشكّ فى ذلك من فتح عينيه على سيرة الخلفاء وتاريخ المسلمين.

ولمثل هذا النوع من التلاحم يصف عليّ عليه السلام حاله مع النبيّ ويقول: «إنّى إذا كنت سألته أنبأنى، وإذا سكتُّ ابتدأنى» «۴»

.

كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يأمر علياً عليه السلام أن يكتب كلّ ما يملى عليه، فقال عليه السلام مرّة لرسول اللّه:

«يا نبىّ اللّه أتخاف علىَّ النسيان؟» قال: «لستُ أخاف عليك النسيان، وقد دعوت اللّه أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك» قال «قلت: ومن شركائى يا نبىّ اللّه؟» قال: «الأئمة من ولدك» «۵»

.

وكان من جملة ما أملاه عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكتب عليّ عليه السلام بخطّه، كتاب طوله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۶

سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، وهذا هو المعروف بكتاب علىٍّ أو صحيفته، اشتهر أمره بين الشيعة وأئمتهم، وفيها ما يحتاج إليه الناس فى مجال الأحكام إلى يوم القيامة، وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروُونَ عنه، ويستشهدون فى مواقع خاصّة به، وليس كتابه سوى أحاديث أملاها النبىّ، وكَتبها الوصىّ وورثها أبناؤه كابر عن كابر، ونقلوا عنه شيئاً كثيراً، وبذلك صار الإمام هو المدوِّن الرسمى للحديث النبوىّ، وإن كان بعض الصحابة «۱» شاركه فى ضبط الحديث النبوى، لكن صحائفهم وكتبهم أُحرقت- ويا للأسف- فى عصر الخلفاء لمصالح هم أعرف بها، وبذلك خسر المسلمون والسنّة النبوية خسارة كبرى لاتستقال، وبالتالى صار الحديث النبوى مرتعاً لوضع الوضّاعين والكذّابين يلصقون به ما شاءوا من الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات، لكن بقى كتاب الإمام غضّاً طريّاً مصوناً من الشرّ، يرثه إمام بعد إمام.

ولأجل إيقاف القارئ على واقع الأمر، نذكر مواصفات الكتاب وميزاته، وشيئاً من نصوصه، حتّى يتبيّن أنّ كتاب علىّ عليه السلام لم يكن إلّاجامعاً حديثياً، وكان تدويناً مبكراً للسنّة النبوية المطهرة:

أ- روى: بكر بن كرب الصيرفى قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً إملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخطّ علىّ عليه السلام، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام» «۲»

.

ب- روى فضيل بن يسار قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: «يا فضيل! عندنا كتاب علىّ سبعون ذراعاً، ما على الأرض شىء يحتاج إليه إلّاوهو فيه حتّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۷

أرش الخدش» «۱»

.

ج- روى أبو بصير- فى حديث- عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «يا أبا محمّد! وإنّ عندنا الجامعة، وما يُدريهم ما الجامعة؟» قال قلتُ: جعلتُ فداك، وما الجامعة؟

قال: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإملائه من فِلق فيه، وخطّ علىّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شىء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش فى الخدش» «۲»

.

د- روى أيضاً عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: سمعته يقول- وذكر ابنَ شبرمة- «أين هو من الجامعة؛ إملاء رسول اللَّه وخطّه علىّ بيده، فيها جميع الحلال والحرام حتّى أرش الخدش» «۳»

.

إلى غير ذلك من الروايات الحاكية لخصوصيات الكتاب وميزاته الذى رواه أصحاب المعاجم من محدّثى الشيعة، فتسمية أئمة أهل البيت تارة بكتاب علىّ، وأُخرى بالجامعة، وثالثة بصحيفة علىّ، والكتاب، يعرب عن عناية الإمام بضبطأحاديث الرسول صلى الله عليه و آله، كما يعرب عن عناية سيّد الثقلين، بكتابة حديثه، ليبقى على مرّ العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والدسُّ.

وفى العصر الذى كان الناس يروون عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: لا تكتبوا عنّى!! ومن كتب عنّى غير القرآن فليمحه «۴» وإنّ فريقاً من الصحابة استأذنوا النبىّ صلى الله عليه و آله أن يكتبوا عنه فلم يأذنهم «۵»!

وفى العصر الذى كانت مدرسة الخلفاء تروّج تقليل الرواية عن الرسول،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۸

وكلّما يبعث الخليفة عمر بن الخطاب والياً إلى قطرٍ أو بلدٍ يوصيه فى جملة ما يوصيه بقوله: «جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن محمّد وأنا شريككم!!» «۱» وربّما يعيب إفشاء الحديث عنه صلى الله عليه و آله ويقول مخاطباً لأبى ذر، وعبد اللَّه بن مسعود، وأبى الدرداء «وما هذا الحديث الذى تفشون عن محمد؟» «۲».

ففى تلك العصور الحرجة، نرى أئمة أهل البيت يحتفظون بكتاب علىّ، ويعتمدون عليه فى نقل الحلال والحرام، وبه يردّون ما كان يصدر من الفتيا الشاذّة عن الكتاب والسنّة ولا يقيمون للمنع عن الكتابة والرواية وزناً ولا قيمة، ولنذكر نماذج من روايات كتاب علىّ ليعلم موقفه من صيانة السنّة من الضياع:

۱- روى أبو بصير عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر عليه السلام فإذا فيها: «المرأة تموت وتترك زوجَها ليس لها وارث غيره قال: فله المال كلّه» «۳»

.

۲- روى أبو بصير المرادى قال: سألت أبا عبد اللَّه عن شىء من الفرائض، فقال: «ألا أُخرِج لك كتاب علىّ عليه السلام»- إلى أن قال:- فأخرجه فإذا كتاب جليل وإذا فيه: «رجل مات وترك عمّه وخاله فقال: للعمّ الثلثان، وللخال الثلث» «۴»

.

۳- روى عبد الملك بن أعين قال: دعا أبو جعفر بكتاب علىّ فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطويّاً، فإذا فيه: «إنّ النساء ليس لهنّ من عقار الرجل- إذا هو توفّى عنها- شىءٌ فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا واللَّه خطّ علىّ بيده، وإملاء رسول اللَّه» «۵»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۹

۴- روى محمّد بن مسلم الثقفى: قال: أقرأنى أبو جعفر كتاب الفرائض التى هى إملاء رسول اللَّه وخطّ على فإذا فيها: «إنّ السهام لا تعول» «۱»

.

۵- روى عذافر الصيرفى قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبى جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر:

«يا بُنىّ قُم فأخرِج كتابَ علىّ» فأخرج كتاباً مدرّجاً عظيماً وفتحه وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذا خطّ علىّ عليه السلام، وإملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲»

.

وهذه الروايات تكشف عن أنّ كتاب الفرائض الذى ذكر لعلىّ عليه السلام كان جزءاً من كتابه الكبير.

۶- روى ابن بكير قال: سأل زرارة أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الصلاة فى الثعالب والسنجاب وغيره من الوبر فأخرج كتاباً زعم أنّه إملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّ الصلاة فى وبر كلّ شىء حرام أكله فالصلاة فى وبره وشعره وجلده وبوله وروثه وألبانه وكلّ شىء منه فاسدة، لا تقبل تلك الصلاة حتّى تصلّى فى غيره ممّا أحل اللَّه أكله» ثمّ قال: «يا زرارة هذا عن رسول اللَّه» «۳»

.

وقد اقتصرنا على هذا المقدار ليعلم أنّ الكتاب أقدم جامع حديثى، أملاه النبىّ وكتبه الإمام علىّ، وكان الكتاب موجوداً بين أئمة أهل البيت يرثه كابر عن كابر، يصدرون عنه فى الإفتاء وشاهده غير واحد من أصحابهم، والكتاب وإن لم يكن موجوداً بشخصه بيننا، لكن روى أصحاب الجوامع الحديثية كالكلينى، والصدوق والطوسى قسماً كبيراً منه، وفرّقوا أحاديثه على أبواب كتبهم على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۰

الترتيب المألوف، وقد جمعها العلّامة الحجّة الشيخ على الأحمدى فى موسوعته «مكاتيب الرسول» «۱».

نعم بقى هنا سؤال:

هل هذا الكتاب، نفس الصحيفة التى كانت فى قراب سيفه أو غيره؟

الجواب: قد ذكر غير واحد من المحدّثين انّه كانت لعلىّ فى قراب سيفه صحيفة، لكن الخصوصيات التى ذكرت للكتاب فى الروايات تدلّ مائة بالمائة على أنّه غير الصحيفة التى كان يجعلها فى قراب سيفه، وكيف وقراب السيف لا يسع إلّا صحائف صغار، مهما لفّت وأُدرِجت فأين هى من المواصفات التى وقفت عليها من أنّه كتاب طوله سبعون ذراعاً، أو طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، أو مثل فخذ الفالج «۲» أو أخرج أبو جعفر كتاباً مدرّجاً عظيماً، أو كتاباً جليلًا أو هو مثل فخذ الرجل مطوياً، إلى غير ذلك ممّا مرّ ذكرها.

نعم روى أبو جحيفة، قال: سألت علياً رضى الله عنه: هل كان عندكم من النبىّ صلى الله عليه و آله شىء سوى القرآن؟ قال: «والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة، إلّاأن يوتى اللَّه عبداً فهماً فى القرآن، وما فى الصحيفة»، قلت: وما الصحيفة؟ قال: «العقل وفِكاك الأسير، ولايقتل مؤمن بكافر» «۳».

إنّ هذه الرواية مهما صحّت ونقلها أئمة الحديث، لا تقابل ما نقلناه عن أئمة أهل البيت حول كتاب علىّ، ومواصفاته، ومشاهدة جمّ غفير لهذا الكتاب، وقد نقلنا النزر اليسير من الكثير، وهذا الحديث وما شابهه فى التعبير وضع لنفى ما عند علىّ من ودائع النبوة وعلوم النبىّ صلى الله عليه و آله، والذى يعرب عن ذلك، الإصرار على أنّه ليس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۱

عند علىّ سوى كتاب اللَّه أو الصحيفة الموجودة فى قراب سيفه، فقد رووها بالعبارات التالية:

أ- «ما كتبنا عن النبىّ إلّاالقرآن وما فى هذه الصحيفة».

ب- «من زعم أنّ عندنا شيئاً نقرأه إلّاكتاب اللَّه أو هذه الصحيفة فقد كذب».

ج- «ما خصّنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشىء لم يخصّ به الناس إلّاما فى قراب سيفى هذا».

د- «ما عهد إلىَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شيئاً خاصّاً دون الناس إلّاشىء سمعته، وهو فى صحيفة قراب سيفى...» «۱»

.

إلى غير ذلك من التعابير الهادفة إلى نفى علمه بشىء إلّابالكتاب والصحيفة الصغيرة.

نحن نغضّ الطرف عمّا ذكرنا، فلو صحّ ما فى هذه الرواية، فما معنى قوله صلى الله عليه و آله لعلىّ: «أنا مدينة العلم وعلىّ بابها»؟ وقد نقله كثير من الحفاظ والمحدّثين، فهذا شمس الدين المالكى يذكره فى شعره بقوله:

وقال رسول اللَّه إنّى مدينة من العلم وهو الباب والبابَ فاقصدِ وقد رواه من الحفاظ والأئمة ما يناهز مائة وثلاثة وأربعين شخصاً «۲»

وقد ذكروا حول الحديث كلمات تعرب عن مفاد الحديث.

قال الحافظ أبو عبد اللَّه محمد بن يوسف الكنجى الشافعى (ت ۶۵۸ ه): قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علىّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۲

وحدّة فهمه، ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحّة فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه فى الأحكام ويأخذون بقوله فى النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، وبرصانة عقله، وصحّة حكمه، وليس هذا الحديث فى حقّه بكثير؛ لأنّ رتبته عند اللَّه وعند رسوله وعند المؤمنين أجلّ وأعلى من ذلك «۱».

وقال فضل بن روزبهان فى ضمن ردّه على حجاج العلّامة بأعلمية أمير المؤمنين بحديثى: «أقضاكم علىّ»، و «أنا مدينة العلم»، من طريق الترمذى، قال ما هذا نصّه: وأمّا ما ذكره المصنّف من علم علىّ فلا شكّ فى أنّه من علماء الأُمّة، والناس محتاجون إليه فيه، وكيف لا؛

وهو وصيّ النبيّ فى إبلاغ العلم وودائع حقائق المعارف؟ فلا نزاع لأحد فيه، وما ذكره من صحيح الترمذى صحيح «۲».

وقال المناوى فى فيض القدير تفسيراً لقوله صلى الله عليه و آله: «علىّ عيبة علمى»: أى مظنّة استفصاحى وخاصّتى وموضع سرّى، ومعدن نفائسى. والعيبة: ما يحرز الرجل فيه نفائسه قال ابن دريد: وهذا من كلامه الموجز الذى لم يسبق ضرب المثل بشىء أراده اختصاصه بأُموره الباطنة التى لا يطّلع عليها أحد غيره، وذلك غاية فى مدح علىّ «۳».

وأخرج الطبرانى عن ابن عبّاس أنّه قال: كنّا نتحدّث معاشر أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله عهد إلى علىّ سبعين، لم يعهدها إلى غيره «۴».

ورواه القندوزى فى ينابيعه ثمانين عهداً مكان سبعين «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۳

فقد خرجنا بالنتائج التالية:

۱- إنّ كتاب علىّ من إملاء رسول اللَّه وخطّ علىّ.

۲- إن الكتاب أوّل جامع حديثىّ قام بكتابته علىّ عليه السلام لتدوين السنّة وصيانتها من الضياع.

۳- كانت فى قرابة سيف علىّ عليه السلام صحيفة، ولكن لم تكن هى الشىء الوحيد عند علىّ، وإنّ كتاب علىّ- حسب ما مرّ من المواصفات- غير تلك الصحيفة.

۴- إذا كان علىّ هو باب علم النبيّ، والحاكم الروحىّ فى عصر الخلفاء وما بعده؛ فيلزم أن يكون عنده ودائع النبوّة، وجميع ماتحتاج إليه الأُمّة فى مجال الأحكام.

مصحف فاطمة

مصحف فاطمة:

لا شكّ أنّه كان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصّاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاصّ، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

المصحف: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، وإنّما سمى المصحف مصحفاً؛ لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين.

ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن فى عصر نزوله، وإنّما صار علماً له بعد رحيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال السيوطى: روى ابن أشتة فى كتاب المصاحف أنّه لمّا جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف؛ فانّ الحبشة يسمّونه المصحف قال: وكان أبو بكر أوّل من جمع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۴

كتاب اللَّه وسمّاه المصحف «۱».

وأمّا ما هو واقع هذا الكتاب؟ فقد كشفت عنه الروايات المتضافرة عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلّامة الشيخ مصطفى قصير العاملى فى دراسته كتاب علىّ ومصحف فاطمة.

وإليك بعضها:

۱- روى أبو عبيدة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «... إنّ فاطمة مكثت بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خمسة وسبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذرّيتها، وكان علىّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة» «۲».

۲- روى أبو حمزة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «مصحف فاطمة مافيه شىء من كتاب اللَّه، وإنّما هو شىء أُلقى إليها بعد موت

أبيها صلوات اللّه عليهما» «۳».

والعجب أنّ الدسّ الإعلامى قد اتّخذ لفظ «مصحف فاطمة» ذريعة لاتّهام الشيعة بأنّ عندهم قرآناً يسمى «مصحف فاطمة»، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم؛ فإنّ للحقّ دولة، وللباطل جولة.

ولعلّ القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدَّثة تحدّثها الملائكة، كما ورد فى الرواية السابقة، غير أنّ فاطمة عليها السلام لا تقلّ شأناً عن مريم البتول، ولا عن امرأة الخليل، قال سبحانه: وإِذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إِنَّ اللَّهَ اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۵

واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين «۱»

إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى سورتى آل عمران، ومريم.

وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: ولَقدْ جاءتْ رُسلُنا إبراهيمَ بالبُشرى.. وامرأتُهُ قائمةٌ فضَحِكَتْ فَبشَّرناها بإسحقَ ومن وراءِ إسحقَ يَعقوب* قالَتْ يا ويلتَى أأَلِدُ وأنا عَجوزٌ وهذا بَعْلى شَيخاً إنّ هذا لَشىءٌ عَجيب* قالُوا أتَعجَبينَ مِنْ أمرِ اللَّهِ رحمتُ اللَّهِ وبركاتُهُ عَليكُمْ أهلَ البَيتِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ «۲»

.

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدّثتين، ففاطمة سيدة نساء العالمين أولى بأن تكون محدّثة.

ما هو مصدر روايات أئمّة أهل البيت

ما هو مصدر روايات أئمّة أهل البيت؟

هذا هو السؤال الثالث من الأسئلة الثلاثة المطروحة حول الخاتمية لدى الشيعة فنقول:

إنّ لعلوم أئمة أهل البيت مصادر مختلفة، ونشير إلى أُصولها تاركين البحث فى فروعها:

۱- النقل عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله

إنّهم عليهم السلام كثيراً ما يروون الحديث عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله معنعناً، من دون أن يتوسّط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

فمثلًا لمّا ترك علىّ بن موسى الرضا نيسابور عازماً إلى مرو، اجتمعت حوله مجموعة كبيرة من المحدّثين وطلبوا منه أن يحدّثهم بحديث عن جدّه صلى الله عليه و آله، فقال:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۶

«حدّثنى أبى موسى بن جعفر، قال: حدّثنى أبى جعفر الصادق، قال: حدّثنى أبى أبو جعفر الباقر، قال: حدّثنى أبى علىّ بن الحسين، قال: حدّثنى أبى الحسين بن علىّ، قال: حدّثنى أبى علىّ بن أبى طالب، قال: حدّثنى رسول اللّه عن جبرئيل عليه السلام عن اللّه قال: لا إله إلّااللّه حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى» «۱»

.

إنّ هذا النوع من الأحاديث متوفّر فى الجوامع الحديثية للشيعة؛ فلو قام باحث بجمع هذا النوع الذى يروى فيه كابر عن كابر والإمام بعد الإمام لبلغ موسوعة كبيرة.

وهذا هو هشام بن سلمان، وحمّاد بن عثمان، وغيرهما من أصحاب الإمام الصادق، قالوا: سمعنا أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحديث رسول اللّه قول اللّه عزوجل «۲».

۲- النقل عن كتاب عليّ

إنّ أئمة أهل البيت كانوا يستندون إلى كتاب عليّ ويحتجّون به، فكان الكتاب أحد مصادر علومهم التى يصدرون عنها، وقد وقفت على قسم قليل منها فيما تقدّم.

۳- الإلهام أو تحديث الملائكة

إنّ أئمة أهل البيت حسب النصوص محدّثون؛ تحدّثهم الملائكة، كما كانت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۷

تحدّث مريم البتول وامرأة الخليل، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة فالكلّ ممّا كان يلقى فى روعهم.

وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلًا على من لم يعرف مقاماتهم، إلّاأنّه صحيح لمن درس حياتهم، ووقف على أحوالهم. ولأجل إيقاف القارئ على أنّ (المحدَّث) أمر ممّا اتّفق عليه الأعلام نبحث عنه على وجه الإيجاز:

المُحَدّث فى الإسلام:

المُحَدّث فى الإسلام:

المحدَّث- بصيغة المفعول-: مَن تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويلقى فى روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له فى قلبه من حقائق تخفى على غيره.

المحدّث بهذا المعنى ممن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنّة، ولو كان هناك خلاف فإنّما هو فى مصداقه.

وقبل ذلك نجد المحدّث فى الأُمم السالفة؛ فهذا صاحب موسى كان محدّثاً، فقد أخبره عن مصير السفينة والغلام والجدار على وجه جاء فى سورة الكهف «۱» فهو لم يكن نبيّاً، ولكنّه كان عارفاً بما سيحدث، وقد عرفه بإحدى الطرق المذكورة.

وهذه مريم البتول، كانت الملائكة تكلّمها وتحدّثها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

وإذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللَّهَ اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين «۲»

.

وقال سبحانه: إذ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللَّهَ يبشِّرُكِ بِكَلِمةٍ منهُ اسمُهُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۸

المسيحُ عِيسى ابنُ مريمَ وَجيهاً فى الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقرَّبِينَ «۱»

.

وهذه أُمّ موسى يلقى فى روعها ويوحى إليها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

وأوحينا إلى أُمّ موسى أنْ أرضِعيهِ فإذا خِفتِ عَليهِ فَألقيهِ فى اليَمِّ ولا تخافى ولاتَحزنى إنّا رادُّوهُ إلَيكِ وجاعِلوهُ مِنَ المُرسَلين «۲»

.

وأمّا السنّة النبوية ففيها تصريح بأنّ فى الأُمّة الإسلامية- نظير الأُمم السالفة- رجالًا يكلّمون من دون أن يكونوا أنبياء؛ وإليك بعض هذه النصوص:

۱- أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال: قال النبىّ: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أُمّتى منهم أحد فعمر بن الخطاب» «۳»

.

۲- أخرج البخارى عن أبى هريرة مرفوعاً «أنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدّثون، إن كان فى أُمّتى هذه منهم فإنّه عمر بن

الخطاب» «۴»

.

قال القسطلانى فى شرح الحديث: يجرى على ألسنتهم الصواب من غير نبوّة.

وقال الخطّابى: يلقى الشىء فى روعه فكأنّه قد حُدّث به، يظنّ فيصيب، ويخطر الشىء بباله فيكون. وهى منزلة رفيعة من منازل الأولياء «۵».

۳- أخرج مسلم فى صحيحه عن عائشة عن النبىّ صلى الله عليه و آله: «قد كان فى الأُمم قبلكم مُحدّثون فإن يكن فى أُمّتى منهم أحد فإنّ عمر بن الخطّاب منهم»، قال ابن وهب: تفسير «محدّثون» ملهَمون.

قال النووى فى شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء فى تفسير المراد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۹

ب «محدَّثون» فقال ابن وهب: ملهَمون، وقيل: مصيبون إذا ظنّوا، فكأنّهم حدّثوا بشىء فظنّوه، وقيل تكلّمهم الملائكة، وجاء فى رواية «مكلَّمون» وقال البخارى:

يجرى الصواب على ألسنتهم، وفيه كرامات الأولياء «۱». ومن راجع شروح الصحيحين يجد نظير هذه الكلمات بوفرة؛ والرأى السائد فى تفسير المحدّث هو تكليم الملائكة أو الإلقاء فى الروع. هذا ما لدى السنّة.

روايات الشيعة حول المحدَّث

وأمّا الشيعة، فعندهم أخبار عن أئمتهم تصرّح بأنّهم محدّثون وفى الوقت نفسه ليسوا بأنبياء، فقد روى الكلينى فى باب الفرق بين الرسول والنبىّ والمحدّث أحاديث أربعة:

قال: «المحدّث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة». وفى رواية أُخرى:

سألته عن الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك».

إلى غير ذلك من الروايات المصرّحة بأنّ الأئمة الاثنى عشر محدَّثون «۲».

روى الصفّار فى بصائر الدرجات عن بريد: قلت لأبى جعفر وأبى عبد اللَّه عليهما السلام: ما منزلتكم بمن تُشَبَّهون ممّن مضى؟

فقال: «كصاحب موسى وذى القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين» «۳»

.

هذا ما لدى الفريقين. وبذلك يُعْلَم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من اللَّه سبحانه لايلازم كون المخبر نبياً، وأنّ تَكَلُّم الملائكة مع إنسان لا يصلح دليلًا على كونه مبعوثاً من اللَّه سبحانه للنبوّة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۰

ولو اعتمدت الشيعة على علم الأئمة فلكونهم وارثين لعلم النبىّ، ووارثين لما عند علىّ من الكتب التى كتبها بإملاء من رسول اللَّه، أو محدَّثين تلقى فى روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدلّ على أنّهم أنبياء، ومن نسبهم إلى تلك الفرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم، فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرّق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۱

الفصل الخامس

رؤية اللّه

اشارة

رؤية اللّه

فى ضوء

الكتاب والسنّة والعقل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۲

قال اللَّه تعالى:

لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام/ ۱۰۳

وقال تعالى وتقدّس:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ أُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. الأعراف/ ۱۴۳

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۳

سمات العقيدة الإسلاميّة

سمات العقيدة الإسلاميّة

اشارة

سمات العقيدة الإسلاميّة

إنّ للعقيدة الإسلاميّة سمات نذكر منها ما يأتى:

۱- سهولة العقيدة:

۱- سهولة العقيدة:

للعقيدة الإسلامية صفات متعدّدة، منها: سهولة فهمِها وتعلّمها؛ لأنّها عقيدة شاملة لا تختص بالفلاسفة والمتكلّمين والمفكّرين، إلّاأنّ ذلك لا يعنى سذاجتها وابتذالها وعدم خضوعها للبراهين العقلية، بل يعنى أنّها فى متانتها ورصانتها وخضوعها للبراهين والأدلّة، بعيدة عن الألغاز والإبهامات، فلو فُسّرت وبُيّنت لفهمها عامّة الناس حسب مستوياتهم، فهى بهذه الصفة تخالف ما تتبنّاه نصرانية اليوم والأمس، التى أحاطت بها إبهامات فى العقيدة وألغاز فى الدين، بحيث لم يتيسّر لأحد حتّى الآن حلُّ مشاكلها وألغازها، فالمسلم مثلًا إذا سئل عن عقيدته فى التوحيد، وعن صفات اللَّه تعالى يقول: هُوَ اللَّهُ أَحَد* اللَّهُ الصَمَد* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۴

كُفُواً أَحَدٌ «۱»

.

وقد جاء فى الأثر أنّ جماعة من أهل الكتاب سألوا النبىّ صلى الله عليه و آله وقالوا: انسب لنا ربّك، فنزلت سورة التوحيد «۲».

فالعقيدة الإسلامية فى هذا المجال واضحة المفاهيم، جليّة المعالم، لا يكسوها إبهام ولا يسترها لغز، فيخرج المسلم فى مقام الوصف وتبيين العقيدة مرفوع الرأس، فللعقيدة براهينها الواضحة التى يمكن أن يقف عليها كل من درسها.

وأمّا لو سُئل النصرانى عن ذلك، فإنه يتلعثم فى بيان عقيدته، فتارةً يقول: إنّه واحد وفى الوقت نفسه ثلاثة، ثمّ يضيف أنه لا منافاة بين

كون الشيء واحداً وكثيراً.

ومن المعلوم أنّ هذه العقيدة بهذا الإبهام والإجمال لا تقبلها الطباع السليمة؛ إذ كيف تُذْعِن بأنه سبحانه واحد لا نظير له ولا مثيل ولا ندّ، ولكنه مع ذلك له أنداد ثلاثة وأمثال متعدّدة، فهذه العقيدة يناقض أوّلها آخرَها ويردّ آخرُها أوّلها، فهو سبحانه إمّا واحد لا نظير له وإمّا كثير له أمثال.

وقِس على ذلك سائر المواضيع فى العقيدة الإسلامية وقابِلْها مع ما تقول سائر الشرائع فيها، ترى تلك الصفة بنفسها فى العقيدة الإسلامية، ونقيضها فى غيرها.

إنّ من العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الإسلام فى مختلف الحضارات وتغلغله بين الأوساط، اتّصافه بسهولة العقيدة ويُسر التكليف.

يقول الأُستاذ الشيخ محمّد محمّد المدنى:

يقول اللَّه عزّ وجلّ فى حثّ العباد على التفكّر فى خلقه وآثاره وما له من تصريف وتدبير: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۵

لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ «۱»، قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ «۲»، فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ «۳»، أُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنَعِهِ «۴»، فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا «۵»، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا «۶»، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ «۷»

.

ويقول اللَّه عزّ وجلّ فى وصف نفسه وإعلام المخلوقين بأنّه فوق ما يعقلون أو يدركون: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ «۸»، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۹»، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «۱۰»، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ* بَدِيعُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۶

فالقرآن الكريم لم يأت لنا أبداً بشيء يُفصِح عن ذات اللَّه تعالى من حيث الحقيقة والكُنْه، وإنّما هو يُلفِتُ دائماً إلى آثار اللَّه فى الخلق والتصريف «۱».

۲- الإذعان فى العقيدة والتعبّد فى الأحكام

۲- الإذعان فى العقيدة والتعبّد فى الأحكام

وهناك أمرٌ ثانٍ نلفت إليه نظر القارئ، وهو الفرق الواضح بين العقيدة والأحكام الشرعية العملية؛ فإنّ المطلوب فى الأُولى هو الاعتقاد الجازم، ومن المعلوم أنّ الإذعان بشيء متوقّف على ثبوت مقدّمات بديهية أو نظرية منتهية إليه حتّى يستتبعها اليقين والإذعان، وهذا بخلاف الأحكام الشرعية؛ فإنّ المطلوب فيها هو العمل وتطبيقها فى مجالات الحياة، ولا تتوقّف على القطع بصدورها عن الشارع، وهذا الفرق بين العقائد والأحكام يجرّنا إلى التأكّد من صحّة الدليل وإتقانه أو ضعفه وبطلانه فى مجال العقائد أكثر من الأحكام، ولذلك نرى أئمة الفقه يعملون بأخبار الآحاد فى مجال الأحكام والفروع العملية ولا يشترطون إفادتها القطعَ أو اليقينَ، وهذا بخلاف العقائد التى يُفترض فيها اطمئنان القلب ورسوخ الفكرة فى القلب والنفس، فيرفضون خبر الآحاد فى ذلك المجال ويشترطون تواتر

النص أو استفاضته إلى حدٍّ يورث العلم.

۳- خضوعها للبرهان العقلى

۳- خضوعها للبرهان العقلى

وهناك أمر ثالث وراء هذين الأمرين، وهو أنه لا يمكن لأىّ باحث إسلامى أن يرفض العقل ويكتفى بالنص إذا أراد أن يعتمد الأُسلوب العلمى فى مجال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۷

العقيدة؛ لأنّ الأخذ بالنصّ متوقّف على ثبوت أُصول موضوعية مسبقة تتبنّى نبوّة الرسول الأكرم وحجيّة قوله، فما لم يثبت أنّ للعالم صانعاً حكيماً، قد بعث الأنبياء والرسل بالمعجزات والبيّنات لهداية الناس، لا تثبت نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وحجيّة كلامه فى مجال العقيدة، ولا يمكن أن نعتمد على النصوص وسنّة الرسول فى إثبات الصانع ونبوّة رسوله.

وهذا هو الذى يفرض علينا أن نستجيب للعقل، باعتباره العمود الفقرى للعقائد الّتى يبنى عليها صَرح النبوّة المحمديّة صلى الله عليه و آله، ولذلك نرى أنّ الكتاب العزيز يثبت هذا الأصل من الأُصول بدلالة العقل وإرشاده، فيستدلّ على أُصول التوحيد بمنطق العقل، ويتكلّم باسم العقل ويقول: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ «۱»

، فيستدل على توحيده ونفى الآلهة المتعدّدة بقضية شرطية؛ وهى ترتّب الفساد فى حالة تعدّد الآلهة.

ويقول سبحانه: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ «۲»

.

ويقول سبحانه: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا «۳»

.

فالآيات الثلاث على اختلافها فى الإجمال والتفصيل تستبطن برهاناً مشرقاً خالداً على جبين الدهر.

ويقول سبحانه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ «۴»

فيعتمد على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۸

الفطرة فى إبطال وجود الممكن وتحقّقه بلا علّة وصانع.

كما نرى أتقن البراهين وأوضحها فى إبطال ربوبيّة الأجرام السماوية من خلال محاجّة إبراهيم الخليل عليه السلام مع عبدتها، فيستدلّ بالأُفول على بطلان ربوبيتها ضمن آيات، قال سبحانه: وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۱»

.

فقد بلغ الخليل النهاية فى مجال المعرفة على وجهٍ رأى ملكوت السماوات والأرض، فأراه سبحانه ملكوتهما، أى كونهما قائمين باللّه سبحانه، وما ذلك إلّا ليكون موقناً ومذعناً لأُصول التوحيد، وما أراه ملكوت السماوات والأرض إلّا بإلهامه البرهانَ الدامغ الّذى أثبت به بطلان ربوبيّة الكوكب والقمر والشمس، وانتهى فى آخره إلى أنّه لا إله إلّاهو، وقال بعد ذكر البراهين: وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ

السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۲»

.

فهذه الآيات ونظائرها تكشف عن أصل موضوعي في الشريعة الإسلامية وهو أنّ الغاية من طرح الأُصول العقائدية هي الإذعان بها والوصول إلى اليقين، لا التعبّد بها دون يقين، وهذا يفرض علينا أن نفتح مسامعنا لنداء العقل ودعوته، خصوصاً في الأُصول الأوّلية الّتي تُبنى عليها نبوّة النبيّ الأكرم؛ فمن حاول تعطيل العقل وإبعاده عن ساحة البحث مكتفياً بالنصّ، فقد لعب بورق خاسر؛ إذ إنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۹

بديهة العقل تحكم أنّ الاكتفاء بالسمع في عامّة الأُصول مستلزم للدور، وتوقّف صحّة الدليل على ثبوت المدّعى وبالعكس.

إنّ رفض العقل في مجال البرهنة على العقيدة- من قبل بعض الفرق طبعاً- صار سبباً لتغلغل عنصر الخرافة في عقائد كثير من الطوائف الإسلامية، وفي ظلّ هذا الأصل؛ أي إبعاد العقل، دخلت أخبار التجسيم والتشبيه في الصحاح والمسانيد عن طريق الأحبار والرهبان الّذين تظاهروا بالإسلام، وأبطنوا اليهودية والنصرانية، وخدعوا عقول المسلمين، فحشروا عقائدهم الخرافية بين المحدّثين والسُّذَّج من الناس اغتراراً بإسلامهم وصدق لهجتهم.

إنّ من مواهبه سبحانه أنّه أنار مصباح العقل في كلّ قرن وزمان ليكون حصناً أمام نفوذ الخرافات والأوهام، وليميّز به الإنسان الحقَّ عن الباطل فيما له فيه حقّ القضاء، إلّاأنّ هذا لا يعني أنّ المرجع الوحيد في العقيدة هو العقل دون الشرع، وإنّما يهدف إلى أنّ اللبنات الأوّلية لصرح العقيدة الإسلامية تجب أن تكون خاضعة للبرهان، ولا تناقض حكم العقل.

وعندما تثبت الأُصول الموضوعية في مجال العقيدة وتثبت في ظلها نبوّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، يكون كلّ ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله حجّة في العقائد والأحكام، لكن بشرط الاطمئنان بصدورها عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وقد خرجنا في هذه المقدّمة الموجزة بثلاث نتائج:

الأُولى: أنّ العقيدة الإسلامية عقيدة سهلة يمكن اعتناقها بيُسر دون تكلّف.

الثانية: أنّ المطلوب في العقائد هو الإذعان وعقد القلب، وهذا لا يحصل إلّا بعد ثبوت المقدّمات المنتهية إليه، وليس من شأن أخبار الآحاد خلق اليقين والإذعان ما لم يثبت صدورها عن مصدر الوحي على وجه القطع واليقين، بخلاف الأحكام؛ فإنّ المطلوب فيها هو العمل تعبّداً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۰

الثالثة: أنّ الأُصول التي يبنى عليها ثبوت النبوّة تثبت بالعقل دون الشرع.

ففي ضوء هذه النتائج الثلاث ندرس فكرة رؤية اللّه تعالى يوم القيامة التي أحدثت ضجّة في الآونة الأخيرة، وستقف على حقيقة الأمر بإذنه سبحانه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۱

حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

(۱) حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

اشارة

(۱) حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

لمّا انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، ودخل الناس في الإسلام زرافاتٍ ووحدانا، لم يجد اليهود والنصارى الموجودون فيها محيصاً

إلّاالاستسلام؛ فدخلوا فيه متظاهرين به، غير معتقدين غالباً إلّامن شملتهم العناية الإلهية منهم وكانوا قليلين، ولكن الأغلبية الساحقة منهم خصوصاً الأحبار والرهبان بقوا على ما كانوا عليه من العقائد السابقة.

وبما أنّهم كانوا من أهل الكتاب عارفين بما فى العهدين من القصص والحكايات والأُصول والعقائد، عمَدوا إلى نشرها بين المسلمين بخداع خاصّ، وبطريقة تعليميّة، ولمّا كانت السذاجة تغلب على عامّة المسلمين لذا تلقّوهم كعلماء ربانيين، يحملون العلم، فأخذوا ما يلقونه إليهم بقلبٍ واعٍ ونيّة صادقة، وبالتالى نشر هؤلاء فى هذا الجوّ المساعد كلّ ما عندهم من القصص الانحرافية والعقائد الباطلة، خصوصاً فيما يرجع إلى التجسيم والتشبيه وتصغير شأن الأنبياء فى أنظار المسلمين، بإسناد المعاصى الموبقة إليهم، والتركيز على القدر وسيادته فى الكون على كلّ شىء، حتى على إرادة اللّه سبحانه ومشيئته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۲

ولم تكن رؤية اللّه بأقلّ مما سبق فى تركيزهم عليها.

فما ترى فى كتب الحديث قديماً وحديثاً من الأخبار الكثيرة حول التجسيم، والتشبيه، والقدر السالب للاختيار والرؤية ونسبة المعاصى إلى الأنبياء، فكلّ ذلك من آفات المستسلمة من اليهود والنصارى. وقد عدّها المسلمون حقائق ثابتة وقصصاً صادقة فتلقّوها بقبول حسن ونشرها السلف بين الخلف، ودام الأمر على ذلك.

وأهمّ العوامل التى فسحت المجال للأحبار والرهبان لنشر ما فى العهدين بين المسلمين، النهى عن تدوين حديث الرسول صلى الله عليه و آله ونشره ونقله والتحدّث به طيلة أكثر من مائة سنة، فأوجد الفراغ الّذى خلفه هذا العمل أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية ونصرانية وسخافات مسيحية وأساطير يهودية، خصوصاً من قبل الكهنة والرهبان.

فقد كان التحدّث بحديث الرسول صلى الله عليه و آله أمراً مكروهاً، بل محظوراً من قبل الخلفاء إلى عصر عمر بن عبد العزيز (۶۱- ۱۰۱ ه)، بل إلى عصر المنصور العباسى (۱۴۳ ه)، ولكن كان المجال للتحدّث بالأساطير من قبل هؤلاء أمراً مسموحاً به؛ فهذا هو تميم بن أوس الدارى من رواة الأساطير، وقد أسلم سنة تسع للهجرة، وهو أول من قصّ بين المسلمين، واستأذن عمر أن يقصّ على الناس قائماً، فأذن له، وكان يسكن المدينة ثمّ انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان «۱». فسمحت الظروف لمثل هذا الكتابىّ أن يتحدّث بما تعلّم فى حياته السابقة ولكن منع من أراد التحدّث بحديث الرسول، لذا كان المجال خصباً لنشر الأساطير والعقائد الخرافية.

يقول الشهرستانى: وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديثَ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۳

متعددة فى مسائل التجسيم والتشبيه وكلها مستمدّة من التوراة «۱».

وهذا هو المقدسى يتكلّم عن وجود هذه العقائد بين عرب الجاهلية، يقول:

وكان فيهم من كلّ ملّة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش، والمزدكية والمجوسية فى تميم، واليهودية والنصرانية فى غسان، وعبادة الأوثان فى سائرهم «۲».

ويقول ابن خلدون: إنّ العرب لم يكونوا أهلَ كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأُمّية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شىء ممّا تتوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكوَّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنّما يسألون عنه أهلَ الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبّه وعبد اللّه بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم وتساهلَ المفسّرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها كما قلنا من التوراة أو ممّا كانوا يفترون «۳».

ولو أردنا أن ننقل كلمات المحقّقين حول الخسارة التى أحدثها اليهود والنصارى لطال بنا الكلام وطال مقالنا مع القرّاء.

ومن أكابر أحبار اليهود الذين تظاهروا بالإسلام كعب الأحبار؛ حيث خدع عقولَ المسلمين وحتى الخلفاء والمترجمين عنه من علماء

الرجال، فقد أسلم فى زمن أبى بكر، وقدِمَ من اليمن فى خلافة عمر، فانخدع به الصحابة وغيرهم.

قال الذهبى: العلّامة الحبر!! الذى كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبىّ، وقدم المدينة من اليمن فى أيام عمر (رض)، وجالس أصحاب محمّد، فكان يحدّثهم عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۴

الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب- إلى أن قال:- حدّث عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس، وذلك من قبيل رواية الصحابى عن تابعى، وهو نادر عزيز، وحدّث عنه أيضاً أسلم مولى عمر وتبيع الحميرى ابن امرأة كعب، وروى عنه عدّة من التابعين كعطاء بن يسار وغيره مرسلًا، وقع له رواية فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى «۱». وعرّفه الذهبى أيضاً فى بعض كتبه بأنه من أوعية العلم «۲».

وقد وجد الحبر الماكر جوّاً ملائماً لنشر الأساطير والقصص الوهمية، وبذلك بثّ سمومه القاتلة بين الصحابة والتابعين، وقد تبعوه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد تنبّه إلى جسامة الخسارة التى أحدثها ذلك الحبر لفيف من القدماء، منهم ابن كثير فى تفسيره، حيث إنّه بعدما أورد طائفة من الأخبار فى قصة ملكة سبأ مع سليمان، قال: والأقرب فى مثل هذه السياقات أنّها متلقاة عن أهل الكتاب ممّا وجد فى صحفهم، كرويات كعب ووهب- سامحهما اللَّه تعالى!- فيما نقلاه إلى هذه الأُمّة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب ممّا كان وما لم يكن، وممّا حُرِّف وبُدِّل ونسخ، وقد أغنانا اللَّه سبحانه عن ذلك بما هو أصحّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ «۳».

والّذى يدلّ على عمق مكره وخداعه لعقول المسلمين أنه ربّما ينقل شيئاً من العهدين، وفى الوقت ذاته نرى أنّ بعض الصحابة الّذين تتلمذوا على يديه وأخذوا منه ينسب نفس ما نقله إلى الرسول! والذى يبرّر ذلك العمل حسن ظنّهم وثقتهم به، فحسبوا المنقول أمراً واقعياً، فنسبوه إلى النبىّ زاعمين أ نّه إذا كان كعب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۵

الأحبار عالماً به فالنبىّ أولى بالعلم منه.

وإن كنت فى شكٍّ من ذلك فاقرأ نصّين فى موضوع واحد أحدهما للإمام الطبرى فى تأريخه ينقله عن كعب الأحبار فى حشر الشمس والقمر يوم القيامة، والآخر للإمام ابن كثير صاحب التفسير ينقله عن أبى هريرة عن النبىّ الأكرم، ومضمون الحديث ينادى بأعلى صوته بأ نّه موضوع مجعول على لسان الوحى، نشره الحبر الخادع وقبله الساذج من المسلمين.

۱- قال الطبرى: عن عكرمة، قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل فقال: يابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر فى الشمس والقمر، قال: وكان متكئاً فاحتفز ثمّ قال: وما ذاك؟ قال: زعم يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم، قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووقعت أُخرى غضباً، ثمّ قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرّات، بل هذه يهودية يريد إدخالها فى الإسلام، اللَّه أجلّ وأكرم من أن يعذّب على طاعته، ألم تسمع قول اللَّه تبارك وتعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ «۱»

، إنّما يعنى دؤوبهما فى الطاعة، فكيف يعذّب عبدين يُثنى عليهما أنّهما دائبان فى طاعته؟ قاتلَ اللَّه هذا الحبر وقبّح حبريّته، ما أجرأه على اللَّه وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين للَّه!! قال: ثمّ استرجع مراراً «۲».

۲- قال ابن كثير: روى البزار، عن عبد العزيز بن المختار، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن فى هذا المسجد- مسجد الكوفة- وجاء الحسن فجلس إليه فحدّث، قال: حدّثنا أبو هريرة أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم قال: «إنّ الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة» فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أُحدّثك عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۶

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتقول- أحسبه قال-: وما ذنبهما؟! ثمّ قال: لا يروى عن أبى هريرة إلّا من هذا الوجه «۱».

ولمّا كان إسلام كعب الأحبار بعد رحيل الرسول، لذلك تعذّر عليه إسناد ما رواه من أساطير إلى النبيّ الأكرم، ولو أنّه أدرك شيئاً من حياته صلى الله عليه و آله وإن كان قليلًا لنسب تلك الأساطير إليه، ولكن حالت المشيئة الإلهية دون أمانيه الباطلة، ولكنّ أبا هريرة لما صحب النبيّ واستحسن الظنّ بكعب الأحبار، وكان أُستاذه فى الأساطير نسب الرواية إلى النبيّ صلى الله عليه و آله.

هذا نموذج قدمته إلى القرّاء لكى يقفوا على دور الأحبار والرهبان فى نشر البدع اليهودية والنصرانية بين المسلمين، وأن لا يحسنوا الظنّ بمجرّد النقل من دون التأكّد من صحته.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا لعب به مستسلمة اليهود والنصارى فى أحاديثنا وأُصولنا، ولولا أنّه سبحانه قيّض فى كلّ آنٍ رجالًا مصلحين كافحوا هذه الخرافات وأيقظوا المسلمين من السبات، لذهبت هذه الأساطير بروعة الإسلام وصفائه وجلاله.

كعب الأحبار وتركيزه على التجسيم والرؤية

كعب الأحبار وتركيزه على التجسيم والرؤية

إنّ المتفحّص فيما نقل عن ذلك الحبر يقف على أنّه كان يركز على فكرتين يهوديّتين: الأُولى فكرة التجسيم، والثانية رؤية اللَّه تعالى.

يقول عن الفكرة الأُولى: إنّ اللَّه تعالى نظر إلى الأرض فقال: إنّى واطئ على بعضك، فاستعلت إليه الجبال، وتضعضعت له الصخرة، فشكر لها ذلك، فوضع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۷

عليها قدمه فقال: هذا مقامى ومحشر خلقى، وهذه جنّتى وهذه نارى، وهذا موضع ميزانى، وأنا ديّان الدين «۱».

ففى هذه الكلمة الصادرة عن هذا الحبر تصريح على تجسيمه تعالى أوّلًا، وتركيز على أنّ الجنة والنار والميزان ستكون على هذه الأرض، ومركز سلطانها سيكون على الصخرة، وهذا من صميم الدين اليهودى المحرّف.

كما أنّه ركّز على الرؤية، حيث أشاع فكرة التقسيم، فقال: إنّ اللَّه تعالى قسّم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمّد صلى الله عليه و سلم «۲»، وعنه انتشرت هذه الفكرة؛ أى فكرة التقسيم بين المسلمين.

ومن أعظم الدواهى أنّ الرجل تزلّف إلى الخلفاء فى خلافة عمر وعثمان، وروى كثيراً من القصص الخرافية، وبعدما توفّى عثمان تزلّف إلى معاوية ونشر فى عهده ما يؤيد به ملكه ودولته، ومن كلماته فى حقّ الدولة الأُموية: مولد النبى بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام! «۳»

وبذلك أضفى على الدولة الأُموية صبغة شرعية وجعل ملكهم وسلطتهم امتداداً لملك النبيّ وسلطته.

الرؤية فى كتب العهدين

الرؤية فى كتب العهدين

إذا كان كعب الأحبار وزملاؤه يحملون فكرة الرؤية، فلا غروَ ولا عجب فى أنّهم اتّبعوا فى نشر الفكرة ما فى العهد القديم، وإليك بعض ما ورد فيه من تصريح برؤية الرب:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۸

۱- وقال (الرب): لا تقدر أن ترى وجهى؛ لأنّ الإنسان لا يرانى ويعيش.

وقال الرب: هو ذا عندى مكان فتقفُ على الصخرة، ويكون من اجتاز مجدى أنّى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتّى اجتاز ثمّ أرفعُ يدى فتنظر ورائى، وأما وجهى فلا يرى «۱».

وعلى هذا فالربّ يُرى قفاه ولا يُرى وجهه!

۲- رأيت السيّد جالساً على كرسيّ عال.. فقلت: ويل لي؛ لأنّ عينيّ قد رأتا الملك ربّ الجنود «۲».

والمقصود من السيد هو اللّه جلّ ذكره.

۳- كنت أرى أنه وضعتْ عروش، وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار «۳».

۴- أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك «۴».

۵- فقال منوح لامرأته: نموت موتاً لأننا قد رأينا اللّه «۵».

۶- فغضب الربّ على سليمان، لأنّ قلبه مال عن الربّ، إله إسرائيل الّذى تراءى له مرّتين «۶».

۷- وقد رأيت الرب جالساً على كرسيّه، وكلّ جند البحار وقوف لديه «۷».

۸- كان فى سنة الثلاثين فى الشهر الرابع فى الخامس من الشهر، وأنا بين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۹

المسبيّين عند نهر خابور، أنّ السماوات انفتحت فرأيت رؤى اللّه- إلى أن قال:- هذا منظر شبه مجد الربّ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلّم «۱».

إنّ فكرة الرؤية تسرّبت إلى المسلمين من المتظاهرين بالإسلام، كالأحبار والرهبان، وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جعلها فى ضمن العقيدة الإسلامية، بحيث يُكفَّر منكرها أحياناً أو يفسَّق، ولما صارت تلك العقيدة راسخة فى القرنين الثانى والثالث بين المسلمين، عاد المتكلّمون الّذين تربوا بين أحضانهم للبرهنة والاستدلال على تلك الفكرة من الكتاب أولًا والسنة ثانياً، ولولا رسوخها بينهم لما تحمّلوا عبء الاستدلال وجهد البرهنة، وسوف يوافيك أنّ الكتاب يردّ فكرة الرؤية ويستعظم أمرها وينكرها بشدّة، وما استدلّ به على جواز الرؤية من الكتاب فلا يمتّ إلى الموضوع بصلة.

إنّ مسألة رؤية اللّه تعالى قد طرحت على صعيد البحث والجدال فى القرن الثانى، عندما حيكت العقائد على نسق الأحاديث، ووردت فيها رؤيته سبحانه يوم القيامة، فلأجل ذلك عدّت من العقائد الإسلامية، حتّى أنّ الإمام الأشعرى عندما تاب عن الاعتزال ولحق بأهل الحديث رقى يوم الجمعة كرسيّاً ونادى بأعلى صوته: من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرّفه نفسى، أنا فلان بن فلان كنت قلت بخلق القرآن، وأنّ اللّه لا يُرى بالأبصار، وانّ أفعال الشرّ أنا أفعلها، وإنّى تائب مقلع معتقد للردّ على المعتزلة «۲».

وقال فى الإبانة: ونَدين بأنّ اللّه تعالى يرى فى الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول اللّه «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۰

وقال فى كتابه الآخر: بسم اللّه، إن قال قائل: لم قلتم إنّ رؤية اللّه بالأبصار جائزة من باب القياس؟ قيل له: قلنا ذلك؛ لأنّ ما لا يجوز أن يوصف به تعالى ويستحيل عليه لا يلزم فى القول بجواز الرؤية «۱».

وهذا النص يعرب عن أنّ الرؤية كانت فى ذلك العصر وفى عصر الإمام أحمد جزءاً من العقائد الإسلامية، ولذلك لا تجد كتاباً كلامياً إلّاويذكر رؤية اللّه تبارك وتعالى فى الآخرة، ويقرّرها جزءاً من العقائد الإسلامية، حتّى أنّ الإمام الغزالى مع ما أُوتى من مواهب كبيرة وكان من المصرّين على التنزيه- فوق ما يوجد فى كتب الأشاعرة- لم يستطع أن يخرج عن إطار العقيدة، وقال: العلم بأنّه تعالى- مع كونه منزّهاً عن الصورة والمقدار، مقدّساً عن الجهات والأنظار- يُرى بالأعين والأبصار «۲».

ثمّ إنّهم اختلفوا فى الدليل على الرؤية؛ ففرقة منهم اعتمدوا على الأدلة العقلية دون السمعية، كسيف الدين الآمدى أحد مشايخ الأشاعرة فى القرن السابع (۵۵۱- ۶۳۱ ه) يقول: لسنا نعتمد فى هذه المسألة على غير المسلك العقلى؛ إذ ما سواه لا يخرج عن المظاهر السمعية، وهى ممّا يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلّاعلى سبيل التقريب» «۳».

وفرقة أخرى كالرازى وغيره قالوا: العمدة فى جواز الرؤية ووقوعها هو جواز السمع، وعليه الشيخ الشهرستانى فى نهاية الإقدام «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۱

الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا

الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا

محل النزاع بين الأشاعرة ومن قبلهم الحنابلة وأصحاب الحديث، وبين غيرهم من أهل التنزيه، هو رؤية اللَّه سبحانه بالأبصار التى هى نعمة من نعم اللَّه سبحانه وطريق إلى وقوف الإنسان على الخارج.

يقول سبحانه: هُوَ الَّذِى أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۱»

.

فالمُثبتُ للرؤية والنافى لها يركّزُ على موضوع واحد هو الرؤية بالأبصار، وأنّ الخارج عن هذا الموضوع خارج عن إطار العقيدة.

وبذلك يظهر أنّ الرؤية بغير الأبصار تأويل للعقيدة التى أصرّ عليها أصحاب أحمد، بل الملتحق به الإمام الأشعرى، ولا يمتّ إلى موضوع البحث بصلة، فقد نقل عن ضرار وحفص الفرد: إنّ اللَّه لا يرى بالأبصار، ولكن يخلق لنا يوم القيامة حاسّة سادسة غير حواسنا فندركه بها «۲».

يقول ابن حزم: إنّ الرؤية السعيدة ليست بالقوة الموضوعة بالعين، بل بقوّة أُخرى موهوبة من اللَّه «۳».

إلى غير ذلك من الكلمات التى حرّفت النقطة الرئيسية فى البحث، ومعتقد أهل الحديث الأشاعرة، ونحن نركّز فى البحث على الرؤية بالأبصار، وأمّا الرؤية بغيرها فخارجة عن مجاله.

فإذا كانت الحنابلة والأشاعرة مصرّين على جواز الرؤية، فأئمة أهل البيت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۲

ومن تبعهم من الإمامية والمعتزلة والزيدية قائلون بامتناعها فى الدنيا والآخرة.

فالبيت الأموى والمنتمون إليه من أهل الحديث كانوا من دعاة التجسيم والتشبيه والجبر وإثبات الجهة، والرؤية للَّه سبحانه، وأما الإمام أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب عليه السلام وبيته الطاهر وشيعتهم فكانوا من دعاة التنزيه والاختيار، ومن الرافضين لهذه البدع المستوردة من اليهود بحماس.

وقد نجم فى ظلّ العراك الفكرى بين العلويين والأُمويين منهجان فى مجال المعارف كلّ يحمل شعاراً، فشيعة الإمام وأهل بيته يحملون شعار التنزيه والاختيار، والأُمويون وشيعتهم يحملون شعار التشبيه والجبر، وقد اشتهر منذ قرون، القول بأنّ: التنزيه والاختيار علويان، والتشبيه والجبر أُمويان.

فصارت النتيجة فى النهاية أنّ كلّ محدّث مُتزلّف إلى البيت الأُموى يحشّد أخبار التجسيم والجبر، بلا مبالاة واكتراث، لكن الواعين من أُمّة محمّد الموالين لأهل بيته كانوا يتجنّبون نقل تلك الآثار.

قال الرازى فى تفسير قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ «۱»

: احتجّ علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية على نفى كونه جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء، حاصلًا فى المكان والجهة؛ فقالوا: لو كان جسماً لكان مثلًا لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه، وذلك باطل بصريح قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ- إلى أن قال: واعلم أنّ محمّد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية فى الكتاب الذى سمّاه بالتوحيد، وهو فى الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات؛ لأنّه كان رجلًا مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل، فقال: نحن نثبت للَّه وجهاً ونقول: إنّ لوجه ربّنا من النور

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۳

والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره، ووجه ربّنا منفى عنه الهلاك والفناء، ونقول: إنّ لبنى آدم وجوهاً كتب اللَّه عليها الهلاك والفناء، ونفى عنها الجلال والاكرام، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء، ولو كان مجرّد إثبات الوجه للَّه يقتضى التشبيه لكان من قال: «إنّ لبنى آدم وجوهاً وللخنازير والقردة والكلاب وجوهاً»، قد شبّه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب. ثمّ قال: ولا شكّ أنّه اعتقاد الجهمية؛ لأنّه لو قيل له:

وجهك يشبه وجه الخنازير والقردة لغضب ولشافهه بالسوء، فعلمنا أنّه لا يلزم من إثبات الوجه واليدين للَّه إثبات التشبيه بين اللَّه وبين خلقه.

إلى أن قال: وأقول هذا المسكين الجاهل إنّما وقع فى أمثال هذه الخرافات لأنّه لم يعرف حقيقة المثلين، وعلماء التوحيد حقّقوا الكلام فى المثلين ثمّ فرعوا عليه الاستدلال بهذه الآية «۱».

وليس ابن خزيمة أوّل أو آخر محدّث تأثّر بهذه البدع، بل كانت الفكرة تتغلغل بين أكثر أهل الحديث الذين منهم:

۱- عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمى الدارمى السجستانى (۲۸۰ ه) صاحب المسند وصاحب النقض، يقول فيه: إنّ اللَّه فوق عرشه وسماواته.

۲- حشيش بن أصرم (۲۵۳ ه) مؤلف كتاب الاستقامة، يعرّفه الذهبى: بأنّه يردّ فيه على أهل البدع، ويريد به أهل التنزيه الذين يرفضون أخبار التشبيه.

۳- أحمد بن محمّد بن الأزهر بن حريث السجستانى السجزى (۳۱۲ ه) نقل الذهبىّ فى ميزان الاعتدال عن السلمى قال: سألت الدار قطنى عن الأزهرى، فقال: هو أحمد بن محمّد بن الأزهر بن حريث، سجستانىّ منكر الحديث، لكن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۴

بلغنى أنّ ابن خزيمة حسن الرأى فيه، وكفى بهذا فخراً «۱».

يلاحظ عليه: أ نّه كفى بهذا ضعفاً؛ لأنّ ابن خزيمة هذا رئيس المجسّمة والمشبّهة، ومنه يعلم حال السجستانى «۲».

۴- محمّد بن إسحاق بن خزيمة، ولد عام ۳۱۱ ه وقد ألّف «التوحيد وإثبات صفات الربّ»، وكتابه هذا مصدر المشبّهة والمجسّمة فى العصور الأخيرة، وقد اهتمّت به الحنابلة، وخصوصاً الوهابية، فقاموا بنشره على نطاق واسع، وسيأتى الحديث عنه.

۵- عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل (۲۱۳ ه- ۲۹۰ ه) يروى أحاديث أبيه (الإمام أحمد بن حنبل)، وكتابه «السنة» المطبوع لأوّل مرّة بالمطبعة السلفية ومكتبتها عام ۱۳۴۹ ه، وهو كتاب مشحون بروايات التجسيم والتشبيه، يروى فيه ضحك الربّ، وتكلّمه، وإصبعه، ويده، ورجله، وذراعيه، وصدره، وغير ذلك ممّا سيمرّ عليك بعضه.

وهذه الكتب الحديثة الطافحة بالإسرائيليات والمسيحيات جرّت الويل على الأُمّة وخدع بها المغفّلون من الحنابلة والحشوية وهم يظنّون أنّهم يحسنون صنعاً.

الرؤية فى كلمات الإمام على عليه السلام

الرؤية فى كلمات الإمام على عليه السلام

من يرجع إلى خطب الإمام على عليه السلام فى التوحيد وما أُثِر عن العترة الطاهرة يقف على أنّ مذهبهم فى ذلك هو امتناع الرؤية، وأنّه سبحانه لا تدركه أوهام القلوب، فكيف بأبصار العيون؟ وإليك نزراً يسيراً ممّا ورد فى هذا الباب:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۵

۱- قال الإمام على عليه السلام فى خطبة الأشباح: «الأوّل الذى لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الّذى ليس له بعد فيكون شيء

بعده، والرادع أناسى الأبصار عن أن تناله أو تدركه» «۱»

.

۲- وقد سأله ذعلب اليمانى فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

«أ فأعبد ما لا أرى؟»

فقال: وكيف تراه؟ فقال:

«لا تدركه العيون بمشاهدة العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين» «۲».

۳- وقال عليه السلام: «الحمد للَّه الذى لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر» «۳»

.

إلى غير ذلك من خطبه عليه السلام الطافحة بتقديسه وتنزيهه عن إحاطة القلوب والأبصار به «۴».

وأمّا المروى عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد عقد ثقة الإسلام الكلينى فى كتابه «الكافى» باباً خاصاً للموضوع روى فيه ثمانِىَ روايات «۵»، كما عقد الصدوق فى كتاب التوحيد باباً لذلك روى فيه إحدى وعشرين رواية، يرجع قسم منها إلى نفى الرؤية الحسيّة البصريّة، و قسم منها يثبت رؤية معنوية قلبية سنشير إليه فى محلّه «۶».

ثمّ إنّ للإمام الطاهر علىّ بن موسى الرضا احتجاجاً فى المقام على مقال المحدّث أبى قرّة، حيث ذكر الحديث الموروث عن الحبر الماكر «كعب الأحبار»: من أنّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۶

سبحانه قسم الرؤية والكلام بين نبيّين، كما تقدّم.

فقال أبو قرة: فإنّا روينا: أنّ اللَّه قسّم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمّد صلى الله عليه و آله الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلِّغ عن اللَّه إلى الثقلين الجنّ والإنس أنّه لا تُدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شىء، أليس محمّد صلى الله عليه و آله؟ قال: بلى.

قال أبو الحسن عليه السلام: فكيف يجىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللَّه، وأنّه يدعوهم إلى اللَّه بأمر اللَّه، ويقول: إنّه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شىء، ثمّ يقول: أنا رأيته بعينىّ وأحطتُ به علماً وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟ أما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن اللَّه بأمر ثمّ يأتى بخلافه من وجه آخر؟!

فقال أبو قرة: إنّه يقول: وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى «۱»

.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى «۲»

يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه و آله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأت عيناه فقال: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۳»

فآيات اللَّه غير اللَّه، وقال:

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً «۴»

فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذّب بالرواية؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شىء «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۷

الرؤية فى منطق العلم والعقل

(۲) الرؤية فى منطق العلم والعقل

اشارة

(۲) الرؤية فى منطق العلم والعقل

إنّ الرؤية فى منطق العلم والعقل لا تتحقّق إلّاإذا كان الشىء مقابلًا أو حالّاً فى المقابل من غير فرق بين تفسيرها حسبَ رأى القدماء أو حسب العلم الحديث، فإنّ القدماء كانوا يفسّرون الرؤية على النحو التالى:

خروج الشعاع من العين وسقوطه على الأشياء ثمّ انعكاسه عنها ورجوعه إلى العين لكى تتحقّق الرؤية.

ولكن العلم الحديث كشف بطلان هذا التفسير وقال: إنّها صدور الأشعة من الأشياء ودخولها إلى العين عن طريق عدستها وسقوطها على شبكيّة العين فتتحقّق الرؤية.

وعلى كلّ تقدير فالضرورة قاضية على أنّ الإبصار بالعين متوقّف على حصول المقابلة بين العين والمرئى أو حكم المقابلة، كما فى رؤية الصور فى المرآة.

وهذا أمر تحكم به الضرورة، وإنكاره مكابرة واضحة، فإذا كانت ماهيّة الرؤية هى ما ذكرناه فلا يمكن تحقّقها فيما إذا تنزّه الشىء عن المقابلة أو الحلول فى المقابل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۸

وبعبارة واضحة: أنّ العقل والنقل اتّفقا على كونه سبحانه ليس بجسم ولا جسمانى ولا فى جهة، والرؤية فرع كون الشىء فى جهة خاصة، وما شأنه هذا يتعلّق بالمحسوس لا بالمجرّد.

ثمّ إنّ الرازى أراد الخدش فى هذا الأمر البديهى ولكنّه رجع خائباً، اعترض على هذا الاستدلال بوجهين:

الأوّل: أنّ ادّعاء الضرورة والبداهة على امتناع رؤية الموجود المنزّه عن المكان والجهة أمر باطل؛ لأنّه لو كان بديهياً لكان متّفقاً عليه بين العقلاء، وهذا غير متّفق عليه بينهم؛ فلا يكون بديهياً، ولذلك لو عرضنا قضيّة أنّ الواحد نصف الاثنين لا يختلف فيه اثنان، وليست القضيّة الأُولى فى البداهة فى قوّة القضيّة الثانية «۱».

يلاحظ عليه: بأنّه خفى على الرازى بأنّ للبداهة مراتب مختلفة، فكون نور القمر مستفاداً من الشمس قضيّة بديهية، ولكن أينَ هذه البداهة من بداهة قولنا:

الواحد نصف الإثنين؟

أضف إلى ذلك أنّ العقلاء متّفقون على لزوم المقابلة أو حكمها على تحقّق الرؤية، وإنّما خالف فيه أمثال من خالف القضايا البديهية كالسفسطائيين؛ حيث ارتابوا فى وجودهم وعلومهم وأفعالهم مع أنّهم كانوا يُعدّون من الطبقات العليا فى المجتمع اليونانى.

الثانى: أنّ المقابلة شرط فى رؤية الشاهد، فلمَ قلتم إنّه فى الغائب كذلك؟

وتحقيقه هو أنّ ذات اللَّه تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفات فى الماهية لا يجب استواؤها فى اللوازم، فلم يلزم من كون الادراك واجباً فى الشاهد عن حضور هذه الشرائط، كونه واجباً فى الغائب عند

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۹

حضورها «۱». هذا كلامه فى كتاب الأربعين.

ويقول فى تفسيره: ألم تعلموا أنّ ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات، ولا يلزم من ثبوت حكم فى شىء ثبوت مثل ذلك الحكم فيما

يخالفه، والعجب أنّ القائلين بالامتناع يدّعون الفطنة والكياسة ولم يتنبّه أحد لهذا السؤال، ولم يخطر بباله ركاكة هذا الكلام «۲».

يلاحظ عليه: أنّ الرازى غفل عن أنّ الرؤية من الأُمور الإضافية القائمة بالرائى والمرئى، فالتقابل من لوازم الرؤية بما هى هى، فاختلاف المرئى فى الماهيات كاختلاف الرائى فى كونه حيواناً أو إنساناً لا مدخليّة له فى هذا الموضوع، فافتراض نفس الرؤية وتعلّقها بالشىء وغضّ النظر عن الرائى وخصوصيات المرئى يجرّنا إلى القول: بأنّ الرؤية رهن التقابل أو حكمه، وذلك لأنّ الموضوع لحكم العقل من لزوم المقابلة فى الرؤية هو نفسها بما هى هى، والموضوع متحقّق فى الشاهد والغائب، والمادّى والمجرّد، فاحتمال انتقاض الحكم باختلاف المرئى يناقض ما حكم به بأنّ الرؤية بما هى هى لا تنفكّ عن التقابل، فإنّه أشبه بقول القائل: إنّ نتيجة ۲+ ۲/ ۴، لكن إذا كان المعدود مادّياً لا مجرّداً، ويردّ بأنّ الموضوع نفس اجتماع العددين وهو متحقّق فى كلتا الصورتين.

ثمّ ماذا يقصد (الرازى) من الغائب؟ هل يقصد الموجود المجرّد عن المادّة ولوازمها؟ فبداهة العقل تحكم بأنّ المنزّه عن الجسم والجسمانية والجهة والمكان لا ـ يتصوّر أنْ يقع طرفاً للمقابلة، وإنْ أراد منه الغائب عن الأبصار مع احتمال كونه جسماً أو ذا جهة، فذلك إبطال للعقيدة الإسلامية الغرّاء التى تبنّتها الأشاعرة وكذلك الرازى نفسه فى غير واحد من كتبه الكلامية وفى غير موضع فى تفسيره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۰

ولقائل أن يسأل الرازى: أنّه لو وقعت الرؤية على ذاته سبحانه فهل تقع على كلّه أو بعضه؟ فلو وقعت على الكلّ تكون ذاته محاطة لا محيطة؛ وهذا باطل بالضرورة، ولو وقعت على الجزء تكون ذاته ذات جزء مركب.

وممّا ذكرنا يتبيّن ركاكة ما استدلّ به الرازى على كلامه.

المحاولة اليائسة فى تجويز الرؤية

اشارة

المحاولة اليائسة فى تجويز الرؤية

إنّ مفكّرى الأشاعرة الّذين لهم أقدام راسخة فى المسائل العقليّة لمّا وقعوا فى تناقض من جرّاء هذا الدليل ذهبوا إلى الجمع بين الرؤية والتنزيه، وإليك بيان ذلك:

۱- الرؤية بلا كيف:

۱- الرؤية بلا كيف:

هذا العنوان هو الّذى يجده القارئ فى كتب الأشاعرة، وربما يعبّر عنه خصومهم بالبلكفة، ومعناه أنّ اللّه تعالى يرى بلا كيف وأنّ المؤمنين فى الجنّة يرونه بلا كيف، أى منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان.

يلاحظ عليه: أنّ تمنّى الرؤية بلا مقابلة ولا جهة ولا مكان، أشبه برسم أسد بلا رأس ولا ذنب على جسم بطل، فالرؤية الّتى لا يكون المرئى فيها مقابلًا للرائى ولا متحقّقاً فى مكان ولا متحيّزاً فى جهة كيف تكون رؤيته بالعيون والأبصار.

والحقّ أنّ اعتماد الأشاعرة على أهل الحديث فى قولهم «بلا كيف» مهزلة لا يُعتمد عليها؛ فإنّ الكيفية ربّما تكون من مقوّمات الشىء، ولولاها لما كان له أثر، فمثلًا عندما يقولون: إنّ للّه يداً ورجلًا وعيناً وسمعاً بلا كيف ويصرّحون بوجود واقعيات هذه الصفات حسب

معانيها اللغوية لكن بلا كيفية، فإنّه يلاحظ عليه، بأنّ اليد فى اللغة العربيّة وضعت للجارحة حسبما لها من الكيفية؛ فإثبات اليد للّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۱

بالمعنى اللغوى مع حذف الكيفية، يكون مساوياً لنفى معناه اللغوى، ويكون راجعاً إلى تفسيره بالمعانى المجازية التى تفرّون منها فرار المزكوم من المسك، ومثله القدم والوجه.

وبعبارة أُخرى: أنّ الحنابلة والأشاعرة يصرّون على أنّ الصفات الخبرية، كاليد والرجل والقدم والوجه فى الكتاب والسنّة؛ يجب أن تُفسّر بنفس معانيها اللغوية، ولا يجوز لنا حملها على معانيها المجازية، كالقدرة فى اليد مثلًا، ولما رأوا أنّ ذلك يلازم التجسيم التجأوا إلى قولهم «يد بلا كيف» ولكنّهم خفى عنهم أنّ الكيفية فى اليد والوجه وغيرهما مقوّمة لمفاهيمها، فنفى الكيفية يساوق نفى المعنى اللغوى، فكيف يمكن الجمع بين المعنى اللغوى والحمل عليه بلا كيف؟!

ومنه يعلم حال الرؤية بالبصر والعين؛ فإنّ التقابل مقوّم لمفهومها، فإثباتها بلا كيف يلازم نفى أصل الرؤية، وقد عرفت أنّ الكلام فى النظر بالبصر والرؤية بالعين، لا الرؤية بالقلب أو فى النوم.

وقد أوضحنا حال الصفات الخبرية فى بحوثنا الكلاميّة «۱».

۲- اختلاف الأحكام باختلاف الظروف:

۲- اختلاف الأحكام باختلاف الظروف:

إنّ بعض المثقّفين الجُدد لمّا أدركوا بعقولهم أنّ الرؤية لا تنفكّ عن الجهة التجأوا إلى القول بأنّ كلّ شىء فى الآخرة غيره فى الدنيا، ولعلّ الرؤية تتحقّق فى الآخرة بلا هذا اللّازم السلبى.

لكن هذا الكلام رجمٌ بالغيب؛ لأنّه إنْ أراد من المغايرة بأنّ الآخرة ظرف للتكامل وأنّ الأشياء توجد فى الآخرة بأكمل الوجوه وأمثلها، فهذا لا مناقشة فيه، يقول سبحانه: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۲

قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً «۱»

ولكن إنْ أراد أنّ القضايا العقلية البديهية تتبدّل فى الآخرة إلى نقيضها فهذا يوجب انهيار النُّظم الكلامية والفلسفيّة والأساليب العلميّة التى يعتمد عليها المفكّرون من أتباع الشرائع وغيرهم؛ إذ معنى ذلك أنّ النتائج المثبتة فى جدول الضرب سوف تتبدّل فى الآخرة إلى ما يباينها فتكون نتيجة ضرب ۲* ۲/ ۵ أو ۱۰ أو ۰۰۰ وأنّ قولنا: كلّ ممكن يحتاج إلى علّة يتبدّل فى الآخرة إلى أنّ الممكن غنىّ عن العلّة.

فعند ذلك لا يستقرّ حجر على حجر وتنهار جميع المناهج الفكرية، ويصير الإنسان سفسطائياً مائة بالمائة.

۳- عدم الاكتراث بإثبات الجهة:

۳- عدم الاكتراث بإثبات الجهة:

إنّ أساتذة الجامعات الإسلامية فى الرياض ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بدلًا من أنْ يُجهدوا أنفسهم فى فهم المعارف، ويتجرّدوا فى مقام التحليل عن الآراء المسبقة، نراهم يقدّمون لطلبة الجامعات وخرّيجيها دعماً مالياً وفكرياً لمواصلة البحوث حول الرؤية فى محاولة لإثباتها وإثبات الجهة للّه تعالى، وإليك نموذجاً من ذلك:

يقول الدكتور أحمد بن محمّد خريج جامعة أُمّ القرى: إنّ إثبات رؤية حقيقيّة بالعيان من غير مقابلة أو جهة، مكابرة عقليّة؛ لأنّ الجهة من لوازم الرؤية، وإثبات اللزوم ونفى اللّازم مغالطة ظاهرة.

ومع هذا الاعتراف تخلّص عن الالتزام بإثبات الجهة للّه بقوله:

إنّ إثبات صفة العلوّ للّه تبارك وتعالى ورد فى الكتاب والسنّة فى مواضع كثيرة جداً، فلا حرج فى إثبات رؤية اللّه تعالى من هذا العلوّ الثابت له تبارك وتعالى،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۳

ولا يقدح هذا فى التنزيه؛ لأنّ مَن أثبتَ هذا أعلم البشر بما يستحقّ اللّه تعالى من صفات الكلمات.

أمّا لفظ الجهة فهو من الألفاظ المجملة التى لم يرِد نفيها ولا إثباتها بالنصّ فتأخذ حكم مثل هذه الألفاظ «۱».

ويلاحظ على هذا الكلام ما يلى:

أوّلًا: كيف ادّعى أنّ الكتاب والسنّة أثبتا العلوّ للّه الّذى هو مساوق للجهة؛ فإن أراد قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ «۲»

فقد حُقّقَ فى محلّه بأنّ استواءه على العرش كناية عن استيلائه على السماوات والأرض وعدم عجزه عن التدبير. وأين هو من إثبات العلوّ للّه، وقد أوضحنا مفادَ هذه الآيات فى أسفارنا الكلاميّة «۳».

وإنْ أراد ما جمعه ابن خزيمة وأضرابه من حشويات المجسّمة والمشبّهة، فكلّها بدع يهودية أو مجوسية تسرّبت إلى المسلمين ويرفضها القرآن الكريم، وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إذا افترضنا صحّة كونه موجوداً فى جهة عالية ينظر إلى السماوات والأرض فكيف يكون محيطاً بكلّ شىء وموجوداً مع كلّ شىء، فإذا كان هذا معنى التنزيه فسلامٌ على التجسيم.

ونِعْمَ ما قال شاعر المعرّة:

فيا موت زر إنّ الحياة ذميمةٌ ويا نفسُ جُدّى إنّ دهرك هازلُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۴

فالّذى تستهدفه رسالات السماء يتلخّص فى توحيده سبحانه، وأنّه واحد لا نظير له ولا مثيل أوّلًا، وتنزيهه سبحانه عن مشابهة الممكنات والموجودات ثانياً.

غير أنّ أصحاب الحديث بعد رحيل الرسول توغّلوا فى وحل حبائل الشرك والتجسيم وأبطلوا كلتا النتيجتين؛ فقالوا بقدم القرآن وعدم حدوثه، وأثبتوا بذلك مثلًا للّه فى الأزلية وكونه قديماً كقدمه سبحانه.

وأثبتوا للّه سبحانه العلوّ والجهة اغتراراً ببعض الظواهر والأحاديث المستوردة، فأبطلوا بذلك تنزيهه- سبحانه- وتعاليه عن مشابهة المخلوقات.

فخالفوا رسالات السماء فى موردين أصيلين:

التوحيد: بالقول بقدم القرآن.

التنزيه: بإثبات الجهة والرؤية.

فكانوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غزلها مِنْ بَعْدِ قوّةٍ أَنْكَاثاً «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۵

موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

(۳) موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

اشارة

(۳) موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

إنّ الذكر الحكيم يصف اللّه سبحانه بصفات تهدف جميعها إلى تنزيهه عن الجسم والجسمانية، وأنّه ليس له مثل ولا نظير، ولا ندّ ولا كفء، وأنّه محيط بكلّ شيء، ولا يحيطه شيء، إلى غير ذلك من الصفات المنزّهة الّتي يقف عليها الباحث إذا جمع الآيات الواردة في هذا المجال، وبدورنا نشير إلى بعض منها:

قال سبحانه:

۱- فَاطِرُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۱»

.

۲- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «۲»

.

۳- هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۶

۴- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «۱»

.

۵- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۲»

.

۶- هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۳»

.

۷- مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۴»

.

۸- أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ «۵»

.

۹- اللَّهُ لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ «۶»

.

۱۰- لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۷»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۷

وحصيلة هذه الآيات أنّه لا يوجد في صفحة الوجود له مثل، وهو أحدٌ لا كُفء له، لم يلد ولم يولد، بل هو أزليّ.

فبما أنّه أزليّ الوجود، فوجوده قبل كلّ شيء أى لا وجود قبله.

وبما أنّه أبديّ الوجود، فهو آخرُ كلّ شيء؛ إذْ لا وجود بعده.

وبما أنّه خالقُ السماوات والأرض فالكون قائم بوجوده، فهو باطنُ كلّ شيء، كما أنّ النظام البديع دليل على وجوده، فهو ظاهر كلّ شيء، لا يحويه مكان؛ لأنّه خالق السماوات والأرض وخالق الكون والمكان، فكان قبل أنْ يكون أىّ مكان.

وبما أنّ العالم دقيقه وجليله فقير محتاج إليه قائم به، فهو مع الأشياء معيّة قيّوميّة لا معيّة مكانيّة، ومع الإنسان أينما كان.

فلا يكون من نجوى ثلاثةٍ إلّاهو رابعهم ولا خمسةٍ إلّاهو سادسُهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّاهو معهم أينما كانوا، وذلك مقتضى كونه قيّوماً وما سواه قائماً به، ولا يمكن للقيّوم الغيبوبة عمّا قام به.

وفى النهاية هو محيط بكلّ شيء لا يحيطه شيء، فقد أحاط كُرسيُّه السماوات والأرض، فالجميع محاط وهو محيط، ومن كان بهذه المنزلة لا تُدرِكه الأبصار الصغيرة الضعيفة ولا يقع فى أُفقها، ولكنّه لكونه محيطاً يُدركُ الأبصار.

هذه صفاته سبحانه فى القرآن ذكرناها بإيجاز، وأوردناها بلا تفسير.

وقد علمت أنّ من سمات العقيدة الإسلامية كونها عقيدة سهلة لا إبهام فيها ولا لغز، فلو وجدنا شيئاً فى السنّة أو غيرها ما يصطدم بهذه الصفات فيحكم عليه بالتأويل إن صحّ السند، أو بالضرب عرض الجدار إن لم يصح.

فمن تلا هذه الآيات وتدبّر فيها يحكم بأنّه سبحانه فوق أنْ يقع فى وهم الإنسان وفكره ومجال بصره وعينه، وعند ذلك لو قيل له: إنّه جاء فى الأثر: إنّكم سترون

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۸

ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا (البدر) لا تُضامون فى رؤيته «۱».

فسيجد أنّ هذا الكلام يناقض ما تلا من الآيات أو استمع إليها، وسيشكّك ويقول: إذا كان الخالقُ البارئُ الّذى هو ليس بجسم ولا جسماني، لا يحويه مكان ومحيط بالسماوات والأرض، فكيف يرى يوم القيامة كالبدر فى جهة خاصّة وناحية عالية مع أنّه كان ولا علوّ ولا جهة، بل هو خالقهما، وأين هذه الرؤية من وصفه سبحانه بأنّه لا يحويه مكان ولا يقع فى جهة وهو محيط بكلّ شيء؟!

ولا يكون هذا التناقض بين الوصفين بأقلّ من التناقض الموجود فى العقيدة النصرانيّة من أنّه سبحانه واحد وفى الوقت نفسه ثلاثة.

وكلّما حاول القائل بالرؤية الجمع بين العقيدتين، لا يستطيع أنْ يرفع التعارض والاصطدام بين المعرفتين فى أنظار المخاطبين بهذه الآيات والرواية، ومن جرّد نفسه عن المجادلات الكلاميّة والمحاولات الفكريّة للجمع بين المعرفتين يرى التعريفين متصادمين، فأين القول بأنّه سبحانه بعيد عن الحسّ والمحسوسات منزّه عن الجهة والمكان محيط بعوالم الوجود، وفى نفس الوقت تنزله سبحانه منزلة الحسّ والمحسوسات، واقعاً بمرأى ومنظر من الإنسان، يراه ويبصره كما يبصر البدر، ويشاهده فى أُفق عال.

وقد عرفت فى التمهيد أنّ السهولة فى العقيدة والخلوّ من الألغاز هو من سمات العقيدة الإسلاميّة؛ فالجمع بين المعرفتين كجمع النصارى بين كونه واحداً وثلاثة.

*** هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنّه سبحانه كلّما طرح مسألة الرؤية فى القرآن الكريم فإنّما يطرحها ليؤكّد عجز الإنسان عن نيلها، ويعتبر سؤالها وتَمنّيها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۹

من الإنسان أمراً فظيعاً وقبيحاً وتطلُّعاً إلى ما هو دونه.

۱- قال سبحانه: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ* ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۱»

.

۲- وقال سبحانه: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذلِكَ وَآتَيْنَا مُوسى سُلْطَاناً مُبِيناً «۲»

.

۳- وقال سبحانه: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلكِنْ أُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ «۳»

.

۴- وقال سبحانه: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

فالمتدبّر فى هذه الآيات يقضى بأنّ القرآن الكريم يستعظم الرؤية ويستفظع سؤالها ويقبّحه، ويعدّ الإنسان قاصراً عن أنْ ينالها على وجه ينزل العذاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۰

عند سؤالها.

فلو كانت الرؤية أمراً ممكناً ولو فى وقتٍ آخر، لكان عليه سبحانه أن يتلطّف عليهم بأنّكم سترونه فى الحياة الآخرة لا فى الحياة الدنيا، ولكنّا نرى أنّه سبحانه يقابلهم بنزول الصاعقة فيقتلهم ثمّ يحييهم بدعاء موسى، كما أنّ موسى لمّا طلب الرؤية وأُجيب بالمنع تاب إلى اللَّه سبحانه وقال: أنا أوّل المؤمنين بأنّك لا تُرى.

فالإمعان بما ورد فيها من عتاب وتنديد، بل وإماتة وإنزال عذاب، يدلّ بوضوح على أنّ الرؤية فوق قابليّة الإنسان، وطلبه لها أشبه بالتطلّع إلى أمر محال، فعند ذلك لو قيل للمتدبّر فى الآيات إنّه روى قيس بن أبى حازم أنّه حدّثه جرير وقال: خرج علينا رسول اللَّه ليلة البدر فقال: «إنّكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته» «۱»

، يجد الحديث مناقضاً لما ورد فى هذه الآيات ويشكّ أنّه كيف صار الأمر الممتنع أمراً ممكناً، والإنسان غير المؤهّل للرؤية مؤهّلًا لها.

محاولتان للتخلّص من التضادّ بين الآيات وخبر قيس

اشارة

محاولتان للتخلّص من التضادّ بين الآيات وخبر قيس

إنّ هنا محاولتين للتخلّص من التضادّ الموجود بين الآيات، وخبر قيس بن أبى حازم الدالّ على وقوع الرؤية فى الآخرة:

المحاولة الأُولى:

المحاولة الأُولى:

إنّ تعارض الآيات والرواية من قبيل تعارض المطلق والمقيد، فلا مانع من الجمع بينهما بحمل الأُولى على الحياة الحاضرة، والثانية على الحياة الآخرة «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۱

يلاحظ عليه: بأنّ الجمع بين الآيات والرواية على نحو ما ذكر أشبه بمحاولة الفقيه إذا فوجئ بروايتين تكون النسبة بينهما هى العموم والخصوص المطلق، فيجمع بينهما بحمل المطلق على المقيد.

ولو صحّ ما ذكر فإنّما هو فى المسائل الفرعيّة لا العقائدية، وليست الآيات الواردة فيها كالمطلق، والحديث كالمقيد، بل هى بصدد بيان العقيدة الإسلامية على أنّه سبحانه فوق أن تناله الرؤية، وانّ من تمنّاها فإنّما يتمنّى أمراً محالًا.

والدافع إلى هذا الجمع إنّما هو تزمّتهم بالروايات وتلقّيهم صحيح البخارى وغيره صحيحاً على الإطلاق لا يقبل النقاش والنقد، فلم يكن لهم محيص من معاملة الروايات والآيات معاملة الإطلاق والتقييد، ولأجل ذلك فكلّما تليت هذه الآيات للقائلين بالجواز يجيبون بأنّ الجميع يعود إلى هذه الدنيا، ولا صلة له بالآخرة، ولكنّهم غافلون عن أنّ الآيات تهدف فى تنديدها وتوبيخها إلى ملاحظة طلب نفس الرؤية بما هى هى، بغضّ النظر عن الدنيا والآخرة، ولا صلة لها بظرف السؤال، فحمل تلك الآيات على ظرف خاص تلاعب بالكتاب العزيز وتقديم للسنّة على القرآن، واعتماد على الظنّ دون القطع واليقين.

وأيمن اللّه لو لم يكن فى الصحاح حديث قيس بن أبى حازم وغيره لما كان لديهم أىّ وازع لتأويل الآيات.

المحاولة الثانية:

المحاولة الثانية:

لقد تصدّى أبو الحسن الأشعرى للإجابة عن الآيات الأخيرة، وزعم أنّ الاستعظام إنّما كان لطلبهم الرؤية تعنّتاً وعناداً، قال:

إنّ بنى إسرائيل سألوا رؤية اللّه عزّ وجلّ على طريق الإنكار لنبوّة موسى وترك الإيمان به حتّى يروا اللّه لأنّهم قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۲

فلمّا سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتّى يريهم اللّه من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم اللّه سؤال أهل الكتاب أنْ ينزّل عليهم كتاباً من السماء من غير أنْ يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنّهم أبوا أنْ يؤمنوا بنبىّ اللّه حتّى يُنزّل عليهم من السماء كتاباً» «۱».

يلاحظ عليه أوّلًا: أنّ ما ذكره من أنّ الاستعظام لأجل كون طلبهم كان عن عنادٍ وتعنّتٍ لا لطلب معجزة زائدة، لو صحّ فإنّما يصحّ فى غير هذه الآيات، أعنى فى قوله سبحانه: وَقَالَ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً «۲»

، لا فيما تلوناه من الآيات، فإنّ الظاهر منها أنّ الاستعظام والاستفظاع راجعان إلى نفس السؤال بشهادة قوله: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ «۳»

، والذى يوضح ذلك أنّ التوبيخ والتنديد راجعان إلى نفس السؤال- مع غضّ النظر عن سبب السؤال، وهل هو لغاية زيادة العلم أو للعتوّ؟- أُمور:

۱- أ نّه سبحانه سمّى سؤالهم ظلماً وتعدّياً عن الحدّ.

۲- أنّ موسى سمّى سؤالَهم سؤالًا سفهيّاً.

۳- عندما طلب موسى الرؤية أُجيب بالخيبة والحرمان، ولم يكن سؤاله عن عناد واستكبار، ولو كانت الخيبة مختصّة بالدنيا، كان عليه سبحانه الرجوع إليه بالعطف والحنان بأنّها غير ممكنة فى هذه الدار وسوف ترانى فى الآخرة.

وثانياً: أنّه سبحانه وإنْ جمع فى آية سورة النساء «۴»، بين نزول الكتاب من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۳

السماء عليهم، ورؤية اللّه جهرةً، لكن كون الأوّل أمراً ممكناً لا يكون دليلًا على كون الثانى مثله؛ وذلك لأنّ وجه الشبه بين الأمرين ليس الإمكان أو الاستحالة حتّى يكونا مشاركين فيهما، بل هو طلب أمر عظيم، وشىء ليسوا مستأهلين له، فلا يكون إمكان الأوّل دليلًا على إمكان الثانى.

على أنّ قوله سبحانه: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ يشير إلى الفرق بين الطلبين مع المشاركة فى أمر الاستعظام؛ وهو استحالة الثانى دون الأوّل، ولذا سمّاه أكبر.

وبذلك تقف على ضعف ما ذكره الرازى فى تفسيره؛ لكونه مأخوذاً من كلام إمامه الأشعرى.

كما أنّه نقل كلام أبى الحسين المعتزلى فى كتاب التصفّح وناقشه بوجه غير تامّ «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۴

دراسة أدلّة النافين

(۴) دراسة أدلّة النافين

الآية الأُولى: لا تدركه الأبصار

اشارة

الآية الأُولى: لا تدركه الأبصار

قد عرفت تعبير الكتاب عن الرؤية إجمالًا، وأنّه يعدّ طلب الرؤية وسؤالها أمراً فظيعاً، قبيحاً، موجباً لنزول الصاعقة والعذاب، والآيات السالفة وضّحت موقف الكتاب من هذه المسألة لكن على وجه الإجمال، غير أنّا إذا استنطقنا ما سبق من الآيات، نقف على قضاء الكتاب فى أمر الرؤية على وجه التفصيل.

وقد عقدنا هذا الفصل لدراسة بعض ما سبق وتحليله.

قال سبحانه: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ* لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱»

والاستدلال بالآية يتوقّف على البحث فى مرحلتين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۵

المرحلة الأُولى: فى بيان مفهوم الدرك لغة:

المرحلة الأُولى: فى بيان مفهوم الدرك لغة:

الدرك فى اللغة اللحوق والوصول وليس بمعنى الرؤية، ولو أُريد منه الرؤية فإنّما هو باعتبار قريتيّة المتعلّق.

قال ابن فارس: الدرك له أصلٌ واحد (أى معنى واحد) وهو لحوق الشىء بالشىء ووصوله إليه، يقال: أدركت الشىء أُدركه إدراكاً، ويقال: أدرك الغلام والجارية إذا بلغا، وتدارك القوم: لحق آخرُهم أوّلهم، فأمّا قوله تعالى: بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْآخِرَةِ «۱»

فهو من هذا، لأن علمهم أدركهم فى الآخرة حين لم ينفعهم «۲».

وقال ابن منظور مثله، وأضاف: ففى الحديث «أعوذ بك من درك الشقاء» أى لحوقه، يقال: مشيتُ حتى أدركتهُ، وعشتُ حتى أدركتُه، وأدركتُه ببصرى أى رأيته «۳».

إذا كان الدرك بمعنى اللحوق والوصول فله مصاديق كثيرة، فالإدراك بالبصر التحاق من الرائى بالمرئى بالبصر، والإدراك بالمشى، كما فى قول ابن منظور:

مشيت حتّى أدركته، التحاق الماشى بالمتقدّم بالمشى، وهكذا غيره.

فإذا قال سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ يتعيّن ذلك المعنى الكلى (اللحوق والوصول) بالرؤية، ويكون معنى الجملة أنه سبحانه تفرّد بهذا الوصف وتعالى عن الرؤية دون غيره.

المرحلة الثانية: فى بيان مفهوم الآيتين:

المرحلة الثانية: فى بيان مفهوم الآيتين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۶

أنه سبحانه لما قال: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ربما يتبادر إلى بعض الأذهان أ نّه إذا صار وكيلًا على كلّ شىء، يكون جسماً قائماً بتدبير الأُمور الجسمانية، لكن يدفعه بأنه سبحانه مع كونه وكيلًا على كلّ شىء لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

وعندما يتبادر من ذلك الوصف إلى بعض الأذهان أنه إذا تعالى عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حيطة الأشياء الخارجية وبطل الربط الوجودى الّذى هو مناط الإدراك والعلم بينه وبين مخلوقاته، يدفعه قوله: وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ثم تعليله بقوله: وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ و «اللطيف» هو الرقيق النافذ فى الشىء و «الخبير» من له الخبرة الكاملة؛ فإذا كان تعالى محيطاً بكلّ شىء؛ لرقّته ونفوذه فى الأشياء، كان شاهداً على كلّ شىء، لا يفقده ظاهر كلّ شىء وباطنه، ومع ذلك فهو عالم بظواهر الأشياء وبواطنها من غير أن يشغله شىء عن شىء أو يحتجب عنه شىء بشىء.

وبعبارة أُخرى أن الأشياء فى مقام التصوّر على أصناف:

۱- ما يَرى ويُرى كالإنسان.

۲- ما لا يَرى ولا يُرى كالأعراض النسبية مثل الأُبوّة والبنوّة.

۳- ما يُرى ولا يَرى كالجمادات.

۴- ما يَرى ولا يُرى وهذا القسم تفرّد به خالق جميع الموجودات بأنّه يَرى ولا يُرى، والآية بصدد مدحه وثنائه بأنّه جمعَ بين الأمرين يَرى ولا يُرى لا بالشقّ الأوّل وحده نظير قوله سبحانه: فَاطِرِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ «۱»

ودلالة الآية على أنّه سبحانه لا يُرى بالأبصار بمكان من الوضوح غير أن للرازى ومن لفّ لفّه تشكيكات نأتى بها مع تحليلها:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۷

الشبهة الأُولى:

أنّ الآية فى مقام المدح؛ فإذا كان الشىء فى نفسه تمتنع رؤيته فلا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم للشىء، أمّا إذا كان فى نفسه جائز الرؤية ثم إنّه قدر على حَجب الأبصار عن رؤيته وعن إدراكه، كانت هذه القدرة الكاملة دالّة على المدح والعظمة، فثبت أن هذه الآية دالّة على أنّه جائز الرؤية حسب ذاته «۱».

إنّ هذا التشكيك يحطّ من مقام الرازى، فهو أكثر عقلية من هذا التشكيك، وذلك لأنّه زعم أن المدح بالجملة الأُولى، أعنى قوله

سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وغفل عن أنّ المدح بمجموع الجزأين المذكورين فى الآية، بمعنى أنّه سبحانه لعلوّ منزلته لا يُدرَك وفى الوقت نفسه يُدرِك غيره، وهذا ظاهر لمن تأمّل فى الآية ونظيرها قوله سبحانه: يُطعِم ولا يُطعَم فهل يرضى الرازى بأنّه سبحانه يمكن له الأكل والطعم؟

الشبهة الثانية:

إنّ لفظ الأبصار صيغةُ جمعٍ دخل عليها الألف واللام فهو يفيد الاستغراق، فقوله: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ بمعنى لا تراه جميع الأبصار، وهذا يفيدُ سلبَ العموم ولا يفيد عمومَ السلب «۲».

يلاحظ عليه: أنّ المتبادر فى المقام كما فى نظائره هو عموم السلب أى لا يدركه أحد من ذوى الأبصار، نظير قوله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «۳»

وقوله سبحانه: فَإِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ «۴»

وقوله سبحانه: وَاللَّهُ لَا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۸

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «۱»

.

يقول الإمام علىّ عليه السلام: «الحمد للَّه الذى لا يبلُغُ مدحتهُ القائلون، ولا يُحصى نعماءه العادّون، ولا يؤدّى حقّه المجتهدون، الذى لا يُدركه بُعد الهِمم، ولا ينالُه غوصُ الفِطَن» «۲»

.

فهل يحتمل الرازى فى هذه الآيات والجمل سلب العموم وأنّه سبحانه لا يحبّ جميع المعتدين والكافرين والظالمين، ولكن يحبّ بعضَ المعتدين والكافرين والظالمين، أو أنّ بعض القائلين يبلغون مدحته ويحصون نعماءه.

وهذا دليل على أنّ الموقف المسبق للرازى هو الّذى دفعه لدراسة القرآن لأجل دعمه، وهو آفة الفهم الصحيح من الكتاب.

الشبهة الثالثة: الإدراك هو الإحاطة

إن هذه الشبهة ذكرها ابن حزم فى فِصَلِه، والرازى فى مفاتيح الغيب وابن قيّم فى كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح «۳»، وقد أسهبوا الكلام فى تطوير الشبهة، ولا يسع المقام لنقل عباراتهم كلها، وإنّما نشير إلى المهم من كلماتهم.

وبما أن الأساس لكلام هؤلاء هو ابن حزم الظاهرى نذكر نصّ كلامه أوّلًا.

قال: إنّ الإدراك فى اللغة يفيد معنى زائداً عن النظر، وهو بمعنى الإحاطة، وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية، فالإدراك (الإحاطة) منتفٍ عن اللَّه تعالى على كلّ حال فى الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك قوله سبحانه: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِى رَبِّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۹

سَيَهْدِينِ «۱»

، ففرّق اللَّه عزّ وجلّ بين الإدراك والرؤية فرقاً جليّاً؛ لأنّه تعالى أثبت الرؤية بقوله: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، وأخبر تعالى بأنّه رأى بعضهم بعضاً فصحّت منهم الرؤية لبنى إسرائيل، ولكن نفى اللَّه الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم:

كَلَّا إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ، فأخبر تعالى أنّه رأى أصحاب فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شكّ فى أنّ ما نفاه اللَّه تعالى غير الّذى أثبته، فالإدراك غير الرؤية والحجّة لقولنا قول اللَّه تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إلى رَبِّها ناظِرَة «۲» «۳»

.

يلاحظ عليه: أنّ الشبهة تعرب عن أنّ صاحبها لم يقف على كيفية الاستدلال بالآية على نفى الرؤية، فزعم أنّ أساسه هو كون الإدراك فى اللغة بمعنى الرؤية، فردّ عليه بأنّه ليس بمعنى الرؤية، بشهادة أنّه سبحانه جمع فى الآية بين إثبات الرؤية ونفى الدرك، ولكنّه غفل عن أنّ مبدأ الاستدلال ليس ذلك، وقد قلنا سابقاً: إنّ الإدراك فى اللغة بمعنى اللحوق والوصول وليس بمعنى الرؤية ابتداءً، وإنما يتعيّن فى النظر والرؤية حسب المتعلّق، ولأجل ذلك لو جرّد عن المتعلّق- كما فى الآية- لا يكون بمعنى الرؤية، ولذلك جمع فيها بين الرؤية ونفى الدرك؛ لأنّ الدرك هناك بحكم عدم ذكر المتعلّق كالبصر، بمعنى اللحوق والوصول، فقد وقع الترائى بين الفريقين، ورأى فرعون وأصحابه بنى إسرائيل، ولكن لم يدركوهم أى لم يلحقوهم.

وعلى ضوء ذلك إذا جرّد عن المتعلّق مثل البصر والسمع يكون بمعنى اللحوق، وإذا اقترن بمتعلّق مثل البصر يتعيّن فى النظر والرؤية، لكن على وجه الإطلاق من غير تقيّد بالإحاطة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۰

فبطل قوله: بأنّ الادراك يدلّ على معنى زائد على النظر وهو الإحاطة، بل الإدراك مجرّداً عن القرينة لا يدلّ على الرؤية أبداً، ومع اقتران القرينة ووجود المتعلّق يدلّ على الرؤية والنظر على وجه الإطلاق من غير نظر إلى الفرد الخاص من الرؤية.

وبذلك يظهر أن ما أطنب به الرازى فى كلامه لا يرجع إلى شىء، حيث قال: لا نسلّم أنّ إدراك البصر عبارة عن الرؤية، بل هو بمعنى الإحاطة، فالمرئى إذا كان له حدّ ونهاية وأدركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته صار كأنّ ذلك الإبصار إحاطة به فسمّى هذه الرؤية إدراكاً، أمّا إذا لم يحط البصر بجوانب المرئى لم تسمّ تلك الرؤية إدراكاً، فالحاصل أنّ الرؤية جنس تحتها نوعان: رؤية مع الإحاطة، ورؤية لا مع الإحاطة، والرؤية مع الإحاطة هى المسماة بالإدراك؛ فنفى الإدراك يفيد نفىَ نوع واحد من نوعى الرؤية، ونفى النوع لا يوجب نفى الجنس، فلم يلزم من نفى الإدراك عن اللّه تعالى نفى الرؤية عنه.

ثمّ قال: فهذا وجه حسن مقبول فى الاعتراض على كلام الخصم «۱».

ويلاحظ عليه بأنّ ما ذكره الرازى كان افتراءً على اللغة للحفاظ على المذهب، وهذا أشبه بتفسير القرآن بالرأى، ولولا أنّ الرازى من أتباع المذهب الأشعرى لما تجرّأ بذلك التصرّف.

ونحن بدورنا نسأله: ما الدليل على أنّ الادراك إذا اقترن بالبصر يكون بمعنى الإدراك الإحاطى، مع أنّنا نجد خلافه فى الأمثلة التالية، نقول: أدركت طعمهُ أو ريحهُ أو صوتهُ، فهل هذه بمعنى أحطنا إحاطة تامّة به، أو أنه بمعنى مجرّد الدرك بالأدوات المذكورة من غير اختصاص بصورة الإحاطة؟ مثل قولهم أدرك الرسول، فهل هو بمعنى الإحاطة بحياته، أو يراد منه إدراكه مرّة أو مرّتين؟ ولم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۱

يفسّره أحد من أصحاب المعاجم بما ذكره الرازى.

وحاصل الكلام: أنّ اللفظة إذا اقترنت ببعض أدوات الإدراك كالبصر والسمع يحمل المعنى الكلّى، أى اللحوق والوصول- على الرؤية والسماع- سواء كان الإدراك على وجه الإحاطة أو لا، وأما إذا تجرّدت اللفظة عن القرينة تكون بمعنى نفس اللحوق، قال سبحانه: حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ «۱»

ومعنى الآية: حَتَّى إِذَا لَحِقَهُ الْغَرَقَ ورأى نفسه غائصاً فى الماء استسلم وقال: آمَنْتُ ....

وقال سبحانه: فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى الْبَحْرِ يَبَساً لَاتَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى «۲»

، أى لا تخاف لحوق فرعون وجيشه بك وبمن معك من بنى إسرائيل.

وقال سبحانه: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ «۳»

فأثبت الرؤية ونفى الدرك، وما ذلك إلّالأنّ الإدراك إذا جُرّد عن المتعلّق لا يكون بمعنى الرؤية بتاتاً، بل بمعنى اللحوق.

نعم إذا اقترن بالبصر يكون متمحّضاً فى الرؤية من غير فرق بين نوعٍ ونوع، وتخصيصه بالنوع الإحاطى- لأجل دعم المذهب- افتراءٌ

على اللغة.

***

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۲

الآية الثانية: ولا يحيطون به علماً

اشارة

الآية الثانية: ولا يحيطون به علماً

قال سبحانه: يَوْمَئِذٍ لَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً «۱»

.

إنّ الآية تتركّب من جزأين:

الأوّل: قوله: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ.

الثانى: قوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً.

والضمير المجرور فى قوله: بِهِ يعود إلى اللَّه سبحانه.

ومعنى الآية:

ومعنى الآية:

اللَّه يحيطُ بهم لأنّه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ويكون معادلًا لقوله:

وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ولكنّهم لَايُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً. ويساوى قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

وأمّا كيفية الاستدلال فبيانُها أنّ الرؤية سواء أوَقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهى نوع إحاطةٍ علميّة من البشر به سبحانه، وقد قال: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً.

ولكن الرازى لأجل التهرّب من دلالة الآية على امتناع رؤيته سبحانه قال:

بأنّ الضمير المجرور يعود إلى قوله: مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أى لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم، واللَّه سبحانه محيطٌ بما بينَ أيديهم وما خلفَهم.

أقول: إنّ الآية تحكى عن إحاطته العلمية سبحانه يوم القيامة بشهادةِ ما قبلَها: يَوْمَئِذٍ لَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا، وعندئذٍ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۳

يكون المراد من الموصول فى قوله سبحانه: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم هو الحياة الأُخروية الحاضرة، وقوله سبحانه: وَمَا خَلْفَهُمْ هو الحياة الدنيوية الواقعة خلف الحياة الأُخروية، وحينئذٍ لو رجع الضمير فى قوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً إلى الموصولين يكون مفادُ الآية عدم إحاطة البشر بما يجرى فى النشأتين، وهو أمر واضح لا حاجة إلى التركيز عليه، وهذا بخلاف ما إذا رجع إلى «اللَّه»؛ فستكون الآية بصدد التنزيه، ويكون المقصود أنّ اللَّه يحيط بهم علماً وهؤلاء لا يحيطون كذلك، على غرار سائر الآيات.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۴

الآية الثالثة: قال لن ترانى

اشارة

الآية الثالثة: قال لن ترانى

قال سبحانه: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ «۱»

. لقد استدلّ- بهذه الآية- كلٌّ من النافى والمثبت، رُغْم أنْ ليس لها إلّامدلول واحد، فكان بين القولين تناقض واضح.

ومردّ ذلك إلى أنّ أحد المستدلّين لم يتجرّد عن هواه حينما استدلّ بالآية، وإنّما ينظر إليها ليحتجّ بها على ما يتبنّاه، وهذا من قبيل التفسير بالرأى الّذى نهى النبىّ صلى الله عليه و آله عنه بالخبر المتواتر، وبالتالى قلّ من نظر إليها بموضوعية خالية عن كلّ رأى مسبق.

المفهوم الصحيح للآية:

المفهوم الصحيح للآية:

لا شكّ أنّنا إذا عرضنا الآية على عربى صميم لم يتأثّر ذهنه بالمناقشات الكلامية الدائرة بين النافين والمثبتين، وطلبنا منه أنْ يبيّن الإطار العام للآية و مفادها و منحاها، وهل هى بصدد بيان امتناع الرؤية أو جوازها؟ فسيجيب بصفاء ذهنه بأنّ الإطار العام لها هو تعاليه سبحانه عن الرؤية، وأنّ سؤاله أمر عظيم فظيع لا يُمحى أثره إلّابالتوبة، فسيكون فهم ذلك العربى حجّة علينا لا يجوز لنا العدول عنها، والقرآن نزل بلسانٍ عربىّ مبين ولم ينزل بلسان المتكلّمين أو المجادلين.

كما أنّنا إذا أردنا أن نُفسّر مفاد الآية تفسيراً صناعياً؛ فلا شكّ أنه يدلّ أيضاً على تعاليه عنها، وذلك لوجوه:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۵

۱- الإجابة بالنفى المؤبد:

لمّا سأل موسى رؤية اللّه تبارك وتعالى أُجيب ب لَنْ تَرَانِي، والمتبادر من هذه الجملة أى قوله: لَنْ تَرَانِي هو النفى الأبدىّ الدالّ على عدم تحقُّقها أبداً.

والدليل على ذلك هو تتبع موارد استعمال كلمة «لن» فى الذكر الحكيم، فلا تراها متخلّفة عن ذلك ولو فى مورد واحد:

۱- قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ «۱»

.

۲- إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۲»

.

۳- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۳»

.

۴- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۴»

.

۵- وَلَنْ تَرضی عَنْکَ الْیَهُودُ وَلَا النَّصَارَی حَتَّی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ «۵»

.

۶- فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ إِلَی طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِی أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِی عَدُوّاً «۶»

.

إلی غیر ذلک من الآیات الصریحة فی أنّ «لن» تفید التأبید.

وربّما نوقش فی دلالة لَنْ علی التأبید مناقشة ناشئة عن عدم الوقوف الصحیح علی مقصود النحاة من قولهم «لن» موضوعة للتأبید، ولتوضیح مرامهم

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۴۶

نذکر أمرین ثمّ نعرض المناقشة علیهما:

۱- إنّ المراد من التأبید لیس کونُ المنفی ممتنعاً بالذات، بل کونه غیر واقع، وکم فرق بین نفی الوقوع ونفی الإمکان، نعم ربّما یکون عدم الوقوع مستنداً إلی الاستحالة الذاتیة.

۲- إنّ المراد من التأبید هو النفی القاطع، وهذا قد یکون غیر محدّد بشیء وربّما یکون محدّداً بظرفٍ خاص، فیکون معنی التأبید بقاء النفی بحاله مادام الظرف باقیاً.

إذا عرفت الأمرین تقف علی وهن ما نقله الرازی عن الواحدی من أنّه قال:

ما نُقل عن أهل اللغة أنّ کلمة «لن» للتأبید دعوی باطلة، والدلیل علی فساده قوله تعالی فی حقّ الیهود: وَلَنْ یَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ وَاللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ «۱»

قال: وذلک لأنّهم یتمنّون الموت یوم القیامة بعد دخولهم النار، قال سبحانه: وَنَادَوْا یَا مَالِکُ لِیَقْضِ عَلَیْنَا رَبُّکَ قَالَ إِنَّکُمْ مَاکِثُونَ «۲»

فإنّ المراد من لِیَقْضِ عَلَیْنَا هو القضاء بالموت «۳».

ووجه الضعف ما عرفت من أنّ التأبید علی قسمین: غیر محدّد، ومحدّد بإطار خاصّ، ومن المعلوم أنّ قوله سبحانه: وَلَنْ یَتَمَنَّوْهُ ناظر إلی التأبید فی الإطار الّذی اتّخذه المتکلّم ظرفاً لکلامه وهو الحیاة الدنیا، فالمجرمون ما داموا فی الحیاة الدنیا لا یتمنّون الموت أبداً، لعلمهم بأنّ اللَّه سبحانه بعد موتهم یُقدّمهم للحساب والجزاء، ولأجل ذلک لا یتمنّونه أبداً قطّ.

وأمّا تمنّیهم الموت بعد ورودهم العذاب الألیم فلیس داخلًا فی مفهوم الآیة

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۴۷

الأُولی حتی یُعدّ التمنّی مناقضاً للتأبید.

ومن ذلک یظهر وهن کلام آخر وهو: أنه ربّما یقال: إنّ «لن» لا تدلّ علی الدوام والاستمرار بشهادة قوله: إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُکَلِّمَ الْیَوْمَ إِنْسِیّاً «۱»

إذ لو کانت لَنْ تفید تأبید النفی لوقع التعارض بینها وبین کلمة الْیَوْمَ لأنّ الیوم محدّد معیّن، وتأبید النفی غیر محدّد ولا معیّن، ومثله قوله سبحانه علی لسان ولد یعقوب: فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّی یَأْذَنَ لِی أَبِی «۲»

حیث حدّد بقاءه فی الأرض بصدور الإذن من أبیه «۳».

وجه الوهن: أنّ التأبید فی کلام النحاة لیس مساویاً للمعدوم المطلق، بل المقصود هو النفی القاطع الّذی لا یشق، والنفی القاطع الّذی لا یکسر ولا یشقّ علی قسمین:

تارةً یکون الکلام غیر محدّد بظرف خاص ولا تدلّ علیه قرینة حالیة ولا مقالیة فعندئذٍ یساوق التأبیدَ المعدوم المطلق.

وأخرى يكون الكلام محدّداً بزمان حسب القرائن اللفظية والمثالية، فيكون التأبيد محدّداً بهذا الظرف أيضاً، ومعنى قول مريم: فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً «۴»

هو النفى القاطع فى هذا الإطار، ولا ينافى تكلّمها بعد هذا اليوم.

والحاصل: أنّ ما أُثير من الإشكال فى المقام ناشئ من عدم الإمعان فيما ذكرنا من الأمرين؛ فتارةً حسبوا أنّ المراد من التأبيد هو الاستحالة فأوردوا بأنّه ربّما يكون المدخول أمراً ممكناً كما فى قوله: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً «۵»

، وأُخرى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۸

حسبوا أنّ التأبيد يلازم النفى والمعدوم المطلق، فناقشوا فى الآيات الماضية الّتى لم يكن النفى فيها نفياً مطلقاً، ولو أنّهم وقفوا على ما ذكرنا من الأمرين لسكتوا عن هذه الاعتراضات.

وبما أنّه سبحانه لم يتّخذ لنفى رؤيته ظرفاً خاصاً، فسيكون مدلوله عدم تحقّق الرؤية أبداً لا فى هذه الدنيا ولا فى الآخرة.

والحاصل: أنّ الآية صريحة فى عدم احتمال الطبيعة البشرية لذلك الأمر الجلل، ولذلك أمره أنْ ينظر إلى الجبل عند تجلّيه، فلما اندكّ الجبل خرّ موسى مغشيّاً عليه من الذُّعْرِ، ولو كان عدم الرؤية مختصاً بالحياة الدنيا لما احتاج إلى هذا التفصيل، بل كان فى وسعه سبحانه أن يقول: لا ترانى فى الدنيا ولكن ترانى فى الآخرة؛ فاصبر حتّى يأتيك وقته، والإنسان مهما بلغ كمالًا فى الآخرة فهو لا يخرج عن طبيعته التى خُلق عليها، وقد بيّن سبحانه أنّه خلق ضعيفاً.

۲- تعليق الرؤية على أمر غير واقع:

علّق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل وبقائه على الحالة التى كان عليها عند التجلّى، وعدم تحوّله إلى ذرّات ترابية صغار بعده، والمفروض أنه لم يبقَ على حالته السابقة، وبطلت هويّته، وصارت تراباً مدكوكاً، فإذا انتفى المعلّق عليه (بقاء الجبل على حالته) ينتفى المعلّق، وهذا النوع من التعليق فى كلامهم، طريقة معروفة حيث يعلّقون وجود الشىء على ما يعلم عدم وقوعه وتحقّقه، واللَّه سبحانه بما أنّه يعلم أنّ الجبل لا يستقر فى مكانه- بعد التجلّى- فعلّق الرؤية على استقراره؛ لكى يستدلّ بانتفائه على انتفائه، قال سبحانه: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۹

والحاصل: أنّ المعلّق عليه هو وجودُ الاستقرار بِغَضّ النظرِ عن كونهِ أمراً ممكناً أو مستحيلًا، والمفروض أنّه لا يستقرّ، فبانتفائه ينتفى ما علّق عليه وهو الرؤية.

وبالإمعان فيما ذكر تستغنى عن جلّ ما ذكره المتكلّمون من المعتزلة والأشاعرة حول المعلّق عليه «۱».

ولإراءة نموذج من كلامهم نأتى بما ذكره الرازى، قال: إنّه تعالى علّق رؤيته على أمر جائز، والمعلّق على الجائز جائز، فيلزم كون الرؤية فى نفسها جائزة بدليل قوله: فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي «۲»

واستقرار الجبل أمرٌ جائزُ الوجود فى نفسه، فثبت أنه تعالى علّق رؤيته على جائز الوجود فى نفسه... «۳».

ويلاحظ على كلامه أنّ المعلّق عليه ليس إمكانُ الاستقرار وكونه أمراً ممكناً مقابل كونه أمراً مُحالًا عليه حتّى يكون أمراً حاصلًا ويلزم منه وجود المعلّق، أعنى الرؤية، مع أنّ المفروض عدمها، بل المعلّق عليه بقاء الجبل على ما كان عليه؛ إذ لو كان المعلّق عليه إمكان الاستقرار يلزم نقض الغرض وتحقّق الرؤية لموسى عليه السلام بل المعلّق عليه هو بقاء الجبل على حالته الّتى كان عليها حين التكلّم، والمفروض أنّه لم يبقَ عليها، بل دُكَّ وصار تراباً مستوياً بالأرض، فبانتفائه انتفى المعلَّق، أعنى:

الرؤية.

۳- تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

تذكر الآية أنّ موسى لما أفاق فأوّلُ ما تكلّم به هو تسبيحه سبحانه وتنزيهه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۰

وقال: سُبْحَانَكَ وذلك لأنّ الرؤية لا تنفكّ عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص، فنزّه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصديق لها.

ومن مصاديق التفسير بالرأى ما ربّما يقال: إنّ المراد- من التنزيه هنا- هو تنزيه اللَّه وتعظيمه وإجلاله عن أنْ يتحمّل رؤيته مَنْ كتب عليه الفناء، حتى لا يتعارض مع ما ورد من إثبات الرؤية عن اللَّه ورسوله فى دار الآخرة، وليست الرؤية من النقائص على ما يدّعيه نفاتها، فهى ليست نقصاً فى المخلوق، بل هى كمال، وكلّ كمال اتّصف به المخلوق وأمكن أنْ يتّصف به الخالق فالخالق أولى «۱».

يلاحظ عليه: بأنّه من أين وقف على اختصاص النفى بمن كتب عليه الفناء، مع إطلاق الآية، ولماذا لا يجعل الموضوع لعدم تحمّلها الوجود الإمكانى القاصر المحفوظ فى كلتا الدارين.

وما ذكره فى آخر كلامه من أنّ كلّ كمال اتّصف به المخلوق وأمكن أن يتّصف به الخالق فالخالق أولى به صحيح من حيث الضابطة والقانون، لكنّه باطل من حيث التطبيق على المورد؛ فإنّ ما يوصف به المخلوق على قسمين: فمنه ما يكون كمالًا له ككونه عالماً قادراً حيّاً سميعاً بصيراً، فاللَّه أولى بأن يوصف به، ومنه ما لا يكون كمالًا له ككونه مرئياً للغير، فلا يوصف به سبحانه، ولو افترضنا كونه كمالًا للأوّل، لكنّه يكون موجباً للنقص فى الثانى لاستلزامه التجسيم والتشبيه والجهة والحاجة إلى المكان، تعالى اللَّه عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وكان الأولى للكاتب وأشباهه أن لا يخوضوا فى غمار هذه المسائل التى تحتاج إلى قدر كبير من التفكّر والعناية الخاصّة.

إذا لم تستطع أمراً فدعهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ ۴- توبته لأجل طلب الرؤية:

إنّ موسى عليه السلام بعدما أفاق، أخذ بالتنزيه أولًا، والتوبة والإنابة إلى ربّه ثانياً، وظاهر الآية أنه تاب من سؤاله، كما أنّ الظاهر من قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ أنّه أوّل المصدّقين بأنه لا يرى بتاتاً.

وللباقّلانى (ت ۴۰۳ ه) أحد دعاة مذهب الإمام الأشعرى كلامٌ فى تفسير التوبة، أشبه بالتفسير بالرأى، قال:

يحتمل أنّ موسى تاب لأجل أنّه ذكر ذنوباً له قد قدّم التوبة منها، فجدّد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، أو تاب من ترك استئذانه منه سبحانه فى هذه المسألة العظيمة «۱».

لكن كلّ ما ذكره وجوه لا يتحمّلها ظاهر الآية، وإنّما تورّط فيها لأجل دعم المذهب، وهذا هو الذى ندّد به النبىّ الأكرم قائلًا: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار» «۲»

، ومثله قول الرازى فى تفسير قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بأنّه لا يراك أحدٌ فى الدنيا، أو أوّل المؤمنين بأنّه لا يجوز السؤال منك إلّابإذنك «۳».

شبهات المخالفين

اشارة

شبهات المخالفين

قد تقدّم أنّ الآية استدلّ بها النافون والمثبتون، وقد تعرّفت على استدلال النافين، وليس استدلال المثبتين للرؤية استدلالًا علمياً، وإنّما يرجع محصّل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۲

كلامهم إلى إبداء شبهتين هما:

الشبهة الأُولى: لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم عليه السلام

الشبهة الأُولى: لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم عليه السلام

إنّ الآية دالّة على أنّ موسى عليه السلام سأل الرؤية، ولا شكّ فى كون موسى عليه السلام عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على اللّه تعالى، فلو كانت الرؤية ممتنعة على اللّه تعالى لما سألها، وحيث سألها علمنا أنّ الرؤية جائزة على اللّه تعالى «۱».

والاستدلال بطلب موسى إنّما يكون متقناً إذا تبيّن أنه عليه السلام طلبها باختيار ومن غير ضغط من قومه، فعندئذٍ يصلح للتمسّك به ظاهراً، وأنّى للمستدلّ إثبات ذلك، مع أنّ القرائن تشهد على أنّه سأل الرؤية على لسان قومه حيث كانوا مصرّين على ذلك على وجه يأتى بيانه، وتوضيحه يتوقّف على بيان أُمور:

۱- أنّه سبحانه ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية أولًا «۲».

۲- أنّه سبحانه أتْبعها بذكر قصة العجل وما دار بين موسى وأخيه وقومه ثانياً «۳».

۳- ثمّ نقل اختيار موسى من قومه سبعين رجلًا لميقاته سبحانه وقال:

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

والإجابة الحاسمة تتوقّف على توضيح أمر آخر وهو: هل كان سؤال موسى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۳

الرؤية مستقلًا عن طلب القوم الرؤية، أم لا صلة له بطلبهم؟ من غير فرق بين القول بوقوع الطلبين فى زمان واحد أو زمانين، بل المهم، وجود الصلة بين السؤالين، وكون الثانى من توابع السؤال الأوّل.

والظاهر بل المقطوع به هو الأوّل، ويدلّ على ذلك أمران:

الأوّل: سياق الآيات ليس دليلًا قطعياً

إنّ ذهاب موسى بقومه إلى الميقات كان قبل تحقُّق قصّة العجل، لقوله سبحانه: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذلِكَ «۱»

، فإنّ تخلّل لفظة «ثم» حاك عن تأخّرها عن الذهاب، ومع ذلك كلّه فقد جاء ذكر ذهابهم إلى الميقات فى سورة الأعراف بعد ذكر قصة العجل، وهذا لو دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ السياق ليس دليلًا قطعياً لا يجوز مخالفته، فكما جاز تأخير المتقدّم وجوداً فى مقام البيان فكذلك يجوز تكرار ما جاء فى أثناء القصة فى آخره لنكتة سنوافيك بها.

فما نقله الرازى عن بعضهم من أنّهم خرجوا إلى الميقات ليتوبوا عن عبادة العجل فقالوا فى الميقات: أَعْطِنَا مَا لَمْ تُعطِهِ أَحَداً قَبْلَنَا... «۲» ليس بشىء، وقد عرفت تصريح الآية على تقدّم سؤالهم الرؤية على عبادته.

الثانى: استقلال السؤالين غير معقول

إنّ لاحتمال استقلال السؤالين صورتين:

الاولى: أن يتقدّم موسى بسؤال اللّه الرؤية لنفسه ثمّ يَحدث ما حدث، من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۴

خروره صعقاً وإفاقته وإنابته، ثمّ إنّه بعدما سار بقومه إلى الميقات سأله قومه أن يُرِى اللّه لهم جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

الثانية: عكس الصورة الأُولى؛ بأن يسير موسى بقومه إلى الميقات ثمّ يسألونه رؤية اللّه جهرة فيحدث ما حدث ثمّ هو فى يوم آخر أو بعد تلك الواقعة يسأل الرؤية لنفسه فيُخاطب بقوله: لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ «۱»

.

إنّ العقل يحكم بامتناع كلتا الصورتين عادة حسب الموازين العادية.

أمّا الأُولى، فلو كان موسى متقدّماً فى السؤال وسمع من اللّه ما خاطبه به بقوله لَنْ تَرَانِى كان عليه أن يذكّر قومه بعواقبِ السؤال، وأنّه سألها ربّه ففوجئ بالغشيان، مع أنّه لم يذكرهم بشىء مما جرى عليه حين طلبهم، ولو ذكّرهم لما سكت عنه الوحى.

أمّا الثانية: فهو كذلك؛ لأنّه لو كان قد تقدّم سؤال قومه الرؤية وقد شاهد موسى ما شاهد حيث اعتبر عملهم سفهياً فلا يصحّ فى منطق العقل أن يطلب الكليم ذلك لنفسه بعد ذلك مستقلًا.

وكل ذلك يؤكد عدم وجود ميقاتين ولا لقاءين ولا سؤالين مستقلّين، وإنّما كان هناك ميقات واحد ولقاء واحد وسؤالان بينهما ترتّب وصلة، والدافع إلى السؤال الثانى هو نفس الدافع إلى السؤال الأوّل، وعندئذٍ لا يدلّ سؤال موسى الرؤية على كونها أمراً ممكناً لاندفاعه إلى السؤال من قبل قومه.

وتوضيح ذلك: أنّ الكليم لمّا أخبر قومه بأنّ اللّه كلّمه وقرّبه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بك حتى نسمع كلامه كما سمعتَ، فاختار منهم سبعين رجلًا لميقاته وسأله سبحانه أن يكلِّمه، فلمّا كلّمه اللّه وسمع القوم كلامه قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فعند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم، وإلى هذه الواقعة تشير

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۵

الآيات التالية:

۱- وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ «۱»

.

۲- وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ «۲»

.

۳- يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ «۳»

.

۴- وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

إلى هذه اللحظة الحساسة لم يتكلّم موسى عليه السلام حول الرؤية ولم ينبس بها ببنت شفة ولم يطلب شيئاً، وإنّما طلب منه سبحانه أن يحييهم حتى يدفع عن نفسه اعتراض قومه إذا رجع إليهم، وهو القائل: قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ.

فلو كان هناك سؤال فإنّما كان بعد هذه المرحلة وبعد إصابة الصاعقة السائلين، وعودتهم إلى الحياة بدعاء موسى، وعندئذٍ نتساءل

هل يصح للكليم أن يطلب السؤال لنفسه وقد رأى بأمّ عينيه ما رأى؟ كلا، وكيف يصحّ له أن يسأله وقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۶

وصف السؤال بالسفاهة، فلم يبق هناك إلّااحتمال آخر؛ وهو أ نّه بعدما عاد قومه إلى الحياة أصرّوا على موسى وألحّوا عليه أن يسأل الرؤية لنفسه لا لهم، حتّى تحلّ رؤيته للّه مكان رؤيتهم، فيؤمنوا به بعد إخباره بالرؤية «۱»، وهذا هو المعقول والمرتقب من قوم موسى الّذين عرفوا بالعناد واللجاج، وبما أنّ موسى لم يُقْدِم على السؤال إلّابإصرارٍ منهم لكى يسكتهم، لذلك لم يتوجّه إلى الكليم أىُّ تَبِعة ولا مؤاخذة، بل خوطب بقوله: لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى «۲»

.

وللإمام علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام هنا كلام حول سؤال موسى:

قال علىّ بن محمّد بن الجهم: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علىّ بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول اللّه أليس من قولك: أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن، فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول اللّه عزّ وجلّ: وَلَمَّا جَاءَ مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى كيف يجوز أن يكون كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنّ اللّه- تعالى ذكره- لا تجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: «إنّ كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام علم أنّ اللّه تعالى عن أن يُرى بالأبصار، ولكنّه لما كلّمه اللّه عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً، رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ اللّه عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائة ثمّ اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سَيناءَ، فأقامهم فى سفح الجبل، وصعد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۷

موسى عليه السلام إلى الطور وسأل اللّه تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه اللّه تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأنّ اللّه عزّ وجلّ أحدَثَه فى الشجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا الّذى سمعناه كلامُ اللّه حتّى نرى اللّه جهرةً، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث اللّه عزّ وجلّ عليهم صاعقةً فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعتُ إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم؛ لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة اللّه إيّاك؟ فأحياهم اللّه وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت اللّه أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته، فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ اللّه لا يُرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بنى إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى اللّه جلّ جلاله إليه: يا موسى اسألنى ما سألوك فلن أُؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ (بآية من آياته) جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ (يقول: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى) وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ منهم بأنّك لا تُرى».

فقال المأمون: للّه درّك يا أبا الحسن، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة «۱».

وللزمخشرى فى المقام تفسير رائع قال: ما كان طلب الرؤية إلّالليبكت هؤلاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۸

الّذين دعاهم سفهاء وضُلّالًا وتبرّأ من فعلهم، وذلك أنّهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبّههم على الحقّ، فلجّوا وتمادوا فى لجاجهم، وقالوا لابدّ، ولن نؤمن حتّى نرى اللّه جهرةً، فأراد أن يسمعوا النصّ من عند اللّه باستحالة ذلك وهو قوله: لَنْ

تَرَانِي ليتيقّنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلك قال:

رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ «۱»

.

وعلى كلّ تقدير فما ذكره صاحب الكشّاف قريب ممّا ذكرناه، وكلا البيانين يشتركان فى أنّ السؤال لم يكن بدافعٍ من نفس موسى، بل بضغط من قومه.

ولكن الرازى ناقش فى هذه المقالة وقال:

ظاهر الحال يقتضى أنْ تكون هذه القصة مغايرة للقصة المتقدّمة؛ لأنّ الأَلْيَق بالفصاحة إتمام الكلام فى القصّة الأُولى فى وضع واحد ثمّ الانتقال منها بعد تمامها إلى غيرها، فأمّا ذكر بعض القصة (سؤال موسى الرؤية) ثمّ الانتقال منها إلى قصة أُخرى (اتّخاذ العجل ربّاً) ثمّ الانتقال منها بعد تمامها إلى بقيّة الكلام فى القصة الأُولى (سؤال قوم موسى) يوجب نوعاً من الخَبْط والاضطراب، والأَولى صون كلام اللَّه تعالى عنه «۲».

والجواب: أنّه سبحانه أخذ ببيان قصة مواعدة موسى ثلاثين ليلة من الآية ۱۴۲ وختمها فى الآية ۱۵۵، فالمجموع قصة واحدة كسبيكة واحدة، ولكن سبب العود إلى ما ذكر فى أثناء القصة فى آخرها هو إبراز العناية بسؤال الرؤية باعتباره مسألة مهمّة فى حياة بنى إسرائيل.

فقد اتّضح ممّا ذكرنا عدم دلالة الآية على إمكان رؤيته سبحانه بطلب موسى.

***

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۹

الشبهة الثانية: تجلّيه للجبل

الشبهة الثانية: تجلّيه للجبل

إنّ تجلّيه سبحانه للجبل هو رؤية الجبل له، فلمّا رآه (سبحانه) اندكّت أجزاؤه، فإذا كان الأمرُ كذلك ثبت أنه تعالى جائز الرؤية، وأقصى ما فى الباب أنْ يقال:

الجماد جماد، والجماد يمتنع أن يَرى شيئاً، إلّاأن نقول لا يمتنع أن يقال: إنّه تعالى خلق فى ذلك الجبل الحياة والعقل والفهم ثمّ خلق فيه الرؤية متعلّقة بذات اللَّه «۱».

لكن يلاحظ على هذا الكلام: أنّ ما ذكره من رؤية الجبال للَّه تعالى مع افتراضه الحياة والعقل والفهم للجبل شىء نسجه فكره، وليس فى الآية أىّ دليل عليه، والحافز إلى هذه الفكرة هو الدفاع عن الموقف المسبق والعقيدة التى وَرِثها، وظاهر الآية أنّه سبحانه تجلّى للجبل وهو لم يتحمّل تجلّيه لا أنّه رآه وشاهده.

وأمّا التجلّى، فكما يحتمل أن يكون بالذات كذلك يحتمل أن يكون بالفعل، فمن لم يتحمّل تجلّيه بفعله وقدرته فالأولى أن لا يتحمّل تجلّيه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جداً أن يكون تجلّيه بآثاره وقدرته وأفعاله، فعند ذلك لا يدلّ أنّ تجلّيه للجبل كان بذاته.

أضِفْ إلى ذلك أنّ أقصى ما تُعطيه الآية هو الإشعار بذلك، لذا لا يمكن التمسك به وطرح الدلائل القاطعة عقلًا ونقلًا على امتناع رؤيته.

إلى هنا تمّ ما أردناه من دلالة الذكر الحكيم على امتناع الرؤية، وقد استنطقنا الآيات السالفة بوجه تفصيلى، وتعرّفت فيه على موقفه من الرؤية بالعيون والأبصار.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۰

دراسة أدلة المثبتين

(۵) رؤية اللّه فى الذكر الحكيم دراسة أدلة المثبتين

آية إلى ربّها ناظرة

آية إلى ربّها ناظرة

استدلّ القائلون بجواز الرؤية بآيات متعدّدة والمهم فيها هو الآية الآتية، أعنى قوله سبحانه: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ* تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ «۱»

.

يقول الشارح القوشجى فى شرحه لتجريد الاعتقاد: إنّ النظر إذا كان بمعنى الانتظار يستعمل بغير صلة ويُقال انتظرته، وإذا كان بمعنى التفكّر يستعمل بلفظة «فى»، وإذا كان بمعنى الرأفة يستعمل بلفظة «اللام»، وإذا كان بمعنى الرؤية استعمل بلفظة «إلى»، فيحمل على الرؤية «۲».

أقول: لقد طال الجدال حول ما هو المقصود من النظر فى الآية، بين مثبتى الرؤية ونافيها، ولو أتينا بأقوالهم لطال بنا المقام، فإنّ المثبتين يُركّزون على أنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۱

الناظرة بمعنى الرؤية، كما أنّ نافيها يفسّرونها بمعنى الانتظار، مع أنّ تسليم كونه بمعنى الرؤية غير مؤثّر فى إثبات مدّعيها كما سيظهر، والحقّ عدم دلالتها على جواز رؤية اللّه بتاتاً، وذلك لأمرين:

الأول: أنّه سبحانه استخدم كلمة «وجوه» لا «عيون»، فقسم الوجوه إلى قسمين: وجوه ناضرة، ووجوه باسرة، ونسب النظر إلى الوجوه لا العيون، فلو كان المراد هو الرؤية لكان المتعيّن استخدام العيون بدل الوجوه، والعجب أنّ المستدلّ غفل عن هذه النكتة التى تحدّد معنى الآية وتخرجها عن الإبهام والتردّد بين المعنيين، وأنت لا تجد فى الأدب العربى القديم ولا الحديث مورداً نسب فيه النظر إلى الوجوه وأُريد منه الرؤية بالعيون والأبصار، بل كلما أُريد منه الرؤية نُسب إليهما.

الثانى: لا- نشكّ أنّ «الناظرة» فى قوله إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ بمعنى الرائية، ونحن نوافق المثبتين بأنّ النظر إذا استعمل مع «إلى» يكون بمعنى الرؤية، لكن الّذى يجب أن نُلفت إليه نظر المستدلّ هو أنّه ربما يكون المعنى اللغوى ذريعة لتفهيم معنى كنائى، ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوى، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، فالجملة مستعملة فى معناها اللغوى، ولكن كثرة الرماد مراد استعمالىّ لا جِدّىّ، والمراد الجِدّى هو ما اتّخذ المعنى الاستعمالى وسيلة لإفهامه للمخاطب، والمراد هنا هو جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، فإذا قال الرجل: زيد كثير الرماد، فلا نقول: إنّ القائل أخبرنا عن كثرة الرماد فى بيت زيد الذى يعدّ أوساخاً ملوثة لبيته، فيكون قد ذمّه دون أن يمدحه، بل يجب علينا أن نقول: بأنّه أخبر عن جوده وسخائه، والعبرة فى النسبة المراد الجدى لا الاستعمالى، وهذه هى القاعدة الكلية فى تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء.

والآن سنوضح مفاد الآية ونبيّن ماهو المراد الاستعمالى والجدى فيها، وذلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۲

لا يعلم إلّابرفع إبهام الآية بمقابلها، فنقول: إنّ هناك ست آيات تقابلها ثلاث، وهى كالآتى:

۱- كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ يقابلها: وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ.

۲- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ يقابلها: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ.

۳- إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ يقابلها: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ.

فلا شك أنّ الآيات الأربع الاول واضحة لا خفاء فيها، وإنّما الإبهام وموضع النقاش هو الشقّ الأوّل من التقابل الثالث، فهل المراد منه جدّاً هو الرؤية، أو أنّها كناية عن انتظار الرحمة؟ والّذى يعيّن أحد المعنيين هو الشقّ الثانى من التقابل الثالث، أعنى: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ فهو صريح فى أنّ أصحاب الوجوه الباسرة ينتظرون العذاب الكاسر لظهرهم، ويظنّون نزوله. وهذا الظن لا ينفكّ عن الانتظار، فكلّ ظانّ لنزول العذاب منتظر، فيكون قرينة على أنّ أصحاب الوجوه المشرقة ينظرون إلى ربّهم، أى يرجون رحمته، وهذا ليس تصرّفاً فى الآيات ولا تأويلًا لها، وإنّما هو رفع الإبهام عن الآية بالآية المقابلة لها، وترى ذلك التقابل والانسجام فى آيات أُخرى، غير أنّ الجميع سبيكة واحدة.

۱- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ يقابلها: ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ «۱»

.

۲- وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ يقابلها: تَرْهَقُهَا قَترَةٌ «۲»

.

فإنّ قوله: ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ قائم مقام قوله: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ فيرفع إبهام الثانى بالأوّل.

۳- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ يقابلها: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ* تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۳

۴- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ يقابلها: لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ* فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ «۱»

.

أُنظر إلى الانسجام البديع، والتّقابل الواضح بينهما، والهدف الواحد، حيث الجميع بصدد تصنيف الوجوه يوم القيامة، إلى ناضر ومسفر، وإلى ناعم وباسر، وإلى أسود (غبرة) وخاشع.

أمّا جزاء الصنف الأوّل فهو الرحمة والغفران، وتحكيه الجمل التالية:

إلى ربّها ناظرة ضاحكة مستبشرة فى جنةٍ عالية.

وأمّا جزاء الصنف الثانى فهو العذاب والابتعاد عن الرحمة، وتحكيه الجمل التالية:

تظنّ أن يفعل بها فاقرة ترهقها قترة، تصلى ناراً حامية.

أفبعْدَ هذا البيان يبقى شكّ فى أنّ المراد من إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ هو انتظار الرحمة!! والقائل بالرؤية يتمسّك بهذه الآية، ويغضّ النظر عمّا حولها من الآيات، ومن المعلوم أنّ هذا من قبيل محاولة إثبات المدّعى بالآية، لا محاولة الوقوف على مفادها.

ويدلّ على ذلك أنّ كثيراً ما تستخدم العرب النظر بالوجوه فى انتظار الرحمة أو العذاب، وإليك بعض ما ورد فى ذلك:

وجوهٌ بها ليلُ الحجازِ على الهوى إلى ملكٍ كهفِ الخلائقِ ناظرَهْ

وجوهٌ ناظرات يومَ بدرٍ إلى الرحمنِ يأتى بالفلاحِ فلا نشكّ أنّ قوله: وجوهٌ ناظرات بمعنى رائيات، ولكن النظر إلى الرحمن هو كناية عن انتظار النصر والفتح.

إنّى إليك لما وعدتَ لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغنى الموسرِ فلا ريب أنّ اللفظين فى الشعر وإن كانا بمعنى الرؤية، ولكن نظر الفقير إلى الغنى ليس بمعنى النظر بالعين، بل الصبر والانتظار حتّى يعينه.

قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «۱»

، والمراد من قوله: لَايَنْظُرْ إِلَيْهِمْ هو طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطّفه عليهم، لا عدم مشاهدته إيّاهم؛ لأنّ رؤيته وعدمها ليس أمراً مطلوباً لهم حتى يهدّدوا بعدم نظره سبحانه إليهم، بل الذى ينفعهم هو وصول رحمته إليهم، والّذى يصحّ تهديدهم به هو عدم شمول لطفه لهم، فيكون المراد عدم تعطّفه إليهم، على أنّ تفسير قوله لَايَنْظُرْ إِلَيْهِمْ ب «لا يراهم» يستلزم الكفر، فإنّه سبحانه يرى الجميع وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ.

والحاصل: أنّ النظر إذا أُسند إلى العيون يكون المعنى بالمراد الاستعمالى والجدّى هو الرؤية على أقسامها، وإذا أُسند إلى الشخص كالفقير أو إلى الوجوه فيراد به الرؤية استعمالًا والانتظار جدّاً.

ثمّ إنّ لصاحب الكشاف هنا كلمةً جيدة، حيث يقول بهذا الصدد: يقال: «أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى» يريد معنى التوقّع والرجاء، ومن هذا القبيل قوله:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتنى نِعَما وقال: سمعت سروية مستجدية بمكّة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول: عُيينتى نويظرة إلى اللّه وإليكم، تقصد راجية ومتوقّعة لإحسانهم إليها، كما هو معنى قولهم: أنا أنظر إلى اللّه ثمّ إليك، وأتوقّع فضل اللّه ثمّ فضلك «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۵

خمس آيات على مائدة التفسير

(۶) خمس آيات على مائدة التفسير

اشارة

(۶) خمس آيات على مائدة التفسير

اتّفق المحقّقون على أنّه لا يُستدلُّ بآية على عقيدة إسلامية إلّاإذا كانت الآية واضحة الدلالة جليّة المرمى؛ لما عرفت من أنّ المطلوب فى باب العقائد هو الاعتقاد، وهو متوقّف على الإذعان، ولا يحصل إلّاإذا كان هناك سبب قطعى له.

وعلى ذلك الأصل، كان المرتقب من أصحاب القول بالرؤية التمسّك بما له ظهور على مدّعاهُم ولو كان ذلك الظهور بدائياً أو زائلًا حين التمعّن به، ولكن من المؤسف أنّنا نراهم يتمسّكون بما لا دلالة له على مدّعاهم، بل لا صلة بينه وبين القول بالرؤية، وعلى ذلك سنتناول فى هذا الفصل هذا القسم من الآيات.

الآية الأُولى: أمره سبحانه موسى بالشكر له

الآية الأُولى: أمره سبحانه موسى بالشكر له

قَالَ يَا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۶

قال الرازى: اعلم أنّ موسى عليه السلام لمّا طلب الرؤية ومنعهُ اللّه منها، عدّد اللّهُ عليه وجوه نِعَمه العظيمة الّتى له عليه، وأمره أن يشتغلَ بذكرها كأنّه قال: إن كنتُ قد منعتُك الرؤية فقد أعطيتُك من النِعم كذا وكذا، فلا يضيقُ صدرُك بسبب منع الرؤية، وانظر إلى سائر أنواع النعم الّتى خصصتُك بها، واشتغِل بشكرها، والمقصود تسلية موسى عليه السلام عن منع الرؤية، وهذا أيضاً أحد ما يدلُّ على أنّ

الرؤية جائزةٌ على اللّه تعالى؛ إذ لو كانت ممتنعة فى نفسها لما كان إلى ذكر هذا القدر حاجة «۱».

وقد تبعه إسماعيل البرسوى فقال فى تفسير قوله وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ: أن اشكُر يبلغك إلى ما سألتَ من الرؤية؛ لأنّ الشكر يستدعى الزيادة، لقوله تعالى:

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ «۲»

والزيادة هى الرؤية لقوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ «۳»

، وقال عليه الصّلاة والسلام: «الزيادةُ هى الرؤية، والحسنى هى الجنّة» «۴»

.

ومن المثبتين للرؤية من يستحسن مواقفَ المستدلّين بهذه الآية ويقول: إنّ الاستدلال بهذه الآية على الجواز قويّ؛ لأنّ اللّه تعالى عدّد لموسى عليه السلام هذه النعم التى أنعم اللّهُ بها عليه لما منعه من حصولٍ جائزٍ طلبه منه، فذكر ما ذكر تسليةً له، ولو منعه من ممتنع لكان بخطاب آخر، وذلك مثلُ خطابه تعالى لنوح: رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۷

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ «۱»

.

وقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين قال: رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى «۲»

، والفرق بين خطاب اللّه لموسى عليه السلام وبين خطابه لنوح وإبراهيم عليه السلام ظاهر «۳».

وقد نقلنا كلام هؤلاء بالتفصيل ليقف القارئ على كيفية تمسّكهم بما لا دلالة له على مطلوبهم، والشاهد على ذلك أنّا لو عرضنا الآية على أىّ عربىّ مخاطب بالقرآن لا ينتقلُ ذهنه إلى ما يدّعون، ويرى أنّ إثبات الرؤية بها تحميل للنظرية على الآية وليس تفسيراً لها، وإليك نقاط الضعف فى كلماتهم:

أمّا الرازى، فمن أين يدّعى أنّ الآية فى مقام مواساة موسى لئلّا يضيق صدره بسبب منع الرؤية؟ لو لم نقل إنّ الآية وردت على خلاف ما يدّعيه، فإنّما وردت فى مورد الامتنان على موسى وموعظة له أنْ يكتفى بما اصطفاه اللّه به من رسالاته، وكلامه، ويشكره ولا يزيد عليه.

هذا هو الظاهر من الآية، ولا وجه لحمل الآية على كونها بصدد المواساة بعدما صدر من موسى فى الآية المتقدّمة عليها قوله: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ* قال يا موسى إنّى اصطفيتك على الناس.. «۴»

فمقتضى ما صدر من موسى من تنزيهٍ وتوبةٍ وإيمانٍ بأنّه لا يُرى هو موعظته بالاكتفاء بما أُوتى ولا يزيد عليه، لا أن يعتذر سبحانه إليه ويواسيه بحرمانه رؤيته.

وأمّا ما ذكره صاحب روح البيان فعجيب جدّاً؛ فإنّ استدلاله يتوقّف على أنّ المراد من «زيادة» فى قوله سبحانه: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ هو الرؤية؛

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۸

وهذا أوّل الكلام، وسيوافيك أنّ المراد منها هى الزيادة على الاستحقاق، فانتظر حتّى يأتيك البيان.

وأمّا ما ذكره الدكتور تأييداً لما ذكره الرازى فَضَعْفُه واضح؛ لأنّ الآية ليست بصدد مواساته، وأمّا اختلاف الخطاب بينها وبين ما ورد فى طلب نوح، هو أنّ طلب موسى لَمّا كان نتيجة ضغطٍ من قومه دون طلب نوح، صار الاختلاف فى مبدأ الطلبين سبباً لاختلاف الخطابين، فخوطب نوح بخطاب عتابى دون موسى عليهما السلام، وإنْ كان العتاب على ترك الأَولى.

الآية الثانية: الحسنى والزيادة

الآية الثانية: الحسنى والزيادة

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ وَأُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «۱»

.

فقد فسّرت الحسنى بالجنّة، والزيادة بالنظر إلى وجه اللّه الكريم، فقد روى مسلم فى صحيحه عن صهيب عن النبىّ قال: «إذا أُدخل أهل الجنّة قال اللّه تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنّة وتُنْجِنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من التنظّر إلى ربّهم عزّ وجلّ».

وفى رواية ثمّ تلا: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ «۲»

.

إنّ القرآن الكريم كتاب عربى مبين وهو تبيان لكلّ شىء، كما هو مقتضى قوله سبحانه: وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ «۳»

، وحاشا أن يكون تبياناً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۹

لكلّ شىء ولا يكون تبياناً لنفسه، وسياق الآية يدلّ على أنّ المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، فقد جعل سبحانه الجزاء حقّاً للعامل- لكن بفضله وكرمه- وقال: لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «۱»

، ثمّ جعل المضاعف منه حقّاً للعامل أيضاً، وهذا أيضاً بكرمه وفضله، وقال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا «۲»

. وبالنظر إلى هذه الآيات يتجلّى مفاد قوله سبحانه لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى استحقاقاً للجزاء والمثوبة الحسنى وَزِيَادَةٌ على قدر الاستحقاق، قال سبحانه: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ «۳»

.

وبغضّ النظر عمّا ذكرنا من تفسير الزيادةِ على الاستحقاق فإنّ ما بعدَ الآية قرينة واضحة على أنّ المراد من «زيادة» هو الزيادة على الاستحقاق، ومفاد الآيتين هو تعلّق مشيئته سبحانه على جزاء المحسنين بأكثر من الاستحقاق وجزاء المسيئين بقدر جرائمهم، قال سبحانه بعد هذه الآية: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «۴»

.

أفبعد هذا السياق الرافع للإبهام يصحُّ لكاتب عربى واعٍ أنْ يستدلّ بالآية على الرؤية!!

وبذلك يظهر عدم دلالة ما يشابه هذه الآية مدلولًا على مدّعاهم، قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۰

سبحانه: أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ «۱»

فإنّ المراد أحد المعنيين، إمّا زيادة على ما يشاؤونه ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيُّهم، أو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.

أمّا مارواه مسلم فسيوافيك القضاء الحقّ عند البحث عن الرؤية فى الروايات، وأنّ الآحاد فى باب العقائد غير مفيدة، خصوصاً إذا كانت مضادّة للبرهان.

الآية الثالثة: رؤية المَلِك

الآية الثالثة: رؤية المَلِك

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً «۲»

.

قال الرازى: فإنّ إحدى القراءات فى هذه الآية فى «ملكاً» بفتح الميم وكسر اللّام، وأجمع المسلمون على أنّ ذلك المَلِك ليس إلّااللّه تعالى، وعندى أنّ التمسّك بهذه الآية أقوى من التمسّك بغيرها «۳».

وقال الآلوسى عند تفسيرها: و قيل هو النظر إلى اللّه عزّوجلّ، وقيل غير ذلك «۴».

ويلاحظ على كلامه: أنّ المسائل العقائدية يستدلّ عليها بالأدلّة القطعية لا بالقراءات الشاذّة الّتى لا يحتجُّ بها على الحكم الشرعى فضلًا عن العقيدة، وسياق الآية يدلّ على أنه هو المُلْك- بضمّ الميم وسكون اللّام- وكأنّه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنّة رأيت نعيماً لا يوصف ومُلْكاً كبيراً لا يقدّر قدره.

والآية نظير قوله: فَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً «۵»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۱

الآية الرابعة: آيات اللقاء

الآية الرابعة: آيات اللقاء

۱- فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً «۱»

.

۲- وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ «۲»

.

۳- تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً «۳»

.

۴- وَقَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ «۴»

.

وجه الاستدلال: أنّ الآيات تنسب اللقاء إلى اللّه تعالى، ومقتضى الأخذ بالظاهر هو تحقّق اللقاء بالمشاهدة والمعاينة.

لكنّ هذا الاستدلال يلاحظ عليه: أنّ اللقاء كما أُضيف فى هذه الآيات إليه سبحانه، كذلك أُضيف إلى غيره سبحانه فى سائر الآيات، فتارةً أُضيف إلى لفظ الآخرة، قال سبحانه: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ «۵»

وقال: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ «۶»

، وأُخرى إلى لفظ «اليوم» قال سبحانه: يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۲

هذَا «۱»

وقال سبحانه: وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا «۲»

.

وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم الجزاء، بمعنى حضور الناس فى يوم القيامة للمحاسبة والمجازاة، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، وإنّما سُمِّى هذا بلقاء الرب أو لقاء اللّه لما تعلّقت مشيئته على مجازاة المحسنين والمسيئين فى ذلك اليوم، فبما أنّه سبحانه يجزى المحسن والمسىء فى ذلك اليوم فكأنّهم يلقونه سبحانه فيه لا قبله.

وفى نفس الآيات الّتى استدلّ بها على ذلك قرينة واضحة على أنَّ المراد من الآيات هو الحضور يوم القيامة؛ وهى أنّه سبحانه يأمر من يرجو لقاء الربّ بالعمل الصالح ويقول: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً «۳»

، أى فليستعدّ لذلك اليوم بالعمل الصالح، كما أنّه فى آية أُخرى يأمر بتقديم شىء لهذا اليوم ويقول: وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّه وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ «۴»

، وذلك لأنّ مقتضى العلم بالحشر فى ذلك اليوم والمحاسبة والمجازاة هو تقديم الأعمال الصالحة.

والذى يدلّ على أنّ المراد من اللقاء ليس هو الرؤية، أنّ الرؤية تختصّ بالمؤمنين ولا تعمّ الكافرين، مع أنّه سبحانه يُعمِّم اللقاء بالمؤمن والكافر فيقول:

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ «۵»

فلو كان المراد من لقاء اللّه هو مشاهدته ورؤيته فيلزم أن يكون المنافق مشاهداً له، فلم تبق أىّ فضيلة للمؤمنين، مع أنّ القائلين بالرؤية يُزمِّرون بأنّ الرؤية فضيلة وزيادة تختصّ بالمؤمنين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۳

ولما ضاق الخناق على بعضهم قال بوجود رؤيتين: إحداهما عامّة للمؤمن والكافر؛ وهى الرؤية يوم القيامة، والأُخرى خاصّة بالمؤمنين؛ وهى الرؤية فى الجنّة «۱». وهو كما ترى؛ فإنّ ظرف الرؤية للمؤمنين فى رواية أبى هريرة هو يوم القيامة كما سيوافيك، وفيه يرى المؤمنون خالقهم على صورته الواقعيّة.

وفى الختام نقول: إنّ منزلة آيات اللقاء هى منزلة آيات الرجوع إلى اللّه، قال سبحانه: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ «۲»

ولم نر سلفيّاً أو أشعريّاً يستدلّ بها على رؤية اللّه سبحانه، مع أنّ وزان الجميع واحد.

الآية الخامسة: آية الحَجْب

الآية الخامسة: آية الحَجْب

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ* ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ «۳»

.

هذه الآية استدلّ بها غيرُ واحد من القائلين بالرؤية.

قال الآلوسى: لا يرونه تعالى وهو حاضرٌ ناظرٌ لهم بخلاف المؤمنين؛ فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية؛ لأنّ المحجوب لا يرى ما حُجِبَ؛ إذْ الحَجْب:

المنع، والكلام على حذف مضاف، أى عن رؤية ربّهم الممنوعة؛ فلا يرونه سبحانه، واحتجّ بالآية مالك على رؤية المؤمنين له تعالى من جهة دليل الخطاب، وإلّا فلو حجب الكلّ لما أَغنى هذا التّخصيص، وقال الشافعى: لمّا حجب سبحانه قوماً بالسُّخْط دلّ على أنّ قوماً يرونه بالرّضا، وقال أنس بن مالك: لمّا حجب عزّ وجلّ أعداءه سبحانه فلم يروه تجلّى جلّ شأنه لأوليائه حتّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۴

رأوه عزّ وجلّ «۱».

ويلاحظ على هذا الكلام: أنّ الآية بصدد تهديد المجرمين وإنذارهم، وهذا لا يحصل إلّابتحذيرهم وحرمانهم من رحمته، وتعذيبهم فى جحيمه، وأمّا تهديدهم بأنّهم سيحرمون عن رؤيته تبارك وتعالى فلا يكون مؤثّراً فيمن غلبت على قلبه آثار المعاصى والمآثم فلا يفكر يوماً باللّه ولا برؤيته، وعلى ذلك، فالمراد أنّ هؤلاء محجوبون يوم القيامة عن رحمته وإحسانه وكرمه، وبعدما مُنِعوا من الثواب والكرامة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم، ولذلك رتّب على خيبتهم وحرمانهم قوله: إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

هذه هى الآيات الّتى وقعت ذريعة للاستدلال على العقيدة المستوردة من الأحبار والرهبان إلى المسلمين، فزعم المحدّثون والمغترّون كونها عقيدة إسلامية، فحشروا الآيات للبرهنة عليها سواء كانت بها دلالة أم لا.

ولو كان المستدلّون متجرّدين عن عقائدهم لفهموا أنّ هذه الآيات نزلت لبيان مفاهيم أخلاقية واجتماعية وسوق المجتمع إلى العمل الصالح وعدم التورّط فى المعاصى، وأين هى من الدلالة على أصل كلامهم حول الرؤية؟!

إنّ اللّه سبحانه ذكر نعم الجنّة الكثيرة ومقامات المؤمنين، ولو كانت الرؤية من أماثل نعمه سبحانه فلماذا لم يذكرها بوضوح كسائر النعم؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۵

رؤية اللّه فى الأحاديث النبويّة

(۷) رؤية اللّه فى الأحاديث النبويّة

۱- أحاديث أهل السنّة

اشارة

۱- أحاديث أهل السنّة

إليك ما ورد فى الصحاح حول الرؤية:

أ- روى البخارى فى باب «الصراط جسر جهنّم» بسنده عن أبى هريرة قال:

قال أُناس: يا رسول اللّه هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارّون فى الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللّه، قال: «هل تُضارّون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللّه، قال: «فإنّكم ترونه يوم القيامة، كذلك يجمع اللّه الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتّبعه، فيتّبع من كان يعبد الشمس، ويتّبع من كان يعبد القمر، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأُمّة فيها منافقوها، فيأتيهم اللّه فى غير الصورة الّتى يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم اللّه فى الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه ويضرب جسر جهنم...» إلى أن يقول: «ويبقى رجلٌ مُقْبل بوجهه على النار فيقول: يا ربّ قد قَشَبَنى ريحها، وأحرقنى ذكاوها، فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو اللّه فيقول: لعلّك إن أعطيتُك أن تسألنى غيره، فيقول: لا وعزّتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثمّ يقول بعد ذلك: يا ربّ قرّبنى إلى باب الجنّة، فيقول: أليس قد زعمت أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۷

لا- تسألنى غيره؟ ويلك ابن آدم ما أغدرك! فلا- يزال يدعو فيقول: لعلّى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره، فيقول: لا- وعزّتك لا أسألك غيره، فيعطى اللّه من عهود ومواثيق أنْ لا يسأله غيره، فيقرّبه إلى باب الجنّة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء اللّه أن يسكت، ثمّ

يقول: ربّى أدخلنى الجنّة، ثمّ يقول: أوَليسَ قد زعمت أنْ لا- تسألنى غيره؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا ربّ لا تجعلنى أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتّى يضحك (اللَّه)، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها...» الحديث «۱».

ورواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة، مع اختلاف يسير «۲».

ورواه أيضاً عن أبى سعيد الخدرى باختلاف غير يسير فى المتن وفيه: «حتّى إذا لم يبق إلّامن كان يعبد اللَّه تعالى من برّ وفاجر أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من الّتى رأوه فيها، قال: فما تنتظرون تتبع كلّ أُمّة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربّنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، لا نشرك باللَّه شيئاً، مرّتين أو ثلاثاً، حتى أنّ بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه، إلّاأذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتّقاءً ورياءً إلّا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه...» الحديث «۳».

وقد نقل الحديث فى مواضع من الصحيحين بتلخيص، ورواه أحمد فى مسنده «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۸

تحليل الحديث

تحليل الحديث

إنّ هذا الحديث مهما كثرت رواته وتعدّدت نقلته لا يصحّ الركون إليه فى منطق الشرع والعقل بوجوه:

أوّلًا: أنّه خبر واحد لا يفيد شيئاً فى باب الأُصول والعقائد، وإن كان مفيداً فى باب الفروع والأحكام؛ إذ المطلوب فى الفروع هو الفعل والعمل، وهو أمر ميسور سواء أذعن العامل بكونه مطابقاً للواقع أو لا- بل يكفى قيام الحجّة على لزوم تطبيق العمل عليه، ولكن المطلوب فى العقائد هو الإذعان وعقد القلب ونفى الريب والشك عن وجه الشىء، وهو لا- يحصل من خبر الواحد ولا- من خبر الإثنين، إلّاإذا بلغ حدّاً يورث العلم والإذعان؛ وهو غير حاصل بنقل شخص أو شخصين.

ثانياً: أنّ الحديث مخالف للقرآن، حيث يثبت للَّه صفات الجسم ولوازم الجسمانية كما سيوافيك بيانه عن السيّد الجليل شرف الدين رحمه الله.

ثالثاً: ماذا يريد الراوى من قوله: «فيأتى اللَّه فى غير الصورة الّتى يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم»؟ فكأنّ للَّه سبحانه صوراً متعدّدة يعرفون بعضها وينكرون البعض الآخر!! وما ندرى متى عرفوا الّتى عرفوها، فهل كان ذلك منهم فى الدنيا، أو كان فى البرزخ، أو فى الآخرة؟؟!

رابعاً: ماذا يريد الراوى من قوله: «فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا- يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه...»؟ فإنّ معناه أنّ المؤمنين والمنافقين يعرفونه سبحانه بساقه، فكانت هى الآية الدالة عليه.

خامساً: كفى فى ضعف الحديث ما علّق عليه العلّامة السيد شرف الدين رحمه الله حيث قال: إنّ الحديث ظاهر فى أنّ للَّه تعالى جسماً ذا صورة مركبة تعرض عليها الحوادث من التحوّل والتغير، وأنّه سبحانه ذو حركة وانتقال، يأتى هذه الأُمّة يوم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۹

حشرها، وفيها مؤمنوها ومنافقوها، فيرونه بأجمعهم ماثلًا لهم فى صورةٍ غير الصورة الّتى كانوا يعرفونها من ذى قبل، فيقول لهم: أنا ربكم، فينكرونه متعوّذين باللَّه منه، ثمّ يأتيهم مرّة ثانية فى الصورة التى يعرفون، فيقول لهم: أنا ربّكم، فيقول المؤمنون والمنافقون جميعاً: نعم أنت ربّنا، وإنّما عرفوه بالساق إذ كشف لهم عنها، فكانت هى آيته الدالّة عليه، فيتسنّى حينئذٍ السجودُ للمؤمنين منهم دون

المنافقين، وحين يرفعون رؤوسهم يرون اللّه ماثلًا فوقهم بصورته الّتى يعرفون لا يُمارونَ فيه، كما كانوا فى الدنيا لا يُمارون فى الشمس والقمر، ماثلين فوقهم بجرميهما النيّرين ليس دونهما سحاب، وإذا به بعد هذا يضحك الربّ ويعجب من غير معجب، كما هو يأتى ويذهب، إلى آخر ما اشتمل عليه الحديثان ممّا لا يجوز على اللّه تعالى، ولا على رسوله، بإجماع أهل التنزيه من أشاعرة وغيرهم، فلا حول ولا قوّة إلّاباللّه العلىّ العظيم «۱».

*** ب- روى البخارى فى كتاب الصلاة، باب مواقيت الصلاة وفضيلتها، عن قيس (ابن أبى حازم) عن جرير قال: كنّا عند النبىّ صلى الله عليه و آله فنظر إلى القمر ليلة- يعنى البدر- فقال: «إنّكم ترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أنْ لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثمّ قرأ: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» «۲»

.

وحديث قيس بن أبى حازم- مع كونه معارضاً للكتاب- ضعيف سنداًوإن رواه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۰

الشيخان، ويكفى فيه وقوع قيس بن أبى حازم فى سنده الّذى ترجمه ابن عبد البرّ وقال: قيس بن أبى حازم الأحمسى جاهلى إسلامى لم ير النبى صلى الله عليه و آله فى عهده، وصدق إلى مصدِّقه وهو من كبار التابعين مات سنة ثمان أو سبع وتسعين وكان عثمانياً «۱».

وقال الذهبى: قيس بن أبى حازم عن أبى بكر وعمر ثقة حجة كاد أنْ يكون صحابياً، وثّقه ابن معين والناس، وقال علىّ بن عبد اللّه بن يحيى بن سعيد: منكر الحديث ثمّ سمّى له أحاديث استنكرها، وقال يعقوب الدوسى: تكلّم فيه أصحابنا فمنهم من حمل عليه، وقال: له مناكير، فالّذين أطروه عدّوها غرائب، وقيل: كان يحمل على علىّ رضى الله عنه، إلى أن قال: والمشهور أنّه كان يقدّم عثمان، وقال إسماعيل:

كان ثَبتاً، قال: وقد كبر حتّى جاوز المائة وخَرِف «۲».

وقد تقدّم أنّ العدل والتنزيه علويان، كما أنّ الجبر والتشبيه أُمويان، وهل يصحّ فى ميزان النصفة الأخذ برواية رجل عثمانىّ الهوى، معرضاً عن الإمام على عليه السلام، وعاش حتى خَرِف؟ أو أنّ الواجب ضربها عرض الحائط.

۲- روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام

۲- روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام

إنّ أهل البيت أحد الثقلين «۳»، الّذين تركهما النبىّ بعد رحيله وأمر أنْ يُتمسّك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۱

بأقوالهم وأفعالهم، وحينما نراجع ما روى عنهم ودوّنه الأثبات من المحدّثين كالشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) فى كتاب التوحيد، نجد مرويّاتهم المسندة إلى آبائهم عن علىّ عن النبىّ، تعارض ما رواه قيس بن أبى حازم، وإليك نماذج من أحاديثهم:

أ- روى الصدوق عن عبد اللّه بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر (محمّد الباقر) عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أىّ شىء تَعبد؟

قال: «اللّه»، قال: رأيته؟ قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُعرف بالقياس، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور فى حكمه، ذلك اللّه لا إله إلّاهو»، قال: فخرج الرجل وهو يقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته «۱».

ب- روى الصدوق أيضاً عن أبى الحسن الموصلى، عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:

جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟

فقال: «ويلك! ما كنت أعبد رباً لم أره»، وقال: كيف رأيته؟ قال: «ويلك! لا تُدركه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» «۲»

.

ج- أخرج الصدوق أيضاً عن عبد اللّه بن سنان، عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: «إنّ اللّه عظيم، رفيع، لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغُون كنهَ عظمته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف ولا أين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۲

ولا حيث، فكيف أصفه بكيف وهو الّذى كيّف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف؛ أم كيف أصفهُ بأينٍ وهو الذى أيّن الأينَ حتّى صار أيناً، فعرفت الأينَ بما أيّن لنا من الأيْن، أم كيف أصفه بحيث وهو الذى حيّث الحيث حتّى صار حيثاً، فعرفت الحيث بما حيّثَ لنا من الحيث، فاللّه تبارك وتعالى داخل فى كلّ مكان، وخارج من كلّ شىء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار لا إله إلّاهو العلىّ العظيم وهو اللطيف الخبير» «۱»

.

د- أخرج الصدوق أيضاً عن إبراهيم بن أبى محمود قال: قال علىّ بن موسى عليهما السلام فى قول اللّه عزّ وجلّ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «۲»

:

«يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربّها» «۳».

*** إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ «۴» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۳

الرؤية القلبيّة

(۸) الرؤية القلبيّة

اشارة

(۸) الرؤية القلبيّة

كان المرتقب من أئمة الحديث والكلام الإشارة إلى قسم آخر من الرؤية الّذى لا يتوقّف على الأعين والأبصار، ينالُها الأمثل فالأمثل من المؤمنين، قال سبحانه:

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَينَ الْيَقِين «۱»

، فمن علم عين اليقين يرى لهيب الجحيم من هذه النشأة لا بعين مادية ولا بصر جسمانى، إنّما هى رؤية أخبر عنها الكتاب، ولا تتوقّف على الجهة والمقابلة، ولا التجسيم والمشابهة، وليس المراد من الرؤية فى الآية العلمَ القطعىّ؛ فإنّ العلم إن كان قطعياً غير الرؤية، قال سبحانه: وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ «۲»

.

قال العلّامة الطباطبائى: إنّه تعالى يُثبت فى كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسّية؛ وهى نوع شعور فى الإنسان، يشعر بالشىء بنفسه من غير استعمال آلة حسية أو فكرية، وفى ضوء ذلك إنّ للإنسان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۴

شعوراً بربّه غير ما يعتقد بوجوده من طريق الفكر واستخدام الدليل، بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجرّه إلى

الغفلة عنه اشتغاله بنفسه ومعاصيه الّتى اكتسبها، والذى يتجلّى من كلامه سبحانه أنّ هذا العلم المسمّى بالرؤية واللقاء يتمّ للصالحين من عباد اللَّه يوم القيامة، فهناك مواطن التشرّف بهذا التشريف، وأمّا فى هذه الدنيا والإنسان مشتغل ببدنه ومنغمر فى غمرات حوائجه الطبيعية وهو سالك لطريق اللقاء فهو بعدُ فى طريق هذا العلم لم يتمّ له حتّى يلقى ربّه، قال تعالى: يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ «۱»

.

فهذا هو العلم الضرورى الخاصّ الّذى أثبته اللَّه تعالى لنفسه وسمّاه رؤية ولقاء، ولا يهمّنا البحث عن أ نّها على نحو الحقيقة أو المجاز، والقرآن أوّل كاشف عن هذه الحقيقة على هذا الوجه البديع، فالكتب السماوية السابقة- على ما بأيدينا- ساكتة عن إثبات هذا النوع من العلم باللَّه، والأبحاث المأثورة عن الفلاسفة الباحثين تخلو عن هذه المسائل؛ فإنّ العلم الحضورى عندهم كان منحصراً فى علم الشىء بنفسه حتّى يكشف عنه فى الإسلام، فللقرآن المنّة فى تنقيح المعارف الإلهية «۲».

هذا التفسير للرؤية القلبية ممّا أفاده أُستاذُنا العلّامة الطباطبائى رحمه الله، ولكن ربّما يفسّر بالعلم القطعى الضرورى الّذى لا يتردّد إليه الريب، كما سننقله عن الشيخ الصدوق توضيحاً للروايات الصادرة عن أئمة أهل البيت حول الرؤية القلبية، فإليك ما روى عنهم- صلوات اللَّه عليهم-:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۵

روايات الأئمّة عليهم السلام فى الرؤية القلبيّة

روايات الأئمّة عليهم السلام فى الرؤية القلبيّة

إنّ فى روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام تصريحاً بصحّة الرؤية القلبية، واللائح منها زيادة اليقين بظهور عظمته وقدرته، وإليك البيان:

۱- أخرج الصدوق عن يعقوب بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبى محمّد (الحسن العسكرى) عليه السلام أسأله كيف يعبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع عليه السلام: «يا أبا يوسف جلّ سيدى ومولاى والمنعم علىّ وعلى آبائى أن يُرى»، قال: وسألته هل رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ربّه؟ فوقّع عليه السلام: «إنّ اللَّه تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ» «۱»

.

۲- أخرج الصدوق عن ابن أبى نصر (البزنطى) عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لمّا أُسرى بى إلى السماء بلغ بى جبرئيل مكاناً لم يطأه جبرئيل قطُّ، فكُشِف لى، فأرانى اللَّهُ عزّ وجلّ من نور عظمته ما أُحبّ» «۲»

.

وفى ضوء ذلك فالرؤية القلبية شهود نور عظمته فى النشأتين، وهو غير ما نقلناه عن العلّامة الطباطبائى.

۳- أخرج الصدوق عن عبيد بن زرارة عن أبيه قال: قلت لأبى عبد اللَّه عليه السلام:

جعلت فداك الغشية الّتى كانت تصيب رسول اللَّه إذا نزل عليه الوحى، فقال: «ذاك إذا لم يكن بينه وبين اللَّه أحد، ذاك إذا تجلّى اللَّه له»، قال: ثمّ قال: «تلك النبوّة يا زرارة» وأقبل يتخشّع «۳».

۴- أخرج الصدوق عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۶

هل رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ربّه عزّ وجلّ، فقال: «رآه بقلبه، أما سمعت اللَّه عزّ وجلّ يقول: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى «۱» ، أى لم يره بالبصر «۲» ولكن رآه بالفؤاد».

۵- أخرج الصدوق عن أبى بصير، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام فى جواب سؤال شخص عن رؤية اللَّه يوم القيامة، فقال فى ذيل الجواب: «وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى اللَّه عمّا يصفه المشبّهون والملحدون» «۳».

ثمّ إنّ للمحدّث الأكبر الشيخ الصدوق، كلاماً فى الرؤية القلبية، وحكى أنّ محدّثين كبيرين من محدّثى الشيعة هما: أحمد بن محمّد بن عيسى القمى (المتوفّى بعد سنة ۲۸۰ ه)، ومحمّد بن أحمد بن يحيى روياها فى جامعهما ولكن لم ينقلها فى كتاب التوحيد، يقول: والأخبار التى رُويت فى هذا المعنى وأخرجها مشايخنا- رضى اللَّه عنهم- فى مصنّفاتهم عندى صحيحة، وأنا تركت إيرادها فى هذا الباب خشيةَ أنْ يقرأها جاهلٌ بمعانيها، فيكذب بها، فيكفر باللَّه عزّ وجلّ وهو لا يعلم «۴».

ثمّ إنّ شيخنا الصدوق فسّر الرؤية القلبية بما يلى:

ومعنى الرؤية الواردة فى الأخبار: العلم، وذلك أنّ الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يومُ القيامة كُشف للعباد من آيات اللَّه وأُموره فى ثوابه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۷

وعقابه، ما يزول به الشكوك، وتُعلم حقيقة قدرة اللَّه عزّ وجلّ، وتصديقُ ذلك فى كتاب اللَّه عزّ وجلّ: لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد «۱»

فمعنى ما روى فى الحديث أنه عزّ وجلّ يرى أى يعلم عِلماً يقينياً كقوله عزّ وجلّ: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ «۲»

وقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ «۳»

وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ «۴»

وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين «۵».

*** هذه مسألة رؤية اللَّه، وهذه أقوال الأُمّة فيها، وهذا خلافهم الممتدّ من العصور الأُولى إلى عصرنا هذا، وهى مسألة كلامية اختلفت فيها أنظار الباحثين ولكلٍّ دليله وبرهانه، والنافى للرؤية ينفى لاستلزامها إثبات التجسيم والتشبيه، مضافاً إلى تضافر الآيات على نفيها بدلالات مختلفة، والمثبت إنّما يُثبتها اغتراراً ببعض الظواهر والروايات الواردة فى الصحاح.

ولكن ليس لكلّ من الطائفتين تكفير الأُخرى؛ لأنّ النافى يستند إلى أدلّة مشرقة تقنع كلّ من نظر إليها بلا نظر مسبق، وقول المثبت وإن كان يستلزم الجهة والتجسيم، لكنّه يقول بها مع التبرّى عن تواليها، متحصناً بقوله: «بلا كيف»، فتكون المسألة مسألة كلامية كسائر المسائل الكلامية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۸

تكفير ابن باز لمن لا يقول بالرؤية

تكفير ابن باز لمن لا يقول بالرؤية

غير أنّ مفتى السعودية عبد العزيز بن باز غالى فى الموضوع، وذلك فى الفتوى الصادرة فى ۸/ ۱۴۰۷ ه المرقمة ۷۱۷/ ۲ جواباً على سؤال وجّهه عبد اللَّه بن عبد الرحمن يتعلّق بجواز الاقتداء والائتمام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية فى يوم القيامة، فأفتى: بأن من ينكر رؤية اللَّه سبحانه وتعالى فى الآخرة لا يصلّى خلفه، وهو كافر عند أهل السنة والجماعة، وأضاف أنه قد بحث هذا الموضوع مع مفتى الإباضية فى عُمان الشيخ أحمد الخليلى، فاعترف بأنّه لا يؤمن برؤية اللَّه فى الآخرة، ويعتقد أنّ القرآن مخلوق، واستدلّ لذلك بما ذكره ابن قيّم الجوزية فى كتابه «حادى الأرواح»:

ذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إنّ قوماً يزعمون أنّ اللَّه لا يُرى يوم القيامة، فقال مالك رحمه الله: السيفَ السيفَ!

وقال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى علىّ عبد العزيز بن سلمة الماجشون رسالة عمّا جحدت الجهمية فقال: لم يزل

يملى لهم الشيطان حتّى جحدوا قول اللّه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «۱»

.

وذكر ابن أبى حاتم عن الأوزاعى أنه قال: إنّى لأرجو أنْ يحجب اللّه عزّ وجلّ جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه، الّذى وعده أولياءه حين يقول: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

إلى أن نُقل عن أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدّث بحديث عن رجل عن أبى العواطف أنّ اللّه لا يُرى فى الآخرة فقال: لعن اللّه من يحدّث بهذا الحديث اليوم، ثمّ قال: أَخْزى اللّه هذا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۹

وقال أبو بكر المروزى: من زعم أنّ اللّه لا يُرى فى الآخرة فقد كفر، وقال: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى، والجهمى كافر، وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤيةُ من كذب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أنّ اللّه لا يُرى فقد كفر باللّه، وكذّب بالقرآن، وردّ على اللّه أمره، يستتاب فإن تاب وإلّا قُتل...

تحليل هذه الفتيا:

تحليل هذه الفتيا:

۱- إنّ هذه الفتوى لا تصدر عمّن يجمع بين الرواية والدراية، وإنّما متفرّعة على القول بأنّ اللّه مستقرّ على عرشه فوق السموات، وأنّه ينزل فى آخر كلّ ليلة نزول الخطيب من درجات منبره «۱»، وأنّ العرش تحته سبحانه يَئِطّ أَطيط الرحل تحت الراكب «۲»، ويفتخر بتلك العقيدة ابن زفيل فى قصيدته النونية ويقول:

بل عطّلوا منه السموات العُلى والعرشُ أخلَوهُ من الرحمنِ «۳» ومثل تلك العقيدة تنتج أنّ اللّه تعالى يُرى كالبدر يوم القيامة، والرؤية لا تنفكّ عن الجهة والمكان، تعالى عن ذلك كلّه.

۲- إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقبل إسلام من شهد بوحدانيّته سبحانه ورسالة النبىّ صلى الله عليه و آله، ولم يُرَ أنّ النبىّ الأكرم يأخذ الإقرار بما وراء ذلك، مثل رؤية اللّه وما شابهه، وهذا هو البخارى يروى فى صحيحه: أنّ الإسلام بنى على خمس، وليس فيه شىء من الإقرار بالرؤية، وهل النبىّ ترك ما هو مقوّم الإيمان والإسلام؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۰

۳- إنّ الرؤية مسألة اجتهادية تضاربت فيها أقوال الباحثين من المتكلّمين والمفسّرين، وكلّ طائفة تمسّكت بلفيف من الآيات؛ فتمسّك المثبتُ بقوله سبحانه:

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وتمسّك النافى بقوله سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱»

.

فكيف يكون إنكارُ النافى ردّاً للقرآن، ولا يكون إثبات المثبت ردّاً له؟ وإذا جاز التأويل لطائفة لما يكون مخالفاً لعقيدته، فكيف لا يسوّغ لطائفة أُخرى؟

وليست رؤية اللّه يوم القيامة من الأُمور الضرورية الّتى يلازم إنكارها إنكار الرسالة ولا إنكار القرآن، بل كلّ طائفة تقبل برحابة صدر المصدرين الرئيسيين- أعنى: الكتاب والسنّة- ولكن تناقش فى دلالتهما على ما تدّعيه الطائفة الأُخرى، أو تناقش سند الرواية وتقول: إنّ القولَ بالرؤية عقيدة موروثة من اليهود والنصارى أعداء الدين، وقد دسّوا هذه الروايات بين أحاديث المسلمين، فلم يزل مسلمة اليهود والنصارى يتحيّنون الفرص لتفريق كلمة المسلمين وتشويه تعاليم هذا الدين، حتى تذرّعوا بعد وفاة النبىّ بشتّى الوسائل إلى بذر بذور الفساد، فأدخلوا فى الدين الحنيف ما نسجته أوهام الأحبار والرهبان.

۴- أنّ الاعتقاد بشيء من الأمور من الظواهر الروحيّة لا تنشأ جذوره فى النفس إلّابعد تحقّق مبادئ ومقدّمات توجد العقيدة، فما معنى قول من يقول فى مقابل المنكر للرؤية: السيفَ السيفَ، بدل أنْ يقول: الدراسةَ الدراسةَ، الحوارَ الحوارَ.

أليس شعار «السيفَ السيفَ» ينمُّ عن طبيعة عدوانيّة قاسية، ونفسية خالية من الرحمة والسماحة؟! وأنا أُجلّ إمام دار الهجرة عن هذه الكلمة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۱

۵- إنّ مفتى الديار النجدية لم يعتمد إلّاعلى نقول وفتاوى ذكرها ابن قيّم الجوزية فى كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح» دون أنْ يرجع إلى تفسير الآيات واحدة واحدة، أو يناقش المسألة فى ضوء السنّة.

فما أرخص مهمّة الإفتاء ومؤهّلات المفتى فى الديار؛ حيث يكتفى فى تكفير نصف الأُمّة بالرجوع إلى كتاب ابن قيّم الجوزية فقط.

وفى الختام، أنّ ما نقله عن ابن قيّم الجوزية يعرب عن جهله المطبق فى مسألة الرؤية؛ فإنّ نفى الرؤية شعار أئمة أهل البيت، وشعار الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبه وكلماته قبل أن يولد جهم وأذنابه، ولأجل ذلك اشتهر: «العدل والتنزيه علويّان، والجبر والتشبيه أُمويّان».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۲

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

لقد تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها، وهى أصفى من أنْ تُكدِّر صفوها الشُّبه، ومن قرأ مباحث هذا الفصل بإمعان وتأمُّل وقف على أنّ الحقّ مع النافين للرؤية، وأنّه ليس للمثبتين دليل لا عقلىّ ولا نقلىّ.

أمّا العقل: فهو مخالف للقول بالرؤية، فلا يجتمع التنزيه من الجهة مع القول بالرؤية، كما لا تنفكّ الإحاطة بالربّ بعضاً أو كلًّا عن القول بها.

وأمّا النقل: فليس إلّامَظاهر بدائية تزول بعد التأمّل.

غير أنّ هناك مطالب متفرّقة لا يجمعها فصل واحد نشير إليها، منفصلة عمّا مضى من البحث:

الأوّل: أنّ أكثر من طرح مسألة الرؤية فإنّما بحث عنها بدافع روحى، وهو إثبات عقيدته والتركيز على نحلة طائفته، ولذلك ربّما انتهى البحث والدراسة عند بعضهم إلى الخروج عن الأدب الإسلامى.

وهذا هو العلّامة الزمخشرى يُشبّه فى شعره أهل الحديث والحنابلة القائلين بالرؤية فيقول:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۳

جَماعةٌ سمُّوا هواهم سنةً وجماعةٌ حمر لعمرى مؤكفة

قد شبّهوه بخَلْقِهِ وتخوّفوا شنعَ الورى وتستّروا بالبَلْكَفَة «۱» إنّ ما ذكره فى البيت الثانى وإن كان حقّاً فإنّ القول بالرؤية لا ينفكّ عن التجسيم والتشبيه، والقول بأنّه جسم بلا كيف أو أنّه يُرى بلا كيف مهزلة لا قيمة لها، لما عرفت من أنّ الكيفيّة محقّقة لمفهوم الرؤية بالبصر، كما أنّها محقّقة لمفهوم اليد والرِّجل، فاليد بالمعنى اللغوى بلا كيفية أشبه بأسد لا رأس له ولا بطن ولا ذنب.

ولكن البيت الأوّل لا يناسب أدب الزمخشرى الذى تربّى فى أحضان الإسلام والمسلمين وخالط القرآن جسمه وروحه.

ولمّا أثار هذا الشعر حفيظة الأشاعرة وأهل الحديث قابلوه بمثل ما قال، فقد قال أحمد بن المنير الإسكندرى فى حاشية على الكشّاف باسم الانتصاف:

وجماعة كفروا برؤية ربّهم حقّاً ووَعْدُ اللّه ما لن يُخلفَه وتلقَّبُوا عدليّةً قُلنا أجل عَدَلوا بربّهمُ فحسبُهُم سَفَه

وتلقَّبوا الناجينَ كلّا إنّهُم إنْ لم يكونُوا فى لَظى فَعَلى شَفَه إنّ البادى وإن كان أظلم ولكنّهما كليهما خرجا عن مقتضى الأدب الإسلامىّ؛ فالمسلم مادام له حجّة على عقيدته ولم يكن مقصّراً فى سلوكها لا يُحكم عليه بشىء من الكفر والفسق ولا العقاب ولا العذاب.

وقد نصره تاج الدين السبكى بقوله:

عجباً لقوم ظالمين تلقّبوا بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه

قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات اللّه مع نفى الصفه الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۴

وتلقّبوا عدلية قلنا نعم عدلوا بربّهم فحسبهم سفه «۱» فيا للّه! ماذا يعنى تاجُ الدين السبكى بقوله: تعطيل الذات مع نفى الصفة؟ فإنّ أحداً من المسلمين لا يعطل الذات عن الوصف بالعلم والقدرة والحياة والسمع، نعم إن عنى من تعطيل الذات نفى وصفه سبحانه بالأوصاف الخبرية بمعانيها اللغوية، كاليد والرجل والنزول ووضع القدم فى الجحيم؛ فإنّ هذا ليس تعطيلًا، بل مرجعه إلى التنزيه مع عدم التعطيل بجعلها كناية عن المعانى الأُخَر، تبعاً لأُسلوب الفصحاء والبلغاء والذكر الحكيم، كلام فصيح وبليغ، ليس فوقه شىء؛ فلا يعدّ مثل ذلك تعطيلًا، نعم، من يحاول وصفه سبحانه بهذه الصفات بمعانيها اللغوية، ويقول: إنّ للّه تبارك وتعالى يداً ورجلًا ونزولًا وحركةً بالمعنى الحقيقى ولكن لا تُعرَف كيفيتُها، يحاول الجمع بين المتضادّين؛ فإنّ مقتضى الحمل على المعانى اللغوية سيادة تلك المعانى على موردها، ومقتضى نفى الكيفية نفى معانيها اللغوية، فكيف يعدّون أنفسهم من المثبتين وأهل التنزيه من المعطلة.

ولا يقاس ذلك بوصفه سبحانه بالعلم والقدرة مع عدم العلم بالكيفية؛ لأنّ الكيفية فيهما ليست مقوّمة لواقعهما، فالعلم بمعنى انكشاف الواقع، وأمّا كونه عَرَضاً أو جوهراً حالًّا أو محلًّا فليست مقوّمة لمفهومه حتّى يرجع نفى الكيفية إلى نفى واقع العلم، وهذا بخلاف اليد؛ فإنّها بلا كيفية ليست يداً لغة.

وأظنّ أنّه لو انعقد مؤتمر علمىّ فى جوٍّ هادئ واستعدّت الطائفتان للتأمُّل فى براهين النافين والمثبتين لقلّ الخلاف وتقاربت الطائفتان. نعم، إنّ خلافاً دام قروناً لا ينتهى بأُسبوع أو شهر أو بعقد مؤتمر أو مؤتمرين ولكن الرجاء تقريب الخطى وعدم تكفير إحدى الطائفتين للطائفة الأُخرى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۵

أوَليس الأولى لنا ألّا نُقسّم رحمة ربّنا وعذابه وجحيمه بيننا كما قسّمه الإسكندرى فى تعليقته على الكشّاف، ونتركه إلى اللّه سبحانه فهو أعلم بمن هو فى لظى أو شفة منها، أو قريب من الجنّة: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ «۱»

.

*** الثانى: أنّ أكثر الباحثين فى الرؤية يبحثون فى مفهوم الرؤية لغةً، ويحشدون كلمات أهل اللغة من القدامى والجدد، كما أنّهم يبحثون فى واقع الرؤية علمياً، وهل هى بسقوط الشعاع من العين على الأشياء أو بالعكس، مع أنّا فى غنى عن هذه المباحث، إذْ ليس البحث فى المقام عن لغة الرؤية ولا فى واقعها العلمى، وإنّما البحث فى أمر اختلفت فيه كلمة الأُمّة، ألا وهو رؤية اللّه تعالى بالعين فى الآخرة، وليس البحث فى هذا الإطار متوقّفاً على دراسة مفهوم الرؤية وواقعها، وليس مفهومها أمراً مبهماً حتّى نستمدّ فى تفسيرها من كتب اللغة.

وإن شئت قلت: إنّ البحث كلامى مركّز على إمكان رؤية اللّه بالعين فى الآخرة وعدمه.

نعم، من أراد الاستدلال على الجواز ببعض الأحاديث الماضية من أنّكم سترون ربّكم يوم القيامة... وشككنا فى معنى الرؤية، كان البحث عن مفهومها أمراً صحيحاً، وقد سبق منّا أنّ محلّ النزاع هو إمكان الرؤية بالعين الّتى نرى بها الأشياء فى الدنيا، وأمّا الرؤية

بحاسّة سادسة أو بالقلب أو بالرؤيا فليس مطروحاً فى المقام، ولذلك استغنينا عن نقل كلمات أصحاب المعاجم كالعين للخليل، الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۶

والجمهرة لابن دُريد، والمقاييس لابن فارس، واللسان لابن منظور، والقاموس للفيروز آبادى وغيرهم.

*** الثالث: لقد أخذنا على عاتقنا التمسّك بالأدب الإسلامى فى الدراسة والتحليل، ولكن ربّ حديثٍ يسمعه الإنسان من آخر ربّما يجرُّه إلى القسوة أو التجرّؤ على المقابل، وبدورى لما كنت أتفحّص الكتب والتفاسير حولَ المسألة رأيت أُموراً من بعض المثبتين أشبه بالمهزلة، مع أنّ القائل يُعدّ من المفسّرين الكبار ويُكال له بصاع كبير، وإن كنت فى ريب ممّا قلنا فاستمع إلى قول الآلوسى:

قال: روى الدار قطنى وغيره عن أنس من قوله صلى الله عليه و آله: «رأيت ربّى فى أحسن صورة»، ومن الناس من حملها على الرؤية المنامية، وإذا صحّ هذا الحمل فأنا وللّه الحمد قد رأيتُ ربّى مناماً ثلاث مرّات، وكانت المرّة الثالثة عام ۱۲۴۶ ه رأيته جلّ شأنه وله من النور ما له متوجّهاً جهة المشرق وكلّمنى بكلمات أُنسيتُها حين استيقظت، ورأيت مرّة فى منام طويل كأنّى فى الجنّة بين يديه تعالى وبينى وبينه ستر حبيك بلؤلؤ مختلف ألوانه، فأمر سبحانه أن يذهب بى إلى مقام عيسى عليه السلام ثمّ إلى مقام محمّد صلى الله عليه و آله فذهب بى إليها، فرأيت ما رأيت وللّه تعالى الفضل والمنّة «۱».

نحن لا نعلّق على كلامه بشىء سوى أنّها إمّا كانت أضغاث أحلام ليس لها شىء من الحقيقة ولا شىء من الواقع، أو أنّها كانت صور تفكير الرجل فى يومه ونهاره حول تلك المسألة العقائدية، فانعكس ما هو مخزون فى نفسه على صفحات ذهنه فى المنام.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۷

أما آنَ للواعين من الأُمّة أن يُنزّهوا كتبهم من هذه الخرافات حتّى لا يتّخذها المادّى الغاشم ذريعة للسخرية والتهكّم على الدين وأهله.

*** الرابع: أنّ المثبتين للرؤية يركّزون على الروايات المثبتة حسب ادّعائهم، ولكنّهم لا يركّزون على الروايات النافية؛ فإنّ هذه الروايات من غير فرق بين المثبتة والنافية وإن كانت روايات آحاد لا تفيد علماً فى مجال العقائد، ولكن مقتضى الانصاف الاستدلال بالرواية المخالفة أيضاً، وإليك بعض ما ورد فى هذا المضمار:

۱- روى البخارى فى تفسير قوله: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ عن عبد اللّه بن قيس أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «جنّتان من فضّة آنيتهما، وجنّتان من ذهب آنيتهما وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلّارداء الكبرياء على وجهه فى جنّة عدن» «۱»

.

۲- روى مسلم عن أبى ذر قال: سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله: هل رأيت ربّك؟ قال:

«نور أنا أراه؟» «۲»

.

ودلالة الحديث على إنكار الرؤية واضحة، فإنّ الرسول ينكر الرؤية بأنّه سبحانه ليس نوراً حتى أراه.

نعم، رواه مسلم بصورة أُخرى أيضاً، روى عن عبد اللّه بن شقيق قال: قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله لسألته، فقال: عن أىّ شىء كنت تسأله؟ قال:

كنتُ أسأله هل رأيت ربّك؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: «رأيتُ نوراً» «۳»

.

ولعلّ المراد ما رأيت سبحانه وإنّما رأيت حجابه كما فى الحديث التالى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۸

۳- روى مسلم عن أبى موسى قال: قام فينا رسول اللّه صلى الله عليه و آله بخمس كلمات فقال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفّض القسط ويرفعه، يُرفعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حجابه النور».

وفی روایة أبی بکر:... النار لو کشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهی إلیه بصره من خلقه «۱».

۴- روی الطبری فی تفسیر قوله سبحانه حاکیاً علی لسان موسی عن ابن عباس قال: یقول: إنّا أوّل من یؤمن أنّه لا یراک شیء من خلقک «۲»

.

نعم، من لا یروقه قول ابن عباس من الرواة، نقله وذیّله بقوله: یعنی فی الدنیا، وهذا تأویل للروایة منه.

۵- روی الطبری فی تفسیر قوله: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ عن قتادة أنّه قال: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ... وهو أعظم من أن تدرکه الأبصار «۳».

۶- روی مسروق قال: قلت لعائشة: یا أُمّ المؤمنین هل رأی محمّد ربّه، فقالت: سبحان اللّه لقد وقف شعری ممّا قلت!! ثمّ قرأت: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ «۴»

.

۷- روی الشعبی قال: قالت عائشة: من قال: إنّ أحداً رأی ربّه فقد أعظم الفِریة علی اللّه، قال اللّه: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ «۵»

.

وأضاف الطبری وقال: قال قائل هذه المقالة: معنی الإدراک فی هذا الموضع هو الرؤیة، وأنکروا أن یکون اللّه لیُری بالأبصار فی الدنیا والآخرة «۶».

ویظهر من الطبری أنّ القائلین بالرؤیة حاولوا منذ زمن قدیم تأویل لفظ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۹

الإدراک فی الآیة بالإحاطة.

فقد نُقل عن عطیة العوفی أنّهم ینظرون إلی اللّه، لا تحیط أبصارُهم به من عظمته، وبصره یحیط بهم فذلک قوله: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ «۱»

.

وأنا أُجلّ عطیّة العوفی تلمیذ ابن عباس وجابر بن عبد اللّه الأنصاری عن هذا التفسیر الّذی لا یوجد له أصل فی اللغة، وهذه هی الکلمة الدارجة بین أهل الرجال فی أصحاب الرسول، یقولون: أدرکَ رسول اللّه أو لم یُدرکه، فلا یُراد من الأوّل أنّه واکب حیاته منذ بعثتِه حتّی رحیله، بل یراد منه أنّه رآه مرّة أو مرّتین، أو أیاماً قلائل، وربّما یقال: إنّه أدرک رسول اللّه وهو صبیّ فیعدّونه من الصحابة.

*** الخامس: أنّ للإمام عبده وتلمیذه صاحب المنار کلمات حول الرؤیة، قد حاولا بإخلاص جمع کلمة المسلمین فی هذه المسألة، فمن أراد فلیرجع إلی تفسیره «۲»، وله کلام فی تفسیر قوله صلی الله علیه و آله: «لو کشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهی إلیه بصره من خلقه»، قال: والمعنی أنّ النور العظیم هو الحجاب الذی یحول بینه وبین خلقه، وهو بقوّته وعظمته ملتهب کالنار، ولذلک رأی موسی علیه السلام عند ابتداء الوحی ناراً فی شجرة توجه همّهُ کلّه إلیها، فنودی الوحیُ من ورائها، وفی التوراة أنّ الجبل کان فی وقت تکلیم الربّ لموسی علیه السلام وإیتائه الألواح مغطّی بالسحاب.

ورأی النبیّ الخاتم الأعظم صلی الله علیه و آله لیلة المعراج نوراً من غیر نار، وربّما کان هذا أعلی، ولکنّه کان حجاباً دون الرؤیة أیضاً، فقد سأله أبو ذر رضی الله عنه وقال: هل رأیت ربک؟ فقال: «نوره، إنّی أراه؟» وفی روایة أُخری: «رأیت نوراً» ومعناهما معاً

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۷۰۰

رأیت نوراً منعنی من رؤیته، لا أنّه تعالی نور، وأنّه لذلک لا یُری، وهذا یتلاقی ویتّفق مع قوله: «حجابه نور» ولذلک جعلنا أحادیث النور شاهداً واحداً فی موضوعنا، وهی تدلّ علی عدم رؤیة ذات اللّه عزّ وجلّ وامتناعها «۱».

السادس: إنّ القائلين بالرؤية على فرقتين: فرقة تعتمد على الأدلّة العقلية دون السمعية، وفرقة أخرى على العكس.

فمن الأُولى سيف الدين الآمدى (۵۵۱- ۶۳۱ ه) يقول: لسنا نعتمد فى هذه المسألة على غير المسلك العقلى؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعيّة؛ وهى ممّا يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلّاعلى سبيل التقريب «۲».

ومن الثانية الرازى فى غير واحد من كتبه فقال: إنّ العمدة فى جواز الرؤية ووقوعها هو السمع، وعليه الشهرستانى فى نهاية الاقدام «۳».

والحقّ أنّ من حاول إثبات الرؤية بالدليل العقلى فقد حرم عن نيل مرامه؛ فإنّ الأدلّة العقلية التى أقامتها الأشاعرة فى غاية الوهن؛ فإنّهم استدلّوا على الجواز بوجهين: أحدهما يرجع إلى الجانب السلبى، وأنّه لا يترتّب على القول بالرؤية شىء محال، والآخر يرجع إلى الجانب الإيجابى وهو أنّ مصحّح الرؤية فى الأشياء هو الوجود، وهو مشترك بين الخالق والمخلوق «۴».

أظنّ أنّ كلّ من له أدنى معرفة بالمسائل العقلية يدرك ضعف الاستدلال؛ إذ كيف لا يترتّب على الرؤية بالعين تشبيه وتجسيم، مع أنّ الرؤية بالمعنى الحقيقى لا تنفكّ عن الجهة للمرئى، مضافاً إلى أنّ واقع الرؤية عبارة عن انعكاس الأشعة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۱

على الأشياء، فإثبات الرؤية بلا هذه اللوازم نفى لموضوعها، وأوضح ضعفاً ما ذكره من أنّ المجوِّز للرؤية هو الوجود، وهو مشترك بين الواجب والممكن؛ إذ المجوّز ليس الوجود بلا قيد، بشهادة أنّ النفسيّات كالحسد والبخل والعشق والفرح لا تُرى بالعين، ورؤيتها بغيرها كحضورها عند النفس خارج عن محطّ البحث، بل المصحّح هو الوجود الواقع فى إطار الجهة، وطرفاً للإضافة بين العين، وطرفاً للإضافة بين البصر والمبصر، ومثل ذلك يساوى الوجود الإمكانى المادّى.

ولضعف هذا النوع من الاستدلال نرى أنّ الشريف الجرجانى بعدما أطال البحث حول البرهان العقلى قال: إنّ التعويل فى هذه المسألة على الدليل العقلى متعذّر، فلنذهب إلى ما ذهب إليه الشيخ أبو منصور الماتريدى من التمسّك بالظواهر النقلية «۱».

*** السابع: أنّ المنكرين للرؤية يفسّرون قوله سبحانه: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «۲»

بالانتظار، وكلامهم حقّ فى الجملة، لكنّ أغلب من يذكر هذا التفسير لا يفرّق بين المعنى بالمراد الاستعمالى والمعنى بالمراد الجدّى.

وقد عرفت أنّ المعنى بالمراد الاستعمالى غير المعنى بالمراد الجدّى، فقد أُريد من الجملة حسب الاستعمال الرؤية وأُريد منها الانتظار جدّاً، فمثلًا تقول: إنّى أنظر إلى اللَّه ثمّ إليك، فالمعنى الابتدائى هو الرؤية، ولكن المعنى الجدّى هو الانتظار.

وهناك خلط آخر فى كلامهم، حيث لا يفرّقون بين النظر المستعمل المتعدّى ب «إلى» والمتعدّى بنفسه، فلذلك يستدلّون على أنّ الناظر فى الآية بمعنى الانتظار

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۲

بقوله تعالى: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً «۱»

وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ «۲»

وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ «۳»

مع أنّ الاستشهاد فى غير محلّه؛ لأنّ كون اللفظة بمعنى الانتظار فيما إذا تعدّت بنفسها غير منكر، وإنّما البحث فيما إذا كانت متعدية ب «إلى»، فعلى ذلك يجب التركيز فى إثبات كونها بمعنى الانتظار على الآيات والأشعار الّتى استعملت وتعدّت ب «إلى» وأُريد بها الانتظار.

*** الثامن: يقع بعض السطحيين فى تفسير المقطع الأوّل من آيات سورة «النجم» فى خطأين: خطأ فى إثبات الجهة للَّه سبحانه، وخطأ فى إثبات الرؤية للنبى، وإليك الآيات، ثمّ الإشارة إلى مواضع الاشتباه، أعنى قوله سبحانه:

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* أَفَتُمارُونَهُ عَلَى مَا

يَرى* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۴»

.

إنّ الجمل التالية: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى إلى قوله: فَأَوْحى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى يؤكّد على شدّة اقتراب النبيّ من جبرئيل، أى على بُعد ما بين القوسين أو

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۳

أدنى، وهو تعبير عن منتهى القرب.

والضمائر كلُّها إلّاالمجرور فى إِلَى عَبْدِهِ ترجع إلى جبرئيل الّذى كُنّى عنه بشديد القوى، وأين هو من قربه صلى الله عليه و آله منه سبحانه.

ومن التفسير الخاطئ هو إرجاع الضمير فى قوله ثمّ دنا فتدلّى إلى النبيّ، وتفسير الآية بقرب النبى من اللَّه على أقرب ما يمكن، وبالتالى تصوّر انّ للَّه جهةً وقرباً وبعداً، وبذلك يتّضح خطأ مَنْ فسّر الآية على نحو أثبت للَّه جهة وقرباً.

إنّ المرئى فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى حسب الآيات المتقدّمة هو الأُفق الأعلى، والدنوّ والتدلّى والوحى، وحسب الآية اللّاحقة هو آيات الربّ حيث قال: لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۱»

ومن تلك الآيات هو جبرئيل الّذى هو شديد القوى، وأين الآية من الدلالة على رؤية النبيّ ربَّه.

ومن التفسير الخاطئ جعل المرئى فى قوله: مَا رَأى هو الربّ، ومن حسن الحظّ أنّ السنّة أيضاً تفسّر الآية برؤية جبرئيل.

عن مسروق قال: «كنت متّكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على اللَّه الفِرية، قلت: ما هُنّ؟ قالت: من زعم أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله رأى ربّه فقد أعظم على اللَّه الفرية، قال: وكنت متّكئاً فجلست، فقلت:

يا أُمّ المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى! ألم يقل اللَّه عزّ وجلّ: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ «۲»

و وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى «۳»

؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة سأل عن ذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «إنّما هو جبرئيل لم أره على صورته الّتى خُلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۴

فقالت: أوَلَمْ تسمع أنّ اللَّه يقول: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱»

؟ أوَلم تسمع أنّ اللَّه يقول: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّه إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ «۲»

؟ قالت: ومن زعم أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كتم شيئاً من كتاب اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ «۳»

قالت: ومن زعم أنّه يُخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهَ «۴» «۵»

.

*** التاسع: أنّ للشيخ الجصّاص الحنفى (ت ۳۷۰ ه) كلاماً رائعاً فى تفسير قوله سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وقد فسّر الروايات الدالّة على الرؤية بالعلم الضرورى الّذى لا يشوبه شبهة، ولا تُعرض فيه الشكوك، ولأجل إيقاف القارئ على كلام ذلك المفسّر الكبير الّذى هو من السلف الصالح نذكر نصّ كلامه:

قوله تعالى: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ يقال: إنّ الإدراك أصله اللحوق، نحو قولك: أدرك زمان المنصور، وأدرك أبا حنيفة، وأدرك الطعام، أى لحق حال النُّضْج، وأدرك الزرع والثمرة، وأدرك الغلامُ إذا لحق حال الرجال، وإدراك البصر للشيء لحوقه له برؤيته إيّاه، لأنّه لا خلاف بين أهل اللغة إنْ قال القائل أدركت ببصرى شخصاً معناه: رأيته ببصرى، ولا يجوز أن يكون

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۵

الإدراك الإحاطة؛ لأنّ البيت محيط بما فيه وليس مدركاً له، فقوله تعالى:

لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ معناه: لا تراه الأبصار، وهذا مدح ينفى رؤية الأبصار كقوله تعالى: لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ «۱»

وما تمدح اللَّه بنفيه عن نفسه فإنّ إثبات ضدّه ذَمّ ونَقْص فغير جائز إثبات نقيضه بحال، كما لو بطل استحقاق الصفة بلا تأخذه سِنَة ولا نوم لم يبطل إلّاإلى صفة نقص، فلمّا تمدح بنفى رؤية البصر عنه لم يجز إثبات ضدّه ونقيضه بحال؛ إذكان فيه إثبات صفة نقص.

ولا يجوز أنْ يكون مخصوصاً بقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «۲»

لأنّ النظر محتمل لمعان، منه انتظار الثواب كما روى عن جماعة من السلف، فلمّا كان ذلك محتملًا للتأويل لم يجز الاعتراض عليه بما لا مساغ للتأويل فيه، والأخبار المرويّة فى الرؤية إنّما المراد بها العلم لو صحّت، وهو علم الضرورة الّذى لا تشوبه شبهة ولا تعرض فيه الشكوك؛ لأنّ الرؤية بمعنى العلم مشهورة فى اللغة «۳».

*** العاشر: أنّ من كتبَ حول الرؤية من إخواننا أهل السنة- من غير فرق بين النافى والمثبت- فقد دقّ كلّ باب، ورجع إلى كلّ صحابى وتابعى، ومتكلّم وفيلسوف، ولكن لم يدقّ باب أئمة أهل البيت عليهم السلام، وفى مقدّمتهم الإمام على عليه السلام باب علم النبيّ وأقضى الأُمّة وأحدُ الثقلين اللّذين تركهما النبيّ صلى الله عليه و آله لهداية الأُمّة، فقد طفحت خطبه التوحيدية بتنزيهه سبحانه عن رائحة التجسيم وشوب الجهة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۶

وإمكان الرؤية، فبلّغ رسالات اللَّه الّتى تعلّمها فى أحضان النبيّ صلى الله عليه و آله بأبلغ بيان.

وإذا ذَهَبتْ العدلية كالمعتزلة والإمامية إلى امتناع الرؤية فمنه أخذوا ومن منهجة تعلّموا، فبلغوا الغاية فى التنزيه حسب إرشاداته، كما صرّح بذلك غير واحد من أئمة العدلية، وقد ذكرنا بعض خطبه فيما مضى، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى خطبه عليه السلام فى نهج البلاغة، وإلى كلمات أبنائه الطاهرين فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق.

تمّ بيد مؤلّفه أحقر عباد اللَّه

جعفر السبحانى فى مدينة قم المشرّفة

من شهور عام ۱۴۱۲ ه

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹